سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (49)

ديوان الروض الأريض

في بديع التوشيح ومنتقى القريض

محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي

(ت 1120 هـ)

بسم الله الرحمان الرحيم

اسم الكتاب: الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض
اسم المؤلف: ابن زاكور

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.
يَقُولُ أَفْقَرُ الْعَبِيدِ إِلَى ذِي الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، وَأَحْوَجُهُمْ إِلَى بَحْرِ فَضْلِهِ الْمَدِيدِ، محمَّدِ بنِ قَاسِمِ بْنِ محمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ زَاكُورٍ، سَحَّتْ عَلَيْهِ سُحُبُ الرَّحَمَاتِ مِنَ الرَّحِيمِ.
حَمْدُكَ يَا مَنْ شَرَّفَ أَعْيَانَ الْبُلَغَاءِ، وَبُلَغَاءَ الأَعْيَانِ، بِمَا ذَلَّلَ لَهُمْ مِنْ شَمُوسِ الْبَلاَغَةِ وَالْبَيَانِ، فَصَرَفُوهُ بِأَعِنَّةِ الأَفْكَارِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ، وَأَعْلَى هِمَمَ مَنْ سَدَّ مِنْهُمْ أَبْوَابَ الطَّمَعِ مَنَاطِ الْحِرْمَانِ وَمَطَافِ الْمَذَلَّةِ وَالْهَوَانِ؛ أَشْرَفُ مَا افْتُتِحَ بِهِ دِيوَانٌ، لأَنَّهُ عَلَى الْكَمَالِ، وَهُوَ لَكَ خَاصَّةً: عُنْوَانٌ، وَشُكْرُكَ - لأَنْ أَوْلَيْتَ لِوَاءَ الْبَرَاعَةِ، وَأَلْحَقْتَ بِمَنْ تَرْهَبُ أَرْبَابُ الْعَوَالِي يَرَاعَهُ - لَيْسَ لِي بِتَأْدِيَتِهِ يَدَانِ، وَلاَ وَجْهٌ حُسَّانٌ، وَلَوْ أُيِّدْتَ بِقُوَّةِ (عَبْدِ الْمَدَانِ) وَلَهْجَةِ حَسَّانَ، إِذْ هُوَ مِنْ فَرِيدِ جَوْهَرِ الإِحْسَانِ، وَشُكْرُهُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ. وَالصَّلاَةُ عَلَى مَنْ عَصَمْتَهُ مِنَ الشِّعْرِ، لِيَسْلَمَ مِنْ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ مَا أَيَّدْتَهُ بِهِ، فَأَعْجَزَ الْفُحُولَ مِنْ مُحْكَمِ الذِّكْرِ: أَفْضَلُ مَا اقْتُبِسَ بِهِ أَنْوَارُ الْعِرْفَانِ، وَنِعْمَ الْمُنْجِدُ فِي تَنْوِيرِ الْجَنَانِ، وَمَحْقِ دَيَاجِيرِ الأَشْجَانِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا مَا أَثْمَرَ بِهِ رَوْضُ الْقَرِيحَةِ إِبَّانَ الشَّبَابِ، وَأَلْحَقَهُ بِهِ نَسِيمُ الْفِكْرِ إِذْ ذَاكَ مِنْ خَطَإٍ أَوْ صَوَابٍ. رَتَّبْتُهُ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ لِيَشْتَمِلَ الْمُبْهَمَ بِفَضْلِ رِدَاءِ الْمُعْلَمِ، وَيَتَعَزَّزُ الضَّعِيفُ، بِجِوَارِ ذِي الْعِزِّ الْمُنِيفِ. وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى

سُلوكِ مجازٍ، بَلْ يَوْماً (بِبَغْدَاذَ) وَيَوْمًا بِالْحِجَازِ، وَآوِنَةً بِعُكَاظٍ ، وَطَوْراً بِذِي الْمَجَازِ. وَسمَّيْتُ جمْعَهُ الصَّحِيحَ – وَقَدْ طَرَّزَ آسَ الْقَرِيضِ بِيَاسمِينِ التَّوْشِيحِ، وَمَزَجَ عَوِيصَ أَبِي حزَامٍ بِرَقِيقِ عُرْوَةَ وَابْنِ ذَرِيحٍ –: الرَّوْضُ الأَرِيضُ فِي بَدِيعِ التَّوْشِيحِ وَمُنْتَقَى الْقَرِيضِ.

وَكَثِيراً مَا أُكَنِّي فِيهِ بِالْمُدَامِ وَالرَّاحِ، عَنِ الطَّرَبِ وَالارْتِيَاحِ، وَمَا يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الأَفْرَاحِ. فَلاَ يَتَوَهَّمُ مَنْ لَمْ يَدْرِ الصَّبَاحَ مِنَ الْمِصْبَاحِ، وَقَدْ رَأَى مَا عَارَضْنَا بِهِ: (شُقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاحِ) أَنَّ الْمُرَادَ التِي تَطْلُعُ فِي بُرُوجِ الأَقْدَاحِ، وَيَدُورُ بِهَا فَلَكُ الرَّاحِ، فَيُلْزِمُنِي بِمُقْتَضَى بَلاَدَتِهِ – وَأَنَا الْبَرِيءُ – أَقْبَحُ جِنَاحٍ، وَيَطِيرُ إِلَى مَا طُبِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَيْبِ، وَالرَّجْمِ بِالْغَيْبِ بِأَلْفِ جَنَاحٍ، إِذْ تِلْكَ لَا يَصِفُهَا إِلَّا مَنْ يَعْرِفُهَا، وَلَا يَذْكُرُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَهُ مِنَ الْأَنْذَالِ لَا يُنْكِرُهَا. وَإِنَّمَا فَعَلْتُ مَا هُوَ بَيْنَ الْأَفَاضِلِ مَطْرُوقٌ، وَيُعَمَّرُ بِهِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْمَحَاسِنِ أَيُّ سُوقٍ – وَهَلْ نَحْنُ إلاَّ مِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا – نُحَسِّنُ بِبَدِيعِهِمْ كَلاَمَنَا، وَنُطَرِّزُ بِاسْتِعَارَاتِهِمْ قَوْلَنَا، أَلَا وَلْيَشْهَدْ عَلَيَّ ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، أَنَّنِي كُلَّمَا وَصَفْتُ حُسْناً، أَوْ شَبَّبْتُ فِي الظَّاهِرِ

بِمَا يَفْنَى، فَالْمَقْصُودُ – إِنْ لَمْ يَصْلُحْ كَوْنُهُ الْمَعْنَى –، إِنَّمَا هُوَ التَّدَرُّبُ وَالارْتِيَاضُ، وَتَصْرِيفُ الْفِكْرِ فِي سَائِرِ الْأَغْرَاضِ.

وَمِمَّنْ مَنَّ عَلَيَّ بِهِ، وَجَذَبَنِي إِلَى الْعُلاَ بِسَبَبِهِ، وَجَعَلَنِي مِنْ قَائِلِيهِ اسْتِحْسَاناً، وَتَدْرِيباً لِلْفِكْرِ وَامْتِحَاناً، وَتَطَرُّباً لاَ تَكَسُّباً، أَسْتَمِدُّ مِنْهُ التَّوْفِيقَ وَالهِدَايَةَ، وَالْغِنى بِالْكَفَافِ وَالْكِفَايَةِ، وَأَنْ يُحْسِنَ لِي فِي الْخَتْمِ كَمَا أَحْسَنَ فِي الْبِدَايَةِ، بِجَاهِ أَفْضَلِ مَنْ عَلَّهُ بِكَأْسِ الرِّسَالَةِ وَالْوِلاَيَةِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ بِلاَ نِهَايَةٍ.

حرف الهمزة

قلت عليه مستعينا بمن أبدأ من الحول والقوة إليه:

دِيـوَانُ حُبِّـكَ بِالتَّوْفِيـقِ مُبْتَـدَأُيَا مَنْ بِهِ الحُسْـنُ مَخْتُـومٌ وَمُبْتَـدَأُ
وَجُمْلَةُ الْمَدْحِ لَمْ يُرْفَـعْ لَهَـا خَبَـرٌ إِلاَّ وَأَنْـتَ رَسُـولَ اللـهِ مُبْتَـدَأُ

وَبِهُدَاكَ جُذَى الْأَفْهَامِ مُوقَـدَةٌ يَا مَنْ بِهِ غَضَبُ الجَبَّارِ مُنْطَفِئُ

رَقَّتْ سَجَايَا بَنَاتِ الفِكْرِ وَانْتَعَشَتْ مُذْ عَلَّهَا مِنْ ثُدَيِّ مَجْدِكُمْ لِبَأُ

وَمُنْذُ حَلَّبْتُهَا بِدَرِّ مَدْحِكُمُ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَلْبِ لاَ رَيْنٌ وَلاَ صَدَأُ

صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا تُلِيَتْ أَمْدَاحُكُمْ وَزَهَا بِذِكْرِكُمْ نَبَأُ

وَمَا جَرَى نَهَرٌ، وَمَا ذَكَى زَهَرٌ وَمَا تَرَبَّعَ مِنْ صَوْبِ الْحَيَا كَلأُ

وَمَا بَدَتْ حِكْمَةٌ وَمَاجَرَى مَثَلٌ وَمَا تَكَرَّرَ مَعْ بُنْدُقَةٍ حِدَأُ

وَما تَرَبَّعَ مِنْ أَنْوَارِكُمْ قَمَرٌ وَمَا تَضَلَّعَ مِنْ أَسْرَارِكُمْ مَلأُ

وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلٌّ زَانَهُ مَلأُ

وقال على لسان بعض حافظِ سيدي يوسف الصنهاجي فيه نفع اللّه به:

مَا لِمَنْ مَسَّهُ مِنَ الْفَقْرِ دَاءٌ غَيْرَ قَصْدِ رَبِّ الْجَمَالِ دَوَاءُ

نَجْلُ أَحْمَدَ يُوسُفَ الْخَيْرِ مَنْ حَفَّتْ بِصَنْهَاجَةٍ بِهِ الأَضْوَاءُ

مَنْبَعُ الْفَضْلِ وَالسِّيَادَةِ وَالسُّؤْدَدِ، مَنْ خُتِمَتْ بِهِ الأَوْلِيَاءُ

صاحِ! عَرِّجْ بِهِ وَلُذْ بِحِمَاهُ، فَحِمَاهُ بِفَيْضُ فِيهِ العَطَاءُ

وَالْتَزِمْ قَبْرَهُ فَعَرْفُ شَذَاهُ مِنْ لَظَى مُضْرَمِالْخُطُوبِ شِفَاءُ

وَتَشَفَّعْ لَهُ بِكُلِّ هُمَامٍ سَيِّدٍ، عَلَّهُ السَّنَا وَالسَّنَاءُ

بِالْفِلاَلِي شَيْخِهِ سَيِّدِي مَسْ عُودِ مَنْ أُسْعِدَتْ بِهِ سُعَدَاءُ

وَبِغَازِي خُطُوبِ مَنْ قَدْ أَتَاهُ سَيِّدِي الْغَازِي مَنْ غَزَاهُ الثَّنَاءُ

فَهُمَا مَنْبَعَا سَنَاهُ وَكَنْزَا سِرِّهِ اللَّذْ صَفَتْ بِهِ الأَصْفِيَاءُ

وَهُمَا أَقْعَدَاهُ فِي رُتْبَةٍ غَ صَّتْ بِفَرْطِ سَنَائِهَا الْجَوْزَاءُ

وهُمَا أسْبَلا عليه وُروداً تَزْدَرِي بِتَحْبِيرِهَا الشُّرَفَاءُ

وَبِما أَلْبَساهُ مِنْ حُلَلِ الْمَجْ دِ تَرَقَى، فَهَابَهُ الْعُظَمَاءُ

وَبِمَا أَوْلَيَاهُ مِنْ رُتَبِ الْعِ زِّ أَقَرَّتْ بِفَضْلِهِ الْفُضَلاَءُ

أَيُّهَا الْمُنْتَمِي إِلَيْهِ بِقُرْبَى وَطَمَى فَقْرُهُ وَطَالَ الْعَنَاءُ

وَعَرَتْهُ مِنَ الزَّمَانِ خُطُوبٌ نَدَّ مِن أَجْلِهِنَّ عَنْهُ الثَّرَاءُ

حُطَّ وِقْرَالرَّجَاءِ حَوْلَ حِمَاهُ فَعَسَى يَأْتِيَنْكَ مِنْهُ الشِّفَاءُ
وَعَسَى نَفْحَةٌ تُوَافِيكَ مِنْهُ تَنْجَلِي بِتَنْعِيمِهَا الْبَأْسَاءُ
وَتَوَسَّلْ لَهُ بِقُرْبِكَ مِنْهُ فَبِذَاكَ يَنْزَاحُ عَنْكَ الشَّقَاءُ
وَلْتَقُلْ: سَيِّدِي عَرَتْنِي هُمُومٌ،أَحْرَقَتْنِي مِن أَجْلِهَا الضَّرَّاءُ
سَيِّدِي لَيْسَ لِي سِوَاكَ أُرَجِّي هِ لِعُسْرِي وَشَأْنُكَ الإِسْدَاءُ
فَبِقُرْبِي إِلَيْكَ وَهْوَ خَلِيقٌ بِإِجَابَتِي لَوْ يُجَابُ الدُّعَاءُ
وَبِشَيْخِكُمْ ذِي الْمَآثِرِ (مَسْعُودِ الْفِلاَلِي) مَا لَهُ أَكْفَاءُ
وَبِشَيْخِهِ سَيِّدِي (الْغَازِي) غَازِي جَيْشَ أَشْجَانِ مَنْ غَزَاهُ الْبَلاَءُ
وَبِخَيْرِ الأَرْسَالِطُرّاً وَأَزْكَى مَنْ أَتَتْ (بِأَنْبَائِهِ الأَنْبِيَاءُ)
(أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى) عَلَيْهِ صَلاَةُ ال لَّهِ مَا أُوضِحَتْ بِهِ الأَشْيَاءُ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَال تَّابِعِينَ مَا سَحَّتِ الأَنْوَاءُ
فَابْرُدَنْ بِجَدْوَاكَ غُلَّةَ عُسْرِي مِثْلَمَا يَبْرُدُ الْغَلِيلَ الْمَاءُ
بِنَدَى جُودِكَ الذِي غَرِقَتْ فِي بَحْرِهِ الأَقْصِيَاءُ وَالْقُرَبَاءُ
وَسَلاَمٌ عَلَى ضَرِيحِكَ مَا أَهْ دَتْ شَذَاهَا حَدِيقَةٌ غَلْبَاءُ

وقال في التهنئة:

هَنِيئاً هَنِيئاً بَعْدَمَا عَزَّ مَهْنَأُ وَهَبَّاتُ لُطفِ اللّهِ بِالرَّوْحِ تَطْرَأُ
بِعَوْدِكَ يَا شَمْسَ العُلاَ بِالْحُلَى الأُلَى عَهِدْنَا لِبُرْجِ السعْدِ بلْ أَنتَ أَضْوَأُ
بِضَوْءِ طُلوعِ الشمسِ بعْدَ غُروبِهَا وَرَوْنَقِ صَقْلٍ لِلظُّبَى حِينَ تَصْدَأُ
هَنِيئاً بِعَوْدٍ وَهْوَ أَحْمَدُ عِنْدَ مَنْ هَوَاهُ نَظِيرِي، سُورَةَ الْحَمْدِ يَقْرَأُ
فَلاَ تَعْذِلُونِي إِنَّمَا اسْمِيَ هَانِئٌ لأَهْنَأَ لاَ أَنْفَكُّ دَهْرِي أُنْشِئُ
فَأَحْمَدُ، إِمَّا يَقْتَضِي الْحَمْدَ مُقْتَضٍ وَأَشْكُرُ أَلْطَافاً لِذِي اللُّطْفِ تَطْرَأُ
فَإِنْ أَنَا أَمْسَى بَابُ شُكْرِيَ مُرْتَجىً وَكُنْتُ كَمَنْ أَضْحَى حَقِيراً وَيَنْتَأُ
فَلِمْ قَدْ قَطَفْتُ القَوْلَ وَهْوَ مُنَوَّرٌ؟ وَلِمْ قد عَلِمْتُ كَيْفَ أُنْهِي وَأَبْدَأُ

وفي مثل ذلك، أي في فاتحة رسالة:

أُهْدِي السَّلَامَ لِخَيْــرِ مَــرْءِ   أَهْدَى لَـهُ اللـهُ خَيْــرَ بُــرْءِ

يُفْدِيـكَ يَـا خَيْـرَ مَـنْ يُفَــدَّى   مِمَّـا عَـرَى كُــلَّ رَبِّ شَــرْءِ

لَقَــدْ رَجَــوْتُ لَكُــمْ شِفَــاءً   يَبْــدَأُ زَهْــوَكَ خَيْــرَ بَــدْءِ

وفي وزنها ورويها ومعناها:

أَلْبَسَــكَ اللــهُ بُــرْدَ بُــرْءِ   يَــدْرَأُ سُقْمَــكَ خَيْـــرَ دَرْءِ

قَـدْ هَـاجَ هَمِّـي يَـا بْـنَ عَمِّـي   شَكْوُكَ صَـارَ لِحِلْــفِ شَــرْءِ

وَعُـدْتَ أنـتَ الصحيحَ جِسْمـاً   عَــوْداً يُعِيــدُ الْعُــلاَ لِبَــدْءِ

وَاللـهُ يَقْضِـي بِمَـا سَيُرْضِـي   بِــلاَ عَنَــاءٍ لِخَيْــرِ مَــرْءِ

آمِيــنَ كَــانَ الــذي أَرَدْنَــا   بِـإِذْنِ مُخْــرِجِ كُــلِّ خَــبْءِ

حرف الباء

قال عليه، يخاطب علم الهدى أبا علي اليوسي - أبقاه الله - وقد تخلف أياما عن قراءة قصيدته التي أولها:

عَرِّجْ بِمُنْعَرِجِ الْهِضَابِ الْوُرَّدِ

يَـا خَيْــرَ مَــنْ أَمَّ الرِّكَــابْ   مِنْـهُ الْهُدَى بَيْــنَ الْهِضَــابْ

مِــنْ أَيِّ ذَنْــبٍ أُهْمِلَــتْ؟   عَــرِّجْ بِمُنْعَــرِجِ الْهِضَــابْ!

وَهْـيَ التِــي أَرْبَــتْ عَلَــى رَيَّا وَزَيْنَـــبَ وَالرَّبَــــابْ

وَالطَّبْــعُ مَجْبُــولٌ عَلَــى   بُغْــضِ الْمُسِنَّــةِ لاَ الْكَعَــابْ

فَاعْــدِلْ لَهَــا يَــا رَبَّهَــا فَالْعَــدْلُ أَوْجَبَــهُ الْكِتَــابْ

وَأَزِحْ لَنَــا عَــنْ وَجْهِهَــا قَيْدَ النُّهَــى فَضْــلَ النِّقَــابْ

إِنَّ الْفُــؤَادَ وَحَقِّكُــمْ مِـنْ أَجْـلِ ذَلـكَ فِـي اكْتِئَــابْ

أَبْقَــى الإِلَــهُ لَنَــا بِكُــمْ   سَمْـشَ الرشَـادِ بِــلا سَحَــابْ

وَالْبَحْــرَ بَحْــرَ حَقِيقَــةٍ   وَشَرِيعَــةٍ طَامِــي الْعُبَــابْ

وقال أيضا يعتذر إلى شيخه الأديب الحسيب أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الجزائري - أبقاه الله - عن ضحكه في المجلس:

مَهْلاً عَلَى القَلْبِ، إِنَّ القلبَ قدْ لُسِبَا   إِذْ قِيلَ: حَبْرَ الْهُدَى عَلَيَّ قَـدْ عَتَبَـا

حَبْرَ الْجَزَائِـرِ لاَ تَنْفَـكُّ مُحْتَجِبـاً   عمَّـنْ يَمُـدُّ إِلَـى تَنْكِيدِكُـمْ سَبَبَـا

لاَ وَحَيَاتِكَ يَا ابْـنَ الأَكْرَمِيـنَ أَبـاً   مَا كَانَ مَا فَاتَ مِنَّا عَنْ قِلىً عَجَبَـا

لَكِنْ طَرِبْنَا بِمَا أَبْدَيْـتَ مِـنْ نُكَـتٍ   نَفِيسَـةٍ أَوْرَثَتْنِـي ضَحِكـاً طَرَبَـا

وَقَدْ فَهِمْنَا، فَهْمَنَـا بِالـذِي شَرِبَـتْ   أَفْكَارُنَا مِنْ عُقَـارٍ حَكَـتِ الضَّرَبَـا

وَمَنْ يَكُنْ بِعُقَـارِ الْعِلْـمِ مُصْطَحِبـاً   أَجْدِرْ بِهِ أَنْ يُرَى مِنْ سُكْرِهِ طَرِبَـا

هَبْنَا، زَلَلْنَـا، أَمَـا لِلْحِلْـمِ أَرْدِيَـةٌ سَابِغَـةٌ تَرْتَدِيهَـا زَلَّـةُ الْغُرَبَـا؟

إِنْ كَانَ هَـذَا الـذِي أَبْدَيْتُـهُ كَذِبـاً   فَلاَ قَضَى وَطَرِيمِـنْ عِلْمِكُـمْ أَرَبَـا

وَلاَ رَكِبْتُ جِيَـادَ الْعِلْـمِ مُسْرَجَـةً   وَلاَ اقْتَدَيْتُ بِمَنْ هَـامَ بِهَـا وَصَبَـا

وَلاَ ظَفِرْتُ بِمَا أَرْجُوهُ مِـنْ وَطَـرٍوَلاَ بَرِحْتُ أُعَانِي الْكَـدَّ وَالْوَصَبَـا

وَلاَ حَنَنْـتُ إِلَـى فَـاسٍ وَجِيرَتِهَـاوَلاَ دَعَانِي إِلَى تِطْوَانَ عَرْفُ صَبَـا

وقال بِموضع يقال له ثنيات القباب صادرا عن سيدي أبِي يعزَّى إلَى سلا سنة ثلاث وتسعين وألف:

رَعَـى اللـهُ ثَنِيَّـاتِ الْقِبَـابِ   وَرَوَّضَهَـا بِأَنْـدَاءِ السَّحَـابِ

نُجُـومٌ فِـي خِيَـامٍ مُشْرِقَـاتٌ   كَنُورِ الشَّيْبِ فِـي حَلَـكِ الشَّبَـابِ

وقال في صباه:

رَحَّبَتْ فِـي النَّـوْمِ ثُمَّـتَ قَالَـتْ كَيْفَ أَنْـتَ يَـا سَيِّـدِي وَحَبِيبِـي؟

وَأَبَاحَتْنِـي مِـنْ طُلاَهَـا عِنَاقـاً وَارْتِشَافاً مِـنْ ظَلْـمِ ثَغْـرٍ شَنِيـبِ

لَيْتَ شِعْرِي إِنْ قَـدَّرَ اللـهُ وَصْـلاًأَيَكُونُمِنْهَـا كَـذَاكَ نَصِيبِـي؟

وقال أيضا، وقد فاض عليه الغرام فيضا:

مَـاذَا التَّهَاجُـرُ يَـا مُنَـى الْقَلْـبِ مِنْ غَيْـرِ مَـا جُـرْمٍ وَلاَ ذَنْـبِ؟

أَسْتَغْفِـرُ اللـهَ العَظِيـمَ عَـدَا   أَنِّـي أُحِبُّـكَ غَايَـةَ الْحُـبِّ

وَتَذَلُّلِـي لِبَدِيـعِ حُسْنِكُـمُ   يَاحُسْـنَ ذَاكَ الْفِعْلِ مِـنْ صَـبِّ!

صِلْنِـي أَصِلْـكَ وَدَعْ مُعَاتَبَتِـي   وَافْلُـلْ شَبَـاةَ الذُّعْـرِ وَالرُّعْـبِ

وَلْتُطْفِ مِـنْ نَـارِ الصُّـدُودِ فَقَـدْ أَفْنَـى أُوَارُ لَهِيبِهَـا قَلْبِـي

وَاهْنَـأْ بِمِلْـكِ فَتـىً أَخِـي ثِقَـةٍ مُسْتَبْصِـرٍ بِالطَّعْـنِ وَالضَّـرْبِ

ذِي عِفَّـةٍ تَحْمِيــهِ هِمَّتُــهُ   عَـنْ أَنْ يَجِيَء بِفَاحِـشٍ نَكْـبِ
أزْرَى بِمِقْوَلِــهِ وَمَنْصِبِــهِ   بِابْـنِ الْحُسَيْنِوعَمْـرِو ذِي الْكَلْـبِ
وَعلَيـكَ مَـا غَنَّــتْ مُطَوَّقَــةٌ   أَزْكَى سَلامـي يَـا مُنَـى القلْـبِ
أَذْكَى مِـنَ النِّسْريـنِ فـي سَحَـرٍ   تُبْـرِي رَوَائِحُـهُ مِـنَ اللَّسْـبِ
وقال في صباه، هب عليه عرف الرضى وصباه:
أَشْكُو إلى اللـهِ السميـعِ المجِيـبْ   ما قَدْ دَهى قَلْبِـي المُعَنَّـى الكَئِيـبْ
نَـارُ الهـوَى قَـدْ زَلَّعَـتْ أَكْبُـدِي   وقَدَّنِـي البَيْـنُ بِسَيْـفٍ قَضِيـب
وَسَلَّ مِنْ جَفْنِـي الكَـرَى وارْتَـدى   لَوْنِي بُرُودَ الشمْسِ عِنْـدَ المغِيـبْ
دَعْنِـي لَحَـاكَ اللـهُ يَـا عَاذِلِـي!   فَلَسْـتَ أُصْغِـي لِعَـذولٍ مُرِيـبْ
أَمَا تَـرى السُّقْـمَ بَـرَى أَضْلُعـي   وَخَدَّدَ الْخَدَّيْـنِ دَمْعِـي الصَّبِيـبْ؟
دَعْنِـي وَحالِـي، فَالْهَـوى دَيْدَنـي   وَمَذْهَبِي الأَسْنَى وَخِدْنـي الأَرِيـبْ
ما هَامَ مِثْلـي (قَيْـسُ لَيْلَـى) بِهَـا   وَلا الفَتَى العُذْرِيُّ (عُـرْوَ) اللَّبِيـبْ
وَلا ابْــنُ زَيْــدُونٍ بِوَلــاَّدَةٍ   وَلِي مِـنَ العِفَّـةِ أَوْفَـى نَصِيـبْ
أَفْـدِي بِنَفْسِـي مَـنْ بِـهِ أُولِعَـتْ   مِنْ شَـادِنٍ يَهْتَـزُّ مِثْـلَ الْقَضِيـبْ
مُنَعَّـمِ الأَطْـرافِ طَـاوِي الْحَشَـا   كَالبَــدْرِ إلاَّ أَنَّــهُ لاَ يَغِيــبْ
لَـوْ أَبْصَـرَتْ عَيْنَـاكَ صُورَتَـهُ   أَبْصَرْتَبَدْراً فَـوْقَ غُصْـنٍ رَطِيـبْ
قَدْ سَطَّـرَ الحُسْـنُ عَلـى وجْهِـهِ   بِجُلَّنَــارٍ، إنَّ ذَا لَعَجِيــبْ
جَرَّعَنـي مِـنْ بَيْنِــهِ أَكْؤُسـاً   مِـنْ زَفَـرَاتٍ، وَضَنـىً وَنَحِيـبْ
فَصِرْتُ مِنْ حَـرِّ الْجَـوَى مُنْشِـداً   أَشْكُو إِلَى اللـهِ السَّمِيـعِ الْمُجِيـبْ
وقال فيه، من الله عليه بجبر صدعه وتلافيه:
رُبَّ مَـنْ صَادَنــي وَبرَّحَبــي   صِدْتُـهُ بِالأَشْـرَاكِ مِـنْ أَدَبِــي
فَقَطَفْـتُ الشَّقِيـقَ مِـنْ وجْهِــهِ   وَاغْتَبَقْتُمِــنْ فِيــهِ بِالضَّــرَبِ
وَهَصَـرْتُ مِـنْ قَــدِّهِ غُصُنــاً   مُثْمِــراً بِالْهِلــاَلِ وَالشُّهُــب
قَــالَ لِـي عِنْدَمَـا ظَفِـرْتُ بِـهِ   وَنَجَـوْتُ مِـنَ لُجَّـةِ الْعَطَــبِ:
مَـا أُسَـاوِي لَدَيْـكَ؟ قُلْـتُ لَـهُ:   يَــا حَيَاتِــي، حُشَاشَتِيوَأَبِــي

وقال في سيدي أبي جيدة نفع الله به:

(أَبَا جِيدَ) قدْ أَمَّمْتُ بَحْـرَكَ جَائِـداً   لأَكْرَعَ فِي سَلْسَالِ عَذْبِ الْمَوَاهِـبِ

(أَبَا جِيدَ) جِيدُ الْكِيسِ أَصْبَحَ عَاطِـلاً وَغَالَتْ عُقُودَ الْوَفْرِكَفُّ النَّوَائِـبِ

وقال ملغزا:

مَـا اسْـمٌ لآَلَـةِ حَــرْبٍ   يَقْضِـي بِهَـا الْمَــرْءُ نَحْبَــهْ

تَصْحِيفُـــهُ اسْــمُ بِلَـــادٍ   وُقِيـتَ يَــا صَــاحِ حَرْبَــهْ

وقال بين مقام سيدي عبد الله الخياط ومولانا إدريسبن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله:

أَلاَ يَـا نَسْمَـةَ الصَّبَـاحِ هُبِّــي   عَلَى إِدْرِيـسَ مَـنْ يَهْـوَاهُ قَلْبِـي

وَقُولِي: يَـا مُعِيـدَ الْغَـرْبِ شَرْقـاً   بِطَلْعَتِـهِ وَمَـا أَوْلَـاهُ رَبِّــي

أَتَاكُـمْ عَبْـدُ نَجْلِكُـمْ ذَلِيــلاً   وَقَـدْ أَوْلَـاهُ بُعْـداً إِثْـرَ قُــرْبِ

وقال وقد أشرف على مقامه، وأغشت بصره لوامع أعلامه:

هَـــذَا هِلَـــالُ الْمَغْـــرِبِ هَـــذَا مُجْلِـــي الْغَيْهَـــبِ

هَـــذا الـــذِي أَنْـــوَارُه   تَفُـــوقُ كُـــلَّ كَوْكَـــبِ

هَـــذا الـــذِي مَـــنْ أَمَّـــهُ لاَ يَخْتَشِـــي مِـــنْ نُـــوَبِ

هَـــذا الـــذِي مَـــنْ زَارَهُ لَيْـــسَ يَـــرَى مِـــنْ تَعَـــبِ

هَـــذَا رَفِيـــعُ الرُّتَـــبِ هَـــذَا عَظِيـــمُ الْمَنْصِـــبِ

هَـــذا عَرِيـــقُ الْحَسَـــبِ   هَـــذا شَرِيـــفُ النَّسَـــبِ

هَـذا الرِّضَـى إِدْرِيـسُ نَـجْ   لُ الكَامِلِالْمُهَـــــــذَّبِ

شَمْسِ الْهُـدى (ابْـنِ حَسَـنِ بْ   نِ حَسَـــنِ) الْمُنْتَخَـــبِ

(اِبْـــنِ عَلـــيٍّ)، وَالْبَتُـــو لِ خَيْـــــــــرِ أُمٍّ وَأَبِ

بِنْـتِ الرسُـولِ المصْطَفَـى   الْمُجْتَبَـــى الْمُقَـــرَّبِ

(مُحَمَّـدٍ) أَزْكَـى الْـــوَرَى مِـــنْ عَجَـــمٍ أَوْ عَـــرَبِ

صَلَّـى عَلَيْـهِ اللـهُ مَــا لَــاحَ ضِيَــاءُ الشُّهُــبِ

وَآلِـــــهِ وَصَحْبِـــــــهِ   مِــنْ كُــلِّ لَيْــثٍ مِحْــرَبِ

وقال كاتبه سترت معايبه يوم الخميس لتسع بقين من ذي الحجة العام في روضة سيدي علي بن غالب - نفعنا الله ببركاته - خارج قصر كتامة:

قَصَدْتُكَ يَا مَثْوَى الإِمَامِ ابْنِ غَالِـبِ   لأَنْقَـذَ مِـنْ هَـمٍّ بِقَلْبِـي غَالِــبِ

فَفِيكَ الذِي يَشْفِي القُلُوبَ مِنَ الضَّنَى   وَيُبْرِيءُ مَنْ أَضْنَاهُ لَسْـعُ النَّوَائِـبِ

وقال في جانب أبي غالب - نفع الله به -:

هَـذَا ضَرِيحُـكَ يَـا أَبَـا غَالِـبْ   شَاهِـدُ سِـرِّكَ فِيــه لاَ غَائِــبْ

فِيـه شُمُـوسُ سَنَــاكَ مُشْرِقَــةٌ فِيــه غَمـامُ نَوالِــكَ السَّاكِــبْ

وَنَـارُ طَبِّـكَ قَـطُّ مـا خَمَــدَتْ   يَعْشُـو إِلَيْهَـا مَـنْ ضَرُّهُوَاصِـبْ

حَتَّــى إذا صَادَفَتْــهُ تُرْبَتُكُــمْ تَبَيَّــنَ الضُّــرُّ أَنَّــهُ كَــاذِبْ

قَـدْ أَنْعَـمَ اللـهُ عَيْـنَ زَائِرِكُــمْ وَلاَ يَخِيــبُ زُوَارُ ذَا الْجَانِــبْ

وقال فيه أيضا على لسان من طلبه:

أَبَا غَالِبٍ ضُـرِّي لِجِسْمِـيَ غَالِـبُفَفِي عَصَبِـي نَـابٌ لَـهُ وَمخَالِـبُ

أَلاَ إِنَّنِــي أَنْزَلْتُــهُ وَهْـوَ صَـادِقٌ   بِكُمْ كَيْ تَرُدُّوا حَـدَّهُ وَهْـوَ كَـاذِبُ

فَذَلِكَ مِنْكُمْ مُسْتَفِيـضٌ فَـلاَ يُـرَى   أَخُو عَاهَةٍ قَدْ جَاَءكُمْ وَهْـوَ خَائِـبُ

وَسِرُّكَ سِـرُّ اللـهِ لَيـسَ بِزَائِـلٍ تَسُحُّ عَلَى مَثْـوَاكَ مِنْـهُ سَحَائِـبُ

مَتَى يَدْعُكُمْ مَـنْ ضَـرُّهُ مُتَرَاكِـبٌ تُجِبْـهُ كَرامَـاتٌ مِنْـكَ وَمَنَاقِــبُ

ومنه (في وصف لمطة):

لَمْطَـةٌ فِيهَـا التِّيــنُ والعِنَــبُ   مَـا يَنْقَضِـي لِـي مِنْهُمَـا عَجَـبُ

أَحْمَــرُهُ الغَــضُّ وَأَبْيَضُــــهُ   إِنْ شُبِّهَـا: الْيَاقُــوتُ وَالذَّهَــبُ

وَالأَسْــوَدُ التِّينِــيُّ يُشْبِهُــــهُ   وَلَيْـسَ فِيمَــا أَدَّعِــي كَـذِبُ

مُدَاهِـنٌ مِـنْ عَنْبَــرٍ جُمِعَــتْ   وَفِي حَشَاهَـا الْمِسْـكُ وَالضَّـرَبُ

فَمـا تَبَــدَّتْ فــي مَقَاطِفِهــا   إلاَّ وَلِلشَّهْـــوَةِ مُلْتَهَـــبُ

يُوعِــدُ أَنْ لَيْسَــتْ بِقَانِعَــةٍ   إلا بِأَكْـلٍ فَــوْقَ مَــا يجِــبُ

وفي بني صغير مات رحمه الله، وقد قصر (فعولن) من المخلع نظرا لصورته، وإنما بالنظر إلى أصله، فهو تسكين أول الوتد المجموع من مستفعلن بعد حذف ما بعده، وهو تذييل بعد (الحذذ) في هذا الوزن:

وُهَيْبُ نَجْلِي، سَقَى الرَّبَابْ قَبْرَكَ، قَلْبِي عَلَيكَ ذَابْ

بُنَيِّ، يَا بُنْيَةَ ارْتِيَاحِي إِنِّي بُعَيْدَكَ فِي انْتِحَابْ

غَرَسْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي لَمَّا غَرَسْتُكَ فِي التُرابْ

فَالحُبُّ يَنْمُو ولسْتَ تَنْمو وَالقَلْبُ يَصْلَى لَظَى اكْتِئَابْ

مِتَّ صَغيراً وَإِنَّ وَجْدِي بِكَ يَجِلُّ عَنِ الْحِسَابْ

فَمَاتَ صَبْرِي الكَبيرُ مَوْتاً وَإِنَّهُ لِمِنَ اللُّبَابْ

رَيْحَانَ قَلْبِي - نَعِمْتَ - أَرِّجْ رَيْحانَ أجْرِي إِلَى الْحِسَابْ

وَسَلْ لِوَالِدِكَ الْمُعَنَّى مِنْ رَبِّكَ الْوَاهِبِ الثَّوَابْ

قَدْ كَانَ يَقْضِي عَلَيْكَ وَجْداً لَوْلاَ التَّرَقُّبُ لِلذَّهَابْ

وَرُوحُكَ الَّتْ زَكَتْ سَقَتْهَا مِنْ رَوْحِ سَيِّدِكَ الذِّهَابْ

وقال أيضا:

ذَكَرْتُ عُلاكُمْ بِحُكْمِ الأدِيبْ فَراقَ الكَلامُ وَراقَ النَّسِيبْ

وَجَاءَ الغَرِيبُ يَقودُ البَدِيعْ وَجاءَ البَدِيعُ يَقودُ الغَرِيبْ

جَزَاكُمْ عَلى ما وَصَلْتُمْ بِهِ جَنَاحَ الأَديبِ سَمِيعٌ مُجِيبْ

كَأَنِّيَ قَدْ نِلْتُ مَا نَالَهُ فَلِي فِي الْمَسَرَّةِ أَوْفَى نَصِيبْ

فَشُكْرِي لآلاَئِكُمْ عِنْدَهُ وَعِنْدِيَ شُكْرُ الْغَيوثِ الْجَدِيبْ

وَقَوْلِي وَقَدْ هَزَّنِي صُنْعُكُمْ كَهَزِّ الصَّبَا لِلْقَضِيبِ الرَّطِيبْ

بَقِيتَ وَنُعْمَاكَ مَرْجُوَةٌ وَفَاسُكَ مِصْرٌ وَأَنْتَ الْخَصِيبْ

وقال، وفيه تذييل ضرب الطويل، وهو مولد اقتضى ذلك كون المبارى كذلك:

جَوَابُكَ بِالذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الصَّوَابْ فَلِلَّهِ مَا تَبْدِي مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابْ

فَسِرْ فِي ضَمَانِ اللهِ رَائِدُكَ الْمُنَى وَقَائِدُكَ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ اللُّبَابْ

وفي رثاء شيخنا سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي رحمة الله عليهما:

حَاوَلْتُ صَبْراً عَلَى مَا نَابَ مِنْ نُوَبِ　　وَهْوَ عَظيمٌ فَجَدُّ الصَّبْرِ فِي عَطَبِ
فَلُذْتُ مِـنْ ذاكَ بِالتَّأْبِيـنِ مُعْتَصِمـاً　　إِذْ لاَ قَرارَ علـى جَمْـرٍ لِمُحْتَطِـبِ
مُرَوِّحاً عَنْ جَوَى يُكْنَى أَبَـا لَهَـبٍوزَفَـرَاتٍ لَـهُ (حَمَّالَـةُ الْحَطَـبِ)
مُقَدِّراً أَنَّنِـي إِنْ قُلْـتُ: وَاسَنَـدِي!　　وَاسَنَدَ الدِّينِ، لَمْ أُنْسَبْ إِلَـى كَـذِبِ
وَكَيْفَ يَكْذِبُ مَنْ يَرْثِي إِمَامَ هُـدىً!　　فَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ التُّرْبُ فِي الذَّهَبِ؟
أَمْ كيْفَ يُحْصَى عَلَى عُودِ الْبَخُورِ بُكَا　　مَنْ كَانَ فِي الأَصْلِ مِنْ أَثْلٍ وَمِنْ خَشَبِ
فَمَا عَلَيَّ إِذَنْ إِنْ قُلْتُ مِـنْ حَـرَجٍ وَالوَجْدُ فِي صَعَدٍ، وَالدَّمْعُ فِي صَبَبِ
وَالصَّبْرُ فِي قَلَقٍ وَالقَلْبُ فِي حُـرَقٍ:　　وَاسَيِّدَ الْعُجْمِ فِي ذَا العَصْرِ والْعَرَبِ!
يَبْكِي على الدينِ منْ يَبْكِي عليهِ، فَما　　يَضُرُّ مَنْ قالَ يَبْكي الدِّينَ: وَاحَرَبِي:
فَالْبَوْحُ بالنوْحِ نَوْحِ الدِّيـنِ مُغْتَفَـرٌ　　بَلْ وَاجِبٌ عِنْدَنَا بِالصِّـدْقِ وَالـأَدَبِ
مِنْ أَجْلِ ذَا بُحْتُ بِالتأْبِيـنِ مُنْتَحِبـاً　　مِنْ مَوْتِ مَنْ لَمْ يَدَعْ (دَمْعاً) لِمُنْتَحِبِ
مَاتَ الرِّضَى شَيْخُنَا الفَاسِيُّ مُصْطَحِباً　　للسَّرْوِوَالصوْنِ وَالتأْيِيدِ فِي الطَّلَـبِ

مَـاتَ (مُحَمَّـدٌ) الْمَحْمُـودُ سَائِـرُهُ　　إِذْ سَائِرُ النَّاسِ مَعْلُولٌ مِـنَ الرِّيَـبِ
ماتَ الصَّدُوقُ الأَمِينُ الْبَرُّ مُعْتَـزِلاً　　مَنْ كانَ ناموسُهُ فِي الْخَبِّ ذَا خَبَـبِ
ماتَ فَأَحْيَا عَظِيمَ الْحُزْنِ أَعْظَمُ مَـنْ　　أَماتَ كلَّ دَواعِـي اللهْـوِ وَاللَّعِـبِ
فِي سِتَّ عَشْرَةَ بَعْدَ الأَلْفِ مَعْ مِائَـةٍ　　يَوْمَ الخَمِيسِ الذِي فِي مُنْتَهى رَجَبِ
مَنْ لِلْمَعَارِفِ يُحْيِيهَا وَقَـدْ دَرَسَـتْ　　مَـنْ لِلَّطَائِـفِ يُبْدِيهَـا وَلِلنُّخَـبِ
مَـنْ لِلْحَقَائِـقِ يُنْشِيهَـا مُحَقَّقَــةً مَنْ لِلرَّقَائِـقِ يُمْلِيهَـا بِـلاَ تَعَـبِ
مَـنْ لِلنَّـوَادِرِ يَرْوِيهَـا مُحَبَّــرَةً　　مَـنْ لِلدَّوَاوِيـنِ يُقْرِيهَـا وَلِلْكُتُـبِ
وَمَنْ لِمَا لاَ أَرَى نَظْمـاً يُسَاعِدُنِـي　　فِي ذِكْرِهِ مِنْ كَرامَاتٍ كَمَـا الشُّهُـبِ
وَمَنْ لِمَا لَسْتُ أَدْرِي مِـنْ جَلاَلَتِـهِ　　مِنْ رَغِبٍ لَهُ فِي الْبَاقِي وَمِنْ رَهَـبِ
لَمْ يَحْتَسِبْ بَعْدَكَ البَاقُونَ فِي تَعَـبِ　　مِثْلَكَ فِي حَسَبٍ، يَا خَيْرَ مُحْتَسَبِ!
وَلَنْ يُصَابُوا بِـرُزْءٍ مِثْـلَ ذَا أَبَـداً　　بِخَيْـرِ مُنْقَلِـبٍ لِخَيْـرِ مُنْقَلَــبِ
عِشْتَ حَمِيداً وَقَدْ مِتَّ السَّعِيـدَ وَقَـدْ　　أَشْفَيْتَنَـا بِحَيَـاةِ الْبَـثِّ وَالْوَصَـبِ

هَلْ أَنْتَ ذَاكِرُنَا عِنْـدَ الإِلَـهِ؟ وَمَـا خِلْنَاكَ تَنْسَى، فَمَنْ تَذْكُرُهُ لَمْ يَخِبِ
فَكُنْ لَنَا سَلَفاً إِنْ لَمْ تَكُنْ لَنَـا خَلَفـاً فَالْخَلَفُ رُبَّتَمَـا أَعْلـاَهُ ذُو الرُّتَـبِ
فَبَيْنَنَـا رَحِـمٌ يُرعَـى أَذِمَّتَنَـا مَنْ قَدْ رَعَتْهُ عُيُونُ الْمَجْدِ وَالْحَسَـبِ
وَبَيْنَنَـا سَبَـبٌ يُبْقِيـهِ مُتَّصِـلاً مَنْ وَصَّلَتْهُ الْعُـلاَ بِأَوْثَـقِ السَّبَـبِ
وَنَسَبٌ فِي الْعُـلاَ لَيْـسَ بِمُؤْتَشِـبٍ يَحُوطُهُ خَيْـرُ مَنْسُـوبٌ لِخَيْـرِ أَبِ
وَبَيْنَنَـا قُرْبَـةٌ فِـي اللـهِ يَرْقُبُهَـا مَنْ قَارَبَتْهُ قُرَابَـاتٌ مِـنَ الْقُـرَبِ
وَأَنْتَ ذَاكَ فَمَا أَعْـرِفُ مِثْلَـكَ فِـي مَا قلتُ بِالْحقِّ فِي نَبْـعٍ وَلا غَـرَبِ
بَلْ أنتَ سَيِّدُ أهْلِ العصْـرِ قاطِبَـةً أَنْشَـأَكَ اللـهُ لِلتَّفْرِيـجِ لِلْكُـرَبِ
وَلِلمُعَنَّـى وَلِلْمَلْهـوفِ تُنْقِـذُهُ إِذَا ادْلَهَمَّـتْ عَلَيْـهِ ظُلَمُالنُّـوَبِ
وَلِلَّذِي تَـاهَ فـي الأَوْهـامِ تُرْشِـدُهُ بِهَدْيِ مُحْتَسِبٍ لاَ بِهَـدْيِ مُكْتَسِـبِ
وَللذِي نـامَ فـي العُـدْوانِ تُوقِظُـهُ بِعَـزْمِ مُنْتَـدِبٍ لِلَّـهِ مُحْتَسِـبِ
وَلِلـذِي أَقْعَـدَ الْعِصْيـانُ تُنْهِضُـهُ بِهَـمٍّ مُنْتَسِـبٍ لِلْحَـقِّ مُنْتَصِـبِ
وَللذِي اعْتَاصَ مِنْ مَعْنىً تُوَضِّحُـهُ حَتَّى يَصِيرَ سَنىً فِي عَيْنِ مُرْتَقِـبِ

فَرُبَّ بِكْرٍ مِـنَ التَأْلِيـفِ مُؤْتَلِـفٍ جَلاهُ فَوْقَ مِنَصَّـاتٍ مِـنَ العَجَـبِ
وَاهاً لِمَا فَتَحَ (الحِصْنَ الحَصِينَ) به مِنْ شَرْحِهِ، فَانْتَهَى لِلْمَعْقِلِ الأَشِبِ
أَبْقَى لَهُ الْحَمْـدَ محْبُوبـاً نَوَاسِمُـهُ كَالروْضِ سَامَرَهُ طَلٌّ مِـنَ السُّحُـبِ
وَزَارَهُ سَحَـراً صَبـاً فَحَمَّلَـهُ مِنْ نَشْرِهِ مَا يُسَلِّـي هَـمَّ مُكْتَئِـبِ
أَبْقَى لَـهُ حُلَـلَ التقْرِيـضِ رَائِقَـةً فِي زَيِّ مِرْطِعلَى الْعِقْيانِ مُنْسَحِـبِ
فَقَدَّسَ اللـهُ قَبْـراً ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ أَعْظَمَ أَعْظُمِ أَمْوَاتٍ بِـذِي الْحِقَـبِ
وَطَيَّبَ الرُّوحَ بِالرَّيْحَـانِ مُعْتَضِـداً رُوحاً لَهُ بِغُرُورِ الْعَيْشِ لَـمْ تَطِـبِ
وَلاَزَمَتْـهُ تَحِيَّـاتٌ نَوَاسِمُهَـا تَحْأ بِهَا أَرْيَحِيَّـاتٌ مِـنَ الطَّـرَبِ
وَرَأْفَةٌ مِنْ رَؤُوفٍ جَلَّ مِـنْ صَمَـدٍ وَرَحْمَةٌ مِنْ رَحِيمٍ مُنْتَهَـى الـأَرَبِ
وَنَفَحَـاتٌ مِـنَ الرِّضْـوَانِ تَنْفَعُـهُ يَحْيَا بِهَا كُلُّ مَنْ يَدْعُوهُ مِـنْ كَثَـبِ
وقال مجيبا عن كتاب:

إِلَى صَدِيقِ أَجَلِّ أَقَارِبِي، الْمُغْرَمِ بِمَسَالِكِي فِي الْعِلْمِ وَمَذَاهِبِي، الْمُعْزَى بِمَوَارِدِي فِي الأَدَبِ وَمَشَارِبِي، أَبِي الْمَكَارِمِ، مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّرَائِبِي:

سَلاَمٌ عَلَى تِلْكَ الْحُلَى وَالْمَنَاقِبِ وَرَحْمَةُ رَبِّي فَهْيَ أَسْنَى الرَّغَائِبِ
سَلاَمٌ عَلَى تِلْكَ الشَّمَائِلِ إِنَّهَا شَمَائِلُ مِفْضَالٍ غَزِيرِ الْمَوَاهِبِ
تَقِيسُ بِهِ مِصْرٌ لَدَى النَّيْلِ نِيلَهَا فَيَعْجِزُ عَنْهُ النِّيلُ عِنْدَ الْمَآدِبِ
وَحَيْثُ يَدُومُ الْفَيْضُ مِنْهُ لِوَارِدٍ وَحَيْثُ يَزُورُ الفَضْلُ مِنْهُ لِغَائِبِ
وَحَيْثُ تُوَافِيهِ وُفُودُ الْمَغَارِبِ جَمِيعُهُمْ مِنْ طَالِعٍ بَعْدَ غَارِبِ
فَتُنْشِدُ مِصْرٌ حَيْثُ تَعْلَمُ فَضْلَهُ أَلاَ إِنَّمَا فَخْرِي بِبَحْرِ (الشَّرَائِبِي)
وتَأْمُلُ أنْ يَبْقَى لَهَا بِبَقَائِهَا – كمَا النِّيلُ – غَمْرَ النِّيلِ عَذْبَ الْمَشَارِبِ

أمَّا بعد، فإنِّي أحمدُ إليك اللّه، لا إلهَ إلَّا هو على ما أنعمَ به عليَّ، ومِنْ جملةِ ذلك ما نَبَّهَك بهِ على ما لَدَيَّ، فكتَبْتُ مُسْتَجْلِياً مَوَدَّتِي إلَيّ، وحَنَنْتُ وقدْ رَأيْتُه على قُرْبِي، عَلَى اسْتِتَارٍ فِي قِرَابِ غَرْبِي، فَلولاَ غَرْبِي أَلَيْسَ ذَلكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّي؟ كما أَنَّ حَنِينَكَ إِلَيَّ لِذَلكَ، دَلَّنِي على أَنَّكَ لِزَمانِ الْمُروءَةِ مَالِكٌ، وَفِي سَبيلِ الفُتُوةِ جِدُّ سَالِكٍ، فَعَلِمْتُ على حَسَبِ ما لكَ هُنالِكَ، وقلتُ: هَذَا رَجُلٌ عَتِيقُ الْهِمَمِ، عَرِيقٌ فِي نِسْبَةِ الْمَجْدِ والكَرَمِ، عَلَى مَا لَهُ من الصِّيتِ عنْدَ

العرَبِ والعجَمِ، بِدَليلِ أَنَّهُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِرِيَاسَةِ كَثْرَةِ العَرَضِ وَناهِيكَ بِهَا فِي حُصولِ الغَرَضِ، وَشِفاءِ مَا عَرَضَ مِنَ الْمَرَضِ، بَلْ تَاقَتْ نَفْسُهُ بَعْدَ ذَلكَ إِلَى ما هو أرفعُ وأَعْلَى، وَطَمَحَتْ هِمَّتُهُ إلَى ما هوَ أَنْفَعُ عَاجِلاً وَآجِلاً وَأَوْلَى، فَاقْتَنَى مَعْرِفَةَ أَهْلِ الأَدَبِ، ونعمَ المقْتَنَى، وَاجْتَنَى محَبَّةَ أَوْلِي الأَلْبابِ، وَأَكْرِمْ بها مجْتَنَى. وَخَاطَبَ مَنْ بَعُدَ منهُمْ مِثْلِي على حَضْرَتِهِ، وَكَتَبَ إليهِ خَاطِباً عَقِيلَةَ مَوَدَّتِهِ. فَلَعَمْرِي – وَهُوَ مِمَّا أُقْسِمُ بهِ قَدِيماً، وَأَعْتَقِدُهُ قَسَماً عَظِيماً – لَأَزُفَّنَّ إليْهِ مِنْ صَرِيحِ مَوَدَّتِي رِيماً، تَرْضَى به كُفْؤاً كَرِيماً، وَتَعْتَقِدُهُ وَلِيّاً حَمِيماً، وَلَأَعْمَلَنَّ على حَسَبِ خِطَابِهِ، فِي كِتَابِهِ، مِنَ الاقْتِدَاءِ فِي صَدَاقَتِهِ بِعَمِّيِّ السَّالِفِينَ، وَالاهْتِدَاءِ فِي أَمحاضِ الودادِ له بِهَدْيِ سَلَفِيِّ الصَّالِحِينَ. فَحِينَئِذٍ، أَحْلَلْتُ حُبَّكَ مِنْ قَلْبِي رَوْضَةً أُنُفاً، وبَوَّأْتُهُ مِنْ

فِرْدَوْسِ رِضْوَانِي غُرَفاً، وَأَوْرَدْتُهُ مِنْ كَوْثَرِ إِخْلاصِي مَا عَذُبَ وَصَفَا. فَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذِينَ اصْطَفَى، وَحَسْبُنَا اللّهُ وَكَفَى.

ومن ذلك (في وصف تاغزوت):

بِتَاغْزُوتٍ قَدْ غَزَوْنَا العِنَبَا فَلَمْ نَدَعْ مِنْهُ جَنِيّاً طَيِّبَا

إلاَّ مَدَدْنَا لِجَنَاهُ سَبَبَا أَوْرَاقُهُ تَحْسِبُهُنَّ غَيْهَبَا

وَهْوَ يَلُوحُ فِي دُجَاهَا شُهُبَا

ومنه: أي عندما أجاب الحاج علي مندوصة:

يَوَدُّ أُنَاسٌ خُيِّبُوا هُمُ، خَيْبَتِيوَأَنِّيَ (دَهْرِي) كَاسِفُ الْبَالِ مُجْدِبُ

وَيَهْوَى، أُنَاسٌ سُلِّمُوا هُمْ، سَلاَمَتِي وَأَنِّيَ (دَهْرِي) نَاعِمُ الْبَالِ مُخْصِبُ

وقال:

لِعَبْدِ اللهِ وَجَّهْتُ الْخِطَابَا لِمَنْ فَاتَتْ مَعَالِيهِ الْحِسابَا

لِمَوْلاَنَا ابْنِ مَوْلاَنَا التُّهَامِي مَنَارِ الرُّشْدِ أَمْلَيْتُ الْجَوابَا

مُقَدَّمُهُ سَلاَمٌ مِثْلُ خُلْقٍ لَهُ كَالْمِسْكِ رِيحاً، لاَ انْتِسَابَا

وَبَعْدُ، فَكَتْبُكُمْ وَصَفَ اشْتِيَاقاً وَبَاطِنُ شَوْقِهِ أَبْدَى عِتَابَا

لَقَدْ أَمْسَى العِتَابُ لَدَيَّ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ الذِي أَضْحَى لُبَابَا

وَأَخْجَلَنِي فَأَبْدَيْتُ اعْتِرافاً بِتَقْصِيرٍ يُكَمِّلُ لِي عِقابَا

فَصَفْحاً سَيِّدِي، فَالصَّفْحُ أَوْلَى بِمَنْصِبِكَ الذِي خَفَضَ النِّصابَا

وَعُذْرِي - حَيْثُ لَيْسَ لِي اعْتِذَارٌ - دُخُولِي مِنْ رِضَاكَ عَلَيَّ بَابَا

وَأَنْ لاَ بُدَّ مِنْ وُدٍّ لِعَبْدٍ وَإِنْ عَدِمَ الزِّيَارَةَ وَالصَّوَابَا

فَأَشْوَاقُ (ابْنِ زَاكُورٍ) إِلَيْكُمْ عَلَى الأَحْشَاءِ تَلْتَهِبُ الْتِهَابَا

فَحَقِّقْ فِي صَدَاقَتِهِ ظُنُوناً وَإِنْ أَبْدَتْ ظَوَاهِرُهُ ارْتِيَابَا

وَطِبْ نَفْساً كَمَا قَدْ طِبْتَ أَصْلاً وَفَرْعاً، فَالذِي تَرْجُو، اسْتَجَابَا

وفي وزنها ورويها قال:

عَلَى مَنْ أَصْطَفِيهِ فَتَحْتُ بَابَا مِنَ الكَلِمَاتِ تُوسِعُهُ خِطابَا

مَفَاتِحُهُ سَلاَمٌ مِنْ سَلِيمٍ كَنَشْرِ خَمَائِلٍ صَحِبَتْ سَحَابَا

وَبَعْـدُ، فَإِنَّنِــي أَرْعَـى عُهــوداً   لِمَـنْ كَانَـتْ مَعَاهِـدُهُ خِصَابَــا

وَإِنِّــي لاَ أَمَــلُّ وِدَادَ خِــدْنٍ   إِذَا كَانَــتْ صَدَاقَتُــهُ لُبَابَـــا

وَأَنِّــيَ لاَ أَذِلُّ لِمَــنْ تَأَبَّـــى   وَأَرْعَـى سَائِـمَ الْـوُدِّ، الذِّيَابَــا

أَمَـنْ كَانَـتْ صَدَاقَتُــهُ شَرَابــاً   كَمَـنْ كَانَـتْ خَلاَقَتُــهُ سَرَابَــا؟!

وَمَـنْ كَانَـتْ حَقِيقَتُـهُ نُضَــاراً   كَمَـنْ كَانَـتْ خَلاَصَتُـهُ تُرَابَـا؟!

وَمَـنْ كانَـتْ مَواعِــدُهُ لِزَامــاً   كَمَـنْ كانَـتْ زَخَارِفُـهُ كِذَابَــا؟!

وَمـنْ كانـتْ عَلاقَتُـهُ طِبَاعــاً   كَمَـنْ كانـتْ طَلاقَتُـهُ غِلابَــا؟!

وَمَـنْ كانَـتْ بَواطِنُــهُ وِفَاقــاً   كَمَـنْ كانـتْ ظَواهِـرُهُ خِلاَبَـا؟!

ومـن كانـت مَبَرَّتُـهُ احْتِسابــاً   كمـن كانـت مَسَرَّتُـهُ اكْتِسابَـا؟!

ومـن كانـت رَكَائِبُــهُ هِجَانــاً   كمـن كَانَـتْ نَجَائِبُـهُ عِرَابَــا؟!

ومـن سَنَحَـتْ طَلِيعَتُـهُ حَمَامــاً   كَمَـنْ بَرِحَـتْ خَدِيعَتُـهُ غُرَابَـا؟!

لَعَمْـرُكَ إِنَّهُـمْ لَيْسُــوا سَــوَاءً   لَدَى مَنْ شَـبَّ مَطْبُوعـاً وَشَابَـا!

حرف التاء

قال عليه، عفا الله عنه في غرض عرض:

عَلِّلُونِـي بِالْوَصْـلِ قَبْـلَ الْمَمَـاتِ   وَبِذِكْـرِ أَيَّامِنَــا السَّالِفَـــاتِ

إِذْ ضَرَبْنَـا لِلأُنْـسِ أيـامَ لَهْــوٍ   بَيـنَ تِلْـكَ الريَـاضِ والْجنَّـاتِ

إِنَّ فِـي ذِكْرِهـا التِـذاذاً لِمَـنْ أَمْ   سَى حَليفَ الأَشْـواقِ وَالزَّفَـراتِ

يَا رَعَى اللّهُ لَيْـلَ وَصْـلٍ سَحَبْنَـا   فيـهِ ذَيْـلَ السـرورِ واللَّــذَّاتِ

مَـعْ فَتَـاةٍ كَأَنَّهـا الشَّمْـسُ حُسْنـاً   ذَاتِ دَلٍّ فَيَـا لَهَـا مِــنْ فَتَــاةٍ!

بَيْـنَ أَدْوَاحِ رَوْضَـةٍ رَاضَهَـا ال   لَّـهُ بِسَـحِّ السَّحَائِـبِ الْهَاطِلَـاتِ

أَرَّجَ الْمُـزْنُ نَوْرَهَـا فَأَتَانَـا ال   رِّيـحُ مِنْـهُ بِأَعْطَـرِ النَّسَمَـاتِ

هَتَفَـتْ وُرْقُهَـا بِأَفْنَانِهـا الْمُــلْ   دِ النَّشَـاوَى، فَأَشْبَهَـتْ قَيْنَـاتِ

غَرَّدَتْ، عَرْبَـدَتْ عليْهَـا وَهَبَّـتْ   تَسْتَمِيــلُ القُلُــوبَ بِالنَّغَمَــاتِ

بَاتَ يَحْـدُو بِنَـا الْحُبُـورُ وَبِتْنَـا   نَتَعَاطَــى لَذائِـذَ الرشَفَـــاتِ

وَأَدرْنَـا مِـنَ الرَّضَـابِ كُؤُوسـاً ما أُحيَلْى الرَّضَابَ فِـي السَّمُـرَاتِ

خَمْـرَةٌ أَطْفَـأَتْ لَهِيـبَ فُـؤَادِي نَقْلُهَـا وَرْدُ رَوْضَــةِ الْوَجَنَــاتِ

إنَّ فِـي رَشْفِهَـا شِفَـاءٌ لِمَـنْ قَـدْ قَرْطَسَتْـهُ الْعُيُــونُ بِاللَّحظَـاتِ

لَمْ نَزَلْ نَقْطِـفُ الْمَسَـرَّاتِ حَتَّـىنَشَرَ الْفَجْـرُ فِـي الدُّجَـى رَايَـاتِ

وَشَـدَا طَائِـرُ الصَّبَـاحِ فَقُمْنَــا وَفُـؤَادِي يَـذُوبُ مِـنْ زَفَرَاتِــي

مَنَحَتْنِـي عِنْـدَ الْـوَدَاعِ عِنَاقــاً فَحَكَيْنَــا تَخَالُــفَ اللاَّمَــاتِ

وَمَضَـتْ وَالْفِـرَاقُ يَنْحَـتُ قَلْبِـي وَنَجِيعِـي يَسِيـلُ فِـي عَبَرَاتِــي

لَيْلَتِي، غُلَّتِي اشْتَفَتْ فِيكِ لَـوْ طُـلْ تِ كَمَا كُنْتِ قَبْـلُ فِـي الْحُجُـرَاتِ

قَدْ طَوَتْكِ أَيْـدِي السُّـرُورِ، وَقِدْمـاً نَشَرَتْـكِ الشِّـدَادُ مِـنْ غَمَرَاتِــي

فَتَحَوَّلْتِ فِـي الدُّجَـى قَـدْرَ إِبْهَـا الْقَطـاةِ مِـنْ قَيْـدِ فَـيْءِ الْقَنَــاةِ

لَمْ يكُـنْ بَيْـنَ ذَا وَذَا، غَيْـرُ يَـوْمٍ أَيْنَ أَنْـتِ مِـنْ تِلْـكَ الْمَاضِيَـاتِ

خَلِّ عَنْ ذَا الْهَوَى وَعَـدِّ جِيَـادَ الْـ قَوْلِ فِي مَطْمَـحِ السُّـرَاةِ الثِّقَـاتِ

فَإِلَـى كَـمْ تُـرَى صَرِيـعَ ظِبَـاءٍ وَإِلَـى كَـمْ تَهِيــمُ بِالْفَتَيَــاتِ؟

نَهْنِهِ النَّفْسَ فِـي هَوَاهَـا فَكَـمْ أَجْـ دَى اتِّبَاعُ الْهَـوَى مِـنَ الْعَثَـرَاتِ؟

وَاعْصِ شَرْخَ الشَّبَابِ مَا اسْطَعْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ رَيْـبَ الْمَنُــونِ لاَ بُــدَّ آتِ

وَتَجَافَـى عَـنِ الْقَبَائِحِ وَاعْلَـمْ أَنَّ عُمْـرَ الْفَتَـى كَغَضِّ النَّبَـاتِ

بَيْنَمَــا هُــوَ يَانِــعٌ ذُو رُوَاءٍ إِذْ بِـهِ قَـدْ ذَوَى بِأَيْـدِي الْجُنَــاةِ

أَوْ بَـرَاهُ النَّسِيـمُ شَيْئـاً فَشَيْئــاً فاسْتَحَـالَ كَالْخِشْلِشَخْـتَ الصِّفَـاتِ

وَتَذَكَّـرْ يَـوْمَ الْقِيَامَــةِ إِذْ يُــتْ لَـى عَلَيْـكَ الْمَسْطُـورُ بِالزَّلـاَّتِ

يَـوْمَ تَنْقَـضُّ كُـلُّ ذَاتُ رَضِيـعٍ عَنْ رَضِيعِمِـنْ كَثْـرَةِ الْحَسَـرَاتِ

يَوْمَ لاَ يَجْـزِي وَالِـدٌ عَـنْ وَلِيـدٍ لاَ، وَلاَ هُـوَ عَنْـهُ قِيــدَ نَــوَاةِ

يومَ لاَ يُغْنِـي عَـنْ خَلِيـلٍ خَلِيـلٌ كَـانَ بَـرًّا بِـهِ زَمَـانَ الْحَيَــاةِ

يومَ تُجْزَى النُّفُـوسُ إِمَّـا بِفِـرْدَوْ سِ الْعُـلاَ، أَوْ بِلَفْحَـةِ الدَّرَكَــاتِ

فَهُنَـاكَ يَصْلَـى الْجَحِيـمَ أُنَــاسٌ وَيَــرَى آخَــرونَ أَكْــرمَ ذَاتِ

يَـا إِلَهِـي وَمَـا سَأَلْـتُ بَخِيــلاً زُجَّ بِي - سَيِّدِي - بِحَـارَ النَّجَـاةِ

يـومَ لا ظِـلَّ غيْـرُ ظِلِّـكَ رَبِّـي   يَـا غَنِيّـاً عَنّـِي وَعَـنْ حَسَنَاتِـي
وَأَتِحْ عَبْدَكَ الْمُسِـيَءِ ابْـنَ زَاكُـو   رٍ - إلَهِـي - أَعَالِـي الدَّرَجَـاتِ
وَاعْـفُ عَنِّـي فَإِنِّـي ذُو ذُنُـوبٍ   زَحْزَحَتْنِي عَـنْ مَهْيَـعِ الْغَرَفَـاتِ
وَتَجَـاوَزْ عَـنْ وَالِـدِي وَأَهْلِـي   وَشُيُوخِـي كَبَائِـرَ السَّيِّئَـاتِ
وَعَـنِ الْمُسْلِمِيـنَ وَالْمُسْلِمَـاتِ   وَعَـنِ الْمُؤْمِنِيـنَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ
بِنَبِيِّكُـمْ أَشْـرَفِ الْخَلْـقِ طُـرّاً   وَرَسُولِكُـمْ صَاحِـبِ الآيَـاتِ
صَاحِبِ الْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ يَـوْمَ ال   رَّوْعِ كَهْفِ الأَنَامِ فِـي الْعَرَصَـاتِ
صَلِّ يَـارَبِّ ثُـمَّ سَلِّـمْ عَلَيْـهِ   بِأَتَـمِّ السَّلَـامِ وَالصَّلَـوَاتِ
وَعَلَـى آلِـهِ وَأَصْحابِـهِ الْـغُ   رِّ الْكِرَامِ الصِّبَـاحِ أَيِّ هُـدَاةِ
مَا انْتَضَي مِنْ غِمْدِ الدَّيَاجِيرِ بَـرْقٌ   وَتَغَنَّـتْ حَمَائِـمٌ فِـي فَلَـاةِ

وقال بالجزائر - حَماها الله من كل عدو كافر - يَمْدح العالِمَ العلامة، الذي صار لمحاسنها كالعلامة، أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن يوم ختم الرجز النسوب إلى ابن التلمساني فِي علم الفرائض، يوم الثلاثاء (أواخر) ربيع الثاني، عام أربعة وتسعين وألف (وهي هذه):

الْبَحْـرُ قَـدْ أَبْـدَى سَنَـا نَضْرَتِـهِ فَقَامَـتِ الأَعْيُـنُ فِـي بَهْجَتِـهِ
قَـدْ خلَـعَ الْحُسْـنُ عليْـهِ حُلـىً   وَانْتَظَـمَ الإبْـداعُ فـي لَبَّتِـهِ
كَأَنَّـهُ وَالشَّمْـسُ قَـدْ أَوْدَعَـتْ   شُعَاعَهَـا الأَنْضَـرَ فِـي لُجَّتِـهِ
مَطَـارِفُ الْعِقْيَـانِ قَـدْ طُـرِّزَتْ   بِاللاَّزْوَرْدِ الْغَضِّ فِـي زُرْقَتِـهِ
ذَكَّرَنِـي عَهْـداً لَنَـا قَـدْ مَضَـى   بِـأَرْضِ تِطْـوَانَ عَلَـى ضِفَّتِـهِ
فِـي جَنَّـةٍ أَرْبَـتْ عَلَـى جِلَّـقٍ   عَلَّمَهَـا الْحُسْـنُ بِأَلْوِيَتِـهِ
مَا شِئْـتَ مِـنْ نَـوْرٍ كَـدُرٍّ عَلَـى   زَبَرْجَـدٍ يَسْبِـي سَنَـا خُضْرَتِـهِ
وَمِنْ غُصُـونٍ قَـدْ سَقَاهـا الْحَيَـا فَعَرْبَـدَتْ بِالرَّقْـصِ مِـنْ خَمْرَتِـهِ
دَبَّجَهـا النُّـوَّارُ مِـنْ أَصْفَـرٍ   يحْكِي النُّضَارَالغَضَّ فـي كُهْبَتِـهِ
وَأَحْمَـرٍ يُشْبِـهُ خَـدَّ الَّـذِي   أَنْحَلَنِـي شَوْقِـي إِلَـى رُؤْيَتِـهِ

حَيْثُ الْمُنَـى تُطْلِعُـهُ قَمَــراً   تَنْأَى دُجى الأَحْـزَانِ مِـنْ طُرَّتِـهِ

لَـمْ يَعْرُهُهَجْـرٌ يَهِيـجُ الْجَــوَى   وَيَعْطِـفُ الْقَلْـبَ عَلـى حُرْقَتِـــهِ

إلاَّ نِفَـاراً هُــوَ فِــي طَبْعِـــهِ   إنَّ نِفَـارَ الظَّبْـيِ مِــنْ خِلْقَتِـــهِ

يَنْفُـرُ تِيهـاً ثُــمَّ يَثْنِيــهِ مَــا   يُبْصِرُ مِـن وَجْـدِي علـى نَفْرَتِـهِ

فَقُلْــتُ إذْ أَبْصَرْتُــهُ تَائِهــاً:   كُـنْ راضِيــاً حِبِّــي عَلَـيَّ وَتِـهِ

وَلاَ تُعَذِّبْنِـــي بِنَـــارِ الْجَفَـــا   يَا مَنْ حَيَاةُ الصَّـبِّ فِـي قَبْضَتِـهِ!

فَافْتَرَّ (أَيْـنَ) الـدُّرُّ مِـنْ ثَغْـرِهِ!   وَأَيْنَ نَشْـرُ الْمِسْـكِ مِـنْ نَكْهَتِـهِ!

وَأَيْـنَ بَـدْرُ التَّـمِّ مِـن وَجْهِـهِ!   وَأيْنَ لَمْـعُ الْبَـرْقِ مِـنْ غُرَّتِـهِ!

وَاهْتَـزَّ عُجْبـاً بِخُضُوعِـي لَــهُ   وَأَيْنَ غُصْـنُ البَـانِ مِـنْ هَزَّتِـهِ!

أَيُّ هِلَـالٍ فِـي قَضِيـبِ النَّقَــا   أَضَـاءهُ الدَّيْجُـورُ مِـنْ لِمَّتِـــهِ

عَانَقْـتُ مِـنْ قَامَتِــهِ غُصُنــاً   كَمَا قَطَفْـتُ الْـوَرْدَ مِـنْ وَجْنَتِـهِ

لَمْ أَصْـحُ مِـنْ سُكْـرِي بِتَعْنِيقِـهِ   إلاَّ بِتَقْطِيعِــي عَلَــى فُرْقَتِـــهِ

أَيُّ زَمـانٍ قَـدْ مَضَـى مُسْرِعــاً   يَاحَـرَّ أَنْفَاسِـي عَلَـى سُرْعَتِـهِ!

لَـمْ أَنْتَبِـهْ مِــنْ نَــوْمِ لَذَّتِــهِ   إلاَّ بِأَشْوَاقِــي إلَــى أَوْبَتِـــهِ

يَا لَيْـتَ شِعْـرِي وَالْمُنَـى رُبَّمَـا   تُسَاعِـدُ الْمُشْتَـاقَ فِـي بُغْيَتِـــهِ

هَلْ يَدْنُـوَنَّ الْغَـرْبُ بَعْـدَ النَّـوَى   فَأَقْطِـفُ الآمَـالَ مِـنْ ضَيْعَتِـهِ؟

وَهَـلْ أَرَى تِلْـكَ الْبُـدُورَ التِــي   تُزْرِي بِبَدْرِ الأُفْـقِ فِـي طَلْعَتِـهِ؟

أَجَـلْ، فَجَمْعِـي بِهِـمُ عَاجِــلاً   سَهْلٌ عَلَى الرَّحْمَـانِ فِـي قُدْرَتِـهِ

مَـا أَقْـدَرَ اللـهَ عَلَـى رَدِّ مَــنْ   نَـدَّ بِـهِ الْبَيْــنُ إلَــى فِئَتِــهِ

فَيَـا نَسِيمـاً مِـنْ حِمَاهُـمْ سَـرَى   شَمِمْتُ عَرْفَ الْمِسْـكِ مِـنْ هَبَّتِـهِ

كَيْـفَ الرُّبَـى وَالْمُنْحَنَـى وَالنَّقَـا   وَالنَّهْـرُ وَالـرَّوْضُ عَلَـى ضِفَّتِـهِ

عَهْـدِي بِهَـا مَرْتَـعُ كُـلِّ رَشَـا   لاَ رَاعَهَــا الدهْــر بِتَنْحِيَتِـــهِ

وَكَيْـفَ أَحْبَابِـي وَهَـلْ عَلِمُــوا   شَوْقِي الذِي أُوبِقْـتُ فِـي أَزْمَتِـهِ؟

نَكَّبَنِـــي الدَّهْـــرُ بِبَيْنِهِـــمُ   أَشْكُو إلَـى الرحْمـان مِن نَكْبَتِـهِ

أمْسَيْـتُ صَبّـاً بِالْجَزَائـِرِ لاَ أَعْدَمُ شَجْواً، ذُبْـتُ رمِـن حَسْرَتِـهِ

لَوْلاَ ابْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِـنِ الْمُرْتَضَـى قَضَى فُـؤَادِي مِـنْ لَظَـى لَوْعَتِـهِ

جَعَلْتُـهُ قَصْـدِي، وَنِعْـمَ الـذِي يَقْصِـدُهُ الإِنْسَـانُ فِـي غُرْبَتِـهِ

الْعَالِـمُ النِّحْرِيـرُ مَـنْ دَأْبُـهُ أَنْ يُنْقِـذَ الْمَلْهُـوفَ مِـنْ كُرْبَتِـهِ

وَأَنْ يُوَاسِـي مَـنْ بِـهِ رَكَضَـتْ خَيْلُ النَّوَى أَوْ حَـادَ عَـنْ وِجْهَتِـهِ

أَنَخْـتُ آمَالِـي بِـهِ فَانْثَنَـتْ عَاطِـرَةُ الأَنْفَـاسِ مِـن نَفْحَتِـهِ

إنْ تَسْـأَلِ الأَحْبَـابَ عَـنْ نُزُلِـي فَهَـا أَنَـا أَنْعَـمُ فِـي جَنَّتِـهِ

أَقْطِـفُ أَنْـوَارَ الْمُنَـى غَضَّـةً تَحْتَ ظِلاَلِ الْعِلْـمِ فِـي حَضْرَتِـهِ

أَثْقَلَنِـي بِالْبِـرِّ حَتَّـى لَقَـدْ أَعْجِـزُ أَنْ أَنْفَـكَّ مِـنْ حَوْزَتِـهِ

مَـا شَانَـهُ عَيْـبٌ سِـوَى أَنَّـهُ يُغْضِي عَلَـى مِثْلِـي فِـي هَفْوَتِـهِ

وَيُسْعِـفُ الطَّالِـبَ فِـي قَصْـدِهِ وَيُسْعِـدُ الرَّاغِـبَ فِـي رَغْبَتِـهِ

نُزْهَتُـهُ فِـي الْعِلْـمِ يَدْرُسُـهُ لاَ عَاقَـهُ الْمِقْـدَارُ عَـنْ نُزْهَتِـهِ

أَفَادَنَـا عِلْـمَ الْفَرَائِـضِ فِـي أَدْنَـى مَـدىً أَرْقَـلَ فِـي مِشْيَتِـهِ

مِنْ دَرْسِـهِ النَّظْـمُ الـذِي صَاغَـهُ نَجْـلُ (التِّلِمْسَانِـي) فِـي صَنْعَتِـهِ

نَظْـمٌ، عُقُـودُ الـدُّرِّ لَـمْ تَحْكِـهِ، أَبْـدَعُ مَـا أُلِّـفَ فِـي صِفَتِـهِ

أَحْصَـى أُصُـولَ الْفَـنِّ مُحْكَمَـةً وَحَاكَهَـا طُـرًّا عَلَـى نَزْوَتِـهِ

نَاهِيـكَ مِـنْ نَظْـمٍ وَمِـنْ نَاظِـمٍ وَمِـنْ مُبِيـنٍ مُقْتَضَـى حِكْمَتِـهِ

بَيْـنَ مَـا أَشْكَـلَ مِـنْ لَفْظِـهِ وَحَلَّ مَا اسْتَصْعَـبَ مِـنْ عُرْوَتِـهِ

مَا ذَا يَقُـولُ الْمَـرْءُ فِـي مَدْحِـهِ وَقَدْ تَنَاهَـى الدَّهْـرُ فِـي خِدْمَتِـهِ؟

وَالشَّمْـسُ أَوْلَتْـهُ أَشِعَّتَهَـا وَالْبَـدْرُ حَلَّاهُ بِتَحْلِيَتِـهِ

خَيَّـمَ الْمَجْـدُ بِسَاحَتِـهِ وَفَاضَ بَحْـرُ الْجُـودِ فِـي بُرْدَتِـهِ

بَدْرُ الْهُدَى وَالْعِلْمِ يَـا مَـنْ غَـدَتْ تَسْجُـدُ أَمْدَاحِـي إِلَـى قِبْلَتِـهِ

خُذْهَا عَلَـى رَغْـمِ الْعِـدَى غَـادَةً لَفَّعَهَـا الصِّـدْقُ بِأَقْبِيَتِـهِ

خَـوْدٌ زَهَـتْ إِذْ بَشَّـرَتْ بِكُـمُ وَلَفَّهَـا الْمَجْـدُ بِأَرْدِيَتِـهِ

كَـمْ رَامَهَـا قَبْلَـكَ ذُو هِمَّـةٍ فَلَـمْ تُصِخْ سَمْعـاً إِلَـى خُطْبَتِـهِ

بِنْـتُ (ابْـنِ زَاكُـورٍ) فَمَنْشَـأُهُ فُاسٌ، وَأَهْلُ الْفَضْـلِ مِـنْ أُسْرَتِـهِ

صَدَاقُهَـا الْغَالِـي قَبُولُكُهَـا مِنْـهُ، فَمَـا أَغْلاَهُ فِـي نِيَّتِـهِ

فَاسْمَحْ لَـهُ وَاقْبَـلْ هَدِيَّتَـهُ وَعَـفِّ بِالصَّفْحِ عَلَـى زَلَّتِـهِ

لاَ زِلْتَ (ذَا) حَـالٍ تَسُـوءُ الْعِـدَى مَـا حَـنَّ ذُو بُعْـدٍ إِلَـى تُرْبَتِـهِ

وَاللـهُ يُبْقِيـكَ إِمـامَ هُـدىً مَا غَـرَّدَ الْقُمْـرِي علَـى دَوْحَتِـهِ

وقال في سيدي أبي يعزى أعزه الله بطاعته:

يَا أَبَا يَعْزَى يَـا عَزِيـزَ الصِّفَـاتِ فَلْتُفِدْنـي مِـنْ أَنْفَـحِ النَّفَحَـاتِ

وَلْتُجِرْنـي مِـنَ الشِّفَـاءِ فَذَنْبِـي قَدْ رَمَانِي مِـنْ ذَاكَ فـي الدَّرَكَـاتِ

وَلْتُحِطْنـي مِـنَ الْخَنَـى وَبَنِيـهِ بِالـذِي حُزْتَـهُ مِـنَ الْبَرَكَـاتِ

وَاشْفَعَـنْ أَسَيِّـدِي لِرَسُـولِ الـ لَّهِ شَمْـسِ الرّشَـادِ عَيْـنِ النَّجَـاةِ

فَعَلَيْـهِ الصَّلَـاةُ مَـا فَـاحَ نَـوْرٌ وحبَا الـرَّوْضُ أَعْطَـرَ النَّسَمَـاتِ

إِنَّنـي قَـدْ سَلَكْـتُ سُبْـلَ الطُّغَـاةِ بِارْتِفَاعِـي عَلَـى ذُرَى شَهَوَاتِـي

وقال أيضا، وقد زار سيدي طلحة دفين تطاون، نفعنا الله ببركته:

يَـا وَلِيّـاً قَـدْ أُمِـدَّ بِالْمَكْرُمَـاتِ وَامْتَطَـى مَتْـنَ بَاذِخِالدَّرَجَـاتِ

عَجِّلِ الأَمْرَ لِـي وَعَالِـجْ فُـؤَادِي بِسَمِيِّكُـمْ طَلْحَـةَ الطَّلَحَـاتِ

وقال أيضا:

ذَابَ قَلْبِـي مِـنَ الصُّدُودِ وَلَـوْلاَ مَا أُرَجِّي مِـنَ الْوِصَـالِ قَضَيْـتُ

لَيْتَ شِعْرِي، وَهَـلْ يَـرِقُّ لِحَالِـي مَنْ هَوِيْـتُ، فَإِنَّنـي قَـدْ هَوَيْـتُ

ومن ذلك هذه الأراجيز المقطوعة: السابع:

يَـا رَبِّ أَدْفِئْنـي فَقَـدْ خَصِرْتُ يَـا رَبِّ رَبِّحْنـي فَقَـدْ خَسِـرْتُ

يَـا رَبِّ أَعْطِنـي فَقَـدْ أَقْفَـرْتُ يَـا رَبِّ اغْنِنـي، أَنَـا افْتَقَـرْتُ

يَا رَبِّ أَحْسِـنْ لِـي فَقَـدْ أَسـأت يَـا رَبِّ خَرَّقْـتُ وَمَـا رَفَـأْتُ

يَـا رَبِّ أَصْلِحْنـي فَقَـدْ فَسَـدْتُ يَـا رَبِّ نَفِّقْنـي فَقَـدْ كَسَـدْتُ

يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِي الذِي صَنَعْتُ وَلاَ تُعَامِلْنِي بِمَا ضَيَّعْتُ

وَلاَ تُعَذِّبْنِي بِمَا أَعْلَنْتُ وَلاَ تُوَاخِذْنِي بِمَا أسْرَرْتُ

إِنِّي إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي تُبْتُ وَبِمَحَبَّةِ الْهُدَى مَتَتُّ

وَبِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى سَأَلْتُ وَبِجَنَابِهِ قَدِ اعْتَصَمْتُ

وَفِي زِمَامِ حُبِّهِ ارْتَسَمْتُ وَإِنْ أَكُنْ عَنْ هَدْيِهِ قَدْ نِمْتُ

يَا رَبِّ مَا عُذْرِي وَقَدْ عَلِمْتُ؟ عَلَيْهِ صَلَّيْتُ وَقَدْ سَلَّمْتُ

وقلت مساعدا لطالبه فيما يظهر:

أَلاَ إِنَّ السِّيَادَاتِ عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْمَزِيَّاتِ

وَكُلُّ الْفَضْلِ فِي الْعِلْمِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ

وَرُوحُ الْعِلْمِ فِي التَّوْحِي دِ تَوْحِيدِ الْعَقِيدَاتِ

عَقِيدَاتِ السَّنُوسِيِّ ال إِمَامِ ذِي الْكَرَامَاتِ

إِمَامِ الغَرْبِ وَالشَّرْقِ بِإِجْمَاعٍ لإِثْبَاتِ

وَوُسْطَى عِقْدِهِ الصَّغْرَى بِبُرْهَانٍ وَآيَاتِ

بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مِفْتَاحُ الْعِبَادَاتِ

حَبَتْهُ الشَّرْحَ وَالإِيضَا حَ، إِيضَاحَ الْخَفِيَّاتِ

فَجَاءَتْ غُرَّةً تَلْتَا حُ فِي وَجْهِ الخَرِيدَاتِ

فَتِلْكَ زِينَةُ الأَيَّا فِي الْمَاضِي وَفِي الآتِ

لَقَدْ أَرْبَتْ مَعَانِيهَا عَلَى الشُّهْبِ الْمُنِيرَاتِ

وَقَدْ رَاقَتْ مَبَانِيهَا فَأَعْيَتْ وَصْفَ أَبْيَاتِي

أَ دُرٌّ فَوْقَ لَبَّاتِ وَشُهْبٌ فِي دُجُنَّاتِ؟

وَنَهْرٌ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَوَرْدٌ بَيْنَ خَامَاتِ؟

أَمِ اللَّفْظُ الْبَدِيعُ فِي الْ مَعَانِي الْمُسْتَقِيمَاتِ

فَرُمْ تَحْصِيلَهَا فَهْماً عَلَى أَهْلِ الدِّرَايَاتِ

كَزَيْنِ الدهْرِ شَيْخِ العَصْ رِ عَيْنِ الْمَصْرِ مِرْآةِ

(مُحَمَّـدِ) الـــذِي أرْبَـــى عَلَـى أَهْــلِ الإِجَــادَاتِ
تَفُــزْ بِالْعُـــرْوَةِ الوُثْقَـــى وَتظْفَـــرْ بِالسَّعَـــــادَاتِ
وَلاَ يَغْــرُرْكَ أَهْــلُ اللُّـــبْ سِ أَشْبَـــاهُ الْجَمَـــادَاتِ
أَأَمْــــوَاتٌ كَأَحْيَـــاءٍ وَأَحْيَـــاءٌ كَأَمْـــوَاتِ؟
وَصَلَّــى اللـــهُ رَبُّ الْعَـــر شِ فِــي أَهْــلِ السَّمَـــاوَاتِ
عَلَى خَيْــرِ الْـوَرَى، عَيْـنِ الْـعُ لاَ، أصْــلِ الْكَمَالـــاَتِ
وقلت في عروضها ورويها:
إِذَا نِلْنَـــا الـــذِي نَهْـــوى مِــنَ الْمَقْصــودِ بِالـــذَّاتِ
سَلَوْنَـا كُــلَّ مَــا يَهْـوَى مِــنْ أَعْـــرَاضٍ وَلَـــذَّاتِ
وَنَسْتَحْلِــي الْعَنَـــا وَالْـــكَ دَّ فِــي جَنْـــبِ الْمَزِيَّـــاتِ
وقلت في كشف معمى وقع في نظم على روي الجواب ووزنه:
أَلاَ اسْمَـعْ قَـدْ أجَابَتْـكَ الْهُـدَاةُ بِمَـا تَعْنُــو لِحُجَّتِـــهِ الْغُــوَاةُ
فَقَدْ حَاجَيْتَ فِـي صَرَمَتْـكَ أَسْمَـا ءُ بَعْـدَ وِصَالِهَـا فَبَـدَا الشَّمَــاتُ
فَفِي صَرَمَتْكَ مَعْ ذَا وِصَـالٍ شَكْـلٌ وَفِـي مَـا بَعْـدَهُ أَيْضـاً هَنَــاتُ
غَـدَا مِنْهَــا تَمُكْتَئِبـاً حَزِينـاً يُوَازِنُـهُ: مَفَاعِــلُ فَاعِلــاَتُ
وَفِي نَجْـمٍ يُـرَى فَتَغِيـبُ شَمْسٌ بِإِثْـرِ طُلُوعِـهِ، فَــإِذَا الْبَيَــاتُ
وَفِـي عِلْـمِ الْمَنَـائِـرِ كُـلَّ وَقْـتٍ نَهَـارِيٍّ تَحِيـنُ بِــهِ الصَّلــاَةُ
وَفِـي نَاعُـورَةٍ أَبْـدَتْ حَنِينــاً كَمُعْوِلَـةٍ أُصِيـبَ لَهَــا بَنَــاتُ
وَلَكِنْ فِـي كَلاَمِـكَ بَعْـضُ حَشْـوٍ وَكَسْـرٍ تَسْتَضِـرُّ بِــهِ الــرُّوَاةُ

إِلَـى مَـا لَيْـسَ يَجْهَلُـهُ أَدِيـــبٌ لَدَيْـــهِ الْبَاقِيَــاتُ الصَّالِحَــاتُ
فَمِنْ عَجَبٍ تُحَاجَنِي فِـي عَـرُوضٍ وَتَخْتَرِمُ الْقَرِيـضَ، فَمَـا النَّجَـاةُ؟
وقال:
وَصْلِـي وُصِلْتُـمْ كَمَـا وَصَلْتُــمْ وَصُلْتُـمْ مِثْــلَ مَــا عَلِمْتُــمْ
أيْسَـرُ مِــنْ لَمْحَــةٍ بِطَــرْفٍ مَـا كَـانَ أَيْسَـرَ مَــا طَلَبْتُــمْ!

فَقَدْ وَصَلْتُ، وصُلْتُ مِمَّا   بَرَيْتُمُ أسْهُمِي وَرِشْتُمْ
بَقِيتُمُ، دُمْتُمُ، سَلِمْتُمْ   نَعِمْتُمُ، فُزْتُمُ، ظَفِرْتُمْ
وُفِّقْتُمُ، فُقْتُمُ، صَعِدْتُمْ   أُيِّدْتُمُ، صِنْتُمُ، سَعِدْتُمْ
لاَ هُنْتُمُ، لاَ وَلاَوَهَنْتُمْ   وَلاَ ضَعُفْتُمْ وَلاَ اسْتَكَنْتُمْ
وَلاَ خَسِرْتُمْ وَلاَ حَسَرْتُمْ   وَلاَ خَصِرْتُمْ وَلاَ حُصِرْتُمْ
وَاللهُ يَقْضِي بِمَا سَيُرْضِي   مِنْ فَضْلِهِ إِنْ بِهِ اعْتَصَمْتُمْ

ومن الشعر الذي عم النقط جميع حروفه، ما كان قاله في مدينة الْجَزائر أول دخوله إياها سنة ثلاث وتسعين مجيبا لمن اقترحه وهو:

بَثَّ بَثِّي شَجَنِي   فَنَبَتْ بِي بُغْيَتِي
زَجَّ بِي فِي فِتَنٍ   جَفْنُ ظَبْيٍ خَيْبَتِي

حرف الثاء

قال عليه، ماي الرشد بحول الله لديه:

حَبْلُ الدُّنَى يَا مُبْتَغِيهِ رَثٌّ   وَالذُّلُّ فِي اطِّلابِهَا مُنْبَثٌّ
قُلْ لِلذِي أَغْرَاهُ فيهَا الْحَثُّ   وَنَالَ منهُ وَعْثُهَا وَالْجُثُّ
مُذْ بَانَ عنْهُ رِمْثُهَا وَالْحُثُّ   مَعْ أَنَّهُ يَكْفِيهِ فيها الْحُثُّ
سَمِينُهَا عِنْدَ الإِلَهِ غَثُّ   وَشَهْدُهَا مَا فِيهِ إِلاَّ الْجُثُّ
وَأَبَوَاهَا ذِلَّةٌ وَخُبْثُ   وَأَخَوَاهَا تَعَبٌ وَبَثُّ
كَمْ باحِثٍ أَضْنَاهُ فِيهَا الْبَحْثُ   وَرَاغِثٍ عَدَا عَلَيْهِ الرَّغْثُ
وَفَاضِلٍ أَحْيَى حُلاَهُ الرَّغْثُ   وَ (لِحُلاَهُ) بِالتُّرَابِ ضَغْثُ
وَهْوَ سَوَاءٌ فِي الثَّرَى وَضِغْثُ   مَنْ لَمْ (يَنَلْهَا) إِذْ عَلاَهُ اللَّهْثُ
فَرُبَّمَا قَضَى عَلَيْهِ الجَهْثُ   وَلَيْسَ (يَجْدِي) فِيهِ بَعْدُ رَمْثُ
مَعْ أَنَّ مَا فِيهَا خَلىً وَرِمْثُ   إِنْ نِيلَ مِنْهَا بَعْدَ كَدٍّ نَفْثُ
عَاجِلُهُ مِنَ الْهُمُومِ بَعْثُ   سَيَّانِ فيهَا، وَالْمَآلُ فَرْثُ
مَنْ قوتُهُ مَنٌّ بِهَا أَوْ فُثُّ   وَمَنْ لَدَيْهِ نَعَمٌ وَحَرْثُ

وَمَنْ دَهَاهُ كَسْبُهُ وَالْحَـرْثُ   وَمَنْ عَـدَا عَلَى يَدَيْهِ النَّبْثُ
لأنَّهَـا لَيْسَ لَدَيْهَا لُبْثُ   وَلاَ يُطَالُ فِي ذُرَاهَا مُكْثُ
فَسَيَرِثُّ شِفُّهَا وَالْكَثُّ   ويُخْتَلَى طُبَّاقُهَا والشَّثُّ
وَيَسْتَحِيلُ (حَزْنُهَا) والوَعْثُ   وَيَسْتَفِيءُ مَا عَلَيْهَا الإِرْثُ
سَوْفَ يُعَمِّمُ عُرَاهَا النُّكْثُ   وَيَنْقَضِي ذُكْرَانُهَا وَالأُنْثُ
وَالْمَوْتُ، كُلَّ مَنْ بِهَا يَجُثُّ   وَالْمُنْتَقَى مِنْ بَزِّهِمْ يَرِثُّ
ثُمَّتَ تَعْثُو فِي حُلاَهُ الْعُثُّ   أَيْنَ أبُونَا آدمُ وَشِئْثُ
وَكُلُّ مَنْ هُوَ لِوَحْيٍ حِدْثُ؟   أَيْنَ الأُلَى؟ عَلَى الرَّشَادِ حَثُّوا
وَأَظْهَرُوا أَسْرَارَهُ وَبَثُّوا   وَفَسَّرُوا عَوِيصَهُ وَنَثُّوا
وَعَالَجُوا التَّوْحِيدَ وَاسْتَغَثُّوا وَأَعْذَرُوا إِلَى الأُلَى أَغَثُّوا
وَجَمَّعُوا عُدْوَانَهُمْ وَقَثُّوا   أَيْنَ الأُلَى عَلَى الدُّنَى أَلَثُّوا؟
فَارْتَحَلُوا وَمَا بِهَا أَلَثُّوا   بَلْ حَمَلَتْهُمْ لِلمَنُونِ دُلْثُ

ثُمَّ اسْتَرَدَّهُمْ إِلَيْهِ الْجِنْثُ   وَهْوَ التُّرَابُ كَنَّهُمْ فَرَثُّوا
فَلِحُلاَهُ بِحُلاَهُمْ غَلْثُ   وَلَهُ بِالْفُرُوثُ مِنْهُمْ غَبْثُ
وَسَيَجْمَعُ الْجَمِيعَ الْبَعْثُ   وَلَيْسَ يَنْفَعُ هُنَاكَ الْمَلْثُ
وَلَيْسَ يَجْمَعُ هُنَاكَ نَجْثُ   وَلِلشَّدَائِدِ هُنَاكَ كَرْثُ
يَهْمِي هُنَاكَ وَبْلُهَا وَالدَّثُّ   يَا لَيْتَ شِعْرِي وَذُنُوبِي شُعْثُ
وَمَا اقْتَرَفْتُ مِنْ خَطَايَا غُبْثُ وَالْفِعْلُ وَالْقَوْلُ ذَمِيمٌ غَثُّ
أَلِيَ مِنْ حَرِّ السَّعِيرِ وَطْثُ؟   وَمِنْ عَظِيمِ مَا حَمَلَتْ جَأْثُ؟
وَعَنْ مَوَارِدِ النَّجَاةِ رَبْثُ؟   وَبِعِصِيِّ الْهَالِكِينَ وَلْثُ؟
أَمْ بِالرِّضَى وَالْعَفْوِ قَدْ أُمِثُّ؟ فَلِي إِذَنْ إِلَى الْجِنَانِ قَلْثُ
وَفِي حِيَاضِ الْمُبْهَجِينَ مَرْثُ وَمِنْ قُطُوفِ الْخَالِدِينَ دَأْثُ
وَبِمَنَادِيلِ النَّعِيمِ مَثُّ   رُحْمَاكَ قَدْ أجْنَى عَلَيَّ الرَّفْثُ
وَلِي بِأَضْغَاثِ الضَّلاَلِ ضَبْثُ   وَزَنْدُ رُشْدِي مَا سَلاَهُ عَلْثُ

فَلِلسَّـــدَادِ بِالْفَسَـــادِ عَلْـــثُ   فَـإِنْ تُؤَاخِذْنـي فَصُنْعِـي كَـثُّ
وَإِنْ يَكُنْ لِي فِـي رِضَـاكَ مَغْثُ   فَالْعَفْـوُ يَـا رَبِّ لَدَيْـكَ جِنْـثُ
حَاشَاكَ أَنْ يُمْنَعَ مِنْهُ حِنْثُ

وقال أيضا عليه:

عَائِـذاً بِكُـمْ مِـنْ زَمَانِـي وَبَثِّـهِ   يَا - إِلَهِي - وَمِنْ عَـدُوِّي وَخُبْثِـهِ
يَـا إِلَهِـي، وَمِـنْ مَكَائِـدِ نَفْسِـي!   يَـا إِلَهِـي وَحَاسِـدٍ لِـي وَبَحْثِـهْ!
يَا إِلَهِـي، وَمِـنْ هُمُـومٍ وَمِـنْ شَ   رِّ الـذِي يَقْنِـصُ الْعُقُـولَ بِنَفْثِـهْ!
يَا إِلَهِي، وَمِـنْ صَنِيعِـي وَرَثِّـهِ!   يَا إِلَهِي، وَمِـنْ مَقَالِـي وَرَفْثِـهْ!
يَا إِلَهِي، وَمُقْتَضَـى سُـوءِ ظَنِّـي! يَا إِلَهِـي، وَمِـنْ يَقِينِـي وَدَعْثِـهْ
يَا إِلَهِي، مِنْ خَيْبَتِي فِـي رَجَائِـي!   وَانْتِـزَاعِ الْمُـرَادِ مِنِّـي وَجَأْثِـهْ
يَـا إِلَهِـي، وَمِـنْ بِعَـادِيَ عَمَّـا   فِيهِ قُرْبِـي مِـنَ الرَّشَـادِ وَحِدْثِـهْ
يَـا إِلَهِـي، وَمِـنْ ذُنُـوِّي مِمَّـنْ   (يَقْتَضِي) الْبُعْدَ عَنْ رِضَـاكَ بِطَثِّـهْ
وَوُقُوفِـي بِغَيْـرِ بَابِـكَ يَوْمــاً   يَا إِلَهِي، وَحَزْنِ حُزْنِـي وَوَعْثِـهْ!

يَا إِلَهِي وَمِنْ ضَيْقِ صَدْرِي وَمِنْ عَقْ   دِ لِسَانِـي عَـنِ الصَّـوَابِ وَبَثِّـهْ
يَـا إِلَهِـي، وَمِـنْ تَبَلْبُـلِ فِكْـرِي   وَلَهاً فِـي خَلَـى الْمَعَـاشِ وَرَمْثِـهْ
يَا إِلَهِـي، بِـكَ اسْتَغَثْـتُ أَغِثْنِـي   وَاهْدِنِي لاِسْتِغْثَاثِ حَالِـي وَرَمْثِـهْ
يَا إِلَهِي، بِـكَ اسْتَعَـذْتُ أَعِذْنِـي أَغِثْنِي عَنْ إِضْرَامِ شَـرِّي وَحَرْثِـهْ
يَا إِلَهِي، بِـكَ اعْتَصَمْـتُ فَحُطْنِـي   يَا إِلَهِي مِنْ نَهْبِ عِرْضِـي وَدَأْثِـهْ
يَـا إِلَهِـي، فَـلاَ تَكِلْنِـي لِنَفْسِـي   أَوْ لِمَـنْ تَلْتَظِـي شَـرَارَةَ جَهْثِـهْ
أَوْ لِمَـنْ تُتَّقَـى الْبَوَائِـقُ مِنْــهُ   أَوْ لِمَـنْ يَجْـرَحُ الْيَقِيـنَ (بِمَلْثِـهْ)
أَوْ لِمَــنْ وُدُّهُ وَأَنْــتَ عَلِيـــمٌ   أَنْ يَـذُوبَ الْفُـؤَادُ مِنِّـي بِمَلْثِــهْ
أَوْ لِمَـنْ يُبْـرِزُ النَّجِيثَـةَ مِنِّـــي   أَوْ لِمَـنْ يُظْهِـرُ الْعُيُـوبَ بِنَبْثِـهْ
وَشَفِيعِـي إِلَيْـكَ مَـنْ أَنْـتَ يَـارَ   بِّ شَفِيعِـي إِلَـى تَرَشُّـفَ مَثِّــهُ
أَحْمَـدُ الْمُصْطَفَـى أَجَـلُّ الْبَرَايَـا   مَنْ هَـوَى طَالِـعُ الضَّلاَلِ لِبَعْثِـهْ

فَعَلَيْـهِ الصَّلـاةُ مِنْـكَ يُغَـادِي وَبْلُهَـا قَبْـرَهُ إِلَـى يَـوْمِ بَعْثِـهْ

وَعَلَـى آلِـهِ وَأَصَحَابِـهِ مِـنْ كُلِّ مَنْ أَصْبَحَ الْهُدَى طَوْعَ ضَبْثِـهْ

هَا أَنَا الْمُحْتَمِى بِهِ صِحْتُ وَا غَـوْ ثَـاهُ مِـنْ لاَعِـجِ الْفُـؤَادِ وَبَثِّـهْ

هَا أَنَـا الصَّـادِي تَرَجَّيْـتُ غَيْثـاً يُطْفِئَـنَّ الْجَـوَى تَرَشْـرُشُ دَثِّـهْ

هَا أَنَا الْعَبْدُ قَـدْ تَنَادَيْـتُ يَـا مَـوْ لاَيَ ذُبْتُ مِنْ رَضْعِ هَمِّي وَرَغْثِـهْ

جَرَّحَ الْقَلْبَ رَكْضُ جَيْشِ اهْتِمَامِـي مُذْ تَلاَشَى الْعَـزَاءُ مِنِّـي بِوَطْثِـهْ

يَاحَنَانَيْـكَ لاَ (تُقَابِـلْ) أَخَـسَّ الْ مُجْرِمِيـنَ الْمُذَمَّمِيـنَ بِحِنْثِـهِ

إِنْ يَكُنْ حَادَ عَنْ رِضَـاكَ فَـإِنَّ الْ عَبْـدَ تَـرْدِي بِـهِ رِدَاءةُ جِنْثِـهْ

أَنَا عَبْدُ وَقَـدْ نَكَثْـتُ عُـرَى عَـهْ دِكَ، وَالْعَبْدُ مَـا لَـهُ غَيْـرُ نُكْثِـهْ

يَا لَـكَ الْفَضْـلُ مَـا تَعَـوَّدْتُ إِلاَّ وَابِـلَ الْفَضْـلِ لاَ تُعِدْنـي لِوَلْثِـهْ

وَلَكَ الْحَمْـدُ مُورِيـاً مِثْـلَ مَـا أَوْ رَيْتُ زَنْدَ الذَّكَاءِ مِـنْ بَعْـدِ عَلْثِـهْ

وَلَكَ الْحَمْـدُ خَالِصـاً مِثْـلَ مَـا خَلَّصتَ تِبْرَ القرِيضِ مِنْ بَعْـدِ عَلْثِـهْ

وَلَـكَ الشُّكْـرُ رَائِقـاً مِثْـلَ مَـا رَ قَّقْتَ دِيبـاجَ خَاطِـرِي بَعْـدَ كَثِّـهْ

وَلَـكَ الشُّكْـرُ طَيِّبـاً مِثْـلَ مَـا طَيَّبْتُ قَوْلِـي بِفِكْرَتِـي بَعْـدَ غَثِّـهْ

وَلَـكَ الشُّكْـرُ أَنْ هَدَيْـتَ وأَهْـدَيْتَ وعلَّمـتَ مَـا ارْتَقَيْـتُ بِنَثِّـهْ

وَلَكَ الشُّكْرُ فِي الذِي لَسْتُ أُحْصِـي ـهِ وَأَوْلَيْتَنـي أَزِمَّـةَ دُلْثِـهْ

وقال أيضا قديما، وقد اقترح عليه بعضهم معارضة بيتين على هذا الروي والبحر وهما:

أَيَظْلِمُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِيهِ. . . إلخ

لَـكَ الْبُشْـرَى وَخُـذْ مَـا تَبْتَغِيـهِ وَسَامِحْ مَنْطِقِـي فِيمَـا يَبُـثُّ

وَإِنْ كَـانَ الزَّمَـانُ أَرَاكَ ظُلْمـاً فَـذَاكَ الظُّلْـمُ لِلأَحْـرَارِ مَغْـثُ

وَرِدْ نَهْـرَ الْبَلاَغَـةِ سَلْسَبِيـلاً فَقَـدْ لَبَّـى (غَلِيلَـكَ) مِنْـهُ نَفْـثُ

حرف الجيم

قال عليه، عند زيارة الولي الصالح سيدي أبي حاجة دفين تطاون:

بَحْرَ النَّـدَى وَالْهُـدَى أَبَـا حَاجَـهْ ارْحَـمْ (فَقِيـراً) أَتَـاكَ ذَا حَاجَـهْ

يَرْجُـو مَوَاهِبَـكَ التِـي بَهَـرَتْ فَاقْصِمْ عُرَى خَطْبِـهِ الـذِي هَاجَـهْ

وقال أيضا:

يَا مُثِيراً فِي حَشَى الصَّبِّ الشَّجِـي نَـارَ وَجْـدٍ بِلِحَـاظِ الدَّعَـجِ

كَمْ تُبَارِي مِنْ صُـدُودٍ، مَـنْ غَـدَا يَرْتَجِـي فَتْـحَ رِضَـاكَ الْمُرْتَجِـي

وَتُقَاوِيــهِ بِنِيــرَانِ الْجَفَــا وَبِخَدَّيْـكَ نَعِيــمُ الْمُهَــجِ

لاَ تُعَذِّبْنــي فَإِنِّــي دَنِــفٌ وَغَرَامِــي ثَابِـتٌ بِالْحُجَــجِ

ضُـمَّ سُقْمِـي لِشُحُوبِـي وَاجْعَلَـنْ شَغَفِـي أَوْسَـطَ ضَـرْبٍ مُنْتِــجِ

يُنْتِـجُ الْمَطْلُـوبَ إِنْ رَكَّبْتَــهُ بَيِّـنَ الأَشْكَـالِ: ذَا صَـبٍّ شَـجِ

وقال أيضا:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ بِالرُّبَـى مِـنْ لَمْطَـةٍ وَنَسِيمُهَـا يُهْـدِي إِلَـيَّ أَرِيجَـا

فَاهْتَاجَ رِيحُ الشَّوْقِ بَيْـنَ أَضَالِعِـي يُذَكِّرُنِي لَظَى وَجْدِي: فَـأَجَّ أَجِيجَـا

وقال بديهة بمدينة الجزائر - حرسها الله - يتشوق:

ذَكَرْتُـكَ وَالبَحْـرُ طَلْـقُ الْمُحَيَّـا عَلَـى مَتْنِـهِ رَوْنَـقٌ وَابْتِهَـاجُ

فَـآضَ سَرِيعـاً يُحَاكِـي فُـؤَادِي لأَمْوَاجِــهِ لَــدَدٌ وَانْزِعَــاجُ

أَلاَ لَيْــتَ شِعْــرِي أَيَجْمَعُنَــا بِلـَادٌ لَـهُ مِـنْ سَنَـاكَ سِـرَاجُ؟

وقال أيضا هنالك، سلك الله به أحسن المسالك:

وَالْبَــدْرُ مثــلُ حَبِيبِــي فِــي رَوْنَــقٍ وَابْتِهَــاجِ

والبحــرُ مثــلُ فُــؤَادِي فِــي رَجَّــةٍ وَانْزِعَــاجِ

وقال في حق سيدي أبي حاجة دفين تطاون، ويقال: هو أبو عبد الله الفخار:

هَلُمُّـوا يَــا (بَنِــي الْحَــاجِ) إِلَـى مَثْـوَى (أَبِــي حَــاجِ)

أَبِــي الْحَاجَــاتِ مُعْطِيهَــا لِمُعْتَــــزٍّ وَمُحْتَــــاجِ

وَمَلْهُــــوفِ وَمَوْصُــــوفِ بِإِحْــــرَاجِ وَإِزْعَــــاجِ

وَإِقْلــَـاقٍ (لإِخْفَــــاقِ) وَإِنْتَــــاجِ لإِرْتَــــاجِ

ضمِنْـتُ الْفُلْـجَ بِالْمَــرْجُ وِّ مِنها للشَّـــجِ الــرَّاجِ

وَلَيْـسَ الْخُبْــرُ كَالإِخْبَــا ر، فَاخْبُــرْ فَيْـضَ عَجَّــاجِ

ومنه في رثاء شيخنا أبي البركات أحمد بن الحاج رحمة الله عليه:

لَيْسَ لَنَا في سِوى ابْنِ الحاجِ منْ حَاجِ شَيْـخٌ سَمَـا لِلْعُـلاَ بِـأيِّ مِعْـراجِ

بِالْعِلْمِ وَالحِلْمِ والـإِدْراكِ فـي مَهَـلٍ لمَّا تَعَاصَى على السُّمَّارِ في الـدَّاجِ

ضَاَءتْ مَعارِفُهُ في (كـلِّ) ناحِيَـةٍ كالْبَدْرِ يُبْدِي سَنًا في (كـلِّ) أَبْـرَاجِ

بَحْرٌ، وَمَا البحْرُ إلاَّ مـنْ مَشَابِهِـهِ عُمْـقٌ بِعُمْـقٍ وَأَمْـواجٌ بِأمْـواجِ

أَسْتَغْفِرُ اللّهَ - أَيْنَ الْبَحْرُ مُلْتَطِماً! - مِنْ ذِي مَوَارِدَ عَذْبٍ غَيْـرِ مُهْتَـاجِ

وَرَاكِبُ البَحْرِ لاَ يَنْفَكُّ مِنْ خَطَـرٍ، وَبَحْـرُهُ، مُمْتَطِيـهِ كُلُّــهُ نَــاجِ

بَدْرٌ مُنِيرٌ، وَأَيْـنَ البَـدْرُ ذَا كَلَـفٍ،مِنْ كَوْكَبٍ في سَمَاءِ النُّبْـلِ وَهَّـاجِ

نَعَـمْ، مَآثِـرُهُ كالْبَـدْرِ مُكْتَمِــلاً، نُـورٌ بِنُـورٍ وَإِدْلَــاَجٌ بِإِدْلَــاَجِ

نَعَى لَنَا مَوْتَهُ مَـنْ كَـانَ أَشْبَهَهُـمْ كَالنَّمَرِيِّ وَعَبْـدِ الْحَـقِّ وَالْبَاجِـي

وَمَـنْ تَقَدَّمَهُـمْ مِـنْ كـلِّ مُعْتَبَـرٍ كَالْفَارِسِيِّ وَعَمْـرٍو وَابْـنِ سَـرَّاجِ

عَلَـى ثَـرَاهُ سَلَـاَمٌ فَائِـحٌ عَبِـقٌ وَرَحْمَـةُ اللـهِ تَغْشَـاهُ بِأَفْــوَاجِ

ونَوَّرَ اللّهُ قَبْـراً ضَـمَّ مِنْـهُ سَنـاً مِنْـهُ اقْتَبَسْنَـا بِإِبْلَـاَجٍ وَإِسْــرَاجِ

وَهِمَمـاً تَـاقَ أَدْنَاهَـا إِلَـىَ نَهَـلٍ مِنَ الْحِمَـامِ وَقَـدْ عُلَّـتْ بِإِحْـرَاجِ

تَخَلُّصـاً مـنْ أَذى مـا إِنْ يُلاَئِمُـهُ إِلاَّ السُّلُوكُ لَهُ فـي غَيْـرِ مِنْهَـاجِ

لُقْيَـا الْحِمـامِ بِوَجْـهِ الْمُتَّقِيـنَ وَلاَ لُقْيَا الْهَـوَانِ بِوَجْـهٍ غَيْـرِ مِبْهَـاجِ

لَهْفِي عَلَى ما فَقَدْنـا مِـنْ شَمَائِلِـه إِنَّـا فَقَدْنَـا بِـهِ يَاقُوتَـةَ التَّــاجِ

وَخِلْعاً كَانَ شَخْصُ الدِّيـنِ يَلْبَسُهَـا طَارَتْ بِهَا كـلُّ إِعْصَـارٍ بِـإِدْرَاجِ

وَحُلَّـةً كَانَـتِ التَّقْـوَى تُلِـمُّ بِهَـا أَلْقَتْ بِهَـا هُـوجُ أَهْـوَالٍ بِعَجَّـاجِ

كانَـتْ مَنِيَّتُـهُ أَحَــبَّ مُنْيَتِـهِ فَنالَهـا نَيْـلَ مُحْتَـاجٍ لِمُحْتَــاجِ

إِنَّ الْمَنَايَـا أَمَانِـي الأَفْضَلِيـنَ إِذَا خَافُوا الدَّنَايَا عَلى مَا كَانَ مِنْ حَـاجِ

بِيسَ الأَذِلَّـةُ، قَـوْمٌ ضَـلَّ سَعْيُهُـمُ فَرَمَّدُوا مَا شَوَوْا مِنْ بَعْـدِ إِنْضَـاجِ
وَاسْتَسْلَمُوا لِلدَّنَايَـا وَهْـيَ تُقْذِعُهُـمْ مِنْ حُبِّ أَوْلاَدٍ أَوْ مِنْ حُـبِّ أَزْوَاجِ

وَأَخْلَـدُوا لِلْأَمَانِـي، لاَ تُخَلِّدُهُــمْ، فَأُزْعِجُـوا لِلْمَنَايَــا أَيَّ إِزْعَــاجِ

حرف الحاء

قال عليه، ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، من سنة خمس وتسعين وألف:

يَالَيْلَـةً طَرِبَـتْ بِهَـا الـأَرْواحُ وَبِنَشْرِهَـا قَـد طابَـتِ الـأَرْوَاحُ
لاَحَتْ بِهَا الأَنْوارُ وَاضِحَـةَ السَّنَـا فَغَدَتْ بِهَـا ظُلَـمُ الأَسَـى تَنْـزَاحُ
قَـدْ عَمَّهَـا نُـورُ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ فَبِنُـورِهِ هِـيَ كُلُّهَــا إِصْبَــاحُ
صَلَّى عليهِ اللـهُ مَـا أَهْـدَتْ لَنَـا أَيَّــامُ مَوْلِــدِهِ سَنــاً يَلْتَــاحُ

وقال أيضا يوم ختم البخاريعلى شيخه أبي عبد الله سيدي مُحمد القسنطيني، الْمعروف بالكماد - أبقاه الله - يوم الْجُمُعَةِ السابع والعشرين من رمضان خَمس وتسعين (وألف):

يَـا بُـدوراً لَسْـتُ عَنْهَـا بِصَـاحْ مَـا لِقَلْبِـي عَـن هَواكُـمْ بَـراحْ
آهِ مِـنْ وَجْـدِي مِــنْ بَعْدِكُــمْ آهِ، رَوْحُ الْمُسْطَلِــي بِانْتِـــزاحْ
فَوَمَـا أَسْأَرْتُــمُ فِــي الْحَشَــا إِذْ سَقَانَـا الـوُدُّ رَاحــاً بِــراحْ
مِـنْ هَـوَى نَمَّـتْ بِـهِ أَدْمُعِــي إِذْ وَشَـى شَوْقِـي بِوَجْـدِي وَبَـاحْ
مَـا رَضِيـتُ مِـنْ لَـدُنْ أَرْقَلَـتْ (بِي) النَّـوَى شَيْئـاً يَسُـرُّ اللَّـوَاحْ
وَفُــؤَادِي مِــنْ لَــدُنْ بِنْتُــمُ فِي اغْتِبَـاقٍ بِالْجَـوَى وَاصْطِبَـاحْ
وَعَذُولِــي عَذْلُــــهُ ضَائِـــعٌ مِثْلَ مَـا ضَـاعَ سِـرَاجُ الصَّبَـاحْ
أَأُطِيـعُ عــاذِلاً فِــي هَــوَى مَنْ أَنَا مِـنْ حُبِّهِـمْ غَيْـرُ صَـاحْ
لاَ، وَهَـذَا الْحَبْـرِ مَـنْ أَنْجَبَــتْ بِمَعَالِيــهِ سُـــرَاةٌ صِبَـــاحْ
فَغَــذَاهُ الفَضْــلُ ذَرَّ السَّمَــاحْ وَسَقَــاهُ الْحِلْــمُ رَاحَ الفَلَــاَحْ

شَيْخُنَا الكَمَّادُ مَنْ ذِهْنُهُ حملَتْ مِنْهُ الْمَعَانِي السِّلاحْ

الْهُمَامُ الْبَرُّ مَنْ أَشْرَقَتْ بِسَنَا عِلْمِهِ دُهْمُ النَّوَاحْ

نَشَرَتْ هِمَّتُهُ فُوْقَهُ رَايَةَ الْمَجْدِ الصَّمِيمِ الصُّراحْ

وَالْعُلاَ أَلْقَتْ عَلَيْهِ مُلىً نَسَجَتْهَا بِيَمِينِ النَّجَاحْ

وَالْهُدَى أَصْلَتَ مِنْ فَهْمِهِ بِيَمِينِ الْيُمْنِ أَمْضَى الصِّفَاحْ

فَغَدَا السَّعْدُ بِه فِي ارْتِيَاحْ وَغَدَا الْوَجْدُ بِه فِي انْزِيَاحْ

فَاقَ مَا تُبْدِيهِ أَقْلاَمُهُ أَثَرَ الْبِيضِ وَسُمْرَ الرِّمَاحْ

فَاضِلٌ تُنْسِيكَ أَخْلاَقُهُ خُلُقَ الرَّوْضِ الأَنِيقِ الْبِطَاحْ

وَجْهُهُ يَبْرُقُ مِنْ بِشْرِهِ مِثْلَ مَا حَيَّتْكَ خَوْدٌ رَدَاحْ

قُلْ لِمَنْ قَدْ لَجَّ فِي مَدْحِهِ وَهَدِيلُ الْوُرْقِ غَيْرُ النُّبَاحْ

مَنْ يَرُمْ يَحْصُرُ أَمْدَاحَهُ حَلَّ فِي لُجَّةٍ عِيٍّ بَوَاحْ

أيَفِي شِعْرٌ بِمَدْحِ امْرِئٍ حَازَ عِلْماً ضَاقَ عَنْهُ الْبَرَاحْ

سَعِدَتْ كُتْبُ الْبُخَارِي بِهِ مُذْ غَدَا يُبْدِي سَنَاهَا وَراحْ

فَا لصَّحِيحُ نَشْرُهُ عَاطِرٌ ضَاعَ يَوْمَ الْخَتْمِ مِسْكًا وَفاحْ

بَسَمَتْ غُرُّ أَحَادِيثِهِ عَنْ وُضُوحٍ كَابْتِسَامِ الصَّبَاحْ

لاَ تَزَلْ تُبْرِزُ أَسْرَارَهُ كَالصَّبَا تُذْكِي أَرِيجَ الأَقَاحْ

وَشَذَا مَدْحِكُمْ فَائِحٌ مَا هَمَى مُزْنٌ وَهَبَّتْ رِيَاحْ

وقال أيضا في بعض عشايا البيع:

وَعَشِيَّةٍ، مَا كَانَ آنَقَ حُسْنُهَا تَبَلَتْ فُؤَادِي بِالسَّنَا الْوَضَّاحِ

خَلَعَتْ عَلَى الْبُسْتَانِ حُلَّةَ عَسْجَدٍ نَدَبَتْ حَلِيفَ الْوَجْدِ لِلْأَفْرَاحِ

فَلِذَا الْغُصُونُ تَمَايَلَتْ وَتَعانَقَتْ طَرَباً بِشَدْوِ بَلاَبِلِ الأَدْواحِ

وقال أيضا في بعض غداياه، أراه اللهو فيه غر ثناياه:

سَرِّحْ جِيَادَ اللَّحْظِ فِي ذِي الْبِطَاحْ قَدْ عَرْبَدَ النُّوَّارُ فِيهَا فَفَاحْ

وانْظُرْ إِلـىَ الْبُسْتَـانِ فِـي حلَّـةٍ قَدْ ذَهَّبَتْهَـا شمْـسُ هَـذا الصبَـاحْ

وَأَيْنَعَــتْ بِالنَّـــوْرِ أَفْنَانُـــهُ فَغَـرَّدَ الْقُمْـرِي عَلَيْهـا وَصـــاحْ

قَـدْ أَقْبَـلَ الأُنْـسُ وَفَـرَّ الأَسَـى وَأَدْبَـرَ النَّحْـسُ، وَجَـاَء النَّجَـاحْ

فَاشْرَبْ طِلَى الأَفْـراحِ فـي ظِلِّـهِ فَلَيْسَ فـي كَاسَاتِهَـا مِـنْ جُنَـاحْ

وقال، وقد زار أبا عمران سيدي موسى الراعي دفين زالغ:

قَصَدْتُ أَبَا عِمْرَانَ مُوسَى وَقَدْ طَغَتْ هُمُومِي على قَلْبِي الكَئِيبِ الْمُبَـرَّحِ

لِكَيْ (تَسْرَحَ) الآمَالُ فِي رَوْضِ جُودِهِ فَمَنْ لاَذَ بِالرَّاعِي يَسْـرَحْ وَيَمْـرَحِ

وقال وقد هبت ريح، هاجت له بعض التبريح، في صدوره عن زيارة مولانا عبد السلام متوجها إلى تطاون حرسها الله:

نَسَمَاتُ الأَحْبَـابِ فِـي ذَا الرِّيـحِ فَلِـذَا، لاَ يَـزَالُ يُنْعِـشُ رُوحِـي

إِنْ يَكُنْ طَالَ غَيْبَتِي عَـنْ ذُراهُـمْ فَفُـؤَادِي إِلَيْهِـمْ ذُو جُنُـــوحِ

كُلَّمَـا هَبَّـتِ النَّوَاسِـمُ مِـنْ تِـلْ قَائِهِـمْ، يَثْنِـي كَغُصْـنٍ مَـرُوحِ

وقلت ملغزا:

أُحَاجِيكَ عَـنْ تُفَّاحَـةٍ ذَاتِ بَهْجَـةٍ وَلَيْـسَ لَهَـا رِيـحٌ ذَكِـيٌّ فَتَنْفَـحُ

تُزَيِّـنُ لِلنَّاظِـرِ أَكْـلَ نَظِيرِهَـا وَفِـي أَكْلِهَـا دَاءٌ دَوِيٌّ مُبَـرِّحُ

علَى ذَاكَ لاَ تُلْفِي لَهَا الدهْـرَ عائِبـاً وَلَيْسَ لَهَا فِي رُؤْيَةِ الْعَيْـنِ مِقْـدَحُ

فَأَعْجِبْ بِهَا مُخْضَرَّةً بَعْـدَ صُفْـرَةٍ عَلَى أَنَّهَا مِنْ قَبْـلُ أَبْهَـى وَأَمْلَـحُ

وَيَحْمِلُهَـا خُـوطٌ كَخَيْـطٍ نَحَافَــةً وَكُبْرَى وَصُغْرَى دُونَهَا لَيْسَ يَرْجَحُ

وَعَنْ أَشْعَثٍ ذِي جُمَّةٍ لَيْـس يَبْـرَحُ إِذَا أَكْثَرَ النَّـاسُ الْمَفَاسِـدَ يَصْلُـحُ

تَراهُ علَى رَيْـبِ الزَّمَـانِ مُنَكَّسـاً وَيَحْنُو علَى الْمَظْلومِ دَأْبـاً وَيَنْصَـحُ

وَيَصْبِرُ لِلْبَلْـوَى وَيَحْتَمِـلُ الـأَذَى وَيَحْلُمُ عَمَّـنْ قَـدْ أَسَـاَء وَيَصْفَـحُ

مَنَافِعُـهُ بَيْـنَ الأَنَــامِ شَهِيــرَةٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَجْلِهَـا لَيْـس يَمْـدَحُ

حرف الخاء

قال عليه، من اللّٰه عليه بما يوصله إليه:

أَقُولُ لِمَنْ يُصِيخُ إِلىَ اصْطِرَاخِي فخَيْرُ القَوْلِ يَرْسَخُ فِي الصِّمَاخِ
لأَمْرِ اللهِ رَبِّكَ جَلَّ فَاقْصِدْ، أَجَلَّ النَّاسِ مَنْ لِلأَمْرِ وَاخ
وَأَصْلِحْ بَيْنَ نَفْسِكَ وَالسَّجَايَا الْ تِي تُرْجَى النَّجَاةُ بِهَا وَآخِ
تَوَقَّ الشَّرَّ لاَ تَضْرِمْ لَظَاهُ فَشَرُّ النَّاسِ مَنْ لِلشَّرِّ سَاخِ
وَعِرْضَكَ، كُنْ بِهِ أَبَداً ضَنِيناً، أَخَسَّ (الْخَلْقِ) مَنْ بِالْعِرْضِ سَاخ
سَخَاءكَ، إِنَّ عِرْضَكَ لَيْسَ يُنْقِي، وَبِذَلِكَ لاَ يُجِيبُ أَخَا اصْطِرَاخ
وَبِالتَّقْوَى على الأَزَمَاتِ تَقْوى فَأَهْوِنْ بِالرِّجَالِ بِلاَ طَبَاخِ
وَلاَ تَشْمَخْ بِأَنْفِكَ (يَا ابْنَ) طِينٍ فَبِيسَ الْمَرْءُ شَخْصٌ ذُو جِفَاخِ
وَأَنْضِجْ مَا رَأَيْتَ بِنَارِ فِكْرٍ فَإِنَّ الأَكْلَ مِنْ بَعْدِ اطِّبَاخ
وَفَكِّرْ فِي انْتِهَاءٍ، فِي ابْتِدَاءٍ وَشَاوِرْ ذَا الدَّهَاءِ لَدَى الْتِخَاخِ
فَإِنْ أَبْدَى السَّدَادَ سِرَاجُ ذِهْنٍ فَأَخْوَفُ مَا تَكُونُ مِنَ التَّرَاخِي
وَدِينَكَ لَنْ يَزِينَكَ غَيْرُ دِينٍ فَرَاغٍ، تَكُنْ لأَنْفِ الْخُسْرِ لاَخ
وَذَيْلَ مُرُوءةٍ فَاسْحَبْ وَجَانِبْ تَعِشْ بَرّاً مَوَدَّةَ ذِي انْتِفَاخ
وَبِالإِغْضَاءِ فَاقْتَنِصِ الْمَزَايَا عَنِ الْعَوْرَاءِ، فَهْوَ مِنَ الْفِخَاخِ
وَبِالْعِلْمِ انْتَهِجْ سُبْلَ الْمَعَالِي فَإِنَّ ظَلاَمَ لَيْلِ الْجَهْلِ طَاخ
تَعَفَّفْ، فَالْعَفَافُ أَجَلُّ حِلْيٍ إذَا مَا الفَقْرُ عَمَّكَ بِالنِّضَاخِ
وَوَفِّرْ مَاءَ وَجْهِكَ لاَ تُرِقْهُ تَرِدْ مَاءَ الْمَحَامِدِ ذَا انْتِضَاخ
(لَعُرْقُوبٌ) يَجِيءُ الشَّرُّ يَوْماً لِمُحَّتِهِ فَيُمْرَى بِامْتِخَاخِ
أَخَفُّ عَلَى الْفَتَى مِنْ عَرْفِ فَدْمٍ يَمُنُّ عَلَى الوَضُوخِ مِنَ النُّقَاخِ
وَرَبُّ الْكُوخِ وَالْقَصْرِ الْمُعَلَّى سَوَاءٌ، وَالزَّمَانُ إِلَى انْسِلاَخ
(وَبَيْضُ) السِّرِّ لاَ تُفْرِخْهُ يَوْماً فَشَرُّ (الشَّرِّ) سِرٌّ ذُو فِرَاخِ
وَلاَ تَخْضَمْ لِخَلْقٍ قَطُّ عِرْضاً فَيَبْقَى الْعِرْضُ مِنْكَ بِلاَ اتِّسَاخ
وسِمْ أَفْرَاسَ صَبْرِكَ بِارْتِيَاضٍ وسُمْ أَضْرَاسَ غَدْرِكَ بِامْتِلاَخ
وَأَعْدِدْ لِلزَّمَانِ لِبَاسَ بَأْسٍ وَكُنْ فِي النَّاسِ صَقْراً فِي الإِرَاخِ

وَوافِقْهُـمْ، وَرافِقْهُـمْ وَلَكِـنْ   مُرافَقَـةَ الْبَيَـادِقِ لِلرِّخَـاخِ

وَبِاللـهِ اسْتَعِـنْ وَاسْتَغْنِ عَنْهُـمْ   يَحِـنْ رَأْسُ الْمَذَلَّـةِ بِانْشِـداخ

وَحُكْمَهُـمُ انْبُـذَنَّ، فَكُـلُّ حُكْـمٍ   لَهُمْ يجْـرِي علـى أَيْـدي انْفِسَـاخِ

يَذُمُّـونَ الْفَقِيـرَ، فَـإِنْ أَتَـاهُ   غِنـىً، أطْـرَوْهُ بِالقَـوْلِ الجُلـاخِ

وَيُطْـرُونَ الغَنِـيَّ، فَـإِنْ تَـرَدَّى   بِفَقْـرٍ، فَهْـوَ مَهْجُـورُ الْمُنَـاخِ

وَيُضْحِي مِثْـلَ لَحْـمِ مِـنْ حُـوَارٍ   مُسِيخـاً، لا يُطَيَّـبُ بِانْطِبَـاخِ

بِـهِ تَقَـعُ الْمَصَائِـبُ لاَ بِظَبْـيٍ   لَدَيْهِـمْ فَاقِـدِ العَيْـشِ الرَّخَـاخِ

فَكُـنْ بِاللـهِ رَبِّ النَّـاسِ طُـرّاً   فَغَيْـرُ اللـهِ ظِـلٌّ ذُو انْتِسَـاخِ

وَأَقْـدَامُ افْتِقَـارِ الْخَلْـقِ فِيـهِ   لِبارِئِهِـمْ - عَـلاَ - ذَاتُ ارْتِسَـاخِ

فَـلاَ تُسْنِـدْ لِغَيْـرِ اللــهِ نَفْعـاً   تَصُنْ رَأْسَ الْيَقِينِ مِـنَ (افْتِضَـاخِ)

وَطَلِّـقْ بِنْـتَ ضَيْـرِكَ أُمَّ دَفْـرٍ   يُطَلِّقْـكَ الْهَـوَانُ بِـلا تَـرَاخِ

وَلاَ تَحْلُـلْ مَحَـلاًّ فِيــهِ لُــؤْمٌ   فَعَذْبُ الْمَـاءِ يَأْجَـنُ فِـي السِّبَـاخِ

وَصَلِّ عَلَـى رَسُـولِ اللـهِ تُرْفَـدْ   بِأَنْـوَارِ الْيَقِيـنِ لَــدَى ابْتِلَــاخِ

وَتُمْنَـحْ بَعْـدَ ضَيْقِـكَ بِاتِّسَـاعٍ   وَتُنْقَـلْ مِـنْ حُزُونِـكَ لِلسَّخَـاخِ

فَدُونَـكَ، فَاقْتَبِـسْ مِنْهَـا عُلُومـاً   وَدَعْ شِعْـراً يُضَـافُ إِلَـى قُلَـاخِ

وَزِنْهَـا بِالْمُنَظَّــمِ مِــنْ كَلَــامٍ   تَجِدْهَـا كَالْغِنَـاءِ مِـنَ الصُّـرَاخِ

حرف الدال

قال عليه ليلة مولد النبي صلى اللّه عليه وسلم:

يَالَيْلَـةً قَـدْ هَـامَ فيهـا فُـؤَادِي   لَـمْ أَكْتَحِـلْ شَغَفـاً بِهَـا (بِرُقَـادِ)

لِمْ لا وَقَدْ لاَحَتْ بِهَا الأَنْـوارُ مِـنْ   خَيْرِ الوَرَى تُبْـرِي مِـنَ الأَنْكَـادِ

صَلَّى عليهِ اللّهُ مـا (أَهْـدَتْ) لَنَـا   وَضَّـاحَ نُـورِهِ لَيْلَــةُ الْمِيلَــادِ

وقال في شيخه علم الهدى، المؤمن اقتفاؤه من الردى، مولانا أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي - أبقاه اللّه - وقد ختم قصيدته الفريدة التي أوّلُها:

عَرِّجْ بِمُنْعَرِجِ الْهِضَابِ الْوُرَّدِ

قراءة عليه، وعدد أبياتها خمسمائة وأربعون:

يَا حُسْنَهُ وَالْحُسْنُ قَيَّدْ   فِيهِ البَصيرَةَ إذْ تَأَوَّدْ

تَخِذَ الْمَلاحَةَ مَلْبَساً   وَكَسَا الْمَلامَةَ مَنْ تَبَلَّدْ

وَسَقاهُ حَيْثُ سَبَاهُ مِنْ   مَا يَزْدَري بِسُلافِ صَرْخَدْ

فَمَشَتْ حُمَيَّا حُبِّهِ   فِي لُبِّهِ فَصَبَا فَغَرَّدْ

غَنَّى! وَلَحْنُ غِنَائِهِ   أَرْبَى عَلى نَغَمَاتِ مَعبَدْ

وَشَدا بِمَا فيهِ التَّخَ   لُّصُ مِنْ عَناً لأَجْلِ مَقْصَدْ

عِقْدُ العُلاَ، وَالْحِسُّ يَشْهَدْ؛   لَوْلاَ ابْنُ مَسْعودٍ تَبَدَّدْ

كَهْفُ الوَرى الْحَسَنُ الذِي؛   دِينُ الإِلَهِ بِه مُؤَيَّدْ

حَبْرٌ يُبيدُ الحِبْرَ بَعْ   ضُ مَدِيحِهِ والْخُبْرُ يَشْهَدْ

عَلاَّمَةُ الدُّنْيا بِلاَ ثُنْيَا وَمِصْقَعُهَا الْمُسَدَّدْ

بَحْرُ الشَّريعَةِ وَالْحَقِي   قَةِ فَاضَ فَيْضاً لَيْسَ يُعْهَدْ

(بَذَّ) الذِينَ تَقَدَّمُوا؛   وَاسْتَشْهِدِ الأَخْبَارَ تُرْشَدْ

فَسَمِيُّهُ الْبَصْرِيُّ؛ لَوْ   رُزِقَ الْحَيَاةَ، لَهُ تَرَدَّدْ

حَسَنُ الْحُلَى هُوَ وَالعُلاَ   أَخَوانِ، ذاكَ بِذاكَ يُعْضَدْ

بَيْنَ الْهُدَى وَفِعالِهِ وَمَقالِهِ حِلْفٌ مُؤَكَّد

مَنْ ضَلَّ عَنْ أَعْلامِهِ   لمْ يَدْرِ كَيْفَ اللهُ يُعْبَدْ

عُجْ بِالْحِمَى مِنْ حُبِّهِ؛   إِنْ شِئْتَ فِي الدَّارَيْنِ تَسْعَدْ

وَحَذَارِ صُحْبَةَ نَاقِصٍ؛   وَتَرَاكِ مَن يَأْبَى وَيَأْبَدْ

مَنْ لَمْ يَجِدْ فِي حُبِّهِ   طَعْمَ الْحَلاوَةِ لَيْسَ يُحْمَدْ

مَنْ لَمْ يَرِدْ مِنْ بَحْرِهِ الْ   عَذْبِ الْمَوَارِدِ لَنْ يُسَدَّدْ

عَكْسُ النَقِيضِ مُوافِقٌ؛   لِمُرِيدِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدْ

وَالدِّينُ والدنْيا لِمَنْ   وَالَى مَوَدَّتَهُ بِمَرْصَدْ

وَاليُمْنُ وَالإِقْبَالُ فِي   لَفْظِ الثَّنَاءِ عليهِ مُغْمَدْ

كَنْزُ الْغِنَى هُوَ وَالْعَنَا   مِمَّا تَبَايُنُهُ مُؤَبَّدْ

لاَ يَعْرُجَنَّ إِلَى العُلاَ   مَنْ لمْ يَلُذْ مِنْهُ بِمِصْعَدْ

لاَ يَفْتَحَنْ بَابَ الْمُنَى   مَنْ لَمْ يَفُزْ مِنْهُ بِمِقْلَدْ

يَفْرِي دَيَاجِيرَ الْهَوَى   مَنْ يَقْتَدِي مِنْهُ بِفَرْقَدْ

وَيُجَارُ منْ جَمْعِ الْعِدَى   مَنْ يَنْتَمي مِنْهُ لِمُفْرَدْ

يَعْنُو لَهُ الْجَبَّارُ ذُو ال   بَتَّارِ وَهْوَ بِهِ مُقَلَّدْ

وَيَهَابُهُ مَنْ لمْ يَذُقْ   لِودَادِهِ طَعْماً فَيُرْعَدْ

سِرٌّ مِنَ الرحْمَانِ لاَسِرٌّ منَ السُّلْطانِ أَخْمَدْ

وَعِنَايَةُ الرَّبِّ الرؤُو   فِ أَذَلَّتِ الْبَطَلَ الْمُزَرَّدْ

قَدْ جَاَء شَمْسَ مَعَارِفٍ   وَالْجَهْلُ أَتْهَمَ ثُمَّ أَنْجَدْ

وَالدِّينُ مَفْصُومُ الْعُرَى   وَالغَيُّ أَبْرَقَ ثمَّ أَرْعَدْ

وَالْحَقُّ مَفْلُولُ الشَّبَا   وَالبَغْيُ صَارِمُهُ مُهَنَّدْ

وَالْخَيْرُ فَاعِلُهُ تَبَدَّدْ   وَالشَّرُّ مُوقِدُهُ تَوَدَّدْ

وَالْغَرْبُ غَرْبُ (نَجَاتِهِ)   مُتَخَرِّقٌ، وَالْبَأْسُ مُوقَدْ

وَبُغَاثُهُ مُسْتَنْسِرٌ وَسَرَاتُهُ سُرَّتْ بِجَدْجَدْ

وَشَحَا الرَّدَى أُفْوَاهَهُ   (فُضَّتْ) لِبَلْعِ وُلَاَةِ أَحْمَدْ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا نَصَرَ الإِلَهُ بِهِ وَأَيَّدْ

وَالآلِ والأَصْحابِ مَنْ   نَصَروا النَّبِيَّ بِكُلِّ مِجْدَدْ

مِنْ كلِّ نَجْمٍ طَالِعٍ فِي بُرْجٍ سَامِي الجِيدِ أَجْرَدْ

وَالْعِلْمُ مِمَّا قَدْ عَرَا   فِيمَا أَقَامَ جَوىً وَأَقْعَدْ

يَبْكِي قَوَاعِدَهُ كَمَا   أبْكَى لَبِيداً فَقْدُ أَرْبَدْ

فَأَعَادَ مِنْ أَنْوَارِهِ مَا قَدْ خبَا، وَالْعَوْدُ أَحْمَدْ

وَبَنَى قَوَاعِدَهُ وَشَيَّدْ   وَحَوَى شَوَارِدَهُ وَقَيَّدْ

وَأَبَادَ مِـنْ سُحْـبِ الْجَهَـا لَـةِ مَـا تَكَاثَـفَ أَوْ تَكَلَّـدْ

وَسَقَـى رِيَـاضَ فُنُونِـهِ فَاخْضَرَّ مِنْهَـا كـلُّ أَمْلَـدْ

فَتَتَّقَـتْ أَزْهَارُهَـا وَتَأَرَّجَتْ فـي كُـلِّ مَعْهَـدْ

وَسَرَى لأَقْصَى الأَرْضِ مِنْ نَفَحاتِهَـا مُبْـرِي الْمُسَهَّـدْ

وَرَمَـى الضَّلَـالَ بِأَسْهُـمٍمِنْ سُنَّـةِ الْهَـادِي فَأَقْصَـدْ

فَالدِّيـنُ أَصْبَـحَ ضَاحِكـاً حُلْوَ الْحُلَى فِـي زَيٍّ فَوْهَـدْ

لِـمْ لاَ وَقَـدْ (زُفَّـتْ) لَـهُ الْ غَـرَّاءُ حَالِيَـةَ الْمُقَلَّـدْ؟

وَأَدَارَ خَمْـرَ حَقَائِـقٍ لِلَّـهِ مَـا أَحْلَـى وَأَرْغَـدْ!

ثَبَتَـتْ لَهَـا الأَفْـرَاحُ إِذْ رَقَصَتْ لَهَا الـأَرْوَاحُ مِـنْ دَدْ

مَـنْ ذَاقَ مِنْهَـا شُرْبَـةً أَوْلَتْـهُ سُكْـراً لَيْـسَ يَنْفَـدْ

فَـإِذَا صَحَـا مِنْهَـا بِهَـا طَرَقَتْـهُ لِذَاتِهَـا فَعَرْبَـدْ

آخَـى بِهَـا بَيْـنَ الْعِبَـادِ فَأَصْلَحَتْ مَـا الصَّحْـوُ أَفْسَدْ

عَـرِّجْ بِأَنْجَـادِ الْعُـلاَ مِـنْ أَرْضِـهِ، تَسْعَـدْ وَتُنْجَـدْ

تَجِـدِ الْمُنَـى دَانِـي الْجَنَـى وَتُصَافِـحِ الآمَـالَ بِالْيَـدْ

وَتَـرَ الْجَلَـالَ مُخَيِّمـاً فِي بُـرْدِ مِفْضَـالٍ مُمَجَّـدْ

وَالْبِشْـرَ يُغْشِـي نُـورُهُ عَيْـنَ الْعَنَـا، وَالْوَجْـدُ يُطْـرَدْ

وَالْفَضْـلَ مَنْثُـورَ اللِّـوَا ءِ لِمَـنْ تَصَـوَّبَ أَوْ تَصَعَّـدْ

وَالْحِلْـمَ رَاسٍ طَـوْدُهُ وَقَصَائِـدَ الإِرْشَـادِ تُنْشَـدْ

وَالْعِلْـمَ مَـاجَ عُبَابُـهُ يُـرْوِي وَيُشْبِـعُ مَـنْ تَـوَرَّدْ

مَـنْ لَـمْ يَطُـفْ بِحِمَـاهُ بَـيْ تِ الْمَكْرُمَـاتِ فَلَيْـسَ يُرْفَـدْ

(مَـنْ لَـمْ يُشَاهِـدْ دَرْسَـهُ وَنَفَائِـسُ الأَبْحَـاثِ تُـورَدْ

وَالنُّجْـحُ دَانٍ وَالْوَقَـا رُ يَحُـفُّ مِنْـهُ أَغَـرَّ أَوْحَـدْ

وَجَـدَا الصَّـوَابِ يُمِـدُّهُ هَطَّالُـهُ بِزُلَـالِ مَدْمَـدْ

وَالْبِشْـرُ يُوعِـدُ بِالْمُنَـى وَسَحَائِـبُ الأَوْهَـامِ تُبْعَـدْ

وَاللَّفْــظُ يَجْلُــو خُــرَّداً   قَــدْ زَفَّهَــا الْفِكْــرُ الْمُؤَيَّــدْ

وَالْفَهْــمُ يُنْشِــدُ مَــنْ تَبَلَّــدْ   لَبَّيْــكَ أَبْشِــرْ لاَ تَأَلُّــد

لَــمْ يَجْنِ تَمْــرَ الْعِلْــمِ بَــلْ   لَــمْ يَـدْرِ كَيْفَ الْعِلْمُ يُنْشَـدْ)

مَــنْ مُبْلِــغُ عَنِّــي الْمُسَــا   عِـدَ والْمُعَانِـدَ حيْـثُ شَـرَّدْ

لِيَطِيــبَ ذَا نَفْســاً فَيَحْمَــدْ   وَيَزِيــدَ ذَا رِجْســاً فَيَحْــرَدْ

أَنِّــي اقْتَنَيْــتُ مِــنَ الْعُــلاَ   مَــا لاَ يُحَــدُّ وَلاَ يُعَــدَّدْ

جَالَسْــتُ فَخْــرَ الدِّيــنِ وَالْ   إِرْشَـادُ بَيْــنَ يَدَيْــهِ يُسْــرَدْ

وَسَمِعْــتُ عِــزَّ الدِّيــنِ إِذْ   أَمْلَــى قَوَاعِدَهُلِـــرُوَّدْ

وَشَهِدْتُ سَعْـدَ الديـنِ قَـدْ   أَقْــرَا مَقَاصِــدَهُ لِقُصَّــدْ

وَرَأَيْــتُ مَجْـدَ الدينِــوَالْ   قَامُــوسُ مُشْكِلُــهُ يُقَيَّــدْ

فَأَفَادَنِــي مِــن نَظْمِــهِ ال   مُــزْرِي بِأَسْلَـاكِ الزبَرْجَـدْ

عَــرِّجْ بِمُنْعَــرِجِ الْهِضَــا بِ، يَتِيمَــةِ الْعِقْـدِ الْمُنَضَّــدْ

وَقَصِيــدَةٌ قَصَــدَتْ حُلَــى ال   إِبْـدَاعِ مِــنْ مَثْنــىً وَمَوْحَـدْ

نَظَمَـتْ مِــنَ الأَمْثَــالِ مَـا   لَــمْ يَنْتَظِــمْ بِطُلَـى مُجَلَّـدْ

وَحَـوَتْ مِــنَ الــآدَابِ مَـا   لَــمْ يَحْــوِ دِيــوَانُ الْمُبَــرِّدْ

يُبْــدِي نَسِيـــمُ نَسِيبِهَــا   لُطْفـاً، صَبَابَــةَ مَــنْ تَجَلَّـدْ

وَتَقُــودُ رَاحَـــةَ وَعْظِهَــا   مَنْ قَـدْ قَسَـا قَلْبـاً بِمِقْــوَدْ

ومَدِيحُهَــا يُنْسِيــكَ مَــا   صَــاغَ الْمُخَضْـرَمُ وَالْمُوَلَّـدْ

لِـــمْ لاَ وَدُرُّ عُقُـــودِهِ لِمُــؤَازِرِ الإِسْلَــامِ مُسْنَــدْ؟

ذَاكَ ابْـــنُ نَاصِرالــــذِي   نَصَـرَ الرشَــادَ وَقَــدْ تَنَهَّــد

شَمْس ُ الْهُـدى مُـرْدِي الــردَى   غَيْـثُ النَّـدى الْمَوْلَـى مُحَمَّــدْ

سَحَّــتْ علَــى جَــدَثٍ حَــوَى   مِنْـهُ النَّصِيــرَ لِمَــنْ تَشَهَّــدْ

وَالْعِلْـــمَ ذَا التَّحْقِيـــقِ وَالْ   نُّصْـحَ الْعَمِيــمَ لِكُــلِّ مُهَتَّــدْ

وَأَسَــحَّ مِــنْ وَبْــلِ الْحَيَــا   وَأَعَــمَّ مِنْــهُ جَــداً وَأَفْيَــدْ

وَمَــدَارَ أَنْــوارِ الْهُــدَى وَمَنَــارَ عِرْفَــانٍ وَسُــؤْدَدْ

هَطْــلاَءُ مِــنْ رَوْحِ الــذِي   أَبْقَــى مَآثِــرَهُ تُــرَدَّدْ

وَأَنَالَهَــا مِــنْ بَعْــدِهِ   مِصْبَاحَنَــا ذَا اللَّــذْ تَوَقَّــدْ

نُــورُ الزمــانِ أَبُــو عَــلِ يٍّ عِزُّ مَــنْ لَبَّــى وَوَحَّــدْ

مَــنْ لاَ يُحَــاوِلُ شَــأْوَهُ فِــي حَــلِّ إِشْكَــالٍ تَعَقَّــدْ

وَسَــلِ الــدُّرُوسَ أَوِ الطُّــرُو   سَ، فَإِنَّهَــا لَيْسَــتْ تُفَنَّــدْ

إِنْ شَــبَّ جَمْــرَ ذَكَائِــهِشَاهَـدْتَ (كُومَ) الْجَهْلِ تَصْخَدْ

وَإِذَا انْتَضَــى مِــنْ هَدْيِــهِ   عَضْبــاً، رَأَيْـتَ الزَّيْـغَ يُحْصَدْ

فَكَــأَنَّ سَيْــفَ اللــهِ عِــنْ   دَ الشَّــامِ قَــدْ شَــامَ الْمُهَنَّــدْ

أَوْ حَمْزَةًوَهْــوَ الْغَضَــنْ   فَــرُ يَقْصِــمُ الْجُنْــدَ الْمُجَنَّــدْ

أَوْ ذَا الفَقَّارِيَقُــدُّ مِــنْ   جَمْـعِ الْخَــوَارِجِ مَــا تَمَــرَّدْ

أَوْ عَضْبَ عَمْــرٍوذَا الصَّــرَا   مَــةِ يَــوْمَ فَارِسَــإِذْ تَجَــرَّدْ

سَجَــدَتْ رُؤُوسُهُــمُ لَــهُ وَالْفُــرْسُ لِلنِّيــرَانِ سُجَّــدْ

مَوْلَــايَ يَــا مَــنْ حَــاكَ مِــنْ   غَــزْلِ الْبَلاَغَــةِ كُــلَّ مِحْفَــدْ

وَرَوى أَحادِيــثَ الفَضَــا   ئِلِ وَالْمَنَاقِبِ عَــنْ مُسَــدَّدْ

عَــنْ نَاصِرِ الدِّيــنِ بْــنِ نَــا   صِرٍ الــذِي أَحْيَــا وَجَــدَّدْ

شِعْــرِي أَتَــاكَ وَوَجْهُــهُ   بِحَيَائِــهِ مِنْكُــمْ مُــوَرَّدْ

رَفَّلْتُــهُ بِمَدِيحِكُــمْ إِذْ مِنْــهُ (لِلإِسْعَــادِ) يَصْعَــدْ

وَعَقَلْتُــهُ بِعُلاكُــمُ فَلِــذَا الــرَّوِيُّ بِــهِ مُقَيَّــدْ

إِنْ كَــانَ سَــاءَ مِزَاجُــهُ   وَشَوَى، فَأَنْضَجَ ثُــمَّ رَمَّــدْ

وَأَسَــاءَ إِذْ أَهْــدى الزُّيُــو   فَ لِمَعْدِنَــيْ: وَرِقٍ وَعَسْجَــدْ

بَــلْ قَطْــرَةً مِــنْ آسِــنٍ لِلنِّيـلِ حِيــنَ طَمَــى وَأَزْبَــدْ

فَاعْــذِرْهُ يَــا مَوْلَــايَ إِنَّ الْعُــذْرَ عِنْدَكُــمْ مُمَهَّــدْ

هَــذا وَإِنَّ تَأَنُّقِــي مَا مَدَّ نَحْوَ جَنَاهُ مِنْ يَــدْ

قَطفَتْــهُ رَاحَــةُ حُبِّكُــمْ مِـنْ رَوْضِ فِكْـرٍ غَيْـر أَغْيَــدْ
أَذْوَتْــهُ إِعْصَــارٌ تَــهُ بٌّ عَلَيْـهِ مِـنْ لَفَحَــاتِ حُقَّــدْ
وَ (قَبُولُكُــمْ إِيَّــاهُ) يَــا مَوْلَــايَ! يَرْفَعُــهُ فَيَسْعَــدْ
وَيُفَاخِــرُ الــدُّرُّ الــذِي فِـي جِيـدِ أَجْيَـدَ قَـدْ تَنَضَّــدْ
هَـبْ لِـي رِضَـاكَ فَمَـنْ يَفُـزْ بِرِضَـاكَ يَقْهَـرْ كُـلَّ أَصْيَـدْ
وَيَهِجْ تَحَــرُّقَ كُـلِّ أَوْغَـدْ فَيَحِـنْ غَـدَاةَ الْيَــوْمِ أَوْ غَــدْ
فَلَقَـدْ تَعَــوَّدْتُ الرِّضَــى وَ (الْقَـرْمُ) يَحْفَـظُ مَـا تَعَــوَّدْ
أَبْقَــى (الإِلَــهُ) وُجُودَكُــمْ وَالْبِــرُّ فِــي الدُّنْيَــا مُخَلَّــدْ
يَحْيَــى فَيُوجَــدُ حِيــنَ يُفْقَــدْ مَنْ لَيْسَ يُفْقَـدُ حِيـنَ يُوجَــدْ

وقال في خطاب ولده الفقيه النبيه، الدراكة أبي عبد الله سيدي محمد في إعانته على إصلاح أصله من القصيدة المذكورة لتصحيف في المكتوب منه:

يَــا مَــنْ مَآثِــرُهُ عَدِيــدَهْ وَشَبَــاةُ فِطْنَتِــهِ حَدِيــدَهْ
وابـنَ الــذِي حَلَّــى مُرِيــدَهْ بِسُمــوطِ إِرْشَــادٍ مُفِيــدَهْ
أَعِـنِ ابــنَ زاكــورٍ علَــى إِصْلَــاحِ هَاتِيــكَ القَصِيــدَهْ
بِحُضُورِكُــمْ إِنْ كَــانَ لاَ يُدْنِــي مَرَاتِبَــكَ البَعِيــدَهْ
أَوْ فَابْعَــثِ الــأَوْرَاقَ مَــعْ مَــنْ رَاقَ ذَا سِيَــرٍ حَمِيــدَهْ
ونَرُدُّهَــا عَمَّــا قَــرِي بٍ تَزْدَهِــي مِنْهَــا الْخَرِيــدَهْ
أَبْقَــى الإِلَــهُ وُجُودَكُــمْ لِيُجِيـدَ مِـنْ ذَا الدَّهْــرِ جِيــدَهْ

وقال يمدح السلطان نصره الله:

أَمْلَــى الْهَنَــا وَالسَّعْــدُ رَدَّدْ: نَصْــرٌ لِمَوْلَانَــا مُؤَيَّــدْ
وَسَعَــادَةٌ مَعْقُــودَةٌ بِبُنُــودِهِ فِــي كُــلِّ مَشْهَــدْ
وَسَلَامَــةٌ تُهْــدِي لَــهُ الْ آمَــالَ وَاضِحَــةَ الْمُقَلَّــد
وَصَرَامَــةٌ تَجْنِــي لَــهُ زَهْـرَ الْمُنَـى مِـنْ كُـلِّ مَقْصَـدْ
وَعَزَائِـمٌ تَسْبِــي لَــهُ الْ أَعْـدَاءَ مِـنْ مَثْنَــىً وَمَوْحَــدْ

وَغَنَائِمٌ تُسْبَى لَهُ مِمَّنْ عَنِ الأَذْعَانِ عَرَّدْ

مَوْلَايَ إِسْمَاعِيلُ مَنْ   جُنْدُ الإِلَهِ بِهِ مُؤَيَّدْ

مَوْلَايَ إِسْمَاعِيلُ مَنْ   جَمْعُ الْعُدَاةِ بِهِ مُبَدَّدْ

مَلِكٌ عَلاَ فَوْقَ الْعُلاَ وَالْعَفْوُ عَنْ ذِي الْجُرْمِ يَشْهَدْ

مَلِكٌ تَنَاهَى حَمْدُهُ   إِذْ لَيْسَ مَا فِي النَّاسِ يُحْمَدْ

فَالسَّعْدُ مِنْ أَنْصَارِهِوَالْحِلْمُ رَائِدُهُ الْمُسَدَّدْ

وَلَهُ مِنَ الرُّعْبِ الذِي   يُفْنِي العِدَا جُنْدٌ مُجَنَّدْ

أَوْ لَيْسَ مِنْ أَبْنَاءِ خَيْ   رِ الْخَلْقِ مَوْلاَنَا مُحَمَّدْ؟

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا دَامَتْ مَوَاهِبُهُ تَجَدَّدْ

وَالرُّعْبُ كَانَ يَؤُمُّهُ شَهْراً، فَيَخْذُلُ كُلَّ مُبْعَدْ

لاَ بِدْعَ فِي أَنْ يَقْتَنِي   مَا لِلأَبِ، الْوَلَدُ الْمُمَجَّدْ

يَغْشَى الْوَغَى مُسْتَبْشِراً   وَالْبَأْسُ مِنْهَا قَدْ تَوَقَّدْ

وَالضَّرْبُ أَبْرَقَ ثُمَّ أَرْعَدْ   وَالطَّعْنُ أَتْهَمَ ثُمَّ أَنْجَدْ

وَالسُّمْرُ تُغْرَسُ فِي الْكُلَى   وَالْبِيضُ فِي الأَعْنَاقِ تُغْمَدْ

وَالأَرْضُ تُكْسَى حُلَّةً   بِدَمِ الْمُجَدَّلِ وَالْمُقَدَّدْ

فَهُنَاكَ يَزْهَدُ فِي الدُّنَى   إِذْ لَيْسَ فِي الإِقْدَامِ يَزْهَدْ

وَهُنَاكَ يَعْظُمُ بِشْرُهُ   وَالْوَيْلُ مِنْهُ لِكُلِّ أَصْيَدْ

فَيَفُلُّ جَمْعَ كُمَاتِهَا وَيَحُلُّ مِنْهَا مَا تَعَقَّدْ

يَثْنِي نَجَاةَ مَنِ انْثَنَى   وَيَقُدُّ جِلْدَةَ مَنْ تَجَلَّدْ

وَاللَّيْثُ أَبْطَشُ مَا يَكُو   نُ إِذْ تَبَسَّمَ أَوْ تَأَوَّدْ

شَبِّهْ بِهِ الْمِقْدَامَ لَيْ   ثَ اللهِ حَمْزَةَ ذَا الْمُهَنَّدْ

أَوْ جَدَّهُ الْمَوْلَى أَبَا حَسَنٍ يُدَمِّرُ مَنْ تَمَرَّدْ

أَوْ فَارِسَ الْيَرْمُوكِ سَيْ   فَ اللهِ خَالِداً الْمُخَلَّدْ

أَوْ صَاحِبَ الصَّمْصَامِ لَيْ   ثَ الْقَادِسِيَّةِ حِينَ يَنْهَدْ

أَوْ جَدَّهُ النَّفْسَ الزَّكِ   يَّةَمِنْ سَنَا الْمَنْصُورِ أَخْمَدْ

دَعْ ذِكْــرَ بَسْطَامٍوَعَنْـــتَ   رَةَ الْفَــوَارِسِ حِيــنَ يَحْــرَدْ
وَرَبِيعَـــةَ بْـــنِ مُكَـــدَّمٍ وَدُرَيْدِهِـــمْ وَأَخِيـــهِ مَعْبَـــدْ
وَمُلاَعِـــبِ لأَسِنَّـــةٍ   وَابْـنِ الطُّفَيْـلِ خَلِيـلِ أَرْبَـدْ
هَــذَا الْمُلاَعِـــبُ لِلـــأَسِنَّـةِ إِذْ جَبِيــنُ الْحَـرْبِ أَسْــوَدْ
هَــذَا الْمُصَـــادِمُ وَالْمُقَـــا   وِمُ وَالْمُسَـــدَّدُ وَالْمُؤَيَّـــدْ
هَــذَا الْمُضَـــارِبُ وَالطَّـــا   عِـنُ، فَضْـلُ هَـذَا لَيْسَ يُجْحَـدْ
هَـــذَا الْمُقَـــوَّمُ رُمْحَـــهُ فِـي ثَغْـرَةِ الْبَطَــلِ الْمُــزَرَّدْ
هَــذَا الْمُبَــدِّدُ مَـــنْ تَـــأَ   لَّـبَ فِــي الْغَوَايَــةِ إِذْ تَــوَدَّدْ
هَــذَا الْمُرَفِّـــعُ كُـــلَّ (أَرْوَعَ) وَالْمُعَفِّــرُ كُــلَّ أَوْغَـــدْ
هَـــذَا الْمُنَظِّـــمُ فَضْلُـــهُ   عِقْــدَ الْمَعَالِـي اللَّــذْ تَبَــدَّدْ
هَــذَا الــذِي بِحُلَــى الْمَفَــا   خِــرِ وَالْمَآثِــرِ قَــدْ تَفَــرَّدْ
هَــذَا الــذِي بِمُلَــى الْمَحَــا   مِـدِ وَالْمَمَــادِحِ قَــدْ تَــزَرَّدْ
هَــذَا الــذِي يَــرْوِي أَحَــا   دِيـثَ الْفَضَائِـلِ عَــنْ مُسَــدَّدْ
هَــذَا الــذِي عَــادَتْ بِــهِ   أَفْرَاحُنَــا وَالْعَــوْدُ أَحْمَــدْ
فَحَيَاتُنَـــا بِوُجُـــودِهِ لِلَّــهِ مَــا أَهْنَــا وَأَرْغَــدْ!
وَجَمِيعُنَــا عَــنْ جُــودِهِ الْ   عَـذْبِ الْمَـوَارِدِ لَيْسَ يُطْـرَدْ
أَخَلِيفَـــةَ اللـــهِ الـــذِي   كُــلُّ الْفَخَــارِ إِلَيْــهِ مُسْنَــدْ
شِعْــرِي ازْدَهَــى بِمَدِيحِكُــمْ   حَتَّــى ازْدَرَى بِحُلَـى الزَّبَرْجَـدْ
أَرْبَـــى تَنَاسُـــقُ نَظْمِـــهِ بِكُـمْ علَــى الْعِقْـدِ الْمُنَضَّــدْ
فَاخْلَــعْ عَلَـــى أَعْطَافِـــهِ   حُلَـلَ الرِّضَــى، فَبِـذَاكَ يَسْعَـدْ
وَقَــاكَ مَــنْ أَسْمَــاكَ مِــنْ   شَــرٍّ تَصَــوَّبَ أَوْ تَصَعَّـــدْ
وَبَقِيـتَ يَــا شَمْــسَ الْهُــدَى   رُكْـنَ الْمَلَــاذِ لِمَــنْ تَشَهَّــدْ
وَاصْعَــدْ أَمِيــرَ الْمُؤْمِنِـــي   نَ وَدُمْ قَرِيـرَ الْعَيْــنِ وَاسْعَــدْ
وقال أيضا فيه:

اللــهُ أَكْـرَمَ آلَ دِيــنِ مُحَمَّــدٍ   بِمَلِيكِهِـمْ نَجْـلِ الشَّرِيـفِ الأَمْجَـدِ

مَوْلـاَيِ إِسْمَاعِيـلُ مَـنْ نَعْمَاتُــهُ لَـمْ تَغْتَـرِبْ وَنَوَالُـهُ لَـمْ يَبْعُــدِ

وقال أيضا يخاطب مفتي الْجزائر، العلامة الماهر، أبا عبد الله سيدي محمد بن الإمام الأعظم، سيدي سعيد بن إبراهيم مستنجزا منه إجازة وعده بها، وقد عزم على الرحيل:

قَدْ آنَ أَنْ يُنْجَزَ الْوَعْدُ الـذِي وَعَـدَا   مَنْ لاَ نَرى حَازَ ما قَدْ حـازَهُ أَحَـدَا

وَمَنْ حَوى العلمَ والْمَجْدَ الصُّراحَ مَعاً   وَمَنْ رَوى عَنْ أَبِيهِ البِـرَّ وَالرَّشَـدَا

سَمِيُّ خَيْرِ الوَرى مُفْتِي الْجَزَائِرِ مَنْ   مِنْ بَحْرِهِ اغْتَرَفَتْ أَحْبَارُهَـا مَـدَدَا

مَوْلاَيَ أَسْرَفْتَ فِي إِنْظَـارِ مُنْتَظِـرٍ   إِجَازَةً وَهْيَ أَسْنَى ما بـه اعْتَضَـدَا

لاَ تُمْطِلَنْهُ فَفِي مَطْلِ الْغَنِـيِّ أَتَـتْ   آثَارُ صِدْقٍ بِـأَنَّ الظُّلْـمَ فيـهِ بَـدَا

وَأَنْتَ أَعْلَمُ أَهْـلِ العصْـرِ قاطِبَـةً بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ هذَا، فَقَـدْ جَحَـدَا

أَجِزْ وَأَنْجِزْ، فَلاَ عُرِّيتَ منْ شَرَفٍ،   إِجَـازَةً لَـمْ تُغَـادِرْ لَكُـمْ سَنَــدَا

إِذَا ظَفِرْتُ بِهَا، أُنْشِدُ مِـنْ طَـرَبٍ بُشْرَى! فَقَدْ أَنْجَزَ الإِقْبالُ مَا وَعَـدَا

يَـا أَيُّهَـا الْبَحْـرُ إِلاَّ أَنَّ لُجَّتَــهُ   تَرْمِي الْفَوَائِدَ وَالأَحْكَـامَ لاَ الزَّبَـدَا

أَبْقَاكَ رَبِّـي ذَا حَـالٍ يَغَـصُّ بِهَـامَنْ رَاحَ يُضْمِرُ بُغْضاً لَكُـمْ وَغَـدَا

وَلاَ يَـزَالُ سَلـاَمٌ كَالْعَبِيـرِ شَــذاً يَأْتِيكَ مَا هَاجَ طَيْراً شَجْـوُهُ فَشَـدَا

وقال في ولي الله سيدي أبي زيد الهزميري:

أَنَخْتُ هُمُومِي عِنْدَ بَابِ أَبِـي زَيْـدِ   فَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي وَزَادَتْ عَلَى الأَيْدِي

عَسَى مَا أَتَاهُ اللّهُ مِنْ مُذْهِـبِ الْعَنَـا   يُصَافِحُ آمالِـي بِناعِشَـةِ الأَيْـدِي

وقال أيضا:

شَمْسَ الأَصِيـلِ تَرَفَّقِـي بِفُـؤَادِي   مَـاذاَ جَلَبْـتِ لَـهُ مِـنَ الأَنْكَــادِ

أَوْقَدْتِ نَـارَ كَآبَـةٍ فِـي أَضْلُعِـي   وَقَدَحْتِ زَنْدَ الشَـوْقِ فِـي الأَكْبَـادِ

(لَمَّا) نَشَرْتِ بُرُودَ تِبْـرٍ (بِالرُّبَـى)   وَبَسَطْتِ بُسْطَ التِّبْـرِ فِـي الأَنْجَـادِ

فَحَكَيْتِ يَوْمَ الوَصْلِ فِي رَأْدِ الضُّحَى   مَعَ الْغُرُوبِ حَكَيْـتِ يَـوْمَ بِعَـادِي

وقال في بعض زيارة ولي الله سيدس موسى الراعي:

أَبَا عِمْـرَانَ قَـدْ جِئْنَـا إِلَيْكُـمْ نُؤَمِّـلُ عِنْدَكُـمْ حُسْـنَ الْمُــرَادِ

فَعِنْـدَكَ مـا يُرَجِّيــهِ الْمُعَنَّــى وَعِنْـدَكَ مَـا يُؤَمِّلُــهُ الْمُنَــادِي

قَصَدْنَا بَحْـرَ جُـودِكَ وَهْـوَ طَـامٍ وَنَحْنُ لِعَذْبِـهِ الْمَـرْوِي صَـوَادِي

قَصَدْنَـا رَوْضَ فَضْلِـكَ وَهْـوَ زَاهٍ وَقَدْ شَمَتَـتْ بِنَـا زُمَـرُ الأَعَـادِي

قصَدنَـا حِمَـاكَ مُجْتَمَـعَ الأَمَانِـي عَلَى حِينَ اشْتَفَـتْ مِنِّـي الْعَـوَادِي

قصَدنَا حِمَـاكَ وَهْـوَ مَحَـلُّ نُـورٍ عَلَى حِيـنَ ادْلَهَمَّـتْ لِـي بِلَـادِي

وَصَيَّرَنِـي بِهَـا فَـرْداً غَرِيبــاً لَـدَى الأَهْلِيـنَ مَـا أَفْنَـى تِلَـادِي

أَرَاعِي مَـنْ أَتَـاهُ ارْعَ الـذِي قَـدْ أَتَـاكَ بِوُلْـدِهِ مِـنْ كُـلِّ عَــادِ

أَتَـاكَ بِصِبْيَـةٍ زُغْــبٍ فِــرَاخٍ تَمُـدُّ لِحَـبِّ جَـدْوَاكَ الْهَــوَادِي

تَوَسَّـلْ لِـي إِلَـى خَيْـرِ الْعِبَـادِ مُرِيـحِ الْخَلْـقَ فِـي يَـوْمِ الْمَعَـادِ

رَسُـولِ اللـهِ مَوْلاَنَـا الْمُرَجَّــى لِكَشْـفِ الضُّـرِ مِقْبَـاسِ الرَّشَـادِ

صَلَــاةُ اللـــهِ مُهْدِيـــهِ إِلَيْنَـــا عَلَيْهِ مَا شَدَا فِـي الـرَّوْضِ شَـادِ

وَآلِـهِ وَالصِّحَـابِ وَمَـنْ تَلاَهُـمْ بِإِحْسَـانٍ إِلَـى يَــوْمِ التَّنَــادِي

أَرَبَّ الْخَلْـقِ بِالْمُخْتَــارِ أَسْبِــلْ عَلَـيَّ مَوَاهِبـاً مِثْــلَ الْعِهَــادِ

فَأَيْـدِي صِبْيَتِـي مُـدَّتْ إِلَيْكُــمْ لِتَظْفَـرَ مِـنْ نَوَالِـكِ بِالأَيَــادِي

وَنَزِّهْنَـا عَـنْ أَغْـرَاضِ الْعِبَــادِ وَسَدِّدْنَـا إِلَـى طُـرُقِ السَّــدَادِ

وَقَرِّبْنَـا مِـنْ أَسْبَـابِ التَّنَــادِي وَبَاعِدْنَـا عَـنْ أَسْبَـابِ الْبِعَــادِ

بِأَصْلِ الأَصْلِ، شَمْسِ الرُّسْلِ مُفْنِـي ظَلَـامَ الْمُبْطِلِيـنَ أَجَـلِّ هَــادِ

صَلاَتُـكَ لاَ تَـزَالُ عليـهِ تَتْـرَى مُعَطَّـرَةً لَهَـا الرِّضْـوَانُ حَــادِ

تَعُـمُّ الـآلَ وَالأَصْحَـابَ طُـرّاً وَسَالِـكَ نَهْجِهِـمْ فِـي كُـلِّ نَــادِ

وقال أيضا في ولي الله تعالى أبي محمد سيدي عبد المجيد دفين قرب أبي عبد الله التاودي، نفعنا الله بهما آمين:

زِدْ فَضْـلَ ذِي الْعَـرْشِ الْمَجِيــدِ بِحِمَـى الرِّضَـى عَبْـدِ الْمَجِيــدْ

وَاطْلُبْ رِضَاهُ بِبَابِهِ بِالنَّظْمِ وَالْقَوْلِ الْمُفِيدْ

وَانْظِمْ هُنَاكَ قَصِيدَةً   بِمَدِيحِهِ نَظْمَ الْفَرِيدْ

فَبِمَدْحِهِ يَسْمُو الْقَرِيـ   ـضُ وَيُسْتَطَابُ بِهِ النَّشِيدْ

وَيُحُوزُ مَادِحُهُ الْفَخَا   رَ عَلَى زِيَادٍ أَوْ عَبِيدْ

وَقُلِ: الْعُبَيْدُ بِبَابِكُمْ   يَرْجُو الشِّفَاءَ وَلاَ مَزِيدْ

يَا سَيِّدِي عَبْدَ الْمَجِيدْ   يَا أَيُّهَا الآَسِي الْمُجِيدْ

يَا كَنْزَ مَنْ قَدْ أَمَّهُ يَرْجُو الطَّرِيفَ أَوِ التَّلِيدْ

يَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ بَحْـ   ـرِ النُّورِ وَالطُّولِ الْمَدِيدْ

يَا مَنْ تَوَلَّهَ عَقْلُهُ بِمَحَبَّةِ الْمَوْلَى الْحَمِيدْ

يَا لَلْوَلِيِّ الْمُنْتَشِي بِكُؤُوسِ خَمْرٍ لاَ تَبِيدْ

قَبْلَ الْوُجُودِ أَدَارَهَا   رُوحُ الْمُدِيرِ عَلَى الْمُرِيدْ

سَكِرَتْ بِهَا وَالْكَرْمُ لَمْ   يُخْلَقْ حَلَى رُوحِ السَّعِيدْ

أَنَّى لَهَا مِنْ مَبْدَإٍ   وَسُلاَفُهَا الْمُبْدِي الْمُعِيدْ؟

مَنْ ذَاقَ مِنْهَا نُغْبَةً فَهْوَ الرَّشِيدُ أَوْ الشَّهِيدْ

فَاهْنَأْ بِهَا مِنْ سَكْرَةٍ قَدْ أَمَّنَتْكَ مِنَ الْوَعِيدْ

وَغَدَتْ بِهَا أَيَّامُ دَهْرِكَ، كُلُّهَا عُرْسٌ وَعِيدْ

أَرْقَتْكَ لِلْفِرْدَوْسِ مِنْ   قَبْلِ ا لنُّزُولِ إِلَى الصَّعِيدْ

أَبْقَتْكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُفْـ   ـنِي الْمُبْطِلِينَ مِنَ الْعَبِيدْ

فَاغْنَمْ بِهَا بَاقِي النَّعِيـ   ـمِ فَكُلَّمَا نَقَصَتْ تَزِيدْ

وَأَصِخْ لِمَنْ نَادَاكُمُ بِنَتَائِجِ الْفِكْرِ الْبَلِيدْ

بِالْمُوقِضَاتِ الْمُنْهِضَا   تِ عَزَائِمِ الْبَطَلِ النَّجِيدْ

عَجِّلْ لَهُ مَا رَامَهُ   مِنْ بِرِّكَ الْمُبْرِي الْعَمِيدْ

وَلِمَنْ يَزُورُ ضَرِيحَكُمْ   وَلْهَانَ فِي زَيِّ الْوَلِيدْ

وَلِمَنْ بِمَدْحِ جَلاَلِكُمْ   أَغْرَاهُ ذُو الرَّأْيِ السَّدِيدْ

وَاشْفَـعْ لَنَـا يَـا سَيِّـدِي لأَمَـانِ ذِي الْبَطْـشِ الشَّدِيـدْ

(وَبِخَيْـرِ) خَلْـقِ اللــهِ مَـوْ لانَـا مُحَمَّــدٍ الْوَحِيــدْ

سَنَـدِي رَسُـولِ اللــهِ خَـا تِـمِ رُسْلِـهِ بَيْـتِ الْقَصِيـدْ

أَزْكَـى الصَّلَـاةُ يَعُلُّـهُ رَيْحَانُـهُ أَبَـدَ الأَبِيـدْ

وَيَعُـمُّ آلَـهُ وَالصَّحَـا بَـةَ مِنْ ذَوِي الْفَخْـرِ الْمُشِيـدْ

وقال على لسان من يليق به ذلك:

أَحَقًّا عِبَـادَ اللـهِ أُمْنَـعُ مِنْ وَرْدٍ تَبَدَّى بِلَحْظِي فِي خُدُودِ رَشاً هِنْدِي؟

لَقَدْ صَدَّنِي عَـنْ شَمِّـهِ وَاقْتِطَافِـهِ بِطَرْفٍ عَلِيلٍ، لا بِسَيْفٍ سَمَرْقَنْـدِي

عَلَى أَنَّنِي أُفْنِي الْجُيُوشَ بِصَارِمِـي وَأَبْرُزُ يَوْمَ الرَّوْعِ كَالأَسَـدِ الْـوَرْدِ

وقال وقد مات والده رحمه الله:

فَمَوْتُ أَبِي يَا رَبِّ أَحْـرَقَ فَجْعُهَا فُؤَادِي وَأَبْدَى مَا أُكِنُّ مِنَ الْوَجْـدِ

فَكُنْ سَيِّدِي عَوْناً عَلَى مَا أَتَـتْ بِـهِ مُصِيبَتُهُ تِلْكَ التِي أَوْهَنَتْ عَضْـدِي

وَعَامِلْهُ بِالغُفْرَانِ وَالصَّفْحِ وَالرِّضَى وَلاَ تُحْرِمَنْهُ اللّهُ مِنْ جَنَّـةِ الْخُلْـدِ

وَأَجْـزِلْ قِـرَاهُ، إِنَّ عَبْـدَكَ جَائِـعٌ لِفَضْلِكَ يَا مَنْ لاَ يَضِنُّ عَلَى الْعَبْـدِ

بِجَـاهِ إِمَـامِ الْمُرْسَلِيـنَ مُحَمَّــدٍ عَلَيْـهِ صَلَـاةٌ مِنْـكَ فَاقِـدَةُ الْحَـدِّ

وَسَلِّمْ عَلَى الـآلِ الكِـرامِ وَصَحْبِـهِ غُيوثِ النَّدى بَانِي ذُرَى المَجْدِ بِالجِدِّ

وقال:

سَحَّتْ عَلَيْكَ، مُحَمَّـدُ بْـنُ مُحَمَّـدٍ صَلَّى عَلَيْهِ اللـهُ، رَحْمَـةُ سَيِّـدِي

وَجَزَاكَ رَبُّ العَرْشِ أَفْضَلَ مَا جَزَى سُبْحَانَـهُ، أَهْـلَ الْعُـلاَ وَالسُّـؤْدَدِ

يَقْتَـادُهُ شَـرَفٌ قَدِيــمٌ حُزْتَــهُ مَـعَ بِـرِّ وَالِـدِكَ الْمُرَفَّـعِ أَحْمَـدِ

لاَ خَانَـهُ صَبْـرٌ عَلَيْـكَ فَإِنَّــهُ مِفْتَـاحُ فَضْـلِ اللـهِ دُونَ تَـرَدُّدِ

وقلت في استدعاء الإجازة له على حسب اقتراحه، أي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الفتوح:

أَلاَ الحمْدُ للّهِ الـذِي مِنْـهُ إِرْشَـادِي وَتَعْلِيمُ جَهْلِي وَالصَّلاَةُ عَلَى الْهَـادِي

وَبَعْدُ، فَإِنَّ ابْنَ الْفَتُوحِ الرِّضَى قَـرَا   عَلَـى شَيْخِنَـا الْكَمَّادِنُخْبَـةِ أَمْجَـادِ
إِمَـامٌ أَتَانَـا مِـنْ قُسَنْطِينَـةٍ لَــهُ بِهَا رُتْبَـةٌ تُعْشَـى عُيُونـاً لِحُسَّـادِ
قَـرَا فَـدرَى أَلْفِيَـةً لاِبْـنِ مَالِـكٍ وَمَتْنَ خَلِيلٍ نَاقِـعٍ غُلَّـةَ الصَّـادِي
وَصُغْرَى وَكُبْرَى مَعْ فَوَائِدِ غَيْرِهَـا   وَفِي بَعْضِهَـا إِقْـرَارُ أَعْيُـنِ رُوَّادِ
وَقَدْ رَامَ مِنْـهُ الـآنَ كَتْـبَ إِجَـازَةٍ   تَكُونَ لَـهُ حِلْيـاً كَأَسْلَـاكِ أَجْيَـادِ
يُبَارِي بِهَا رَيْبَ الْمَنُونِ مَتَى انْبَرَى   وَيَجْعَلُهَـا لِلنَّائِبَـاتِ بِمِرْصَـادِ
فَأَبْقَـى الإِلَـهُ فَضْلَكُـمْ يَـا مُقِـرَّهُأَجِزْ مُنْجِزاً، لاَ زِلْتَ رَوْضاً لِمُرْتَـادِ

وفي التهنئة بولد، من البحر - يعني مخلع البسيط - غير أنه لا تذييل فيه وهو مولد كما قبله - والله أعلم -:

أَسْعَــدَكَ اللــهُ بِالْوَلَــدْ   يَــا أَيُّهَــا السَّيِّــدُ السَّنَــدْ
عَرَّفَــكَ اللــهُ يِمَنِّــهِ مُكَثِّــراً لَكُــمُ الْمَــدَدْ
وَنِلْتُــمُ خَيْــرَ ذَا الْبَلَــدْ   بِوَالِــدٍ مَــعْ مَــا وَلَــدْ

وللرئيس القائد عبد الخالق - أعزه الله -:

إِنَّ التِـي سَفَكَـتْ دَمِـي بِجُفُونِهَـا تَحْتَ الثَّرى، يَا لَوْعَتِي مِنْ بَعْدِهَـا
بَانَتْ وَقَدْ عَـزَّ الْمَـزَارُ، أَعَاذِلِـي،فِي وُدِّهَا، فِي فَقْدِهَـا، فِـي بُعْدِهَـا
(وذيلهما محمد بن زاكور باقتراحه، فقال عفا الله عنه):

بَانَتْ فَبَانَتْ (رَاحَتِي مِنْ سَاحَتِـي)   وَاسْتَأْصَلَتْ فَرحِي الْهُمـومُ بِحَدِّهَـا
أَشْكُو إِلـى سِـرِّ الزَّمـانِ سَرِيِّـهِ الْقَائِـدِ الأَعْلَـى نِكَايَـةَ جُنْدِهَـا
رَاحَتْ فَرَاحَتْ رَاحَتِي مِنْ رَاحَتِـي   إِذْ رَاحَتِي فِي وَصْلِهَا مِنْ (صَدِّهَـا)
وَبِلَحْظِهَـا أَوْ لَفْظِهَـا أَوْ وَعْظِهَـا فِـي (عَطْفَـةٍ) مُدْنِيَـةٍ مِـنْ وُدِّهَـا
وَخِطَابِهَـا بِعِتَابِهَـا مِمَّـا بِهَـا   مِنْ قَسْوَةٍ أَوْ نَخْـوَةٍ فِـي قَصْدِهَـا
وَخُطُورِهَـا بِقُصورِهـا مُرْتَجَّــةً أَرْدَافُهَا مِـن تَحْـتِ صَعْـدَةِ قَدِّهَـا
وَقِيَامِهـا بِمَقَامِهـا مَمْلُــوءَةً   عَجَباً بِمَا أَجْنَتْـهُ رَوْضَـةُ خَدِّهَـا
وَدَلاَلِهَـا بِجَمَالِهـا وَكَمالِهَـا   غَيْظاً لِجَارَتِهَا وَتَرْحَـةَ نِدِّهَـا

وَبِلَهْوِهَا أَوْ زَهْوِهَا بِنَعِيمِهَا وَشَمِيمِهَا الْمُزْرِي بِنَفْحَةِ نَدِّهَا
مَنْ لِي بِذَلِكَ كُلِّهِ؟ كَلاَّ فَلاَ مَنْ لِي بِهِ إِلاَّ شَمَاتَةُ ضِدِّهَا؟
ولي في معنى ذلك (تذييلا):
أَبْلِغْ (لَهَا) مِنِّي تَحِيَّةَ ذِي هَوىً مَا إِنْ يُحَدُّ بَسِيطُهَا وَمَدِيدُهَا
مَحْفُوفَةً بِخُلوصِهِ وَصَفَائِهِ يُبْدِي مَحَاسِنَ وُدِّهِ وَتُعِيدُهَا
وقال في (المدح):
يَا مَنْ أَلَحَّ عَلَيَّ فِي الإِنْشَادِ وَمَدِيحُ شَيْخِي غُنْيَةُ الْقُصَّادِ
أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي وَذَاكَ مُرَادِي لَوْ أَنَّنِي أَحْظَى بِبَعْضِ مُرَادِي

أَمَّا الْمَدِيحُ فَإِنَّهُ مِنْ صَنْعَتِي قِدْماً، وَحَوْكُ بُرُودِهِ مِنْ عَادِي
لَكِنْ عَجِزْتُ وَحُقَّ لِي عَنْ مَدْحِ مَنْ مُدِحَتْ بِهِ زُمَرٌ مِنَ الأَمْجَادِ
وَأَبَتْ لَهُ هِمَّاتُهُ مَيْلاً إِلَى ال تَّشْرِيفِ بِالآبَاءِ وَالأَجْدَادِ
وَرَأَى الكمالَ بِأَن يكونَ كمالُهُ يَسْرِي إِلى الآبَاءِ وَالأَوْلاَدِ
وَإِلَى الزَّمانِ مَعَ الْمَكانِ كَمَطْلَعِ ال أَنْوارِ مِنْهُ وَمَوْضِعِ الْمِيلاَدِ
إِيهٍ قُسَنْطِينَةٌ فَخَارُكِ فَافْخَرِي أَنْ كُنْتِ مَنْشَأَهُ على بَغْدَادِ
وَتَطاوَلِي حتَّى تَفُوقِي قَلْعَةً نُسِبَتْ لَدَيْكِ إِلَى بَنِي حَمَّادِ
وَارْقَيْ عُلاً مَهْمَا تَبَارَى وَازْدَرَى بِالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
أَنْجَبْتِ فِي العَصْرِ الأَخيرِ بِفاضِلٍ سَادَ الْمُقَدَّمَ عَصْرُهُ مِنْ هَادِ
وَنُتِجْتِ بَدْرَ مَحَاسِنٍ، أَضْوَاؤُهُ مُزْرِيَةٌ بِالْكَوْكَبِ الْوَقَّادِ
بِرِجَالِهَا تَسْمُو الْبِلاَدُ فَهُمْ لَهَا كَالدُّرِّ فِي اللَّبَّاتِ وَالأَجْيَادِ
وَالْغَيْثِ لِلْمِجْدَابِ أَوْ كَالْمَاءِ لِلْهُفَانِ وَالأَرْوَاحِ لِلأَجْسَادِ
وَلَفَاسُنَا أَوْلَى بِذَاكَ (لِكَوْنِهِ)فِيهَا الْمَنَارَ مَنَارَ رُشْدٍ بَادِ
وَالْبَحْرَ بَحْرَ الْعِلْمِ يَقْذِفُ لُجُّهُ الْ عَذْبُ الْمَوَارِدِ جَوْهَرَ الإِرْشَادِ
وَالرَّوْضَ رَوْضَ الْبِشْرِ يُثْمِرُ دَوْحُهُ دَوْحَ الْمُنَى بِمُؤَمَّلِ الرُّوَّادِ
وَالْغَيْثَ غَيْثَ الْفَضْلِ يُمْطِرُ وَبْلُهُ وَبْلَ الْغِنَى بِمُبَدِّدِ الأَنْكَادِ

وَالطَّوْدَ طَوْدَ الْحِلْمِ لَيْسَ يَسُومُـهُ ال   رَّجفَـانُ عِنْـدَ تَزَلْـزُلِ الأَطْـوَادِ
وَالْبَدْرَ بَدْرَ الْحُسْنِ يَسْطَـعُ نُـورُهُ   لِلْمُجْتَلِـي بِالْيُمْـنِ وَالإِسْعَـادِ
وَالشَّمْسَ شَمْسَ النُّبْلِ بَاهِرَةَ السَّنَـا   تَقْضِـي لأَشِعَّتِهَـا عَلَـى الْحُسَّـادِ
دَامَتْ لَنَا وَلِمَنْ يَـرُودُ بِهَـا الْمُنَـى   مَخْصُوصَـةً بِمَحَامِـدِ الْحَمَّـادِ
وقال مجيبا للصالح بن المعطي - أصلحه الله - بهدية:
زَادَكَ اللـهُ يَـا خَلِيلِـي رُشْـداً   لَمْ أَجِدْ مِـنْ هَـوَى مَعَالِيـكَ بُـدَّا
غَيْرَ أَنِّي أَخْرَسَتْنِـي عَـنْ مُجَـارا ةِ القَرِيضِ الْمُبْتَدِي مِنَ الـدُّرِّ عِقْـدَا
قُلْتُ: صَالِحٌ قَدْ عَلاَ غَارِبَ الفَـضْ   لِ وَيَعْلُو الذِي اقْتَنَى الْفَضْـلَ عَبْـدَا
فَعَلَيْـكَ السَّلَـامُ إِذْ لَـمْ أُطِـقْ مَـا قُلْتَـهُ يَقْتَفِيـكَ غَـوْراً وَنَجْـدَا

وَلَكَ الفَضْلُ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ بَيْنَ أَهْلِ الكَمالِ قُرْباً وَبُعْدَا
لاَ بَعَدْتُمْ بَلْ زِدْتَ قُرْبـاً أَيَـا صَـا   لِحَ أَهْـلِ الْـوِدَادِ عَقْـداً وَعَهْـدَا
وفي سيدي علي بن داودنفعنا الله به، وقد زرت مقامه أسماه الله:
بَابُ نَدَاكَ الْجَزِيـلِ غَيْـرُ مَسْـدُودِ   وَمَـنْ تَيَمَّمَـهُ لَيْـسَ بِمَطْـرُودِ
وَكَيْفَ يُطْـرَدُ مَلْهُـوفٌ لَـهُ غِلَـلٌ إِلَى مَـوَارِدَ عَـذْبٍ غَيْـرِ مَحْـدُودِ
بَحْرٌ مِنَ الْفَضْلِ مَرْدُودٌ لَـهُ لُجَـجٌ   زَرَتْ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ غَيْـرِ مَـوْرُودِ
بَحْرٌ طَمَى إِذْ نَمَا إِلَـى عَلِـيٍّ عَـلاَ   عَلَـى الأَعَالِـي عَلِـيِّ بْـنِ دَاوُدِ
إِذْ ذَاكَ يَأْوِي إِلَى رُكْـنٍ شَدِيـدٍ لَـهُ   مِنْ سُؤْدَدٍ بَاهِرٍ كَالْبِيضِ فِي السُّـودِ
ومن المقول قديما، جوابا لصاحبنا الأديب الحاج علي مندوصة - سدده الله -:
هَدِيَّتُـكَ الْعُظْمَـى أَصَـارَ قَبُولَهَـا قَرِيضٌ لَكُمْ كَالْعِقْدِ مَا عَنْهُ مِـنْ بُـدِّ
وَمَا كَانَ رَدِّي إِنْ (يَكُنْ) وَهْوَ لَمْ يَكُنْ   لِشَيْءٍ سِوَى رِفْقِي بِمُسْتَخْلِصِي وُدِّي
وَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْ غَرَامَـةِ صَاحِبِـي وَإِلاَّ فَمَالِي مِنْ سَبِيـلٍ إِلَـى الـرَّدِّ
وَهَذِي مُجَارَاةُ الْقَرِيضِ اسْتَطَعْتُهَـا   وَشُكْرُ الـذِي أَوْلَيْتُـمُ فَاقِـدُ الْحَـدِّ
وفي مديح، من هو أهل للمدح الصريح، من أهل الرأي النجيح:
كُـلُّ يَـوْمٍ لَـكَ عِيـدُ الْـوَدُودِ   يَا هِلَـالَ الْعِيـدِ فِـي عَيْـنِ غِيـدِ

أَنْتَ لِلأَعْيَادِ عِيدٌ وَزَيْنٌ   فَهَنِيئاً بِسَنَاكَ لِعِيدِ

وَهَنِيئاً لَكَ بِالْعِيدِ أَيْضاً   (مَفْخَرِ) الدِّينِ وَزَهْوِ السَّعِيدِ

مَنْ يَرَى مِنْكَ هِلاَلاً بِعِيدِ   يَجْتَلِي عِيدَيْنِ وَقْتَ الشُّهُودِ

أَيْ، يَرَى يَوْماً عَظِيماً شَهِيداً يَا لَهُ فِي دِينِنَا مِنْ شَهِيدِ

وَيَرَى شَمْسَ سَنَاءٍ تَبَدَّتْ   فَتَهَادَتْهَا بُرُوجُ السُّعُودِ

أَيْ يَرَى وَجْهَ كَرِيمٍ كَرِيمٍ   يَتَدَلَّى لِكَدُودٍ كَدُودِ

يَحْتَظِي مِنْهُ الْعَدِيمُ بِعُدْمٍ حِينَ يَبْدُو بِوُجُودٍ بِجُودِ

عَشِقَتْ مِنهُ الْمَعَالِي مَجِيداً لاَ مَجِيدٌ لِعُلاً عَنْ مَجِيدِ

رَاقَ فِي جِيدِ الزمانِ حُلاَهُ   مِثْلَ مَا رَاقَ حُلَيٌّ بِجِيدِ

فَلَهُ الْحُسْنُ الذِي حَرَّكَ الْغَيْرَةَ لِلْغَادَةِ ذَاتِ الْعُقُودِ

وَلَهُ الوَجْهُ الْبَهِيجُ الْمُجَلِّي ظُلُمَاتٍ مِنْ نَوَائِبَ سُودِ

وَلَهُ الذِّكْرُ الذَّكِيُّ شَذَاهُ   وَلَهُ الْعِرْضُ النَّقِيُّ الْجُلُودِ

وَلَهُ الْحَمْدُ الأَنِيقُ الْعُقُودِ وَلَهُ الْمَجْدُ الرَّقِيقُ الْبُرُودِ

وَلَهُ الْفَضْلُ الْمُبَارِي نَدَاهُ   لُجَجَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ الْمَدِيدِ

وَلَهُ الْعَقْلُ الْمُجَلِّي سَنَاهُ   ظُلَمَ الْخَطْبِ الثَّقِيلِ الشَّدِيدِ

وَلَهُ الطَّبْعُ السَّلِيمُ مَتَى مَا زِيدَ مَدْحاً، قَالَ: هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟

وَلَهُ سَعْدٌ يُرَى فِي السُّعُودِ   بِمَكَانِ جَدِّهِ فِي الْجُدُودِ

فَكِلاَ الْجَدَّيْنِ أَشْرَفُ جَدٍّ   أَيْ، أَبٍ عَالٍ وَبَخْتٍ عَتِيدِ

وَلَهُ النَّفْسُ التِي أَكْسَبَتْهُ   مِدْحاً مِنْ ذِي مَقَالٍ سَدِيدِ

يَقْتَدِي - إِنْ قَالَ شِعْراً بِحَقٍّ -   بِلَبِيدٍكُفْئِهِ فِي النَّشِيدِ

كُلَّمَا هَمَّ بِنَظْمِ الْقَوَافِي   جَاءَهُ كُلُّ قَرِيبٍ بَعِيدِ

يَرْتَقِي مِنْ صُنْعِهِ لِلثُّرَيَّا   بَعْدَمَا كَانَ لَقىً فِي الصَّعِيدِ

يَا أَبَا الْعَالِي الْمَقَامِ عَلِيٍّ   دُرَّةَ التَّاجِ عَلَى رَأْسِ رُودِ

يَا ابْنَ عَبْدِ الخَالِقِ الحُرِّ الاسْمَى   حِينَ عَمَّ الْخَلْقَ خُلْقُ الْعَبِيدِ

يَا ابْنَ لَيْثٍ مَلأَ الأُسْدَ رُعْباً (فَغَدَوْا) مِنْ خَوْفِهِ كَالْفُهُودِ
يَا ابْنَ رَأْسِ النَّاسِ مِنْ خَيْرِ نَاسٍ يَا شَجاً مَنْ نَاسُهُ كَالْقُرُودِ!
دُمْ صَبَاحاً فِي مَسَاءِ الْوَدُودِ وَمَسَاءً فِي صَبَاحِ (الْحَسُودِ)
وَنَهَاراً مُشْمِساً لِمُحِبٍّ وَهزِيعاً مُظْلِماً (لِلْعَنِيدِ)
وَكَمَا أَنْتَ غَزِيزاً حَمِيداً شَاكِراً فَضْلَ عَزِيزٍ حَمِيدِ
وقال في الرثاء:
سَقَى أُمَّ الْعَلاَءِ وَبِنْتَ مَجْدٍ سَحَائِبُ رَحْمَةٍ نَشَأَتْ بِحَمْدِ
بِحَمْدِ النَّاسِكِينَ لَهَا علَى مَا حوَتْ مِنْ خَصْلَتَيْ نُسْكٍ وَزُهْدِ
وَمِنْ عَطْفٍ وَمَرْثِيَةٍ لِخَلْقٍ إذَا مَا أزْمَةٌ طَرَقَتْ بِجَهْدِ
وَذَاكَ الزُّهْدُ لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ لِأَنَّ الْجَدَّ جَدَّ لَهَا بِجِدٍّ
فَأَمْكَنَهَا وَوَاصَلَ كلَّ وصْلٍ فَأَعْيَتْهُ وَصَدَّتْ كلَّ صَدِّ

وَقَدْ بَرزَتْ لَهَا الدُّنْيَا قَدِيماً بِزَيِّ مُحَرِّقٍ عَمْرِو بْنِ هِنْدِ
فَمَا مَدَّتْ إلَيْهَا (عَيْنَ) وُدٍّ نَعَمْ، مَدَّتْ إلَيْهَا (عَيْنَ) نَقْدِ
فَأَبْصَرَتِ الْمَنَايَا فِي مُنَاهَا وَكُلَّ هِباتِهَا بِظُرُوفِ رَدِّ
فَمَا قَبِلَتْ لَهَا هِبَةً، هَوَاناً لَهَا وَتَقَذُّراً، لِعَطَاءِ مُكْدِ
حُلَى، مَنْ أُلْبِسَ التَّقْوَى رِداءً لَهُ مِنْ مُلْحَمِ التَّوْفِيقِ مُسْدِ
وَلَمْ يَرْكَنْ إِلَى أَصْلٍ وَفَرْعٍ وَعِزَّةِ (وَالِدَيْنِ) وَجَاهِ وُلْدِ
على أَنْ لَمْ تُعَاشِرْ غَيْرَ أُسْدٍ وَغَيْرَ أَسَاوِدٍ فَتَكَتْ بِأُسْدِ
وَغَيْرَ مِحَشِّ نِيرانٍ لِحَرْبٍ وَرَاكِبِ جَامِحِ الأُرْبَى بِلِبْدِ
وَرَبَّتْهَا لُيُوثُ وَغىً وَرَبَّتْ شُمُوسَ مَمَالِكٍ وَنُجُومَ سَعْدِ
وَقَدْ زَادَتْ بِمَنْ وَلَدَتْ عَلاَءً فَمَا وَقَفَتْ بِمَنْ وَلَدَتْ بِحَدِّ
بِحَدِّ سِيَادَةٍ مَعَهُ انْتِهَاءٌ لِجُمْلَتِهَا بِحَزْرٍ أَوْ بِعَدِّ
وَمَا اتَّكَلَتْ عَلَى مَا أَسَّسُوهُ مِنَ (الْمَأْثُورِ) مِنْ حَسَبٍ وَمَجْدِ
وَمَا اغْتَرَّتْ بِمَا اعْتَزَّتْ أُنَاسٌ بِهِ مِنْ سُؤْدَدٍ لِأَبٍ وَجَدِّ

وَلَكِـنْ شَمَّـرَتْ لأَجْـلِ ذُخْـرٍ تَحُوزُ بِهِ الْمَـدَى عَـنْ سَـاقِ جِـدِّ

فَمَـا يُـدْرَى لَهَـا ثَلْـمٌ بِغَـرْبٍ يُوَهِّنُهَـا وَلاَ صَـدأٌ بِحَـدِّ

وَقَـدْ سَعِـدَتْ فَكَـانَ لَهَـا اتِّعَـاظٌ بِمَنْ شَقِيَـتْ عَلَـى صَعَـرٍ بِخَـدِّ

أَسَنَّـتْ فِـي سِيَادَتِهَـا فَشَنَّـتْ عَلَيْهَـا الْحَمْـدَ وَهْـوَ أَجَـلُّ زَرْدِ

كَذَاكَ وَمَا اسْتَكَانَـتْ حَيْـثُ كَانَـتْ عَلَـى حَـالٍ لِـذِي حَـلٍّ وَعَقْـدِ

لِمَـا قُلْنَـا عَدَدْنَـا النَّـوْحَ بَوْحـاً بِنَيْـلِ الـرَّوْحِ لاَ وَجْـداً بِفَقْـدِ

فَطَعْمُ الفَقْـدِ خَـوْفَ النَّقْـدِ أَحْلَـى لَدَى ذِي الْعَقْـدِ مِـنْ شُهْـدٍ بِزُبْـدِ

فَلاَ بَرِحَـتْ هِبَـاتُ اللـهِ جَلَّـتْ مَوَاهِبُـهُ تَهُـبُّ لَهَـا بِلَحْـدِ

وَلاَ عَدِمَـتْ بِمَـا وَجَـدَتْ سَبِيـلاً إِلَى الْخَيْـرَاتِ رَوْحَ جِنَـانِ خُلْـدِ

وقلت فيه:

ضَرِيـحُ ابْـنِ دَاوُدٍ إِذَا زَارَهُ الْـوُدُّ تَجَلَّتْ لَهُ الأَفْـرَاحُ وَانْهَـزَمَ الضِّـدُّ

وَأَنْشَدَهُ مِنْ نَفْسِـهِ مُزْعِـجُ الْمُنَـى: ظَفِرْتَ بِمَا تَرْجُو وَسَاعَـدَكَ السَّعْـدُ

وقلت فيه أيضا:

مَقَـامُ ابْـنِ دَاوُدٍإِذَا حَلَّـهُ الْعَبْـدُ أَلَظَّ بِهِ الإِقْبَـالُ وَالْيُمْـنُ وَالسَّعْـدُ

وَآنَـسَ أُنْسـاً بِالْفُـؤَادِ مُضَاعَفـاً تَزِيدُ بِهِ السَّلْـوَى وَيَنْقَشِـعُ الْحِقْـدُ

وقلت:

أَخَذْنَا طَرِيـقَ الْقَـوْمِ حَمْـداً لِسَيِّـدٍ هَدَانَا لَهَا عَنْ خَيْـرِ هَـادٍ وَمُهْتَـدِ

عَنِ الْحَسَنِ الْيُوسِيعَنْ نَجْلِ نَاصِرٍ وَعَنْ نَجْلِ هَذَا أَحْمَـدَ بْـنِ مُحَمَّـدِ

عَلَيْهِ عَنِ الرَّقِّي عَبْـدِ الإِلَـهِ عَـنْ مُسَـدِّدِهِ الْحَاجِـي مَوْلـَايَ أَحْمَـدِ

عَلَـى قُطْبِـهِ الْغَازِيعَلَـى بَلَدِيِّـهِ عَلَـي سِجِلْمَاسِـيِّ أَصْـلٍ وَمُحْتَـدِ

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا الأَحْمَدُونَ ابْنُ يُوسُـفٍ فَزَرُّ وقُفَ ابْنُ عُقْبَةٍ مُنْقِـذُ الـرَّدِي

نَمَـاهُ قَرَافِـيٌّ فَتَـى ابْـنِ عَطَائِـهِ لِمُرْسِـيِّ هِـذِي الشَّاذِلِـيِّ الْمُؤَيَّـدِ

بِعَبْدِ السَّلاَمِ قُطْبِ الأَقْطَـابِ كُلِّهِـمْ فَكُـلٌّ بِـهِ لِلْفَخْـرِ يُدْلِـي بِأَوْحَـدِ

فَلاَ تَحْتَشِمْ مِنْ أَنْ تَقُولَ مُجَاهِراً   أَلاَ يَا عِبَادَ اللّهِ: هَا ذَاكَ سَيِّدِي؟!
إِلَى مَدَنِيٍّ عَبْدِ رَحْمَانَأَنْتَمِي فَلِلَّهِ مَا شَمْسٌ أُضِيفَتْ لِفَرْقَدِ
وَذَا لِتُقَيِّ الدِّينِ يُنْمَى مُصَغَّراً   لِتَعْظِيمِهِ مِثْلَ الْفُقَيِّرِ فَاحْتَدِ
فَالأَقْطَابُ: فَخْرُ الدِّينِ نُورُهُ تَاجُهُ فَشَمْسُهُزَيْنُ الدِّينرَتِّبْهُ تَرْشُدِ
وَهَذَا بِقَزْوِينَ تَأَلَّقَ مُذْ غَدَا بِخِلْعَةِ بِصْرِيٍّ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
كَمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ أَحْمَداً   لِمَرْوَانَ يُعْزَى مُذْ حَبَاهُ بِمُحْمَدِ
سَقَاهُ سَعِيدٌ كَاسَهُ مُتْرَعاً كَمَا   سَقَاهُ بِهِ فَخْرُ السُّعُودِلِمُسْعِدِ
مِنَ الْفَضْلِ وَالتَّوْفِيقِ، فَاللّهُ يَجْتَبِي   إِلَيْهِ الذِي يَخْتَارُهُ مِنْ مُوحِّدِ
فَهَذَا بِغَزْوَانِيَّةٍ قَدْ غَزَا الْعُلاَ   فَدَانَتْ لَهُ مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَمَوْحَدِ
وَمَنْ جَابِرٌ أُسْتَاذُهُ فَمُظَفَّرٌ بِأَعْلَى الْعُلاَ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَمَقْصَدِ
فَقَدْ حَقَّقَ الْجَبَّارُ جَبْراً لِجَابِرٍ   بِمَا حَسَنٌ أَوْلاَهُ سِبْطُ مُحَمَّدِ
عَلَى جَدِّهِ مَنْ خَصَّهُ بِسِيَادَةٍ صَلاَةُ عَظِيمٍ ذَاتُ رُوحٍ مُؤَبَّدِ
وَذَا أَوَّلُ الأَقْطَابِ فَاضْرَعْ بِجَاهِهِ   إِلَى اللّهِ تَظْفَرْ بِالذِي شِئْتَ مِنْ يَدِ
وَبِالسَّادَةِ الأَقْطَابِ شَرْقاً وَمَغْرِباً   وَمَا قَدْ حَوَاهُ النَّظْمُ مِنْ مُتَعَبِّدَ

عَلَيْهِمْ سَلاَمُ اللهِ مِنْ مُتَعَطِّشٍ إِلَى نَاقِعٍ مِنْ وِرْدِهِمْ غُلَّةَ الصَّدِي

وفي التهنئة بدار، قلت:

دَارٌ تَدُورُ بِهَا السُّعُودْ   يُعْطِي الْعُهُودَ عَلَى الشُّهُودْ
وَتَقُولُ فِي دَوَرَانِهَا: بُشْرَى بِإِنْجَازِ الْوُعُودْ
وَمَتَى تُحِسُّ أَبَا عَلِيٍّ، حَفَّهَا مِنْهَا وُفُودْ
تُومِي إِلَيْهِ بِالْهَنَاءِ بِمَا يَذُوبُ لَهُ الْحَسُودْ

رابعها:

بِسَبَبِ الْوُجُودِ   وخِيرَةِ الْمَعْبُودِ
سيِّدِنَا مُحَمَّدِ   الحَامِدِ الْمَحْمُودِ

أَلاَ سَتَـــرْتَ عِرْضَنَـــا أَرَبِّ رَبَّ الْجُــــــودِ

وفي غير ذلك:

إِنْ بَـرَزَتْ مِـنْ لَطَافَـةٍ يَدُهَـا صَارِخَـةً، فَالوَزِيـرُ يُسْعِدُهَـا
حَــرَّاقُ أَسْتَارِهَــا وَمُبْرِزُهَــا بَاهِـرَةً، وَالْوُضُــوحُ يُنْشِدُهَـا
يُحْيِي بِهَا مَيْتَ أُنْسِ قَاصِـدِهِ لأَجْلِهَـا، إِذْ لَدَيْـهِ جَيِّدُهَــا
وَفِـي يَـدِهِ مِفْتَــاحُ مِقْفَلِهَـا وَفِـي مَشَاهِــدِهِ تَوَلُّدُهَــا
كَأَنَّمَا يَسْمَـعُ الأَنِيـسُ بْهَـا أَهْلاً بِـدَارِ سَبَـاكَ أَغْيَدُهَـا
فَعُمَــرٌ وَهْــوَ لِلْعُــلاَ قَمَـرٌ خِيَـرَةُ أُسْرَتِنَــا وَسَيِّدُهَــا
وَعُمَـرٌ وَهْــوَ وَحْــدَهُ نَفَـرٌ يَقْصُـرُ عَـنْ خَطْـوِهِ تَزَيُّدُهَـا
وَعُمَـرٌ وَهْـوَ لِلنُّهَّــى زَهَـرٌ عَــرْفُ شَمَائِلِــهِ يُؤَيِّدُهَــا
وَعُمَـرٌ وَهْــوَ لِلنَّــدَى نَهَـرٌ نَـرُدُّ فُرْضَتَــهُ وَنُورِدُهَــا
وَعُمَـرٌ وَهْــوَ أَنْجُــمٌ زُهُـرٌ نَسْـرِي بِهَـا لِلْهُـدَى وَنَقْصِدُهَـا
دَامَ كَذَلِـكَ - وَالدُّعَــاءُ لَـهُ - لأُسْـرَةٍ كَـانَ مِنْــهُ سُؤْدَدُهَـا
فَمَـنْ أَمَـاتَ سُرُورَهَـا فَأَبُـو يَحْيَـى الْعَلِـيِّ يَحْيَـا بِـهِ دَدُهَـا

وفي وزنها ورويها:

يَارَغْبَــةً لَــمْ أَزَلْ أُرَدِّدُهَــا أَخُصُّهَـا بِالْهَــوَى وَأُفْرِدُهَـا

عَـوْنٌ مِـنَ اللـهِ جَـلَّ يَتْبَعُــهُ سَعْـدُ السُّعُـودِ لِمَــنْ يُسَدِّدُهَـا
وَمَـنْ يُسَدِّدُهَـا سِـوَى سَنَــدِي سَنَـدِ (سَادَاتِنَــا) وَسَيِّدُهَــا
أَرْفَعُهَـا رُتَبــاً، وَأَعْظَمُهَــا جَاهـاً، وَأَصْعَدُهَــا وَأَسْعَدُهَـا
أَقَلُّهَــا ضَــرَراً، وَأَكْثَرُهَــا نَفْعــاً، وَأَحْلَمُهَـا وَأَجْوَدُهَــا
أَقْصَرُهَـا أَمَــلاً، وَأَطْوَلُهَـا بَاعــاً، وَأَصْوَلُهَـا وَأَمْجَدُهَـا
عَبْـدُ الإِلَـهِ الْمَرِيـحُ سَائِرَهَـا، إِذَا بَـدَتْ مِـنْ مُلِمَّــةٍ يَدُهَـا
حَلْـيُ الْـوِزَارَةِ، تَـاجُ هَامَتِهَـا، بَـلْ كُحْـلُ مُقْلَتِهَـا وَمِرْوَدِهَـا
دَامَ كَذَلِــكَ وَالــدَّوَامُ لَــهُ، يُدِيــمُ أَفْرَاحَنَــا وَيُوجِدُهَـــا

دَامَ قَرِيــرَ الْعُيُــونِ مُغْتَبِطــاً   بِمَـا يَحُـوطُ الْعُــلاَ وَيُنْجِدُهَــا
يَلْبَـسُ مِـنْ نَسْجِ حَمْـدِهِ حُلَـلاً   إِنْ بَلِيَــتْ حُلَّــةٌ يُجَدِّدُهَـــا

وقبل ذلك بيسير قال:

مِـنْ مَقَـامِ يَحْمَــدِيٍّ أجْتَــدِي   مَوْئِــلاً أَعْتَــدُّهُ لِلْمُعْتَـــدِي
عَائِـذاً بِالْحِلْـمِ وَالإِجْمَــالِ إِنْ يَنْقَضِ الْغَيْبُ الـذِي فِـي الْمَشْهَـدِ
وَسَلاَمٌ مِــنْ سَلِيــمٍ يَنْتَشِــى   مِنْهُ رِيحُ الْعَتْـبِ عَتْـبِ السَّيِّـدِ

وفي وزن التي قبلها أيضا، قال:

أَلْمِــمْ بِمَكْنَاسَــةٍ فَمَوْرِدُهَـــا   أَحْلَــى مَوَارِدِنَــا وَأَبْرَدِهَـــا
وَاقْــرَأْ أَحِبَّتَنَــا أَطِبَّتَنَـــا   أَزْكَـى السَّلاَمِ الــذِي يُؤَيِّدُهَــا
وَالْمَـحْ مَحَاسِـنَ تَسْتَطِيـرُ سَنـىً وَشِـمْ شَمَائِـلَ لَسْــتَ تَعْهَدُهَــا
وَأُبْ لِتُخْبِرَنَــا فَتُحْبِرَنَـــا   بِمَـا يُسِيـمُ الْمُنَــى فَيُمْجِدُهَــا
عَنْ عُمَـرٍ، طَـالَ عُمْـرُهُ قَمَـراً   يُضِــيءُ أَفْرَاحَنَـا فَنَقْصِدُهَــا
مَـنْ عُمَــرٌ؟ ذَاكَ لِلْعُــلاَ وَزَرٌ   يَحْفَــظُ أَشْيَاعَهَـا وَيَحْفَدُهَــا
مَـنْ عُمَـرٌ؟ ذَاكَ لِلْعِـدَا ضَــرَرٌ   يُقِيمُهَـا فِـي الْعَنَـا وَيُقْعِدُهَــا
مَـنْ عُمَـرٌ؟ ذَاكَ نَوْفَـلٌ زُفُــرٌ   فَاتَـتْ مَعَالِيـهِ مَــنْ يُعَدِّدُهَــا
مَـنْ عُمَــرٌ؟ ذَاكَ لَفْظُــهُ دُرَرٌ   لَيْسَ يَسُـودُ مَـنْ لَيْـسَ يَسْرُدُهَـا
مَـنْ عُمَـرٌ؟ ذَاكَ صَوْتُـهُ سَكَـرٌ   يَحْسِــمُ أَشْجَانَنَــا وَيَحْصُدُهَـ

أَيَّــامَ يُنْشِدُنَــا فَيُنْجِدُنَــا   أَهْلاً بِـدَارٍ سَبَــاكَ أَغْيَدُهَــا
يُلْبِسُهَـا مِــنْ أَلْحَانِــهِ حُلَــلاً   عَـمُّ أَبِيــهِ يَحْيَــى مُنَجِّدُهَــا
تَلِـجُ مِـنْ قُبَـبِ الْقُلُـوبِ بِهَــا   مُخْتَالَـةً، وَالسُّــرُورُ يُرْشِدُهَــا
فَالْقَلْبَ يُقْلَـبُ وَهْـو قَالَبُهَــا   وَالْعَقْــلُ يَعْقِــلُ إِذْ يُقَيِّدُهَـــا
فَالْمُتَنَبِّـي لَـوْ كَــانَ مُسْتَمِعــاً   هَـاجَ لَـهُ الْوَجْـدُ إِذْ يُجَوِّدُهَــا
وَوَدَّ لَـوْ آلَفَـتْ لِمَــا اِئْتَلَفَــتْ   بِــهِ مَسَرَّتُهَـــا وَمُنْشِدُهَـــا
وَصَــارَ مُنْشَرِحــاً لِمُنْسَــرِحٍ   يَخُــصُّ أَبْيَاتَــهُ وَيُفْرِدُهَـــا

وَقــالَ مِـنْ فَـرَحٍ وَمِـنْ مَـرَحٍ (يُخَاطِبُ التَّجْـلَ): دُمْـتَ تُنْجِدُهَـا
أَبٌ، لَبِيدُ الْعُلاَ وَأَرْبَدُهَا وَابْنٌ غَرِيضُ النُّهَى وَمَعْبَدُهَا
دَامَـا يُدِيمَــانِ رَوْحَ مُغْتَــرِبٍ قَـدْ أَعْوَزَتْـهُ مُتــىً يُرَدِّدُهَــا
شَاقَ ابْـنَ زَاكُـورٍ حِلْـيُ حِلْيَتِكُـمْ فَاهْتَــاجَ يَسْرُدُهَــا فَيُحْمِدُهَــا
مُعْتَقِـداً أَنَّــهُ - وَإِنْ بَلَغَــتْ فِيــهِ الْبَلاَغَــةُ - لاَ يُحَدِّدُهَــا

حرف الذال

قال عليه:

أَلاَ قُلْ لِمَنْ يَبْغِي إِلَى العِـزِّ مَنْفَـذاً إِلَهَـكَ فَاذْكُـرْ دَائِمـاً وَدَعِ البَــذَا
وَلاَ تَشْتَرِ الدنْيا بِدِينِكَ، سَـاءَ مَـنْ يَبِيـعُ بِأَفْلاَذِ الزُّجَـاجِ زُمُــرُّذَا
وَقُلْ لِلْعُيُونِ النَّاظِرَاتِ لَهَا امْرَهِـي وَبِالْجِـدِّ لاَ، بِالْكَـدِّ كُـنْ مُتَلَــوِّذَا
وَقُـلْ لِلدَّنَايَـا: خَامِـرِي أُمَّ عَامِـرٍ فَلَنْ تَجِدِي عِنْـدِي لأَخْـذِكِ مَأْخَـذَا
وَأَيَّـاكَ وَالْفَـدْمَ الْخَسِيـسَ فَجَافِـهِ تَجِدْ بَعْـدَهُ طَعْـمَ الْحَيَـاةِ طَبَـرْزَذَا
فَإِنَّـكَ إِنْ لَـمْ تُنْئِـهِ يُدْنِـكَ الْخَنَـا وَيُلْبِسْكَ مِنْ نَسْـجِ الْمَذَلَّـةِ مِشْـوَذَا
تَعَمَّمْ بِعِـزٍّ، وَهْـوَ صَبْـرٌ وَعِفَّـةٌ فَأَخْبِثْ (بِمَنْ) بِالذُّلِّ يَوْمـاً تَشَـوَّذَا
وَصَدِّقْ بِفِعْلِ مَا تَقُـولُ تَكُـنْ فَتـىً فَأَغْبَى الْوَرَى مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُطَرْمِذَا
وَنَفْسَكَ جَاهِدْهَـا إِذَا مَـا تَمَـرَّدَتْ وَإِلاَّ تَجِدْ سَهْمَ الـرَّدَى لَـكَ مَنْفَـذَا
أَرَى النَّفْسَ سِعْلاَةً تَطِيـرُ لِبَـارِقٍ مِنَ الشَّرِّ إِنْ عَمْرُ الْعُقُولِ لَهَا احْتَذَى
وَوَفِّرْ بِبَذْلِ الْوَفْرِ عِرْضَكَ مِـنْ أَذىً وَذُدْ بِالسَّخَاءِ الـذَّمَّ عَنْـكَ وَأَشْقِـذَا
وَلَكِـنْ بِقَصْـدٍ وَاجْتِنَـابِ تَبَــذُّرٍ وَإِلاَّ فَقَدْ تَبْلَـى وَلَـنْ تُلْـفَ مُنْقَـذَا
وَجَنِّبْ بَنِي الدُّنْيَـا يُجَنِّبْـكَ كَيْدُهُـمْ فَسَلْ عَنْ أَذَاهُـمْ أَحْوَذِيّـاً مُجَـرَّذَا
فَسَلْ عَنْ بَنِي الدنيا عَلِيمـاً بِحَالِهِـمْ تَمَعْـدَدَ فِيهِـمْ بَعْدَمَـا قَـدْ تَبَغْـذَذَا
لَنَجَّذَنِـي مَكْـرُ اللِّئَـامِ وَكَيْدُهُــمْ وَمَا الْكَيْدُ إِلاَّ مَا أَخَـا الْعِلْـمِ نَجَّـذَا
وَأَرْهَفَ سَيْفَ اللُّـبِّ رِبْـذَةُ خَبِّهِـمْ وَأَعْظِمْ بِخَبٍّ كَـانَ لِلُّـبِّ مِشْحَـذَا
وَلاَسِيَّمَا مَـنْ يَدَّعِـي الْعِلْـمَ مِنْهُـمُ أُولَئِكَ كُلٌّ فِي حِمَى الْمَكْـرِ هِرْبِـذَا

بِهِ، لاَ بِظَبْـيٍ قَوْلُهُـمْ لَـكَ عِنْدَمَـا   يَهُمُّكَ مِنْهُـمْ مَـا يُهِمُّـكَ مِـنْ أَذى

إذَا أَبْصَرُوا شَرْيَانَ فَقْـرِكَ نَابِضـاً   قَلَوْكَ، وَإنْ كُنْـتَ الْعَلِيـمَ الْمُنَجَّـذَا

وَإنْ هُمْ رَأَوْا لِلْفَدْمِ وَفْـراً تَسَاقَطُـوا   عَلَيْهِ وَكانُـوا بِالْحِمَـى مِنْـهُ لُـوَّذَا

فَإنْ شِئْتَ تَبْقَى قَذىً فِـي عُيُونِهِـمْ   فَغَمِّضْ جُفُونَ الصَّبْرِ مِنْكَ عَلَى قَذَى

فَمَنْ لَمْ يُكَابِـدْ حِـرَّةً تَحْـتَ قِـرَّةٍ   لَهُمْ، يُمْسِ فِي أَرْضِ الْهَوانِ مُنَبَّـذَا

وَإنَّ سَرَّكَ الْمَحْيَـا وَنَـارُ قُلُوبِهِـمْ   تَسَعَّرُ مِـنْ وَجْـدٍ سِبَابَهُـمُ اُنْبِـذَا

لَتَرْكُ سِبَابَ النَّذْلِ كانَ أَمَضَّ مِـنْ   أَحَدِّ الظُّبَـى وَقْعاً عَلَيْـهِ وَأَنْفَـذَا

تَعَوَّذْ بِحَبْلِ الْعِلْـمِ وَالْحِلْـمِ وَالتُّقَـى   تَبُـذَّ الـذِي بِالْغَـيِّ مِنْهُـمْ تَعَـوَّذَا

وَلاَ (تَلْتَفِتْ) مِنْهُمْ لِمَـدْحٍ وَلاَ هِجـاً   فَذَمُّهُـمُ مَـدْحٌ، وَمَدْحُهُـمُ بَــذَا

وَلاَ تَكُ حُلْـواً تُسْتَـرَطْ بِحُلُوقِهِـمْ   كَمَا لاَ تَكُـنْ مُـرّاً فَتُعْـقَ وَتُنْبَـذَا

وَجَاهِدْهُـمْ بِاللـهِ رَبِّـكَ وَحْــدَهُ تَدُسْ خَدَّ مَنْ يَبْغِـي عَلَيْـكَ مُفَخَّـذَا

(وَكُنْ) فِي حُزُونِ الدِّينِ تُكْسَ بِعِـزَّةٍ   فَإنَّ أَعَزَّ النَّبْـتِ مَـا كَـانَ عُـوَّذَا

وَصَلِّ عَلَى شَمْسِ الْهُدَى تَنْجُ مِنْ رَدَى   فَنِعْـمَ حُلِـيُّ الْمُهْتَدِيـنَ وَحَبَّــذَا

تَلَـذَّذْ بِهَـا تَظْفَـرْ بِلَـذَّةِ حُبِّــهِ   فَيَا فَوْزَ مَـنْ أَمْسَـى بِهَـا مُتَلَـذِّذَا

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللـهِ وَالطِّيـبُ طِيبُهَـا   وَأَزْكَى سَلاَمٍ طَيِّبِ الْعَرْفِ وَالشَّـذَا

كَذَا الآلُ والأَصْحابُ وَالْفَضْلُ فَضْلُهُمْ   أُولَئِكَ أَقْوَاتُ الْهُـدَى بِهِـمُ اغْتَـذَى

فَخُذْهَا تَهَادَى فِـي مُـلاَءةِ حِكْمَـةٍ   وَكُنْ لِلَّـذِي وَشَّـتْ يَدَاهَـا مُنَفِّـذَا

تَرَ الْعِزَّ يَحْتَـاجُ الْهَـوَانَ بِعَضْبِـهِ   إذَا طَمَّ سَيْلُ (الْعِزِّ) صَمَّ صَدَى الأَذَى

حرف الراء

قال عليه، على لسان بعض موالينا الأشراف الصقليين:

أَزِفَ الرَّحِيـلُ فَخانَنِـي صَبْـرِي   إذْ هَاجَ ما فِي الْقَلْـبِ مِـنْ جَمْـرِ

رُمْتُـمْ أَحِبَّتَنَـا غَـدَاةَ غَـدٍ   أَنْ تَظْعَنُـوا بِالْقَلْـبِ وَالْفِكْـرِ

رُمْتُـمْ أَحِبَّتَنَـا غَـدَاةَ غَـدٍ   أَنْ تُرْسِلُـوا دَمْعِـي كَمَـا الْقَطْـرِ

رُمْتُـمْ أَحِبَّتَنَـا غَـدَاةَ غَـدٍ   أَنْ تَرْحَلُوا عَنِّي إِلَـى بَـدْرِ

رِفْقاً أَحِبَتَنَـا عَلَـى زَمَـنٍ   فِـي جِيـدِهِ الأَغْلَـالُ مِـنْ ضُـرِّ

رِفْقاً أَحِبَتَنَـا عَلَـى دَنِـفٍ   فِي سُوقِـهِ الأَصْفَادُ مِـنْ عُسْـرِ

اللّٰهَ حَـادِي الرَّكْـبِ فِـي خَلَـدِي اللّٰه حَـادِي الرَّكْـبِ فِـي أَمْـرِي

يَـا بَـدْرُ رَكْبُـكَ زَلَّعُـوا كَبِـدِي   يَا بَدْرُ رَكْبُـكَ صَدَّعُـوا صَـدْرِي

يَا بَـدْرُ رَكْبُـكَ أَضْرَمُـوا حُرَقِـي يَا بَـدْرُ رَكْبُـكَ شَـرَّدُوا صَبْـرِي

يَا بَـدْرُ رَكْبُـكَ هَيَّجُـوا ضُـرِّي   يَا أَصْـلَ نُـورِ الشَّمْـسِ وَالْبَـدْرِ

حَمَّلْتُهُـمْ لِحِمَـاكَ مَنْـزِلَ مَـا   قَـدْ أَنْـزَلَ الرَّحْمَـانُ مِـنْ سِـرِّ

وَمَحَـطِّ جِبْرِيـلٍ وَمَهْبِطِـهِ   وَمُعَـرَّسِ الرَّحَمَـاتِ وَالْبِـرِّ

أَزْكَـى سَلَـامٍ طَيِّـبِ النَّشْـرِ   كَنَسِيمِ تُرْبِـكَ مِـنْ ضَنًـى يُبْـرِي

أَوْدَعْتُهُـمْ لِحِمَـاكَ وَهْـوَ حَـرٍ   بِمُبَـرِّحِ الأَشْـوَاقِ ذِي الْحَـرِّ

شَوْقـاً تَطِيـرُ بِهِـمْ عَزَائِمُـهُ   شَوْقـاً يَهُـدُّ قَوَائِـمَ الصَّخْـرِ

شَـوْقَ الـذِي بَانَـتْ أَحِبَّتُـهُ   فَهَدَى بِهِـمْ فِـي السِّـرِّ وَالْجَهْـرِ

شَـوْقَ الْغَرِيـبِ إِلَـى مَنَازِلِـهِ   شَوْقَ السَّلِيـلِ إِلَـى الـأَبِ الْبَـرِّ

يَـا رَحْمَـةَ الرَّحْمَـان (أَرْسَلَهَـا)   وَالنَّـاسُ فِـي بَحْـرٍ مِـنَ الشَّـرِّ

يَا شَمْسَ هَـدْيِ اللـهِ قَـدْ طَلَعَـتْ   (وَالْخَلْـقُ) فِـي دَاجٍ مِـنَ الْكُفْـرِ

هَـا عَبْـدُكَ الْمِسْكِيـنُ لَـاذَ بِكُـمْ يَرْجُو الأَمَـانَ بِكُـمْ مِـنَ الدَّهْـرِ

هَا نَجْلُـكَ الْمُضْطَـرُّ حَـطَّ بِكُـمْ حِمْـلَ الذُّنُـوبِ الْقَاصِـمِ الظَّهْـرِ

يُدْلِـي لِمَجْـدِكَ بِالْحُسَيْـنِ كَمَـا أَدْلَى الْحُسَيْـنُ بِكُـمْ إِلَـى الْفَخْـرِ

فَاحْفَـظْ حُسَيْنَـكَ فِـي قَرَابَتِـهِ   وَاكْـفِ الصِّقِلِّيفَـادِحَ الضُّـرِّ

وَأَنِلْـهُ مِـنْ جَـدْوَاكَ مُنْيَتَـهُ   فِي الدِّيـنِ وَالدُّنْيَـا وَفِـي النَّشْـرِ

وَافْكُـكْ رَسُـولَ اللـهِ نَاظِمَـهُ   لِسَلِيلِكُـمْ مِـنْ رِبْقَـةِ الْخُسْـرِ

أَلْبِسْهُ مِـنْ نَسْـجِ الرِّضَـى حُلَـلاً فِـي دَارِهِ الدُّنْيَـا، وَفِـي الْحَشْـرِ

صَلَّى عَلَيْـكَ اللـهُ مَـا رَقَصَـتْ   قُضْبُ الرِّيَـاضِ وَغَـرَّدَ الْقُمْـرِي

وَعَلَــى أُهَيْلِكُــمْ وَصَحْبِكُــمُ   وخُصوصاً الْمَوْلَـى أبَـا بَكْـرِ
صَلَّـى عَلَيْـكَ اللـهُ مَـا رَقَمَـتْ   أَيْـدِي الْغَمَـامِ مَطَـارِفَ الزَّهْـرِ
صَلَّـى عَلَيْـكَ اللـهُ مَـا نَسَجَـتْ   كَفُّ النَّوَاسِـمِ لاَمَــةَ النَّهْــرِ
صَلَّـى عَلَيْـكَ اللـهُ مَـا عَبَقَـتْ   بِأَرِيـجِ ذِكْـرِكَ رَوْضَـةُ الذِّكْــرِ
صَلَّـى عَلَيْـكَ اللـهُ مَـا زَهَـرَتْ   بِحُلَـى عُلَـاكَ حَدَائِـقُ الشِّعْــرِ

وقال أيضا في الشيخ الإمام، البارع الهمام، أبي العباس سيدي أحمد بن الحاج - أبقاه الله - يوم ختم خليل في ربيع ثالث وتسعين وألف:

لِيَ اللهُ قَلْبِي كَمْ يَذُوبُ مِنَ الذِّكْـرَى   وَكَمْ كَبِدِي تُفْرَى، وَكَمْ عَبْرَتِي تُذْرَى
حَنِينِي لِمَنْ شَـطَّ عَنِّـي مَزَارُهُـمْ   أَتَاحَ لِي الأَشْجَانَ مِنْ حَيْثُ لاَ يُدْرَى
فَيَا دَارَنَا الْغَرَّا عَلَى الرَّبْوَةِ الْخَضْرَا   لَدَى الصَّدَفَيْنِ الْمُشْرِفَيْنِ عَلَى الْحَمْرَا
سَقَاكِ رَذَاذُ الْغَيْثِ مِـنْ بَعْـدِ وَبْلِـهِ   وَزَادَكِ إِلْمَامُ الصَّبَا بَهْجَـةً أُخْـرَى
وَحَيَّتْكِ أَنْفَـاسُ الأَزَاهِـرِ مَوْهِنـاً وَبَثَّتْ لَكِ الأَرْوَاحُ مِنْ طِيبِهَا نَشْـرَا
ذَكَـرْتُ بِمَغْنَـاكِ الْكَرِيـمِ مَعَاهِـداً   مُنَضَّرَةً أَذْكَتْ لَظَى كَبِـدِي الْحَـرَّا
لَيَالِيَ خِدْنِـي كُـلُّ يَمْـؤُودَ أَغْيَـدٍ تَجَلَّى عَلَى أَطْوَاقِـهِ، وَجْهُـهُ بَـدْرَا
يَبِيـتُ يُعَاطِينِـي سُلَـافَ رَحِيقِـهِ فَأَكْرِمْ بِهِ بَدْراً، وَأَعْظِمْ بِـهِ خَمْـرَا
إِذِالدَّهْرُ دَهْـرٌ، وَالزَّمَـانُ مُسَاعِـدٌ   وَنُورُ الصِّبَا غَضٌّ سَقَاهُ الْحَيَا نَـوْرَا
وَلِلَّـهِ لَيْـلٌ فِـي رُبَـاكِ سَهِرْتُـهُ   عَلَى ضِفَّتَيْ نَهْرٍ بِشِنِّيلَ قَـدْ أَزْرَى!
كَسَاهُ ضِيَـاءُ الْبَـدْرِ لاَمَـةَ فِضَّـةٍ وَفَتَّتْ ذُبَالُ الشَّمْعِ فِي مَتْنِـهِ تِبْـرَا
فَشَبِّـهْ بِـهِ نَهْـرَ الْمَجَـرَّةِ، حَلَّـهُ عُطَارِدُ، وَالْجَوْزَاءُ، وَالْقُطْبُ وَالشِّعْرَى
أَدَرْنَـا عَلَيْـهِ الـرَّاحَ رَاحَ مَسَـرَّةٍ   وَقَدْ مَدَّ جَيْشُ اللَّيْـلِ أَلْوِيَـةً سُمْـرَا
وَأَرْخَى عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ سُتُـورَهُ وَبَاتَتْ نُجُومُ الأُفْقِ تَزْجُـرُهُ زَجْـرَا
إِلَى أَنْ بَدَا الإِصْبَاحُ يَضْرِبُ فِي الدُّجَى   بِنَصْلِ حُسَامِ الْفَجْرِ صَاحَتْ بِهِ ذُعْرَا

وَمَرَّتْ عَلَى آثَـارِهِ وَهْـوَ هَـارِبٌ   وَقَدْ أَفْـرَتْ أَفْرَاسُهَـا خَلْفَـهُ أَفْـرَا
كَأَنَّ الدَّرَارِي الشُّهْبَ فِي كَبِدِ السَّمَـا   قَوَارِيرُ بَلُّورٍ عَلَـى لُجَّـةٍ خَضْـرَا

كَـأَنَّ سُهَيْـلاً إِذْ تَأَلَّـقَ مُفْــرَداً   صَرِيعُ هَوىً قَدْ نَالَ مِنْ حُبِّهِ هَجْرَا

يُرِيـدُ الثُّرَيَّـا وَالْبِعَــادُ يَعُوقُــهُ وَهَيْهَاتَ! أَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا، فَلاَ صَبْرَا

وقَدْ رَقَّتِ الشِّعْرَى الْعَبُـورُ لِحَالِـهِ   وَحَنَّتْ لَـهُ كَيْمَـا تَشُـدُّ لَـهُ أَزْرَا

وَقَدْ عبَرَتْ نَهْـرَ الْمَجَـرَّةِ نَحْـوَهُ وَلَمْ تَسْتَطِعْ عَبْراً شَقِيقَتُهَا الأُخْـرَى

لِذَلِكَ مَـا تُولِـي أَنِينـاً وَزَفْـرَةً   وَتُرْسِلُ مِنْ أَجْفَانِهَـا عَبْـرَةً عَبْـرَا

تُرِيدُ أَخَاهَا إِذْ أَضَـرَّ بِـهِ النَّـوَى   وَقَدْ عَاقَهَا الْعَيُّوقُ عَنْ قَصْدِهَا قَسْرَا

كَأَنَّ ضِيَاَء الْبَدْرِ وَالشُّهْـبِ حَوْلَـهُ   سَنَا شَيْخِنَا ابْنِ الْحَاجِ فِي حَلْقَةِ الإِقْرَا

يَكَـادُ يُرِيـبُ الْجَاهِلِيـنَ شُعَاعُـهُ إِذَا لَمَحُوا أَنْوَارَهُ فِي الدُّجَى تَتْـرَى

يَقُولُـونَ جَهْـلاً إِذْ أَضَـاَء مَعَالِمـاً   أَبَدْرٌ بَدَا، أَمْ بَارِقٌ قَدْ سَرَى مَسْرَى؟

بَلَى! إِنَّهُ نُورُ الْهُدَى لاَحَ فِي الدُّجَى   دُجَى الْوَهْمِ فَانْزَاحَتْ دَيَاجِيرُهُ تُفْرَى

فَيَا وَهْمُ، مَا أَدْجَاكَ فِي أَعْيُنِ الْوَرَى   وَيَا نُورُ مَا أَجْلَى سُطُوعَكَ إِذْ أَوْرَى

تَجَلَّتْ بِهِ حُـورُ الْعُلُـومِ عَرائِسـاً فَشاهَدَها مَنْ كانَ لاَ يُبْصِـرُ الْبَـدْرَا

إِمامٌ حَبـاهُ اللـهُ (حِلْمـاً) وَسُـؤْدَداً   وخَوَّلَهُ (عِلْماً)، وَأَعْظِمْ بِـهِ فَخْـرَا

إِذَا اسْتَصْعَبَتْ غُرُّ المَعانِي لمَعْشَـرٍ وَقَدْ وَجِمُوا، قَالَتْ طَلاَقَتُهُ: بُشْـرَى

ورَوَّضَهَـا حَتَّـى تَذَلَّـلَ صَعْبُهَـا،   وَخَاطَبَهَا سِرّاً، فَدانَـتْ لَـهُ جَهْـرَا

هُمَامٌ تَـرَدَّى بِالصِّيَانَـةِ وَالتُّقَـى،لَهُ خُلُقٌ زَفَّتْ لَهُ الْحَمْـدَ وَالشُّكْـرَا

صَبورٌ علَى هُجْرِ الأُلَى سَاَء طَبْعُهُمْ   صَفوحٌ على ذِي هَفْوَةٍ أَوْجَبتْ نَغْرَا

مُصِيخٌ لِمَنْ أَبْـدَى إِلَيْـهِ مَعَـاذِراً، حَلِيمٌ علَى الْجُهَّالِ، يُبْدِي لَهُمْ بِشْـرَا

تَأَبَّـى عَـنِ الأَقْـذَارِ لاَ مُتَهَوْلِعـاً حَوَى هِمَماً مَا نَالَ أَيْسَرَهَا كِسْـرَى

فَلَوْ بُلَغَاءُ الْعَصْرِ عَـدُّوا (خِصالَـهُ)   لَمَا بَلَغُوا مِنْهَا وَلَوْ كَثُـرُوا عُشْـرَا

فَأَنَّى لِمَغْمُورِ الْحَشَا، وَهْـوَ وَاحِـدٌ،   يُحِيطُ بِهَا نَظْماً، وَيُودِعُهَـا شِعْـرَا؟

وَهَبْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍوَخَالَـهُ   أَأَقْدِرُ أَنْ أُحْصِي الْكَوَاكِبَ وَالْقَطْرَا؟

بِعَيْشِكَ أَنْصِتْ لِي فَقَدْ بَرَّحَ الْجَـوَى   بِقَلْبِي وَأَذْكَى الْوَجْدُ فِي كَبِدِي جَمْـرَا

أَعِنْدَكَ أَنِّي قَـدْ بُلِيـتُ بِمَعْشَـرٍ؟   يَوَدُّونَنِي جهْراً، وَيُؤْذُونَنِـي سِـرّاً

عَلَى أَنَّنِي - لاَ دَرَّ لِلَّـهِ دَرُّهُـمْ - أَبَحْتُهُمْ مِنِّـي الْأَضَالِـعَ وَالصَّـدْرَا
يَـوَدُّونَ إِخْفَائِـي وَهَيْهَـاتَ! إِنَّمَـا أَنَا الْكَوْكَبُ الْوَهَّاجُ فِي اللَّيْلَةِ الْغَـرَّا
فَلَوْلاَ سَمَـاءُ الْحِلْمِتَهْـوَي نُجُومُهَـا لأَوْلَيْتُهُمْ مِنْ مِقْوَلِي الْبَطْشَةَ الْكُبْـرَى
وَجَنَّدْتُ مِنْ فِكْـرِي إِلَيْهِـمْ كَتَائِبـاً تَؤُزُّهُـمْ أَزّاً، وَتَنْظُرُهُـمْ شَـزْرَا
وتُصْمِيهُمُ، حَيْثُ اسْتَقَلُّوا، سهامُهـا، فَلاَ يَجِدُونَ الدَّهْرَ فِي حَرْبِهَا نَصْـرَا
وَلَكِـن نَهَتْنِــي هِمَّــةٌ أَدَبِيَّــةٌ سَمَتْ لِلْعُلاَ، لاَ تَرْتَضِي أَبَداً غَـدْرَا
فَلاَ زِلْتَ تَرْقَى فِي سَمَـاءِ مَعَـارِفٍ وَنُورُكَ يَبْدُو فِـي غَيْهَبِهَـا فَجْـرَا
وَمِنِّي سَلاَمُ اللـهِ مَـا لَـاحَ بَـارِقٌ عَلَيْكَ أَبَا الْعَبَّـاسِ حَمَّلْتُـهُ عِطْـرَا
وَأُهْدِي صَلاَةَ اللّهِ مَا هَبَّـتِ الصَّبَـا إِلَى خَاتِمِ الْأَرْسَالِ أَعْلَقِهِـمْ خَطْـرَا
مُحَمَّـدٍ أَزْكَـى الْعَالَمِيـنَ وَآلِــهِ وَأَصْحَابِهِ مَنْ أَشْبَهُوا أَنْجُماً زُهْـرَا
صَلاةٌ يَصوغُ الكَوْنُ مِـنْ نَفَحَاتِهَـا تُبَارِي شَذَا الْعِطْرَيْنِ: دَارِينَ وَالشَّحْرَا
يُظَلِّلُنِـي يَـوْمَ الْقِيَامَــةِ ظِلُّهَــا وَتُلْبِسُنِي مِنْ نَسْجِهَا حُلَـلاً خُضْـرَا
وَهَاكَ عَرُوساً مِنْ بُنَيَّاتِ خَاطِـرِي تُطَاوِلُ خَوْداً أُلْبِسَتْ (حُلَلاً) حُمْـرَا
شَرِيفَةَ قَدْرٍ لَـمْ أَجِـدْ كُفْـءاً لَهَـا سِوَاكَ - أَبَا الْعَبَّاسِ - فَاهْنَأْ بِهَا بِكْرَا
رَشُوفاً، أَنُوفاً، عَذْبَةَ الْقَـوْلِ غَـادَةً مُعَطَّرَةً، أَرْجُو الْقَبُـولَ لَهَـا مَهْـرَا
فَـلاَ تَنْتَقِدْهَـا بِالْمَلَــامِ فَإِنَّنِــي أُحَمِّلُهَا بَيْتـاً، يَكُـونُ لَهَـا عُـذْرَا
فَإِنَّ الذِي يُهْدِي إِلَى مِصْقَـعٍ شِعْـراً نَظِيرُ الذِي يُهْدِي إِلَى طَيْبَـةٍ تَمْـرَا

وقال أيضا بالجزائرِ فِي الشيخ الأكبر، والْحَبْرِ العلامة الأشهرِ، أبِي حفص سيدي عمر الْمَا نْجِلَّاتِي - حفظه الله - وأفاظ عليه بُحُورَ (نعماه) يوم ختم جمع الجوامع عليه بقراءته، يوم السبت الرابع من جمادى الأولى عام أربعة وتسعين وألف:

حَيَّ على الأُنْسِ إِنْ طَيْفُ الْهُمومِ سَرى وَسَلِّ نَفْسَكَ وَانْهَجْ نَهْجَ مَنْ صَبَـرَا
وَلاَ تُصِخْ لِدَوَاعِي الْبَثِّ إِنْ صَدَحَتْ إِنَّ دَوَاعِيـهِ تَسْتَجْلِـبُ الضَّــرَرَا
وَاذْكُرْ مَعاهِدَ قد رَاقَـتْ نَضَارَتُهـا فَإِنَّ فـي ذِكْرِهـا أُنْسـاً وَمُعْتَبَـرَا
للـهِ مِنْهـا أُصَيْلَـانٌ جَنَيْـتُ بِهَـا فِي رَوْضَةِ اللَّهْوِ مِنْ نَخْلِ الْمُنَى ثَمَرَا

إِذْ لاَالأَحِبَّةُ يَعْـدُو عَـنْ وِصَالِهِـمُ بُعْدٌ يُؤَجِّـجُ فِـي أَحْشَائِنَـا سَقَـرَا

حَيْثُ ائْتَلَفْنَـا وَلاَ وَاشٍ يَنِـمُّ بِمَـا نِلْنَا، عَدا الأَعْطَرَيْنِ: الْوَرْدَ وَالزَّهَرَا

وَلاَ رَقِيبَ عَلى الأَفْـراحِ يَحْسُدُنَـا دَانٍ، خَلاَ الْنَّيِّرَيْنِ: الشَّمْسَ وَالْقَمَـرَا

وَزَهْوُنَـا بِتَلاقِينَـا وَأُلْفَتِنَـــا أَغْرَى بِنا الأَعْجَمَيْنِ: الطَّيْرَ وَالْوَتَرَا

فَصاحَ ذَاكَ عَلـى أَفْنَـانِ دَوْحَتِـهِ: حَيَّ عَلى الأُنْسِ، إِنْ طَيْفُ الْهُمومِ سَرَى

وَبَـثَّ ذَا بِبَنَـانِ (اللَّـذْ) يُحَرِّكُـهُ: خُذْ مَا صَفَا لَكَ، وَانْبُذْ كُلَّ مَنْ كَـدَرَا

وَالْبَحْرُ مِثْلُ مُذَابِ التِّبْرِ حَـاكَ بِـهِ كَفُّ النَّسِيمِ دُرُوعاً، حُسْنُهَـا سَحَـرَا

وَالْوُرْقُ تَسْقُطُ فـي أَمْواجِـهِ دُرَراً كَمَا سَقَطَتْ عَلى بَحْرِ الْعُلاَ عُمَـرَا

حَبْـرِ الْجَزَائِـرِ وَالدُّنْيـا بِرُمَّتِهـا مَنْ عالَجَ الْعِلْمَ حَتَّـى ذَاعَ وَانْتَشَـرَا

بَدْرِ الْجَلاَلِ وَمِصْباحِ الْكَمالِ وَمِـقْ باسِ الْجَمالِ الذِي كُلَّ الْوَرَى بَهَـرَا

شَيْخٌ، أَحَاطَ بِأَنْـواعِ الْمَدِيـحِ فَمَـا أَبْقَى لِمَنْ بَعْـدَهُ شَيْئـاً وَمَـا وَذَرَا

إِنْ تَنْمِ أَهْلَ الْعُـلاَ إِلَـى مَحَاسِنِـهِ تَجِدْ جَمِيعَهُـمْ مِـنْ بَحْـرِهِ نَهَـرَا

ذُو هِمَّـةٍ شُغِفَـتْ بِالْمَجْـدِ عَالِيَـةٍ حُمَّ بِهَـا أَحَـدُ النَّسْرَيْـنِ فَانْكَـدَرَا

إِلَى شَمَائِلَ أَزْرَتْ بِالنَّسِيـمِ ضُحـىً وَخُلُقٍ كَالْخَلُـوقِ قَـدْ هَفَـا سَحَـرَا

مَنْ يُبْلِغُ الأَهْلَ أَنِّـي بَعْـدَ بَيْنِهِـمُ جَالَسْتُ بَدْرَ هُدىً بِالشَّمْسِ مُعْتَجِـرَا

وَقَـدْ ظَفِـرْتُ بِمَـا كُنْـتُ آمُلُـهُ لَمَّا قَضَتْ مُنْيَتِي مِنْ نُـورِهِ وَطَـرَا

حَتَّى لَقَدْ خِلْتُ آمَالِي قَوائِـلَ لِـي: قَدْكَ - ابْنَ زَاكُورَ - هَذَا الْبَحْرُ فَاقْتَصِرَا

مَنْ ذَا يُطاوِلُنِي، وَالْمَجْدُ صَافَحَنِـي، وَالْبَدْرُ أَقْبَسَنِي، وَالْعِلْمُ لِـي سَفَـرَا؟

قَدْ كُنْتُ قِدْماً أَرَى خَطْبَ النَّوَى ضَرَرَا فَالْيَوْمَ حِينَ اكْتَسَبْتُ الْمَجْدَ لاَ ضَرَرَا

مَا أَحْسَنَ الْبَيْنَ إِنْ كَانَـتْ إِسَاءَتُـهُ تَفْضِي إِلَى مِثْلِ مِصْبَاحِ الدُّجَى عُمَرَا

بَقِيَّـةِ السَّلَـفِ الْمَاضِـي وَنُخْبَتِـهِ لَكِنْ مَحَاسِنُـهُ أَزْرَتْ بِمَـنْ غَبَـرَا

قَاضِي الْقُضَاةِ الذِي لاَ شَيْءَ يَعْدِلُـهُ فِي عَدْلِهِ اللَّذْ فَشَا فِي النَّاسِ وَاشْتَهَرَا

بَحْرِ الْعُلُومِ التِي قَدْ غَـاصَ مَنْهَلُهَـا مُنْذُ زَمَانٍ، وَسَيْلُ الْجَهْلِ فِيهِ جَـرَى

شَمْسِ الأُصُولِ التِي تَعْشِي أَشِعَّتُهَـا   عَيْنَ الْجَهُولِ فَلَمْ يَسْطِعْ لَهَـا نَظَـرَا
كَمْ مِنْ فَوَائِدَ أَوْلاَنِـي غَـدَوْتُ بِهَـا   أُطَاوِلُ الْعَالِمَ الْحَبْـرَ الـذِي مَهَـرَا

هَذا وَجَمْـعُ الْجَوَامِعِالـذِي بَهَـرَتْ   غُرُّ مَعَانِيهِ مَنْ غَابَ وَمَنْ حَضَـرَا
أبْدَى لَنَا مَـا تَحْوِيـهِ مِـنْ نُكَـتٍ نَفِيسَةٍ تُخْجِـلُ الْيَاقُـوتَ وَالْـدَّرَرَا
وَاهاً لَهَا مِنْ لآَلٍ قَـدْ ظَفِـرْتُ بِهَـا   فَالحَمْدُ لِلَّـهِ حَمْـداً طَيِّبـاً عَطِـرَا
سَحَّتْ على قَبْـرِ تَـاجِ الدِّينعَادِيَـةٌ   تُخَفِّفُ الأَثْقَلَيْنِ: التُّـرْبَ وَالْحَجَـرَا
وَلاَ تَخَطَّتْ مُحَلِّيـهِ بِتَحْلِيَـةٍ بَاهَى بِهَا الثَّقَلَيْنِ: الْجِـنَّ وَالْبَشَـرَا
نِعْـمَ الْمُحَلِّـي مَوْلاَنَـا الْمُحَلِّيُّقَـدْ   نَظَـمَ مِـنْ دُرِّهِ مَـا كَـانَ مُنْتَثِـرَا
يَا رَحْمَةَ اللّهِ عُوجِـي بِضَرِيحِهِمَـا   وَلاَ تَزَالِـي تَنُثِّـي لَهُمَـا خَبَــرَا
إِنَّ الإِمَامَ أَبَا حَفْصِ الرِّضَى عُمَـرَا   أَضْحَى يُطَرِّزُ مَا حَاكَ وَمَا ابْتَكَـرَا
بَدْرَ الْجَزَائِرِ صَـانَ اللـهُ بَهْجَتَـهُ   عَنْ أَنْ يُرَى بِخُسُوفِ الْبَدْرِ مُسْتَتِرَا
وَبَحْرَهَا الْعَذْبَ لاَ زَالَـتْ جَدَاوِلُـهُ   تُرَوِّضُ الْعَالَمَيْنِ: الْبَدْوَ وَالْحَضَـرَا

وقال أيضا يمدح الفقيه العلامة البركة أبا الحسن سيدي علي بركة - أطال الله بقاءه - في شوال سنة ثلاث وتسعين وألف بتطاون - حرسها الله -:

إِلَى مَـا فُـؤَادِي يَـذُوبُ زَفِيـرًا؟ لَقَدْ كِدْتُ أُقْضِـي مُعَنّـىً حَسِيـرَا
عَرَانِي مِنَ الْوَجْـدِ مَـا قَـدْ نَفَـى كَـرَايَ، وَأَذْكَـى حَشَـايَ سَعِيـرَا
فَمِـنْ رِقَّـةٍ قَـدْ حَكَيْـتُ نَسِيمـاً وَمِنْ دَنَـفٍ قَـدْ حَكَيْـتُ نَضِيـرَا
وَشَيَّبَنِـي، وَالشَّبَــابُ نَضِيــرٌ   صُـدودُ الأُلَـى أَوْدَعونِـي زَفِيـرَا
وَمَـنْ لَسَعَتْـهُ أَفَاعِـي الصُّــدُودِ فَأَجْـدِرْ بِـهِ أَنْ يَشِيـبَ صَغِيـرَا
فَمَـاذَا عَلَـى وُدِّهِـمْ لَـوْ دَنَــا؟   وَمَا ضَـرَّ لَـوْ نَعَشُونِـي يَسِيـرَا؟
وَمَـاذَا عَلَـى عَاذِلِـي لَـوْ غَـدَا   عَذِيراً لِمَـنْ كَـانَ مِثْلِـي أَسِيـرَا؟
فَيَـا عَاذِلِـي لاَ تَكُـنْ عَــاذِرِي!   وَلَسْـتُ أُؤَمِّـلُ مِنْـكَ عَذِيــرَا
وَيَـا هَاجِـرِي لاَ تَكُـنْ وَاصِلِـي   إِلَـى أَنْ تُـوَازِي الْحَصَـاةُ ثَبِيـرَا
فَمُذْ شِمْـتُ بَـرْقَ الْعُـلاَ وَالْهُـدَى لَـدى بَرَكَـاتِ الْعُـلاَ مُسْتَطِيــرَا

سَلَوْتُـكَ فَانْجَـابَ لَيْـلُ الأَسَـى وَأَسْفَـرَ صُبْـحُ السُّـرُورِ بَشِيـرَا
فَـلاَ مُقْلَتِـي تَسْتَهِـلُّ دَمـاً وَلاَ كَبِـدِي تَتَدَاعَـى فُطُـورَا
وَمَنْ شَامَ بَـرْقَ الْعُـلاَ مُسْتَطِيـرًا فَـلاَ يَعْدَمَـنَّ دَداً وَحُبُـورَا

وَهَـانَ عَلَـيَّ الـذِي قَـدْ لَقِـي تُ لَمَّـا سَقَانـي نَـدَاهُ نَمِيـرَا
وَأَنْقَذَنـي مِـنْ ظَلَـامِ الْهَـوَى وَكَـانَ لِقَلْبِـي الْمُعَنَّـى مُجِيـرَا
إِمَـامٌ تَسَرْبَـلَ بِالْمَكْرُمَـاتِ وَأَرْخَـى إِزَارَ الْعَفَـافِ كَبِيـرَا
وَطَـاوَلَ بَـدْرَ السَّمَـاءِ مُنِيـراً وَسَاجَـلَ قَطْـرَ الْغَمَـامِ غَزِيـرَا
وَأَضْحَى لِكَـأْسِ الْمَعَانـي مُدِيـراً وَأَمْسَى لِـرَوْضِ الْعُلُـومِ سَمِيـرَا
تَوَاضَـعَ حِلْمـاً فَـزَادَ ارْتِقَـاءً وَرَامَ خَفَـاءً فَـزَادَ ظُهُـورَا
وَمَـنْ رَامَ إِخْفَـاءَ بَـدْرِ الدَّيَاجِـي بِجُنْـحِ دُجـىً زَادَ نُـوراً كَثِيـرَا
تَنَاهَـتْ مَذَاهِبُـهُ فِـي الْعُـلاَ فَلَيْـسَ يُـرَى لِسِوَاهَـا ظَهِيـرَا
فَطَـوْراً تَـرَاهُ لِقَـوْمٍ بَشِيـراً وَطَـوْراً تَـرَاهُ لِقَـوْمٍ نَذِيـرَا
وَكَايِنْتَـرَاهُ يَفُـكُّ الْمُعَمَّـى وَيُوضِحُ مَا كَـانَ صَعْبـاً عَسِيـرَا
إِلَـى رِقَّـةٍ لَـوْ حَوَاهَـا النَّسِيـمُ لَمَا قَصَفَ الدَّهْرُ غُصْنـاً نَضِيـرَا
وَنَظْـمٍ يُنْسِيـكَ شِعْـرَ جَرِيـرٍ إِذَا أَنْـتَ عَايَنْـتَ مِنْـهُ سُطُـورَا
وَوَجْـهٍ جَلاَ الْبِشْـرُ عَنْـهُ الْوُجُـومَ فَلَيْـسَ يُـرَى أَبَـداً قَمْطَرِيـرَا
تُضِـيءُ الدَّيَاجِيـرَ غُرَّتُـهُ فَتَحْسِبُهَـا (قَبَسـاً) مُسْتَنِيـرَا
أَلاَ هَـلْ أَتَـى مَعْشَـرِي أَنَّنِـي عَلِقْـتُ بِتِطْـوَانَ عِلْقـاً خَطِيـرَا
وَآوَيْـتُ مِنْهَـا إِلَـى جَنَّـةٍ فَـلاَ شَمْـسَ فِيهَا وَلاَ زَمْهَرِيـرَا
لَـدَى عَالِـمٍ قَـدْ حَـوَى عَالَمـاً وَحَبْـراً تَضَمَّـنَ خَلْقـاً كَثِيـرَا
وَأَلْحَفَهَـا مِـنْ مَحَاسِنِـهِ بُـرُوداً حَكَـتْ سُنْدُسـاً وَحَرِيـرَا
وَأَسْرَجَهَـا بِسِـرَاجِ الْهُـدَى وَكَمْ مَكَثَـتْ قَبْـلُ تَحْكِـي قُبُـورَا
فَـلاَ نَجْـدَ إِلاَّ اسْتَطَـارَ سَنـاً وَلاَ غَـوْرَ إِلاَّ تَلَـأْلَأَ نُـورَا
وَلاَ غُصْـنَ إِلاَّ تَثَنَّـى ارْتِيَاحـاً وَلاَ طَيْـرَ إِلاَّ تَغَنَّـى سُـرُورَا

أَضَـاَء سَنَاهَـا وَضَـاعَ شَذَاهَـا   فَشِمْـتُ سَنـىً وَشَمِمْـتُ عَبِيـرَا
إِمَـامَ الْـوَرَى بِشَفِيـعِ الْــوَرَى   أَصِخْ لِنِظَامِي وَكُـنْ لِـي عَذِيـرَا
وَأَسْبِـلْ عَلَيْـهِ بُـرُودَ الْقَبُــولِ   فَلَسْـتُ حَبِيباًوَلَسْــتُ جَرِيــرَا
وَهَبْنِـي كَـذَاكَ فَمَـنْ لِـي بِمَــا   أُحَلِّـي بِـهِ مَجْـدَكَ الْمُسْتَنِيــرَا؟

وَمَـنْ أَرْهَقَتْـهُ خُطُـوبُ الدُّنَــا   فَكَيْفَ يُحُوكُ الْقَرِيـضَ النَّضِيـرَا؟
فَعُـذْراً لِمَــنْ خَانَــهُ دَهْــرُهُ   وَأَخْنَـى الزَّمَـانُ عَلَيْـهِ مُغِيــرَا
وَدُونَـكَ مِنِّــي سَلاَمــاً كَرِيمًــا   يُفَـاوِحُ عَرْفُـهُ رَوْضـاً مَطِيــرَا

وقال أيضا يخاطب بعض الفضلاء، مستعيرا منه كتاب الذخيرة:

يَـا ذَا الْخِصَـالِ الْعُـلاَ الشَّهِيـرَهْ وَمَـنْ حَـوَى رُتَبــاً خَطِيَــرهْ
وَمَـنْ رَوى الْمَجْـدَ عَـنْ سُـرَاةٍ   قَـدْ أَشْرَقَـتْ بِهِـمُ الْجَزِيــرَهْ
فَلَـوْ تَــرَى خِلَّــكَ الْمُعَنَّــى   أَضْـرَمَ طُـولُ الضَّنَـى زَفِيــرَهْ
يَشْكُـو الـذِي هَالَــهُ وَيَشْــدُو   هَلْ مِـنْ سَبِيـلٍ إِلَـى الذَّخِيـرَهْ؟
فَقَـدْ حَكَــى وَجْــدُهُ عَلَيْهَــا   وَجْـدَ مُغِيـثٍ عَلَــى بَرِيــرَهْ

وقال أيضا عند وقوفه على قبر الولي الصالح، سيدي المنظري، نفعنا الله ببركاته، بباب المقابر من تطاون - حرسها الله -:

أُعَفِّرُ وَجْهِي فِـي ثَـرَاكَ الْمُعَطَّـرِ   لِتَنْظُرَ مِنْ لأْوَى فُـؤَادِي الْمُفَطَّـرِ
وَأَشْدُو وَفَرْطُ الْوَجْدِ غَيْرُ مُنَظِّـرِي   أَلاَ فَاجْبُرَنْ صَدْعِي، أَمَوْلاَيَ مَنْظَرِي!

وقال أيضا عند دخوله سلا سنة ثلاث وتسعين (وألف) ورأى كثرة يهودها:

سَلاَ، لاَ سَلاَ قَلْبِي بِأَرْجَائِـكِ الْغُبْـرِ   وَلاَ بَرِحَتْ نَفْسِي تَسُومُـكِ بِالْهَجْـرِ
فَمَا فِي سَلاَ شَيْءٌ يُسَلِّي ذَوِي الأَسَى   سِوَى بَحْرِهَا الزَّخَّارِ ذِي الُّلجَجِ السُّمْرِ
وَأَحْسِبُـهُ لَمَّـا تَرَاكَــمَ مَوْجُــهُ تَصَيَّعَ فِيهَـا اللُّجُّ بِالزَّبَـدِ الْمُـرِّ
فَأَمْسَـتْ قَـرَاراً لِلْيَهُـودِ وَطَالَمَـا زَهَتْ بِذَوِي الأَخْطَارِ وَالْمَنْصِبِ الْخَطْرِ
كَمِثْلِ ابْنِ حَسُّونِ الرِّضَى وَابْنِ عَاشِرِ فَنَاهِيكَ مِنْ قَرْمٍ وَنَاهِيكَ مِـنْ حَبْـرِ
فَأَكْـرِمْ بِهَـا إِذْ حَلَّهَـا كُـلُّ مَاجِـدٍوَأَخْبِثْ بِهَا إِذْ حُوِّلَتْ مَنْزِلَ الْكُفْـرِ

وقال أيضا فِي الموضع المسمى بحوض الخنزير وقد ذمه بعض من لا يضرب له صنعة الشعر بنصيب، فأُمر بالرد عليه:

سَلِ الْفُـؤَادَ وَدَعْ خَنَـى شُعْـرُورِ فِي مَرْتَـعٍ يُعْـزَى إِلَـى الخِنْزِيـرِ

وَأَدِرْ طِلاَ الأَفْـرَاحِ بَيْـنَ حَدَائِـقٍ كَنَمَـارِقٍ مِـنْ سُنْـدُسٍ وَحَرِيــرِ

فِـي جَنَّــةٍ أَيْنَعَــتْ أَفْنَانُهَــا وَتَأَرَّجَــتْ أَرْجَاؤُهَــا بِعَبِيــرِ

وَتَزَخْرَفَـتْ أَنْوَارُهَــا بِبَطَائِـحٍ جَلَّـتْ مَحَاسِنُهَا عَـنِ التَّعْبِيــرِ

مِنْ أَصْفَرٍ فِي أَحْمَـرٍ فِـي أَبْيَـضٍ كَالنَّضْـرِ وَالعِقْيَــانِ وَالْبَلُّــورِ

(تُسْلِي) الْكَئِيبَ بَلاَبِلٌ صَدَحَتْ بِهَا كَكَوَاعِـبٍ رَجَّعْــنَ آيَ زَبُــورِ

وَجَـدَاوِلٌ تَنْسَـابُ تَحْسَـبُ أَنَّهَـا عِنْدَ الأَصِيلِ جَرَتْ بِـذَوْبِ نَضِيـرِ

أَرْبَى علَـى نَهْـرِ الأُبُلَّـةِ بَهْجَـةً وَزَرَى بِرَوْضِ الْغُوطَـةِ الْمَشْهُـورِ

لَوْ أَبْصَرَ النُّعْمَـانُ بَهْجَـةَ حُسْنِـهِ لَـمْ يَبْتَهِـجْ بِخَوَرْنَـقٍ وَسَدِيــرِ

لاَغَرْوَ فِي أَنْ ذَمَّهُ مَـنْ لَـمْ يَجِـدْ شِعْـراً بِمَيْـنِ هِجَائِـهِ الْمَكْسُـورِ

وَغَـدَا يُهَجِّنُـهُ بِقَــوْلِ الــزُّورِ إِنَّ النُّضَـارَ يَـرُوقُ بِالتَّشْحِيــرِ

وقال في صباح، غنى طيره وصاح، وتأرج نور ففاح:

وَجْـهُ الصَّبَـاحِ تَلأْلَـأَتْ أَنْـوارُهُ إِذْ طَيَّبَــتْ أَرْدَانَــهُ أَنْــوَارُهُ

ثَمِلَتْ رِيَاضُ الْحُـزْنِ مِـنْ أَنْدَائِـهِ لِلَّـهِ مَـا صَنَعَـتْ بِهِـنَّ عُقَـارُهُ

فَتَـأَوَّدَتْ أَغْصَانُهَـا شُكْـراً لِمَـنْ صَدَحَـتْ بِحَمْـدِ جَلاَلِـهِ أَطْيَـارُهُ

وقال أيضا في التشبيه البليغ، والجناس المركب وهو من أول شعره:

عَنْبَـرُ الْخَـالِ وَكَافُـورُ الطِّــلاَ وَشَقِيـقُ الْخَـدِّ فَــاقَ الْجُلَّنَــارْ

وَرَحِيـقُ الرِّيـقِ فِـي دُرِّ اللَّمَــا وَدُجَى الأَصْدَاغِ شَبَّـتْ جُـلَّ نَـارْ

وقال أيضا في رسالة على بعض الإخوان لابن عم له:

كَتَبْتُ وَبِي وَجْـدٌ يَهِيـجُ تَذَكُّـرِي عَلَى طِرْسِ كَافُـورٍ بِحِبْـرٍ كَعَنْبَـرِ

وَنَمَّقْتُ أَسْطَاراً عَلَى ظَهْـرِ مُهْـرَقٍ كَمَـا رَاقَ تَطْرِيـزٌ بِثَـوْبٍ مُحَبَّـرِ

لِمَنْ غَاضَ صَبْرِي مِنْ نَوَاهُ وَهَزَّنِي إِلَيْـهِ اشْتِيَـاقٌ كَالْقَنَـا الْمُتَأَطِّــرِ

خَلِيلِي وَخِدْنِي نَجْلُ عَمِّـي مُحَمَّـدٍ وَزَنْدِي الذِي أَوْرَى، وَغَايَةُ مَفْخَرِي

وَغَادَرَنِي يَوْمَ النَّوَى تَعِسَ النَّـوَى وَلِي زَفَرَاتٌ مِثْـلُ رَنَّـاتِ مِزْهَـرِ

وَمُوجِبُـهُ إِهْـدَاءُ أَزْكَـى تَحِيَّـــةٍ إِلَيْكُمْ كَعَرْفِ النَّـدِّ ضَـاعَ بِمِجْمَـرِ

تَمُرُّ عَلَـى رَوْضٍ أَنِيـقٍ وَتَنْثَنِـي تَهُـبُّ بِأَنْفَـاسٍ كَرِيَّـــا الْيَلَنْفُــرِ

فَتُعْرِبُ عَنْ شَوْقٍ ثَـوَى بِأَضَالِعِـي وَعَنْ كَبِدِي الْحَرَّى وَطَرْفِي الْمُسَهَّرِ

وَإِنِّـي وَإِنْ شَـطَّ الْمَـزَارُ أَحِبَّتِـي صَفَـاءُ وِدَادِي لَـمْ يُشَـبْ بِتَكَـدُّرِ

أَحِنُّ وَأَصْبُـو كُـلَّ حِيـنٍ إِلَيْكُـمُ وَأُمْطِـرُ دَمْعـاً كَالْغَمَـامِ الْكَنَهْـوَرِ

أَجُـودُ بِـهِ كَيْمَـا يُبَـرِّدُ لَوْعَتِـي فَيُضْرِمُهَا مِثْـلَ الْجَحِيـمِ الْمُسَعَّـرِ

فَأَعْجِبْ بِدَمْعٍ وَهْـوَ مَـاءٌ مُسَلْسَـلٌ يُؤَجِّجُ نَاراً فِـي فُـؤَادِي الْمُفَطَّـرِ

عَسَى مَنْ قَضَى بِالْبَيْنِ يَجْمَعُ بَيْنَنَـا (وَيَنْظِمُنَا) فِي سِلْـكِ عِـزٍّ مُـؤَزَّرِ

فَنَمْرَحُ فِـي أَكْنَـافِ عَيْـشٍ مُنَعَّـمٍ وَنَسْرَحُ فِي رَوْضِ السُّرُورِ الْمُنَضَّرِ

وَدُونَـكَ مِنِّـي حُلَّــةً عَبْقَرِيَّـــةً مُعَطَّـرَةَ الأَذْيَـالِ حُفَّـتْ بِجَوْهَـرِ

تُفَاوِحُ نَشْرَ الرَّوْضِ دَبَّجَـهُ الْحَيَـا وَتَنْفَحُ عَـنْ مِسْـكٍ ذَكِـيٍّ وَعَنْبَـرِ

وقال أيضا من رسالة لبعض إخوانه قديما:

كَتَبْتُ وَوُدِّي فِي الصَّفَاءِ كَمَا زَهْرِي سَلاَماً كَأَنْفَاسِ الْحَدَائِقِ فِـي الْفَجْـرِ

وَإِلاَّ فَكَالنِّسْرِيـنِ فَـاحَ بِرَوْضَـــةٍ يَهُبُّ بِهِ عَرْفُ الصَّبَا زَمَـنَ الْحَـرِّ

تُفَاوِحُ عَرْفَ النَّـدِّ وَالْعُـودُ وَالْكِبَـا وَتُزْرِي بِنَشْرِ الْمِسْكِ مَعْ عَنْبَرِ الشَّحْرِ

لِمَنْ هَزَّنِـي شَـوْقٌ إِلَيْـهِ مُبَـرِّحٌ وَأَجْرَى دُموعِي مِثْلَ مُنْسَجِمِ الْقَطْـرِ

إِلَى السَّيِّدِ الأَرْضَى الْكَرِيـمِ نِجَـارُهُ سَلِيلِ رَسُولِ اللهِ حَقّـاً بِـلاَ نُكْـرِ

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللهِ مَـا هَبَّـتِ الصَّبَـا وَآلِهِ وَالأَصْحَابِ مَا غَـرَّدَ الْقُمْـرِي

وقال أيضا على لسان بعض أشياخه للسيد حمزة ولد العلامة الأديب، سيدي عبد الله العياشي رحمه الله:

أَبَتْ جَمْرَةٌ مِنْ شَوْقِ حَمْـزَةَ تَفْتُـرُ أَمَا فِي اللِّقَا مِنْ خَمْرَةٍ مِنْـهُ تُنْشَـرُ؟

أُحَمِّـلُ أَنْفَـاسَ الدَّبُـورِ تَحِيَّـــةً تُلَطِّفُهَا كَالْمِسْكِ بَـلْ هِـيَ أَعْطَـرُ

لِخِلِّي ابْنِ عَبْدِ اللـهِ مَـنْ بِكَمَالِـهِ وَأَوْصَافِـهِ بُـرْدُ الْمَعَالِـي مُحَبَّـرُ
وَأَقْوَالُــهُ دُرٌّ لَدَيْنَــا مُنَظَّـــمٌ وَأَخْلاَقُـهُ مِسْـكٌ أَحَـمُّ وَعَنْبَـــرُ
وقال أيضا عند زيارة سيدي سعيد بن أبي بكر بمكناسة:
رَفَعْتُ دَوَاعِي الْهَمِّ لاِبْنِ أَبِـي بَكْـرِ سَعِيدٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مِـنْ حَكَـمٍ بَـرِّ
لِيُنْقِذَنـي مِمَّـا اقْتَضَـاهُ خِصَامُهَا بِعَارِفَةٍ مِـنْ بِـرِّهِ النَّافِـحِ الْعِطْـرِ
وَيُطْفِئُ نَارَ الْوَجْـدِ مِنِّـي بِقَطْـرَةٍ تُمِيتُ الجَوَى مِنْ فَضْلِهِ الْوَابِلِ الْقَطْرِ
وقال أيضا:

مُـدَّ للسلـوان أَشْـرَاكَ النَّظَـرْ فِي ابتهاجِ الروضِ مِنْ وَجْدِ المَطَـرْ
وتلـقَّ الأنـسَ عـنَ آسِ الرُّبـى وَارْوِ طَيَّ النَّوْرِ عن نشـرِ السحَـرْ
وارتشـف ثغـر أقـاحٍ باسِمــاً واصطَبِحْ بالطَّلِّ من كـأسِ الزَّهَـرْ
والْتَثِمْ وَجْـهَ المُنَـى مُسْتَبْشِــراً حيثُ رامَ الغُصْـنُ تَقْبيـلَ النَّهَـرْ
وجَـلاَ الـوَرْدُ خُـدوداً أُشْرِبَــتْ حُمْرَةَ العِقْيـانِ مِـنْ فَـرْطِ الخفَـرْ
وَانْبَـرَى النِّسْريـنُ يُهْـدي ذَهَبـاً فِي صِحَـافٍ مُفْرَغَـاتٍ مِـنْ دُرَرْ
وحَبَـا الْخِيـرِيُّ أنْفـاسَ الصَّبَــا نَفَحَـاتٍ أَنْشَـرَتْ مَيْـتَ الْفِكَــرْ
وَانْتَشَى البُسْتَانُ مِـنْ خَمْـرِ الحَيَـا فَاسْتَقَـاءَ النَّـوْرُ مِـنْ ذَاكَ السَّكَـرْ
نَظَمَـتْ فِــي جيــدِهِ أَنْــدَاؤُهُ عِقْـدَ دُرٍّ كُلَّمَـا مَــاسَ انْتَشَــرْ
قَيِّـدِ الأَلْحَــاظَ فــي بَهْجَتِــهِ وَاجلُ غيْمَ الغَمِّ عَنْ شَمْـسِ العِبَـرْ
واعْتَبِـرْ بِالنَّـوْرِ يَـذْوِي، بَيْنَمَـا هُـوَ مَعْشـوقٌ لِشَــمٍّ وَبَصَــرْ
واشْكُـرِ اللــهَ عَلَــى آلائِــهِ إِنَّمَـا يَنْجَـحُ سَعْيـاً مَـنْ شَكَــرْ
وقال أيضا:
حَدَّثَ عَرْفُ الصَّبَا عَنْ نَفْحَةِ الزَّهْرِ عَنِ الْغُصُونِ، عَنِ السُّقْيَا، عَنِ الْمَطَرِ
قَالُوا جَمِيعاً: شُرُودُ الأُنْسِ مُقْتَنَـصٌ بَيْنَ الرُّبَى، بِشِبَاكِ الشَّـمِّ وَالنَّظَـرِ
وقال يخاطب أبا العباس أحمد بن يعقوب، وقد مر على غمرة أيام كونه بها:
شَرَّفْتَ مَـنْ أَصْبَـحَ فِـي غَمْـرَهْ بِـزَوْرَةٍ لَـمْ تُبْـقِ مِـنْ غَمْــرَهْ

قَـدْ زَارهَـا إِذْ زُرْتَهَـا خُفْيَـةً   بَـدْرُ الْمَعَالِـي، مُشْـرِقُ الْغُـرَّهْ

أَيَـا أَبَـا الْعَبَّـاسِ يَـا مَـنْ بِـهِ   أَمْسَـى غَرِيـبُ الْعِلْـمِ ذَا أُسْـرَهْ!

جَنَّبَـكَ الرَّحْمَـانُ مَـا تَكْـرَهْ   يَـا مُطِيـعَ التَّحْقِيـقِ، يَـا بَـدْرَهْ!

وقال أيضا مضمنا بيت عدي بن زيد:

وَرِيَاضٍ (عَلَّمَـتْ) جَيْـشَ الثُّـوَارْ وَوَشَـتْ أَسْرَارَهَـا غِـبَّ الْقِطَـارْ

وَبَـدَا نُعْمَانُهَـا يَــوْمَ النَّــدَى   يَزْدَهِـي فِـي حُلَّـةٍ ذَاتِ احْمِـرَارْ

قُلْـتُ، لَمَّـا صَـدَّ عَـنْ إِتْيَانِـهِ:   حَابِـسٌ يَكْنُفُــهُ مَــاءٌ وَنَــارْ

وَالرُّبَـى تُذْكِـي مَجَامِيـرَ الشَّـذَا وَالصَّبَا تَـرْوِي أَحَادِيـثَ الْعَـرَارْ

يَا نَسِيمَ الرَّوْضِ إِنْ جِئْـتَ الرُّبَـى   (عَاطِرَ) الأَذْيَـالِ مُخْضَـرَّ الـإِزَارْ

أَبْلِـغِ النُّعْمَـانَ عَنِّــي مَأْلُكَــا   إِنَّهُ قَـدْ طَـالَ حَبْسِـي وَانْتِظَـارْ

وقال أيضا لمن طلبه من أول نظمه:

أَحِبِّي عَلَيَّ الْحُسْنُ عَلاَّكَ يَـا قَمَـرْ   فَمَنْ ذَا الذِي أَفْتَاكَ أَنَّ دَمِـي هَـدَرْ؟

أَ أُمْنَعُ مِـنْ وَرْدٍ تَبَـدَّى بِنَاظِـرِي وَعَهْدِي، بِأَنَّ الْوَرْدَ يَجْنِيهِ مَنْ بَذَرْ؟

وَهَبْ أَنَّ لَحْظِي قَدْ جَنَى فِي اجْتِنَائِهِ فَلَمْ يَجْنِ قَلْبِي اللَّذْ أَصَبْتَـهُ بِالنَّظَـرْ

فَمَهْلاً، رُوَيْداً، يَا حَيَاتِي عَلَى الـذِي   يُحِبُّكَ قَدْ أَمْسَى يُعَانِي لَظَـى سَقَـرْ!

عَذُولِي لَـوْ أَبْصَـرْتَ قَـدَّ قَوَامِـهِ لَقُلْتَ: مَعَاذَ اللَّهِ، مَا ذَا مِـنَ الْبَشَـرْ

لأَبْصَرْتَ بَدْراً فَوْقَ غُصْنٍ عَلَى نَقاً   يَمِيسُ اخْتِيَالاً فِي دَيَاجٍ مِنَ الشَّعَـرْ

عَلَيْهِ – وَإِنْ أَبْدَى إِلَـيَّ صُـدُودَهُ –   سَلاَمٌ كَأَنْفَاسِ الْحَدَائِقِ فِـي السَّحَـرْ

وقال أيضا من أوليات نظمه يصف تفاحة:

وَتُفَّاحَةٍ كَالْمِسْكِ (طِيبـاً) وَكَالْمُصَـا   بِ طَعْماً تَرَدَّتْ بِالْعَقِيـقِ وَبِالتِّبْـرِ

حَكَتْ نَشْرَ مَنْ أَهْوَى وَمَعْسُولَ رِيقِهِ   وَوَجْنَتَهُ الرَّيَّا وَلَوْنِي لَـدَى الْهَجْـرِ

وقال أيضا:

عَلِّلاَنِــي بِمُطْــرِبِ الأَشْعَــارِ   فَلَقَـدْ جَاءَنَـا زَمَــانُ النُّــوَارِ

وَامْزِجَـاهُ بِغُنَّـةٍ تُنْعِشُ الْفِـكْ رَ فُدِيتُـمْ مِـنْ سَائِـرِ الأَغْيَــارِ

بَيْــنَ وَرْدٍ وَسَوْسَــنٍ وَأَقَــاحٍ   وَشَقِيــقٍ وَنَرْجِــسٍ وَبَهَـــارِ
نَغْتَنِـمُ بُرْهَــةً صَفَــاءِ لَيَــالٍ   عَنْ قَرِيـبٍ نَمْضِـي إِلَـى غَفَّـارِ

وقال يصف نَهْراً نزلت به حمائمٌ بيضٌ فِي صباحٍ:

وَكَـأَنَّ مَـاءَ النَّهْـرِ قَـدْ نَزَلَـتْ   بِيضُ الْحَمَائِمِ فِـي صَبَـاحٍ أَنْـوَرِ
وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ عَلَيْـهِ شُعَاعَهَـا   ذَوْبَ النُّضَارِ عَلَتْهُ أَكْـؤُسُ جَوْهَـرِ

وقال متشوِّقاً قَديماً:

يَا رَعَـى اللـهُ لَيَـالٍ قَـدْ خَلَـتْ   كَلَـآلٍ فِـي سُلُـوكٍ مِـنْ نُضَـارْ
وَعُهُـوداً سَلَفَـتْ لِـي بِالْحِمَـــى   فَسَقَى الْوَبْلُ الْحِمَى غَيْـرَ مُضَـارْ
حَيْـثُ لاَ هَـمَّ وَلاَ غَـمَّ سِـوَى   رَنَّـةِ الْعُـودِ وَكَاسَــاتٍ تُــدَارْ

مِـنْ عُقَـارٍ كَنُضَـارٍ أُفْرِغَــتْ   فِـي أَبَارِيقَ حَكَـتْ شُهْـبَ الـدَّرَارْ
عَلِّلُوا قَلْـبَ الشَّجِـي مِـنْ شُرْبِهَـا مَا أُحَيْلَـى الشُّرْبَ مِنْ تِلْـكَ الْعُقَـارْ!
مَـعْ ظِبَـاءٍ كَلِـفَ الْقَلْـبُ بِهِــمْ   سَمَحُوا بِالْوَصْـلِ مِـنْ بَعْـدِ نِفَـارْ
فِـي رِيَـاضٍ كَـزَرَابٍ نُمِّقَــتْ   بِشَقِيــقٍ (كَعَقِيــقٍ) وَبَهَـــارْ
أَأُرَى أَحْظَـى بِوَصْـلٍ بَعْدَمَـا   بَعُدَتْ مِـنْ طَاقَتِـي تِلْـكَ الدِّيَـارْ؟
فَعَلَـى آرَامِهَــا مِــنْ مُدْنِــفٍ   شَائِـقٍ نَشْـرُ سَلَــامٍ كَالْعَــرَارْ

وقال أيضا:

وَأُغَيْـدٍ يُخْجِـلُ ضَـوْءَ الْبُــدُورْ قَبَضَ رُوحِي عِنْدَ بَسْـطِ الْكُسُـورْ
أَوْدَى بِقَلْبِــي قَوْلُــهُ آمِــراً   أَضْرِبْ، فَفِي الأَحْشَاءِ مِنْـهُ فُطُـورْ
فَقُلْــتُ إِذْ دَلَّهَنِــي لَفْظُـــهُ   أَلاَ إِلَـى اللـهِ تَصِيـرُ الأُمُــورْ

وقال فِي العودِ كما اقْتُرِحَ عليه:

مَا إِنْ رَأَيْتُ بَعِيـداً مِثْـلَ أَوْتَـارِي تُصْلِي وَتُسْلِي بِتَوْشِيحِي وَأَشْعَـارِي
إِذَا ذَكَرْتُ حُسَيْنـاً بِالْعِـرَاقِ سَمَـا   وَجْدُ الْغَرِيبِ وَجَرَّ الذَّيْلَ ذُو الـدَّارِ

وقال فيه:

سَلِّ الْهُمُومَ بِتَوْشِيحِـي وَأَشْعَـارِي إِنَّ الْمَسَرَّةَ فِـي تَزْيِيـنِ أَوْتَـارِي

فَسَطْعَتِي تُنْشِـدُ السُّلْـوَانَ مَايَتُهَـا وَرَمْلُهَا يَطْلُـبُ الْحُـزْنَ بِأَوْتَـارِي

وقال أول دخوله قرية صفرو في كثرة يهودها:

مَلْآنُ مِنْ أَغْبَـى الْـوَرَى صَفْـرُو وَمِـنَ الْمُـرُوءَةِ وَالنُّهَـى صِفْـرُ

أَبْنِيَــةٌ حَــفَّ الْيَهُــودُ بِهَــا فَأَخَـفُّ مِـنْ مَثْـوىً بِهَـا الأَسْـرُ

لاَ يَخْدَعَنَّــكَ حُسْــنُ مَنْظَــرِهِ مِنْ خَـارِجٍ، وَالـرَّوْضُ وَالنَّهْـرُ

فَنَظِيــرُهُ الدُّنْيَــا فَظَاهِرُهَــا حُلْـوٌ، وَبَاطِـنُ حُلْوِهَــا مُــرُّ

أَوْ جَنَّـةُ الدَّجَّــالِ (تُبْصِرُهَــا) تَنْـدَى وَفِـي أَحْشَائِهَـا الْجَمْــرُ

يَشْتَمُّ نَتْـنَ الْخُبْـثِ مِـنْ صَفْـرُو مَـنْ دَارُهُ السُّــودَانُ أَوْ مِصْــرُ

وقال على روي الراء، وقد قرأ كتاب الشمائل على الشيخ الإمام أبي عبد اللّٰه سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي:

إِنَّ الشَّمَائِـلَ أَزْهَــارٌ وَأَنْــوَارُ أَرِيجُهَا فِي أُنُوفِ الـذَّوْقِ مِعْطَـارُ

إِذَا تَهُـبُّ شَمَالـاَتُ الْعُقُـولِ بِهَـا يَضُوعُ مِنْهَا بِرَوْضِ الدَّرْسِ أَسْـرَارُ

فَمَا جِنَانُ الرُّبَى هَبَّتْ عَلَيْهَـا صَبَـا مِنْ بَعْدِ أَنْ عَلَّهَـا بِالـرَّيِّ مِـدْرَارُ

وَأَيْقَظَـتْ نَائِـمَ النُّـوَّارِ نَشْوَتُــهُ بِالطَّلِّ إِذْ بَشَّرَتْ بِالصُّبْـحِ أَطْيَـارُ

أَوْ فَارَةٌ مِنْ أَحَـمِّ الْمِسْـكِ شَقَّقَهَـا عِنْدَ مَهَبِّ الصَّبَا الْمِعْطَـارِ عَطَّـارُ

أَوْ مُنْتَقَى قُسْطِ أَظْفَارٍ وَقَـدْ عَلِقَـتْ بِهِ مِـنَ الْجَمْـرِ أَنْيَـابٌ وَأَظْفَـارُ

أَوْ عَرْفُ نَارِ عَـدِيٍّ بَـاتَ يَرْقُبُهَـا وَفِـي نَوَاجِذِهَـا الْهِنْـدِيُّ وَالْغَـارُ

أَذْكَى وَأَلْطَفُ مِنْ نَشْرِ الشَّمَائِـلِ إِذْ هَبَّتْ عَلَيْهَا مِـنَ الأَفْهَـامِ إِعْصَـارُ

أَقْرَأَنَاهَـا بِتَحْقِيـقٍ أَخُــو ثِقَــةٍ فِي وَجْهِهِ مِنْ سُطُوعِ الْبِشْرِ أَنْـوَارُ

سَمِيُّ خَيْرِ الْوَرَى وَالْفَتْحُ لَيْـسَ بِـهِ فِي الْمِيمِ بَاسٌ بِفَـاسٍ لاَ وَلاَ عَـارُ

هِلاَلُ فَـاسٍ لِـذَا حَازَتْـهُ نِسْبَتُـهُ لَهَا كَمَـا عَلَـمٌ فِـي رَأْسِـهِ نَـارُ

فَـإِنَّ فِـي ذَاكَ إِشْعَـاراً بِـأَنَّ لَـهُ فَضْلاً عَلَى كُلِّ مَـنْ لَـهُ بِهَـا دَارُ

وَأَنَّـهُ جِــدُّ وَالِيهَــا وَسَيِّدِهَــا وَأَنَّـهُ لِلِقَـاحِ الْخَطْـبِ نَحَّــارُ

رَوَى الْعُلاَ عَنْ أَبِيهِ الْمُورِثِ الْحَمْدِ عَبْ دِ الْقَادِرِ الْحَبْرِ مَـنْ رَبَّتْـهُ أَحْبَـارُ

إذْ فَاسُ لَيْسَتْ تُبَالِي إذْ يُجَاوِرُهَا   أَلاَّ يُجَاوِرَهَــا إلاَّ هُ دَيَّــارُ

أَثْكَلَهَا الدَّهْرُ، فِيـهِ جَنَّـةٌ أَرِجَـتْ   فِيهَا الْعَجِيبَـانِ: أَشْجَـارٌ وَأَنْهَـارُ

عَلَيْـهِ أَزْكَـى سَلاَمٍ لاَ يُنَافِحُــهُ إلاَّ اللَّطِيفَـانِ: نَسْرِيـنٌ وَنُــوَّارُ

وَلاَ يَـزَالُ مَـدَى الدُّنْيَـا يُؤَنِّبُــهُ مِنْهَا النَّضِيرَانِ : أَسْجَـاعٌ وَأَشْعَـارُ

وَبَارَكَ اللّهُ فِـي ذَا النَّجْلِ إِنَّ لَهَـا   بِهِ لَـدَى الْفَخْـرِ إِيـرَادٌ وَإِصْـدَارُ

وقال فيه، في مدح القصر:

أَبَى الْقَصْرُ إلاَّ أَنْ يَحُوزَ الْعُلاَ قَسْراً   وَأَنْ يَبْنِيَ الْمَجْدَ التَّلِيدَ بِـهِ قَصْـرَا

(فَإِنْ) فَاتَهُ الْمَاءُ الْمُفَجَّرُ مِـنْ صَفَـا   فَفِيهِ مِيَاهُ الْفَضْلِ قَدْ فُجِّـرَتْ بَحْـرَا

وقال جبر اللّه صدعه:

خَلَتِ الدِّيَارُ مِـنَ الْبُـدُورِ السَّافِـرَهْ   فَوُجُـوهُ آمَالِـي لِذَلِـكَ بَاسِــرَهْ

سَلَبَ السُّرُورَ سُرَاهُمُ عَـنْ جُثَّتِـي   وَاجْتَثَّ أَوَّلَ مَـا رَجَـوْتُ وَآخِـرَهْ

أَوْلَيْتُهُمْ شَطْـرَ الْفُـؤَادِ لـأَنْ دَنَـوْا   فَالـآنَ إذْ وَلَّـوْا، تَوَلَّـوْا سَائِــرَهْ

أَمَرَ الثَّوَى الزَّفَـرَاتِ أَنْ تُصْلِنَنِـي   نَـارَ الْكَآبَـةِ، فَامْتَثَلْـنَ أَوَامِــرَهْ

فَالْقَلْـبُ مِنِّـي خَافِـقٌ، وَاللُّــبُّ نِّي طَائِشٌ، وَالْعَيْـنُ مِنِّـي سَاهِـرَهْ

هَذَا وَبَرْقُ الشَّـوْقِ لَيْـسَ بِخُلَّـبٍ مَـا لـاَحَ إِلاَّ وَالْمَدَامِـعُ هَامِــرَهْ

وقلت في الشكوى والاستعطاف:

يَـا مَالِكِـي وَالْمُسْتَبِـدُّ بِسَائِــرِي وَالْمُرْتَـدِي بِـرِدَاءِ عِـزٍّ بَاهِــرِ

مَـا كَـانَ أَخْلَقَنِـي بِحَـظٍّ وَافِـرِ مِنْ بَحْـرِ بِرِّكُـمُ الْمَدِيـدِ الْوَافِـرِ

أَشْكُو لَوْ أَنَّ الذِّهْـنَ يَمْلِـكُ نَفْسَـهُ   حَتَّى أُمَيِّزَ بَاطِنِـي مِـنْ ظَاهِـرِي

أَضْحَى فُؤَادِي يَـا مَلـاَذِي فَارِغـاً مِـنْ غِمْـرِ عَمْـرِ عَمُّـورٍ لَـهُ بِالْعَامِـرِ

وفي التوسل:

لَقِيـتُ يَـا رَبِّ مِــنْ غَمُــورِ   بَرْحــاً يُبَــرِّحُ بِالسُّـــرُورِ

يَـا رَبَّنَـا اصْبُـبْ عَلَيْـهِ صَبًّـا   بَـلاَءكَ الْقَاصِـمَ الظُّهُــورِ

وَشُــنَّ (يَــا رَبَّنَــا عَلَيْــهِ)   غَــارَاتِ زِلْزَالِـكَ الْمُبِيــرِ

وَهُــدَّ يَــا رَبِّ مَــا ابْتَنَــاهُ   مِـنْ كَعْبَـةِ الْجُــورِ وَالْفُجُــورِ

بِاسْمِــكَ الأَعْظَـمِ سُمْــهُ ذُلاً   يُذِيقُــهُ مَضَـضَ الدُّهُـــورِ

ومثله في الوزن والروي، والقضية (قولي):

أَبُــو قَذِيــرٍ بَغَــى عَلَيْنَــا   وَمَــنْ يُطِيــقُ أَبَــا قَذِيــرِ؟

لاَ أَسْتَطِيــعُ لَـــهُ دِفَاعـــاً   إِلاَّ بِمَقْـــدُرَةِ الْقَدِيـــرِ

لاَ أَسْتَطِيــعُ غِلــاَبَ لَيْـــثٍ   ضَـارٍ لَـهُ وَثْبَــةُ (النُّمُــورِ)

وَلاَ أُطِيـــقُ لَـــهُ سِبَـــالاً   كَأَنَّهَـــا شَــرَرُ السَّعِيــرِ

يُقِيمُهَـــا حَنَقـــاً وَغَيْظـــاً   كَأَنَّـهُ اغْتَــاظَ مِــنْ كَفُــورِ

لَكِــنْ أَنَــا مُؤْمِــنٌ بِرَبِّــي رَبِّ الْـوَرَى الْوَاحِــدِ الْكَبِيــرِ

وَمَــا عَدِمْـــتُ لَكُـــمْ وِدَاداً   أَصْفَـى مِـنَ السَّلْسَـلِ النَّمِيــرِ

أَهْـوَى لَكُـــمْ وَالْإِلَـــهُ يَــدْرِي   خَيْـراً يَجِـلُّ عَــنِ الْخَيُــورِ

وَالشِّعْـرُ يُعْـرِبُ عَـنْ ضَمِيـرِي   كَالنَّشْـرِ يُعْـرِبُ عَــنْ عَبِيــرِ

وله جوابا:

بِكَ الدُّرُّ يَا دُرّاً، بِـهِ حِلْيَـةُ الدَّهْـرِ   تَسَامَى وَلَوْلاَ ذَاكَ مَا رَاقَ فِي النَّحْرِ

وَفِـي لَفْظِـكَ الْمَنْظُـومِ دُرٌّ مُنَظَّـمٌ   يَذُوبُ لَهُ الْمَنْشُورُ مِنْ لُجَّـةِ الْبَحْـرِ

وَفِي زَهَرٍ مِنْ رَوْضِ شِعْرِكَ يَانِـعٍ حَيَاةُ النُّهَى الْعُظْمَى، وَمَا ذَاكَ فِي الزَّهْرِ

وَزَهْرُكَ يَبْقَى الدَّهْرَ، وَالزَّهْرُ ذَابِـلٌ   بَقِيتَ بَقَاءِ الدَّهْرِ لاَ الزَّهْرِ وَالزُّهْـرِ

وقال في الاستعطاف:

يَا سَيِّدِي، سَيِّدَ الْجَمْهُـورِ جُمْهُـورِ   هُمُ نُجُومُ الوَرَى فِي كُـلِّ دَيْجُـورِ

هَلْ أُذْنُ حِلْمِكَ لِلْمَنْجُـورِ مُنْصِتَـةٌ   إِذَا دَعَـاكَ بِـذُلٍّ غَيْـرِ مَنْجُـورِ؟

إِيْ، وَالذِي سَطَّرَتْ أَيْدِي الْعَلاَءِ لَكُمْ   فِي مُصْحَفِ الْمَجْدِ وَهْوَ خَيْرُ مَسْطُورِ

وَمَا أَذَاعَتْ لَنَا مِنْ عَـرْفِ فَخْرِكُـمُ   صَبَا الْمَحَامِدِ مِـنْ مِسْـكٍ وَكَافُـورِ

أَعُـوذُ بِالْحُـبِّ، حُبِّـي لِشَمَائِلِكُـمْ مِنْ أَنْ أَكُونَ حَبِيباً مِثْـلَ مَهْجُـورِ

وقيل فيما يظهر من فحواه:

أَمَحْبُوبَ قَلْبِي قَدْ تَنَاهَى سُرُورُهُ فَبَانَتْ، فَأَزْرَتْ بِالْجُمَانِ ثُغُورُهُ
أَ ذَلِكَ أَمْ دُرُّ الْبَيَانِ مُنَظَّماً فَأَسْلاَكُهُ أَسْطَارُهُ شُطُورُهُ؟
أَجَلْ، إِنَّهُ قَوْلُ الأَدِيبِ، وَإِنَّهُ لَضَوْءُ كَلاَمِ الْمُحْسِنِينَ وَنُورُهُ
وفي مثله قال:
يُذَكِّرُنِي هَذَا الْقَرِيضُ وَنُورُهُ مَحَاسِنَ مَنْ أَهْوَى تَلُوحُ ثُغُورُهُ
فَعِزَّتُهُ قَدْ أُشْرِبَتْهَا طِبَاعُهُ وَرِقَّتُهُ قَدْ ضُمِّنَتْهَا خُصُورُهُ
وَإِشْرَاقُهُ فِي النَّفْسِ نُورُ حَبِيبِهِ إِذَا لاَحَ وَالْتَفَّتْ عَلَيْهِ شُعُورُهُ
وَأَوْصَافُهُ مِنْ بَعْدُ تَقْضِي بِأَنَّهُ أَمِيرُ كَلاَمِ النَّاسِ بَلْ هُوَ نُورُهُ
وقال منجدا لمن قال في وزنه ورويه، فرد عليه:
اِبْنُ غَازِي غَزَا فُنُونَ الشَّطَارَهْ مُضْرِماً فِي حُصُونِهَا الشُّمِّ نَارَهْ
وَالرَّئِيسُ النَّفِيسُ أَيَّدَهُ اللَّـ ـهُ تَصَدَّى لِلَيْلِهِ فَأَنَارَهْ
كَيْفَ تَرْجُو مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عِثَارَهْ؟ مَا أَرَى أَنْ تَفُلَّ بَعْدُ غِرَارَهْ
وفي مداعبة المدعو بأبي سفيان:

رأيتُ أَبَا سُفْيَانَ يَسمُو إلى الفَخْرِ لأن أبا سفيانَ ذُخْرٌ من الذُّخْرِ
سَمَا لِلعُلاَ حَتَّى تَنَاوَلَ قَاعِداً نُجُومَ سَمَاءِ الفَضْلِ بِالأَسْرِ وَالْقَسْرِ
بِآيَةِ جِلْدِ الْكَبْشِ إِذْ زَانَ صُوفَهُ بِخَضْبٍ لِحَنَّاءٍ كَتِبْرٍ عَلَى دُرِّ
وَنَمَّقَ بِالتَّرْقِيشِ صَفْحَةَ مَتْنِهِ كَما نَمَّقَ القِرْطَاسَ حَبْرٌ مِنَ الحِبْرِ
أُعِدَّتْ لَهُ الأَمْدَاحُ حَيْثُ أَعَدَّهَا لِجِلْسَةِ شَمْسِ العَصْرِ بِالصُّبْحِ وَالْعَصْرِ
وفي تعزية بعض فضلاء القصر على لسان بعضهم:
إِلَى السَّادَةِ الأَمْجَادِ، وَالقَادَةِ الْغُرِّ نُجُومِ سَمَاءِ الْقَصْرِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
بَنِي عَابِدِ الْوَهَّابِ خِيرَةِ وُلْدِهِ وَكُلُّهُمْ فِي الْفَضْلِ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّي
سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ يَا ذَوِي الصَّبْرِ كُلَّمَا أَلَمَّتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ بِالقَاصِمِ الظَّهْرِ
وَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُعَظِّمَ أَجْرَنَا وَأَجْرَكُمْ فِي السَّيِّدِ السَّنَدِ الْبَرِّ
أَخُوكُمْ أَخُو الذِّكْرِ الْجَمِيلِ لأَنْ سَمَا سَناً فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ بِالْحِفْظِ لِلذِّكْرِ

أَبُـو حَسَـنٍ فَاللـهُ يُحْسِـنُ دَائِمـاً   إِلَيْهِ، لَدَيْهِ بِالْجَزِيـلِ مِـنَ الأَجْـرِ
فَيَبْقَى عَلِيّاً كَاسْمِـهِ عِنْـدَ رَبِّـهِ الْ   عَلِيِّ بِعِلِّيِّينَ (مَـأْوَى) ذَوِي الْخَطْـرِ
وَأَلْبَسَنَا مِـنْ بَعْـدِهِ حُلَـلَ الرِّضَـا   وَعَوَّضَنَا مِنْهُ الْجَمِيلَ مِـنَ الصَّبْـرِ
وَبَصَّرَنَـا مِـنْ بَعْـدِهِ بِمَصِيـرِهِ   فَنَعْمَلَ لِلْأُخْرَى عَلَى حَسَبِ (الأَمْـرِ)
فَإِنَّا بَنِي الدُّنْيَا، وَإِنْ غَرَّتْـا الْمُنَـى،   سَنَحْدَى، وَإِنْ حِدْنَا إِلَى الْقَبْرِ بِالْقَسْرِ

وله في وصف جام:

جَامٌ بَدِيعٌ يُسَلِّـي الْمَـرْءَ بِالنَّظَـرِ   وَلَوْ غَدَا قَلْبُهُ أَقْسَـى مِـنَ الْحَجَـرِ
يُنْشِـي بِبَهْجَتِـهِ وَحُسْـنِ صَنْعَتِـهِ   أَضْعَافَ أَنْشَاءِ مَا يَحْوِيهِ مِنْ سَكَـرِ
فَالشُّرْبُ مِنْهُ لِذِي ذَوْقٍ وَذِي نَظَـرٍ   يَكْسِبُ زَهْوَيْنِ: زَهْوَ النَّفْسِ وَالْبَصَرِ
يَحْكِي وَقَدْ رُصِعَتْ شَمْسُ اللُّجَيْنِ بِهِ   شَمْسَ الضُّحَى انْطَبَعَتْ فِي (صَفْحَةِ) الْقَمَرِ
حَتَّى إِذَا انْعَكَسَ الْوَجْهُ الْبَهِـيُّ بِـهِ   مُمْتَلِئاً كَسَفَتْ مِـنْ شَـدَّةِ (الْخَفَـرِ)
فَانْعَـمْ بِـهِ وَتَأَمَّـلْ فِـي بَدَائِعِـهِ وَاشْكُرْ لِمُبْعِدِهِ فِي الْـوِرْدِ وَالصَّـدَرِ
فَالشُّرْبُ فِيهِ لِذِي ذَوْقٍ وَذِي بَصَـرٍ   يُكْسِبُ سُكْرَيْنِ: سُكْرَ الشُّرْبِ وَالنَّظَرِ

وفي استرجاع مركوب مغصوب:

أَخَـذُوا لِلْحِمَـارِ بِنْـتِ الْحِمَـارِ فَمُـرُوا مَـنْ يَرُدُّهَـا بِانْتِهَـارِ
لاَ عَدِمْتُـمْ مُنَـىً وَرُدَّتْ عَلَيْكُـمْ شَـارِدَاتُ الْعُـلاَ ذَوَاتُ النِّفَـارِ
وَسَلاَمٌ مِـنَ الْمُحِـبِّ ابْـنِ زَاكُـو رٍ كَنَشْرِ الأَزَاهِـرِ فِـي الأَسْحَـارِ

وفي مكاتبة:

كَتَبْتُ إِلىَ عِيسَى الشَّرِيـفِ مُسَلِّمـاً   عَلَيْهِ عَلَى ذِي غِرَّةٍ تُخْجِـلُ الْغُـرَرْ
وَحَمَّلْـت رَكْبـاً قَـدْ نَـوَوْهُ تَحِيَّـةً يَضُوعُ بِهَا أُفْقُ الْجَزَائِرِ فِي السَّحَـرْ
مُضَمَّنُهَا حَمْـدٌ، وَمُوجِبُهَـا هَـوىً، وَأَنْفَاسُهَـا مِسْـكٌ، وَأَلْفَاظُهَـا دُرَرْ

وله في الرثاء أيضا:

ذَوَى خَضِرُ الأَفْرَاحِ مُنْذُ ذَوَى الْخَضِرْ عَلَيْكَ سَلاَمُ اللّهِ يَا عَيْشَنَـا النَّضِـرْ
فَلَمْ أَحْمَدِ الدُّنْيَـا بِـلاَ نُـورِ أَحْمَـدٍ   وَهَلْ يُحْمَدُ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ بِـلاَ قَمَـرْ؟

ذَوَى فَذَوَتْ آمَالُنَـا جَـلَّ مَـا ذَوَى وَكَانَتْ بِهِ الآمَـالُ يَانِعَـةَ الزَّهَـرْ

عَلَى قَبْـرِهِ قَبْـرِ الْمَكَـارِمِ وَالْعُـلاَ سَلاَمٌ سَلِيمٌ مِنْ شَوَائِبِ مَـنْ غَـدَرْ

فَإِنْ فَاتَنَـا تَأْخِيـرُ وَقْتِـكَ فَلْيَكُـنْ لَنَا مِنْكَ فِي التَّقْدِيـمِ أَجْـرٌ وَمُدَّخَـرْ

وَذَاكَ عَلَـى قَـدْرِ الْمُصِيبَـةِ إِنَّهَـا وَحَقِّكَ أَدْهَى مَا أُصِيـبَ بِـهِ بَشَـرْ

سَنَصْبِرُ حَتَّى يَجْمَعَ الصَّبْـرُ بَيْنَنَـا وَفِي الصَّبْرِ لَوْ يَقْضِى بِهِ خَيْرُ مُفْتَخَرْ

ورفعت إِلَيَّ هذه الأبيات، ونسبت للحلاج، ضمنها أحرف اسم الله عز وجل، وطلب مني أن أنسج على منواله مضمنا أحرف اسم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أفضل مسمى. وهذه أبيات الحلاج:

أَحْـرُفٌ أَرْبَـعٌ بِهَـا هَـامَ قَلْبِـي وَتَلاَشَـتْ بِهَـا هُمُومِـي وَفِكْـرِي

أَلِفٌ أَلَّفَ الْخَلاَئِقَ بِالصُّنْعِ الجَمِـي لِ، فَلـاَمٌ عَلَـى السَّلاَمَـةِ تَجْـرِي

ثُـمَّ لـاَمٌ، زِيَـادَةٌ فـي الْمَعَالِـي ثُـمَّ هَـاءٌ، بِهَـا أَهِيـمُ وَأَدْرِي

فقلت:

أَحْـرُفٌ أَرْبَـعٌ ذَهَبْـنَ بِضُـرِّي وَحَسَمْـنَ أَمْـدَادَ مُوقِـدِ جَمْـرِ

مَاتَ بِالْمِيـمِ كُـلُّ حَـيٍّ لِوَجْـدِي وَبِحَاءٍ حَمَلْـتُ إِصْـرِي بِيُسْـرِي

وَبِمِيـمٍ مَلَكْـتُ مَـا نَـدَّ عَنِّـي مِنْ شُرُودِ الْمُنَى، فَبُشْرَى بِبِشْـرِي

وَبِـدَالٍ دَلَـوْتُ دَلْـوِي مَلْـأَى مِنْ زَكَايَا النَّدَى (بِأَشْطَـانِ نَصْـرِ)

وقلت أيضا في المعنى والوزن والروي:

أَحْرُفٌ أَرْبَعٌ شَفَـتْ دَاءَ (صَـدْرِي) وَأَنَـارَتْ بِـإِذْنِ رَبِّـيَ فِكْـرِي

وَهْـيَ مِيـمُ الْمُنَـى فَحَـاءُ حَيَـاةٍ ثُمَّ مِيـمُ (الْمَعَـاذِ مِنْ كُـلِّ شَـرِّ)

ثُـمَّ دَالُ الدُّنُـوِّ مِـنْ كُـلِّ يُمْـنٍ وَنَجَـاحٍ وَيُسْـرَةٍ بَعْـدَ عُسْـرِ

وقال في اللغز في الزمان:

مَا اسْمُ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ عَبْدٌ وَلاَ حُـرٌّ؟ لاَ، وَلَمْ يَنْـجُ مِنْـهُ حُلْـوٌ وَلاَ مُـرٌّ

وَالِـدٌ كُلَّمَـا زَمَـانٍ وَحُبْلَـى شَكْـلُ مُقْلُوبِـهِ الْمُصَحَّـفِ نَامُـرْ

وَالذِي لَيْـسَ فِيـهِ قَلْـبٌ، طَعَـامٌ نَافِعُ الْقَلْبِ، لَيْسَ فِيـهِ لَنَـا ضُـرٌّ

ومما قاله ﰲ نومه بديهة، وكتبه بيده فيما خيل له نوما:

اللّه أَعْلَـمُ حَيْـثُ يَجْعَـلُ الـدُّرَرَا واللّهُ أَعْلَـمُ حَيْـثُ يُنْـزِلُ الـدِّرَرَا

ورَأى السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ خُيِّلَ لَهُ أَنَّهَا انْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا، وَهِيَ تَحْكِي لِلنَّبِيِّ صلى اللّه عليه وسلم مَا قِيلَ لَهَا فِي ذَلكَ النَّوْمِ الذِي انْتَبَهَتْ مِنْهُ فِي عِلْمِ الرَّائِي: وَصُورَةُ ذَلِكَ يَا صِدِّيقَةُ، الْمَوْتُ صَدُوقُ كُلِّ صَدِيقٍ وَمَرَادُ كُلِّ أَمْرَدٍ، فَصَدُوقٌ بِالْوَاوِ، بِمَعْنَى كَثِيرُ الصَّدَاقَةِ مُبَالَغَةً، فَيَكُونُ بِمَعْنَى: صَدِيقٌ بِالْبَاءِ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لاَ يَتْرُكُ صَدِيقاً. وَمَرَادُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، بِمَعْنَى: مَطْلَبٌ، فَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ أَمْرَدٍ، وَهُوَ الصَّغِيرُ، وَأَصْلُهُ: مَنْ لاَ لِحْيَةَ لَهُ، يَرِدُ الْمَوْتَ، وَالْمَوْتُ مَطْلَبُهُ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ الْمُبَارَكَةُ بِالْهَرَاوِلِبِالْقُرْبِ مِنَ الْعَلَمِ الْمُبَارَكِ مِنْ نَاحِيَةِ تِطَّاوِنَ، وَذَلِكَ بِدَارِ الأَشْرَافِ: أَوْلاَدِ شَقُّورٍ.

وقال مجيبا:

أُشْكُرْ لِمَنْدُوصَـةٍ خَيْـرِ الأَخَايِيـرِ مِنْ كُلِّ فَـارِسِ مَنْظُـومٍ وَمَنْثُـورِ

وَصِفْوَةُ الصَّيْدِ مِنْ أَعْيَـانِ أَنْدَلُـسٍ وَبُلَغَائِهِـمُ اللُّسْـنِ الْمَشَاهِيـرِ

قَدْ نَزَعَتْ بِهِ أَعْرَافُ السَّرَاةِ عَلَـى مَرِّ الزَّمَـانِ وَتَجْدِيـدِ الأَعَاصِيـرِ

وَكَوْنُهُ فـِي ذُرَى تِطْـوَانَ مَطْلَعِـهِ بَدْرَ عَـلاَءٍ حَبَاهَـا خَيْـرَ تَنْوِيـرِ

فَجَاءَ أَشْعَرَ مَنْ يَجْرِي عَلَـى سَنَـنٍ مِنَ الْقَرِيضِ قَوِيـمٍ غَيْـرِ مَهْجُـورِ

فَجَارِهِ ﰲ سَبِيـلِ (الْقَـوْلِ) مُتَّئِـداً شِعْراً بِشِعْـرٍ، وَتَحْبِيـراً بِتَحْبِيـرِ

وَجَازِهِ عَنْ قَرِيضٍ كَانَ مِنْـهُ سَنـاً لِوَالِـجٍ نَفَقـاً فِـي جُنْـحِ دَيْجُـورِ

وَصِلَةٍ مِنْ حَبِيـبٍ لَيْـسَ يَرْقُبُهَـا مُحِبُّهُ (الْمُصْطَلِي نِيـرَانَ) مَدْحُـورِ

أَذَاكَ أَجْلَـى مِثَـالٍ لِمَدِيحِـكَ لِـي أَمْ أَبْرَدُ الْعَذْبِ يَشْفِي قَلْبَ مَحْـرُورِ

وَمُحْسِبُ الْيُسْرِ بَعْدَ الْعُسْـرِ يُدْرِكُـهُ أَبُـو بَنَـاتٍ ضَعِيفَـاتٍ مَكَاسِيـرِ

فَاللّهُ يُجْزِيكَ لاَ شِعْـرِي وَتَزْوِيـرِي عَلَى جَمِيـلِ ثَنَـاءٍ غَيْـرِ مَكْفُـورِ

لِهَنَّكَ الْمَرْءِ أَهْـدَى الـدُّرَّ مُنْتَثِـراً فِي سِلْكٍ مُنْتَظِمٍ إِلَـى ابْـنِ زَاكُـورِ

زَاكِرٍ عَيْبَـاتِ أَفْعَـالٍ لَـهُ قَبُحَـتْ بِالْعَيْبِ، بِالْغَيْـبِ ذَا جِـدٍّ وَتَشْمِيـرِ

وَقَـدْ يُجَاهِـرُ بِالْفَحْشَـاءِ مُنْتَهِجـاً نَهْجَ الْمُهَاجِـرِ دَارَ اللـهِ وَالْحُـورِ

لَـمْ يَجْـدِهِ الْعِلْـمُ حِيـنَ حَصَّلَـهُ بِالـدَّرْسِ لِلنَّفْـسِ، لاَ لِلَّـهِ بِالنُّـورِ

فَمَـا نَضَـارَةُ أَقْـوَالٍ مُزَخْرَفَــةٍ بِخَاطِـرٍ مُخْطَـرٍ لِكُـلِّ مَحْظُـورِ

إلاَّ كَنَضْـرَةِ جِسْـمٍ لاَ حَيَـاةَ لَـهُ بَيْنَ الْجُسُـومِ وَسُـورٍ دُونَ مَـادُورِ

(إِيهٍ) هُدِيتَ، فَدُرُّ الشِّعْرِ أَنْفَسُ مَـا يُهْدَى إِلَى عَالِـمٍ بِالشِّعْـرِ نِحْرِيـرِ

لَقَدْ أَنَلْـتَ بِـذَاكَ الْقَـوْسَ بَارِيهَـا وَالطَّرْفَ مُجْرِيَـهُ بَيْـنَ الْجَمَاهِيـرِ

وَالْعَضْبَ مَنْ يَعْتَلِي هَامَ الْكُمَاةِ بِـهِ وَالتِّبْـرَ دَهْقَـانَ نَقَّـادِ الدَّنَانِيــرِ

وَالْمِسْكَ مَنْ لَيْسَ مُزْكُوماً وَقَدْ سَطَعَتْ مِنْهُ الْفَوَاغِمُ تَشْفِـي كُـلَّ مَصْـدُورِ

لاَ غَـرْوَ، أَنَّـا وَقَـدْ قَلَّدْتَنَـا مِنَنـاً نُدْلِي إِلَى شُكْرِهَا (قَسْراً) بِتَقْصِيـرِ

فَأَنْتَ مِصْقَعُ أَهْلِ الْعَصْـرِ قَاطِبَـةً تَقْضِـي عَلَيْهِـمْ بِتَقْدِيـمٍ وَتَأْخِيـرِ

فَهُمْ لَدَيْكَ – وَأَنْتَ اللَّيْـثُ يَذْعَرُهُـمْ زَئِيرُ شِعْـرِكَ – أَشْبَـاهُ السَّنَانِيـرِ

يَمْعُونَ، يَبْغُونَ شَقّاً مِنْ غُبَارِكَ فِـي شَأْوِ الْعُلاَ، مَا مُعَاءُ الْهِرِّ مِـنْ زِيـرِ

أَعَاذَكَ اللّٰهُ مِنْ عَيْنِ الْحَسُـودِ فَنَـلْ عَيْـنَ الْحَسُـودِ بِأَشْبَـاهِ الْمَسَامِيـرِ

مِنْ فِعْلِكَ الْمُرْتَـدِي بِكُـلِّ صَالِحَـةٍ تُغْـرِي الْجَلِيـلَ بِتَعْزِيـزٍ وَتَوْقِيـرِ

فَأَنْـتَ رَبُّ جَمِيـلٍ غَيْـرَ مَكْفُـورِ وَأَنْتَ حِلْفُ صَنِيـعٍ جِـدُّ مَشْكُـورِ

فَاللّٰهُ يَكْفِيكَ كَفَّ الضَّيْمِ مِـنْ حَـرَدٍ لَـمْ يَتَرَقَّـبْ رَقِيبــاً لِلْمَقَادِيــرِ

وَاللّٰهُ يُرْقِيـكَ (أَوْ) يُبْقِيـكَ مُرْتَقِبـاً عَلَى (الْعِدَى) فَهُمْ شَـرُّ الأَشَارِيـرِ

وَاللّٰهُ يَرْعَاكَ فِـي مَسْعَـاكَ مُرْتَدِيـاً بِالصَّوْنِ عَنْ كُلِّ مَحْظُورٍ وَمَحْـذُورِ

وَاللّٰهُ يُصْحِبُـكَ التَّأْيِيـدَ مُعْتَصِمـاً بِعِزَّةِ اللـهِ، فِـي دَهْـرِ الدَّهَارِيـرِ

حرف الزاي

قال عليه، متعوذا بالله، ومفوضا أمره إليه:

تَعَــزَّزْتُ بِــذِي الْعِــزِّ مِــنَ الشَّيْطَــانِ ذِي الــأَزِّ

وَمِمَّــا يَنْسُبَــنْ فِكْــرِيإِلَــى الشَّخْــزِ أَوِ الــأَزِّ

وَمِــنْ شَــرِّ الــذِي قَــدْ بَــزَّ مَكْـراً نُهْيَــةَ الْبَــرْزِ

وَمِــنْ قَــوْلٍ بِــلاَ فِعْــلٍ وَفِعْــلٍ رَبُّــهُ يُخْــزِي

وَمِــنْ فَقْــرٍ أَخِــي ذُلٍّ وَمِنْ بُخْــلٍ وَمِــنْ عَجْــزِ

وَمَــا بِالشَّــرِّ قَــدْ يَقْضِــي وَمَــا بِالــذُّلِّ قَــدْ يُجْــزِي

وَمِمَّــا يَقْتَضِــي طَــرْدِي عَــنِ التَّوْفِيــقِ أَوْ بَهْــزِي

وَكُــلِّ مُغْضِــبِ الــرَّبِّ وَكُــلِّ مُوجِــبِ الرِّجْــزِ

مِــنَ الْمَكْــرِ أَوِ الْغَــدْرِ أَوِ الْخُبْــثِ أَوِ الرِّجْــزِ

وَمِمَّــنْ يَشْتَهِــي ضُــرِّي وَمِمَّــنْ وُدُّهُ جَــأْزِي

وَذِي هَمْــزٍ وَذِي لَمْــزٍ وَذِي غَمْــزٍ وَذِي طَنْــزِ

وَذِي نَهْــزٍ وَذِي نَكْــزٍ وَذِي وَكْــزٍ وَذِي وَخْــزِ

وَذِي نَبْــزٍ وَذِي نَحْــزٍ وَذِي نَفْــزٍ وَذِي نَقْــزِ

وَذِي ضَكْــزٍ وذِي مَــرْزٍ وَرَزٍّ مُفْــزِعِ الــرَّزِّ

وَذِي (لَحْــزٍ) عَلَــى بَــزِّي مِــنَ الْمَلْبُــوسِ مِــنْ عِــزِّ

مِــنَ الْعُــرْبِ أَوِ الْعُجْــمِ أَوِ التُّــرْكِ أَوِ الْغُــزِّ

وَمِــنْ فَــدْمٍ أَخِــي لُــؤْمٍ وَمِــنْ نَــزٍّ أَخِــي وَفْــزِ

وَذِي جُــرْحٍ بِــلاَ رُمْــحٍ وَذِي حَــزٍّ بِــلاَ لَحْــزِ

وَذِي بَــزٍّ يَبُــزُّ الْــبَــزَّ عِنْــدَ الْبَــزِّ بِالْبَــزِّ

وَمِــنْ سَيْــرٍ إِلَــى عَيْــرٍ وَمِــنْ جَمْــزٍ إِلَــى جِبْــزِ

وَمِــنْ مَنْعِــي مِــنَ النَّفْــعِ وَمِــنْ حَجْــرِي وَمِــنْ حَجْــزِي

وَمِــنْ كَــزٍّ أَخِــي لَــزٍّ وَمِــنْ فَــزٍّ أَخِــي قَــزِّ

وَمَــا يُلْهِــي عَــنِ اللـــهِ مِــنَ الْقَهْــزِ أَوِ الْقَــزِّ

وَمِــنْ لَيْــنٍ وَمِــنْ شَــرْزٍ وَمِــنْ رَطْــبٍ وَمِــنْ شَــزِّ

وَمَــا قَــدْ هَــمَّ مِــنْ هَمِّــي حُلَــى جِسْمِــي عَلَــى الــدَّرْزِ

وَمِــنْ جَــرْزٍ، جُــرَازُغَ مِّهَــا لَــمْ يَنْــبُ عَــنْ جَــرْزِ

قَسَا قَلْبِـي مِـنَ الذَّنْـبِ ال   ذِي يُرْبِـي عَلَـى الـرِّزِّ

حَنَانَيْــكَ أَمَوْلاَنَــا أَرِبِّــي سَامِــعِ الرِّكْـزِ

لأَضْنَانِـي وَأَرْدَانِــي سِنَـانُ الْغَـمِّ بِالرِّكْـزِ

وَأَنْضَانِـي كمَـا أَنْضَـى ذَوَاتَ الْخَبْـزِ ذُو الْخَبْـزِ

لَـكَ الْحَمْـدُ، لَـكَ الشُّكْـرُ   أَذَا الْجُـودِ، أَذَا الْمِـزِّ

عَلَـى الْحُلْـوِ أَوِ الْمُـرِّ أَوِ الْحَمْـزِ أَوِ الْمُـزِّ

فَكُـنْ لِـي سَيِّـدِي عَوْنـاً   عَلَـى الشَّيْطَـانِ ذِي الْهَمْـزِ

وَكُـنْ حِصْنِـي وَكُـنْ حِـرْزِي   وَكُـنْ مَالِـي وَكُـنْ كَنْـزِي

وَكُـنْ لِـي كُلَّمَـا حِيـنٍ تَدَاعَـى الأَمْـرُ لِلشَّخْـزِ

وَسَامِحْنِـي وَأَنْفِحْنِـي بِوَبْـلِ مِـنْ جَـدىً عِـزِّ

وَجِـشْ لِـي كُلَّمَـا حَـزٍّ   بِفَضْـلٍ جَـلَّ عَـنْ حَـزِّ

وَسَدِّدْنِـي وَأَيِّدْنِـي فِـي نُطْقِـي وَفِـي ضَمْـزِي

وَفِـي جَهْـرِي وَفِـي هَجْـزِي   وَفِـي هَدْئِـي وَفِـي رَهْـزِي

بِشَمْـسِ الرُّسْـلِ وَبْـلِ الْفَـضْ   لِ رُكْـنِ الْعِـزِّ وَالْعَـزِّ

رَسُـولِ اللـهِ سَيْـفِ الـلَّ   ـهِ مَـنْ أَفْنَـى ذَوِي الرِّجْـزِ

صَلَـاةٌ ثُـمَّ تَسْلِيـمٌ عَلَيْـهِ رَائِقَـا الطَّـرْزِ

وقال عليه أيضا، ملتزما تجنيس قوافيه:

أَيَـارَبِّ أَذَا الْعِـزَّهْ   أَمَـنْ يَسْقِـي الْـوَرَى عِـزَّهْ

قَضَـى عَبْـدُكَ مِـنْ وَجْـدٍ   وَقَـدْ أَوْهَـى الْهَـوَى عِـزَّهْ

وَأَضْنَـاهُ الـذِي بَـزَّهُ مِـنَ السُّلْـوَانِ إِذْ عَـزَّهْ

وَرُمْـحُ الْغَـمِّ قَـدْ رَزَّهْ فَـأَرْدَى قَلْبَـهُ رَزَّهْ

فَسَـدِّدْهُ وَأَيِّـدْهُ   وَثَبِّتْـهُ كَمَـا الـرَّزَّهْ

وَأَطْعِـمْ قَلْبَـهُ الْعَرْثَـا   نَ بُـرَّ الْبِـرِّ أَوْ رُزَّهْ

وَقَـدْ نَـادَاكَ ذُو ذُلٍّ أَجِـبْ يَـا رَبَّنَـا رِزَّهْ

وَأَنْقِـــذْهُ مِـــنَ الشِّـــرْكِ إِذَا الشَّـــرُّ انْتَضَـــى لَحْـــزَهْ
وَأَبْـــدَى فَقْـــرُهُ عَجْـــزَهْ وَأَغْـــرَى بِالْعَنَـــا لَحْـــزَهْ
وَيَسِّـــرْهُ إِلَـــى الْيُسْـــرَى وَكُـــنْ مِـــنْ ضِدِّهَـــا حِـــرْزَهْ
وَكُـــنْ تَعْوِيـــذَهُ مِـــنْ كُـ ـلِّ مَـــا يَخْشَـــاهُ أَوْ حِـــرْزَهْ
وَعَامِلْـــهُ بِتَوْفِيـــقٍ إِلَـى مَـا يَقْتَضِـي حُـــرزَهْ
وَأَمِّنْـــهُ مِـــنَ اللَّـــذْ يَـــقْ تَضِـي عَـــنْ هَدْيِكُـــمْ بَهْـــزَهْ
وَمِمَّـــا يَقْتَضِـــي نَحْـــزَهْ وَمِمَّـــا يَقْتَضِـــي نَهْـــزَهْ
وَسَلِّمْنِـــي فِـــي ذِهْـــنِ يَ مِمَّـــا يَقْتَضِـــي أَزَّهْ
وَمِـــنْ إِبْلِيـــسَ ذِي التَّدْلِـــي سِ لاَ تُغْـــرِي بِنَـــا أَزَّهْ
وَمِمَّـــا يَقْطِـــفُ الذَّنْـــبَ الـ ـلَذِي يُصْلِـي الْفَتَـــى رِجْـــزَهْ
وَمِمَّـــا يَجْتَنِـــي الْعَيْـــبَ الـ ـلَذِي يُكْسِـي الْحَشَـــا رِجْـــزَهْ
وَمَلِّكْنِـــي مَطَـــا الرُّشْـــدِ لأُضْحِـــي مَاسِكـــاً غَـــرْزَهْ
وَأَمِّنْنِـــي أَذَا التَّأْمِـــي نِ (نَحْسَ) الْغَـــيِّ أَوْ غَـــرْزَهْ
وَضَـــرْبَ الْهَـــمِّ أَوْ وَخْـــزَهْ وَطَعْـــنَ الْغَـــمِّ أَوْ رَكْـــزَهْ
فَضُـــرِّي قَـــدْ دَعَـــا مِنْكُـــمْ عَلِيمـــاً، سَامِعـــاً رِكْـــزَهْ
بِجَـــاهِ الْمُصْطَفَـــى الْمُخْتَـــا رِ مَـــنْ رَوَّى الْـــوَرَى مِـــزَّهْ
صَلَـــاةٌ دَائِمـــاً تَسْقِـــي هِ مِـــنْ رِضْوَانِكُـــمْ مَـــزَّهْ
عَلَيْـــهِ مَـــا حَبَـــاهُ الْفَـــجْ رُ حُلْـــوَ الذِّكْـــرِ أَوْ مُـــزَّهْ

وقال وقد رحل إلى زيارة سيدي أبي يعزى - نفعنا الله به - في ربيع الثاني من سنة ثلاث وتسعين (وألف):

بِحَارُ النَّدَى تُعْزَى إِلَيْكُمْ أَبَا يَعْـزَى فَأَعْظِمْ بِمَا يُنْمَى إِلَيْكُمْ وَمَـا يُعْـزَى
أَقُولُ وَقَـدْ هَبَّـتْ فَتَاتِـي تَلُومُنِـي عَلَى السَّيْرِ، إِنَّ السَّيْرَ قَدْ يُذْهِبُ الرِّجْزَا
دَعِينِي أُعَانِ السَّيْرَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَـى إِلَى حَيْثُ لَمْ أَعْدَمْ ثَـرَاءً وَلاَ عِـزَّا
إِلَى بَحْرِ جُودٍ مَـاؤُهُ لَيْـسَ آسِنـاً وَلاَ طَعْمُـهُ مُـزّاً وَلاَ رَبُّـهُ جِبْـزَا

إِلَى حَيْـثُ نَـوَاهُ الْمُنَـى مُتَـأَرِّجٌ وَحَيْثُ النَّدَى ثَاوٍ، وَحَيْثُ أَبُو يَعْزَى
هُمَامٌ إِذَا نَادَاهُ مَـنْ ضَـاقَ صَـدْرُهُ   بِحَادِثِ دَهْرٍ كَانَ فِي غَوْثِـهِ وَجْـزَا
وَأَنْقَـذَهُ مِـنْ مُعْضِلَـاتِ زَمَانِـهِ   وَكَانَ لَهُ مِـنْ كُـلِّ دَاهِيَـةٍ حِـرْزَا
فَكَمْ مِنْ حَبُولٍ قَـدَّ (سُـودَ) حِبَالِهَـا   (بِلَحْزٍ) الْمُنَى مِنْ بَعْدِ مَا أَوْجَبَتْ جَأْزَا
أَيَـا عَلَمـاً مَـا إِنْ يُضَـامُ نَزِيلُـهُ وَمَا إِنْ يُرَى مِنْ دَهْرِهِ أَبَـداً وَشْـزَا
حَتَثْنَا مَطَايَا الْعَـزْمِ نَحْـوَ حِمَاكُـمُ   نَشُقُّ بِهَا فَرْزاً وَنَعْلـوُ بِهَـا نَشْـزَا
وَجُبْنَا إِلَـى مَثْـوَاكَ أَفْـوَازَ مَهْمَـهٍ   عَسَى بَحْرُكَ الزَّخَّارُ مِنْ فَيْضِهِ نُجْزَى
فَأَنْجِزْ مُنَى مَـنْ أَمَّ مَثْـوَاكَ قَائِـلاً:   بِحَارُ النَّدَى تُعْزَى إِلَيْكُمْ أَبَا يَعْـزَى

وقال في أبي الحسن سيدي علي بن حرزهم:

ضَرِيحٌ لاِبْنِ حِرْزِ النَّـاسِ حِـرْزِي   وَمَوْئِـلُ بُغْيَتِـي، وَمَلَـاذُ عِـزِّي
أَلُـوذُ بِـهِ إِذَا الْأَهْـوَالُ جَاشَـتْ بَلَابِلُهَـا التِـي أَبْدَيْـنَ عَجْـزِي

ومن المقول بعد:

قَرَعْـتُ بِذُلِّـي بَـابَ الْعَزِيـزْ   وَلِلنَّفْسِ مِمَّـا تَلَظَّـتْ أَزِيـزْ
وَأَيْقَنْـتُ أَنِّـي إِذْ جِئْتُـهُ   ذَلِيـلاً لَجَـأْتُ لِحِـرْزٍ حَرِيـزْ

وقال في حق الإمام الهمام، الذي لولا أنوار وجوده لغمر أفق مراكش الإظلام، ذو الخلق المعطار، أبو العباس سيدي أحمد العطار، يستنجز منه قراءة أرجوزة ابن سينا بما صورته:

مَاذَا عَلَى الْعَطَّارِ لَـوْ أَهْـدَى لَنَـا نَفَحَاتِـهِ مِـنْ جُونَـةِ الْأُرْجُـوزَهْ
وَأَبَاحَنَـا أَسْرَارَهَـا تِلْـكَ التِـي أَمْسَتْ عَلَى مَـنْ دُونَـهُ مَحْـرُوزَهْ
(إِنِّي) وَإِنْ شَهِدَتْ بِنَقْصِي سِيرَتِـي   وَبِـهِ شَمَائِـلُ شِيمَتِـي مَلْمُـوزَهْ
لاَ أَرْتَضِي لِكَمَالِـهِ – حَاشَـاهُ – أَنْ   تَبْقَى (الْمَعَـارِفُ) عِنْـدَهُ مَكْنُـوزَهْ
هَـذَا وَرَايَـةُ حُبِّـهِ وَوِدَادِهِ   أَبَداً أَرَاهَـا فِـي الْحَشَـا مَرْكُـوزَهْ
وَغُصُونُ رَوْضِ الشُّكْرِ وَهْيَ نَضِيرَةٌ   مَـا إِنْ تَـزَالُ بِذِكْـرِهِ مَهْـزُوزَهْ

وقال في غرض:

أَعَـزَّكَ اللهُ ابْـنَ عَبْـدِ الْعَزِيـزْ عِـزّاً، بِـهِ يَسْكُـنُ كُـلُّ أَزِيـزْ

حَتَّى تَرَى مِـنْ عِـزَّةِ اللـهِ فِـي   حِصْنٍ حَصِيـنٍ وَبِحِـرْزٍ حَرِيـزْ
أَوْجَزْتُ فِـي قَصْدِ الدُّعَـاءِ لَكُـمْ   إِذَا كُنْـتَ أَهْـلاً لِلْكَلاَمِ الْوَجِيـزْ
وَقُلْـتُ - لاَ آلُـوكَ مُعْتَـذِراً -: قَدْرُ ابْـنِ زَاكُـورٍ كَزِبْـلِ الْمَعِيـزْ
وقلت في إجازة أبي عبد الله محمد بن أحمد الفتوح في البحر والروي:
أَجَزْتُكُـمْ مَرْوِيَّنَـا مُطْلَقـاً   وَمَـا لَنَـا يُعْـزَى بِقَـوْلٍ وَجِيـزْ
وَلَوْ جَـرَى الْحُكْـمُ عَلَـى رَسْمِـهِ لَكُنْـتَ إِذْ أَنْـتَ الْأَجَـلَّ الْمُجِيـزْ
وقلت:
إِذَا سَحَّـتْ سَحَـابُ اللـهِ   تَـرَى الأَرَضِيـنَ تَهْتَـزُّ
وَيَبْلُـغُ حُسْنُهَـا أَقْصَـاهُ   وَيَخْلُـفُ ذُلَّهَـا الْعِـزُّ

حرف الطاء

قال عليه، يمدح سر الزمان أبا علي الحسن اليوسي، أبقاه الله:
مَا لِلْأَحِبَّةِ أَسْيَافَ الْجَفَـا اخْتَرَطُـوا   أَيْنَ الْعُهُودُ وَمَا فِي الْقَلْبِ قَدْ رَبَطُوا؟
وَلاَ كَعَهْدِ خَلِيـلٍ خِلْـتُ خُلَّتَـهُ دَائِمَةً، فَبَـدَا فِـي رَأْسِهَـا الشَّمَـطُ
أَشْلَوْا عَلَى أَضْلُعِي مِخْرَاطَ هَجْرِهِمُ   إِذْ أَبْعَدُونِي، وَأَغْصَانَ الْمُنَى خَرَطُوا
وَخَبَطُوا بِعَصَـا أَشْوَاقِهِـمْ كَبِـدِي   مَا ضَرَّ لَوْ خَبَطُوا بِالْوَصْلِ مَنْ خَبَطُوا؟
أَفْدِيهِـمْ، وَلَظَـى الأَحْشَـاءِ مُوقَـدَةٌ   مِنْ هَجْرِهِمْ، عَدَلُوا فِي ذَاكَ أَوْ قَسَطُوا
حِلاًّ، لَقَدْ أَقْسَطُوا وَالْمُقْسِطُـونَ هُـمُ   وَالْقِسْطُ نَحْوَهُمْ قَـدْ جَـاءَ يَخْتَبِـطُ
لَكِـنْ جَفَـوْتُ فَجَافَتْنِـي مَوَدَّتُهُـمْ وَقَدْ بَدَا لِي مِـنْ أَسْرَارِهَـا شَـرَطُ
وَأَبْعَدُونِـي وَقَـدْ آنَسْـتُ قُرْبَتَهُـمْ عذَرْتُهُمْ، فَلَقَدْ أَبْعَدْتُ مَـا شَرَطُـوا
لأَنَّهُمْ، سَلِمُـوا، طَابَـتْ سَرَائِرُهُـمْ   فَأَرَّجَـتْ، فَأَذَاهُـمْ مِنِّـي الثَّعَـطُ
فَاسْتَقْذَرُونِي، فَأَقْصَوْنِـي، فَقَرَّبَنِـي   مِنَ الأَسَى مَا بَدَا فِي حُكْمِهِ الشَّطَـطُ
لَوْ نَفْحَةٌ مِنْ شَذَا الْيُوسِيِّ تَشْفَعُ لِـي   إِلَى رِضَاهُمْ، رَضُوا عَنِّي وَإِنْ سَخِطُوا
بَلْ فِي رِضَاهُ رِضَاهُمْ وَهْوَ مَا شَهِدَتْ   بِهِ الْهُدَى وَالنَّدَى وَالْخُلُـقُ السَّبِـطُ

وَنُصْرَةُ الدِّيـنِ وَالأَعْلـَامُ طَامِسَـةٌ مِنْهُ وَأَمْرُ الْجَوَى مِنْ أَمْـرِهِ فُـرُطُ
وَأَرْبُعُ الْعِلْـمِ لَـمْ يُلْـفَ بِمَنْهَلِهَـا مِنَ الأَفَاضِـلِ لاَ سَـاقٍ وَلاَ فَـرُطُ
مَنْ عِنْدَهُ لِضِيَـاءِ الرُّشْـدِ مُقْتَبَـسٌ وَلِجِيَادِ التُّقَـى، وَالصَّبْـرُ مُرْتَبَـطُ
وَلأَزَاهِـرِ نَشْـرِ الْحِلْـمِ مُقْتَطَـفٌ وَلِجَوَاهِـرِ سِمْـطِ الْعِلْـمِ مُلْتَقَـطُ
دَامَـتْ لَنَـا وَلِدِيـنِ اللـهِ غُرَّتُـهُ فَالدِّينُ لَوْلاَكَ لَمْ يُنْقَشْ لَـهُ نَمَـطُ

وقال أيضا:

أَلاَ كُـنْ فِـي حَيَاتِـكَ ذَا احْتِيَـاطِ عَلَـى مَرْضَـاةِ رَبِّـكَ ذَا اغْتِبَـاطِ
وَلاَ تُتْعِبْـكَ ذِي الدُّنْيَـا بِحِــرْصٍ فَـذِي الدُّنْيَـا مُقَطَّعَــةُ النِّيَــاطِ

وقال أيضا، وقد قصد من هنالك روضة المولى أبي محمد بن عبد اللّه الهبطي يوم الخميس منسلخ ذي قعدة:

سِهَامُ الرَّدَى تُخْطِي الذِي قَصدَ الْهَبْطِي إِمَامٌ هُمَـامٌ لاَ مَـرَدَّ لِمَـا يُعْطِـي
جَوَادٌ، لَهُ بَحْرٌ مِنَ الْفَضْـلِ مُزْبِـدٌ وَلَكِنَّهُ عَـذْبٌ، مُحِيـطٌ بِـلاَ شَـطِّ

أَتَاكَ ابْنُ زَاكُـورٍ أَمَوْلـَايَ إِذْ نَـأَى بِهِ الْبَيْنُ عَنْ أَرْضِ الْقَرَابَةِ وَالرَّهْطِ
وَأَمَّكَ وَ (الأَوْجَالُ) تُضْـرِمُ نَارَهَـا وَقَدْ لَجَّ سُوءُ الظَّنِّ فِي الْحَلِّ وَالرَّبْطِ
وَقَدْ عَلِقَتْ سُودُ الْخَوَاطِـرِ بِالْحَشَـا كَمَا عَلِقَتْ سُودُ الذَّوَائِـبِ بِالْمُشْـطِ
فَسَدِّدْ إِلَى الأَوْجَـالِ سَهْـمَ عِنَايَـةٍ مَرِيشاً بِعَزْمٍ لاَ (يَطِيشُ) وَلاَ يُخْطِي
وَإِلاَّ فَإِنِّـي لِلْعُـلاَ غَيْـرُ عَــاذِرٍ يُلـَامُ الْعُـلاَ إِمَّـا تَـدَرَّعَ بِاللَّــطِّ
حَنَانَيْكَ هَلْ كَأْسٌ مِنَ الْفَضْلِ مُتْـرَعٌ يُبَرِّدُ أَحْشَاءً تَلَظَّتْ مِـنَ الضَّغْـطِ؟
وَيُذْهِـبُ إِظْلـَامَ الْفُـؤَادِ صَبَاحُـهُ كَمَا أَذْهَبَتْ لَيْلَ الْهَوَى سُرُجُ الْقِسْـطِ
وَلاَ تَنْسَ يَا شَمْسَ الْهُدَى لِيَ وَالِـداً مُسِنّاً ضَعِيفَ الْجِسْمِ وَالرَّأْيِ وَالضَّبْطِ
وَمَنْ طَرَّزَتْ أَنْوَارُهُ حُلَّـةَ الْهُـدَى كَمَا طَرَّزَ الْقِرْطَاسَ مُسْتَبْدَعُ الْخَـطِّ
مَلاَذِي ابْنَ مَسْعُودَ الرِّضَى الْحَسَنَ الذِي لَهُ هِمَّةٌ تُعْزَى إِلَى الْحَسَـنِ السِّبْـطِ
وَبَدْرَ السَّمَـاحِ الْمُقْدِمِـي لِمَقَامِكُـمْ بِشَرْطِ دُعَاءٍ فِيهِ، نَاهِيكَ، مِنْ شَـرْطِ
مُحَمَّدٌ الْمَوْلَى أَجَلُّ بَنِـي الرِّضَـى أَخِيكَ ابْنِ رَيْسُونٍ أَخِي الْخُلُقِ السَّبْطِ

وَفَرْخَيْنِ لِي أَهْوَى ارْتِيَاشَهُمَا بِمَا يَحُوطُهُمَا إِنْ جَلَّ خَطْبٌ مِنَ الْقَحْطِ
وَصَلِّ، إِلَهِي، يَا مُجِلَّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلاَةً، عَرْفُهَا نَافِحُ الْقُسْطِ
وَآلِهِ طُرّاً، وَالصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَمَنْ لَهُ فِي إِجْلاَلِهِمْ أَيُّمَا قِسْطِ
وَنَظِّمْ إِلَهِي سَعْيَنَا بِطَرِيقِهِمْ وَسُنَّتِهِمْ نَظْمَ الْجَوَاهِرِ فِي السِّمْطِ

وقلت:

لَوْلاَ حُلُولِي بِذُرَى لَمْطَهْ لَمْ يُبْدِ لِي فَجْرُ الْمُنَى خَيْطَهْ
بَدَتْ عَرُوسُ الأُنْسِ فِي بَهْجَةٍ كَالدُّرِّ إِذْ تَبْرُزُ فِي الرِّيطَهْ
وَهَبَّتِ الآمَالُ عَاطِرَةً كَالزَّهْرِ إِذْ يَنْفَحُ فِي الْغُوطَهْ

حرف الظاء

قال عليه:

أَعَدَّتْ نِبَالاً لِلْحَشَا وَهْيَ أَلْحَاظُ لَهَا الْهُدْبُ رِيشٌ وَالْمَحَاجِرُ أَرْعَاظُ
وَحَيْثُ سَبَتْهُ بِالدَّلاَلِ سَقَتْهُ مِنْ سُلاَفَةِ كَاسَاتِ الْهَوَى وَهْيَ أَلْفَاظُ
فَهَامَ، فَرَامَ السِّتْرَ إِذْ هَاجَ فَانْتَشَى فَنَاءَ بِهِ حِمْلُ الْهَوَى وَهْوَ (مِبْهَاظُ)
فَيَالَكَ مِمَّا يَسْتَلِينُ الَّذِي قَسَا وَيَمْلِكُ طَبْعَ الْمَرْءِ، وَالْمَرْءُ جَوَّاظُ
لِيَ اللَّهُ، قَلْبِي كَمْ يَذُوبُ مِنَ الْجَوَى إِذَا عَنَّ مِنْ بَيْنِ الأَحِبَّةِ مِغْنَاظُ
مَتَى لاَحَ بَرْقُ الشَّوْقِ فِي سُدَفِ الْحَشَا أُتِيحَ لأَجْفَانِ التَّوَلُّهِ إِيقَاظُ
أَرَى أُمَّ أَوْفَى مُذْ وَفَى لِيَ صَرْمُهَا يُسَاوِرُنِي أَيْمٌ مِنَ الْهَمِّ جَنْعَاظُ
إِذَا سَامَنِي صَبْرٌ عَلَيْهَا هُنَيْهَةً يُنَضْنِضُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيَّ وَيَغْتَاظُ
وَإِنْ شِمْتُ بَرْقاً لِلسُّلُوِّ عَنِ الأَسَى تَأَوَّبَنِي مِنْهُ كِظَاظٌ وَإِغْلاَظُ
فَلاَ يَهْنَإِ الْعُذَّالَ حَادِثُ بَيْنِهَا فَإِنِّي بِهِ كَأْسَ التَّنَغُّمِ لَمَّاظُ
أَرَاهَا إِذَا أَفْنَى نَحِيبِي تَأَلُّمِي وَأَذْهَلَنِي عَنِّي مِنَ الشَّوْقِ أَقْيَاظُ
وَفَاظَتْ دَوَاعِي الصَّبْرِ عَنْهَا بُعَيْدَهَا وَكُلُّ دَوَاعِي الصَّبْرِ بِالْبَيْنِ فَيَّاظُ
وَصَمَّ صَدَى الأَسْمَاعِ عَنْ هَذْيِ عُذَّلِي فَأَخْفَقَ عُذَّالٌ لِذَاكَ وَوُعَّاظُ
نَجِيَّةَ أَفْكَارِي تُحَدِّثُ لَوْعَتِي بِمَا لاَ تَعِي مِنْ مُسْنَدِ الْوُدِّ حُفَّاظُ

عَلَيْهَا كَرَيَّاهَا تَحِيَّةُ ذِي هَوىً لَه بَيْنَ أَكْنَافِ الْمَحَبَّةِ إِلْظَاظُ
أُلِحُّ عَلَيْهَا مَا حَيِيتُ بِذِكْرِهَا وَإِنِّي عَلَى عَيْنِ الْحَيَاةِ لَمِلْظَاظُ

حرف الكاف

قال عليه، لاجئا لمن لا ملجأ إلا إليه:

لُذْ بِالذِي يُشْكِيكَ إِنْ تَشْكُو وَلَهُ التَّصَرُّفُ جَلَّ وَالْمُلْكُ
وَالنَّاسُ كُلٌّ طَوْعُ قُدْرَتِهِ سَيَّانِ: فِيهَا الْعَبْدُ وَالْمَلْكُ
وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدَنْ أَخَا ثِقَةٍ إِنْ مَسَّكَ الإِقْوَاءُ وَالنَّهْكُ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلاَ تَحُمْ أَبَداً حَوْلَ الذِي بِقَضَائِهِ يَشْكُو
وَكُنِ الْغَنِيَّ بِمَا لَدَيْهِ تَرِدْ صَفْوَ الْيَقِينِ، وَيَنْتَفِي الشَّكُّ
وَاحْمَدْهُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ حَمْداً يَطِيبُ بِعَرْفِهِ الْمِسْكُ
وَاشْكُرْهُ إِنْ أَسْدَى إِلَيْكَ يَداً تَنَلِ الْغِنَى وَيَعُلُّكَ النُّسْكُ

وقال يخاطب البحر وقد اشتد هزجه، وارتفعت لجحه، عندما أراد ركوبه قاصدا الجزائر، ملتزما ما لا يلزم:

يَا أَيُّهَا الْبَحْرُ مَهْلاً فَقَدْ دَهَانَا اهْتِيَاجُكْ
إِنَّا هَمَمْنَا بِأَمْرٍ مَنَعَ مِنْهُ انْزِعَاجُكْ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي لأَبْدَى سِيمَا السُّرُورِ ابْتِهَاجُكْ
يَا لَيْتَ شِعْرِي إِلَى كَمْ يَحْكِي فُؤَادِي ارْتِجَاجُكْ
أَبْغِي السِّوَاكَ وَلاَ أُرِيدُ سِوَاكَا سُبْحَانَ، يَا بَدْرُ، الذِي سَوَّاكَا
فَلَمَاكَ يَمْتَهِنُ السِّوَاكَ وَلاَ رَشاً يُغْنِي لَمَاهُ عَنِ السِّوَاكِ سِوَاكَا

وقال على روي الكاف، في سر الزمان شيخه أبي علي الحسن بن مسعود، أدام الله الانتفاع به، وأنشدها بين يديه، يوم ختم صحيح البخاري عليه، يوم الأربعاء عاشر شوال أحد عشر مائة:

أَبْلِغْهُمْ مَأْلُكاً عَنْ قَلْبِ مَنْ مَلَكُوا وَإِنْ جَفَوْهُ، وَحَبْلَ الْوَصْلِ قَدْ بَتَكُوا
وَصَيَّرُوا نَكَبَاتِ الدَّهْرِ تَرْشُقُهُ بِنَبْلِهَا، وَنَجِيعَ الصَّبْرِ قَدْ سَفَكُوا

وَسَلَكُوا فِي لَظَى الأَحْـزَانِ مُهْجَتَـهُ   إِذْ طُرُقَ الْغَدْرِ وَالإِخْلاَفِ قَدْ سَلَكُـوا

فَرُبَّمَـا حَـازَ حَمْـداً مُقْتَـفٍ لِقَفَـا   غَادِرِ شَرٍّ وَفَـى، وَاللَّيْـلُ مُشْتَبِـكُ

أَنْ قَدْ تَجَلَّتْ إِلَيْنَـا شَمْـسُ مَعْرِفَـةٍ   لَهَا السَّعَادَةُ بُـرْجٌ، وَالْهُـدَى فَلَـكُ

أَطْلَعَهَـا الْعِلْـمُ إِذْ أَوْدَى كَمَـا دَرِمٌ أَوْدَى، وَأَمْرُ الْهُدَى مِنْ أَمْـرِهِ لَبِـكُ

وَالْحُزْنُ أَسْمَعُ مِنْ سِمْعٍ، وَأَفْتَكُ مِـنْ   عَمْرٍو، وَأَحْرَدُ مِنْ ذِمْرٍ بِـهِ دَعَـكُ

فَاسْتَأْصَلَتْ شَأْفَةَ الإِشْكَـالِ طَلْعَتُهَـا   أَلاَ تَـرَى حُرْمَـةَ الأَوْهَـامِ تُنْتَهَـكُ؟

أَفْنَـتْ ظَلاَمَ لَيَالِينَــا أَشِعَّتُهَــا   مِنْ بَعْدِ مَا عَاثَ فِي أَيَّامِنَـا الْحَلَـكُ

مَنْ كَانَ أَحْجَمَ عَنْهَا وَهْـيَ مُغْشِيَـةٌ   عَيْنَ الْغَبَا، وَهْوَ فِي الأَوْهَامِ مُرْتَبِـكُ

فَإِنَّنِـي بِسَنَاهَـا جِـدُّ مُكْتَحِــلٍ،   وَفِي هَوَاهَا حَيَـاةِ الدِّيـنِ مُنْهَمِـكُ

وَبِعُـرَى عِصْمَـةِ الإِسْلاَمِ سَيِّدِنَـا   مَحْضِ السَّنَا الْحَسَنِ الْيُوسِيِّ أَمْتَسِكُ

ذَاكَ الإِمَامُ الذِي أَمْسَى يُعَالِـجُ مَـنْ   أَوْدَتْ بِهِ الْعِلَّتَانِ: الْجَهْـلُ وَالْعَفَـكُ

فِي رَوْضَــةٍ وَغَدِيرٍمِـنْ بَشَاشَتِـهِ يُقْتَنَصُ النَّائِرَانِ: الْبِشْرُ وَالْضَّحِـكُ

وَبِسُطُوعِ سَنَاً مِـنْ صُبْـحِ غُرَّتِـهِ يَنْقَشِعُ الْمُظْلِمَانِ: الْحِقْـدُ وَالْحَسَـكُ

حَبْرٌ، سَبَحْنَا بِبَحْـرٍ مِـنْ مَعَارِفِـهِ   كَمَا بِبَحْرٍ خِضَـمٍّ، سَبَـحَ السَّمَـكُ

بَحْرٌ طَمَى مِنْ مَعَانٍ، مَوْجُهُ نُكَـتٌ،   أَصْدَافُـهُ رَشَـدٌ، دُرَرُهَـا نُسُــكُ

تَطْفُو عَلَى بِرَكٍ، مِنْ فَيْضِهِ عَذُبَـتْ   لِجَائِعٍ وَصَـدٍ مِـنَ الْمُنَـى بُـرَكُ

إِذَا دَعَـا الْفَهْـمَ بَعْـضُ فِكْرَتِـــهِ جَاءَتْ لِدَعْوَتِـهِ الأَسْـرَارُ تَبْتَـرِكُ

هَبَّتْ بِرَوْضِ الْبُخَارِي صَبَاً لَطُفَـتْ   مِنْ فِكْـرِهِ وَهْـوَ بِالتَّأْيِيـدِ مُحْتَبِـكُ

فَأَبْرَزَتْ مِنْ شَذَا أَسْـرَارِهِ أَرَجـاً، كَـأَنَّ مَـنْ شَمَّـهُ، بِذَوْقِـهِ مَلَـكُ

أَنَالَنَـا مِنْـهُ، وَالأَنْـذَالُ لاَهِيَــةٌ، مَا لَمْ يَنَـلْ سُوقَـةٌ قَـطُّ وَلاَ مَلِـكُ

فَنَحْمَـدُ اللـهَ حَمْـداً نَسْتَزِيـدُ بِـهِ   فَهْماً، بِهِ حُجُـبُ الْعِرْفَـانِ تَنْهَتِـكُ

يَا سَارِياً مِنْ نَسِيمِ الرَّوْضِ غِبَّ حَيَاً   بَيْنَ الرُّبَى مِنْ جِنَانِ النَّـوْرِ يَعْتَنِـكُ

عُجْ آثِراً مَا بِقَبْرٍ قَدْ حَـوَى رِمَمـاً   مُقَدَّسَـاتٍ، بِهَـا لِلْفَضْـلِ مُعْتَـرَكُ

فَطَالَمَا عُجْتَ نَفَّـاحَ الذُّيُـولِ عَلَـى   جَنْبَيْكَ مِنْ لُبْسِ أَذْرَاعِ الشَّذَا سَهَـكُ

وَسُفْ ضَرِيحَ الْبُخَـارِي فَـإِنَّ بِـهِ بُخُورَ خُلْدٍ بِفِهْـرِ الْحَمْـدِ مُنْهَمِـكُ
أَنْبِئْـهُ بَعْـدَ سَلَـامٍ نَافِـحٍ عَبِــقٍ تَأَرَّجَ مِنْ طِيبِ مَا ضُمِّنَـهُ السِّكَـكُ
فَالظَّـنُّ أَنَّـهُ إِنْ يُنْبَـأْ وَحُـقَّ لَـهُ سَمَا السُّرُورُ بِـهِ لِلـرَّوْحِ يَبْتَـرِكُ
أَنَّا قَرَأْنَـا مَسِيـكَ الدِّيـنِ جَامِعَـهُ عَلَى الذِي فِي (عُلاَهُ) حَارَتِ الْمُسَكُ
زَيْنُ الْحُلَى حَسَنٌ وَمَنْ؟ وَمَنْ حَسَنٌ؟ عَلاَّمَةٌ، مُرْشِدٌ، بِـهِ الْهُـدَى سَـدِكُ

قِـرَاءةٌ، كُـلُّ تَحْقِيـقٍ بِهَـا كَلِـفٌ وَكُـلُّ مُسْتَبْـدَعٍ فَهْـيَ لَـهُ شَـرَكُ
فِـي مُـدَّةِ أَشْهُـرٍ ثَلاَثَـةٍ، رَجَـبٌ أَوَّلُهَا، كُلُّهَا فِـي الْفَضْـلِ يَشْتَـرِكُ
وَالْعَامُ أَلْفُ، تَقَضَّـتْ بَعْـدَهُ مِائَـةٌ مِنْ هِجْرَةِ الْمُنْتَفِي مِنْ (بَعْثِهِ) الدَّرَكُ
وَقَدْ وَرَدْنَا بِمَـا أَمْلَـى عَلَيْـهِ لَنَـا بَحْـراً أُمِـدَّ بِأَبْحُـرٍ لَهَـا حُبُــكُ
حَدَّثَنَـا بِـهِ عَـنْ غُـرٍّ جَحَاجِحَـةٍ مِنْ كُلِّ مَنْ ذِهْنُهُ الأَوْهَـامَ يَحْتَنِـكُ
أَئِمَّةٍ قَالَ مَـا أَمْلَـوْا وَمَـا كَتَبُـوا الْقَـوْلُ قَـوْلُ حَذَامِمَـا بِـهِ أَفَـكُ
حَمَوْا حِمَى الدِّينِ بَيْدَ أَنَّهُـمْ جَبُنُـوا عَنِ الْهَوَى، وَبِمَيْدَانِ الْعُـلاَ نَهُكُـوا
سَحَّتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّضْوَانِ غَادِيَـةٌ لِوَقْعِهَا فِي ثَـرَى أَجْدَاثِهِـمْ عَـرَكُ
وَبَارَكَ اللّهُ فِيمَنْ حَـازَ مَـا تَرَكُـوا فَصَاغَ مَا سَبَكُوا، وَحَاكَ مَا حَبَكُـوا
عَيْنَ الْعُلاَ يَا ابْنَ مَسْعُودِ الذِي طَفِقَتْ بِهَدْيِـهِ فِضَّـةُ التَّوْفِيـقِ تَنْسَبِــكُ
وَمَنْ إِذَا انْبَسَطَـتْ كَـفُّ مَعَارِفِـهِ أَمْسَى بِهَا سُنْبُلُ التَّحْقِيـقِ يَنْفَـرِكُ
صَافِحْ بِصَفْحِكَ مَا قَدْ صَاغَـهُ لَكُـمُ فِكْـرٌ بِمُؤْتَفِكَـاتِ الْوَجْـدِ مُؤْتَفِـكُ
مِنْكَ اسْتَفَـدْتُ حُلاَهَـا وَصِيَاغَتَهَـا فَمَا عَلَـيَّ إِذَنْ إِنْ لَـمْ تَـرُقْ دَرَكُ
أَبْقَاكَ رَبِّـي، فَنَبْقَـى بِبَقَائِـكَ يَـا مَنْ لاَ يُـرَامُ لِمَـا قَـدْ حَـازَهُ دَرَكُ
وقلت أيضا، أفاض الله علينا فضله فيضا:
عَيْنَ الْـوِزَارَةِ ذَا الْمَقَـامِ السَّامِـكِ أَمْضَى بَنِي سَيْفِ الزَّمَـانِ الْبَاتِـكِ
الشَّهْـمِ عَبْـدِ اللهِوَالِـدِكَ الْــذِي يُرْجَـى لِتَخْيِيـبِ النُّمُـومِ الآفِـكِ
إِنَّــا تَوَسَّلْنَــا إِلَيْــكَ بِحَقِّــهِ يَا نَجْلَـهُ، مُجْلِـي الظَّلاَمِ الْحَالِـكِ
أَلاَ سَمِعْتُــمْ قَوْلَنَــا وَنَظَرْتُــمُ فِـي شَـأْنِ أَيْتَـامٍ سُلاَلَـةِ هَالِـكِ

بَرَكَـتْ بِهِـمْ أَيَّامُهُـمْ يَـا عَائِـذاً بِاللّٰهِ مِـنْ سُـوءِ الزَّمَـانِ الْبَـارِكِ
وَعَلَيْهِـمْ دَيْـنٌ ثَقِيــلٌ بَــارِكٌ   مَا بَيْـنَ ذِرْوَةِ وَفْرِهِـمْ وَالْحَـارِكِ
فَلِذَاكَ لَمْ يَرِثُوا – وَرِثْتُمْ سُـؤْدَداً –   إِلاَّ الْعَنَـا مِـنْ بَعْـدِ ذَاكَ التَّـارِكِ
لاَ سِيَّمَـا ذَاكَ الْحَبِيــسُ فَإِنَّــهُ فِي مَسْلَكِ الأَهْـوَالِ عَيْـنُ السَّالِـكِ
وَعَلَى مَقَامِكُمُ الذِي خَفَـضَ الْعُـلاَ   أَزْكَـى سَلَـامٍ كَالْعَبِيـرِ الصَّائِـكِ
وقال متفجعا، ملتزما ما لا يلزم قبل الروي:

خَلَتْ دَارُهُمْ، يَـا دَارُ أَيْـنَ ذَوُوكِ؟   وَأَيْنَ الأُلَى كَانُـوا مَبَاهِيـجَ فِيـكِ؟
فَقَالَتْ: سُؤَالٌ هَاجَ وَجْدِي، تَحَمَّلُـوا! فَقُلْتُ: أَذَبْتِ الْقَلْـبَ، تُـرْبٌ بِفِيـكِ
إِذَا لَمْ تَكُونِي مِثْلَمَـا كُنْـتِ مَطْلِعـاً   لأَقْمَارِهِمْ: سَاوَيْـتِ حُـشَّ عَفِيـكِ

حرف اللام

قال عليه، في مولانا إدريس بن إدريس نفعنا اللّٰه ببركاته:
كَـمْ ذَا تُقَرْطِسُنِـي بِسُمْـرِ نِبَالِهَـا   سُودُ الْخُطُـوبِ وَتَعْتَـدِي بِشِمَالِهَـا
هَذَا عَلَى أَنِّي لَجَـأْتُ إِلَـى حِمَـى مَنْ قَدْ حَمَى مَنْ كَانَ عُرْضَ نِصَالِهَا
مَوْلَايَ إِدْرِيسُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ مَـنْ   ذَلَّـتْ لَـهُ الآسَـادُ فِـي أَغْيَالِهَـا
عَبْدِ الإِلَهِ الْكَامِـلِ بْـنِ الْمُرْتَضَـى   حَسَـنِ الْمُثَنَّـى ذِي اللُّهَـى بَذَّالِهَـا
نَجْلِ الـذِي حَـازَ الْمَفَاخِـرَ كُلَّهَـا حَسَنِ الْبَتُولأَخِـي الْعُـلاَ وَهِلاَلِهَـا
سِبْـطِ الرَّسُـولِ الْهَاشِمِـيِّ مُحَمَّـدٍ   خَيْرِ الْوَرَى الْمُخْتَـارِ مِـنْ أَقْيَالِهَـا
صَلَّى عَلَيْهِ اللّٰهُ مَـا صَـابَ الْحَيَـا   وَاهْتَاجَتِ الـأَرْوَاحُ فِـي آصَالِهَـا
وَعَلَى جَمِيعِ الآلِ وَالأَصْحَابِ مَـنْ   سَلَكُـوا الْهُـدَى وَتَوَقَّلُـوا بِجِبَالِهَـا
مَوْلَايَ يَا نَجْلَ الأُلَى شَـادُوا الْعُـلاَ   وَعَدَوْا عَلَى الأَبْطَالِ يَـوْمَ نِزَالِهَـا
خَلِّصْ جُوَيْرَكَ مِنْ حُبُـولٍ أَوْلَغَـتْ   فِيهِ الْمُـدَى، فَغَـدَا حَلِيـفَ قِتَالِهَـا
فَلَقَـدْ تَأَكَّـدَ بَـلْ تَعَيَّـنَ سَيِّــدِي أَنْ تُنْقِـذَ الْمَأْسُـورَ مِـنْ أَغْلاَلِهَـا
عَهْـدِي بِمَـنْ آوَى إِلَيْـكَ تُجِيـرُهُ مِنْ كُلِّ (مَا) يَخْشَـاهُ مِـنْ أَهْوَالِهَـا

مَا بَالُ مَنْ أَمْسَـى نَزِيـلَ مَقَامِكُـمْ   مَدَّتْ لَهُ الأَهْـوَالُ سُـودَ حِبَالِهَـا؟

إنْ سَادَ مِنْهُ الْفِعْـلُ قِدْمـاً فَالأُلَـى   سَادُوا وَجادُوا، الْعَفْوُ عِلْقُ خِصَالِهَـا

مَنْ ذا الذِي مَا سَاءَ قَطُّ مِنَ الْوَرَى؟   لاَ سِيَّمَا مَـنْ كَـانَ مِثْلِـي وَالِهَـا

يَا مَلْجَأَ الْمَلْهُوفِ وَالْمَكْرُوبِ! يَـا   غَوْثَ الضَّرِيكِ مِنَ الْعِدَى وَوَبَالِهَـا

عَجِّـلْ بِمَـا أَمَّلْتُـهُ مِـنْ رِفْدِكُـمْ   يَـا كَعْبَـةَ الأُمَّـالِ فِـي آمَالِهَـا

أَنَجِيدَ آمَالِي، وَفِيـكَ لِـذِي الظَّمَـا   نَهْرُ الْمُنَى قَدْ فَاضَ مِـنْ سَلْسَالِهَـا

مَا ضَرَّ لَوْ رَوَّيْـتَ غُـلَّ جُؤَّادِهَـا   مِنْ فَيْضِهِ، وَأَرَحْتَنِـي مِـنْ حَالِهَـا

غَيْرِي يَعُبُّ بِصَفْـوِ أَفْـلاَجِ الْمُنَـى   مِنْ رِفْدِكُمْ، وَأَنَـا أَغَـصُّ بِحَالِهَـا

ذِي قِسْمَةٌ ضِيزَى وَحَـاشَ جَلاَلُكُـمْ   أَنْ تَغْبَنُـوا مَمْلُوكَكُـمْ بِمِثَالِهَـا

قَدْ كَانَ أَجْـدَرَ بِالْمُنَـى لَمَّـا دَنَـا مِمَّنْ نَأَى، وَبِرَشْـفِ ثَغْـرِ مَنَالِهَا

بِأَبِيكَ، وَهْـيَ وَسِيلَـةٌ لاَ يُمْتَـرَى بِقَبُولِهَـا، أَعْظِـمْ بِعِـزِّ رِجَالِهَـا

وَبِمَنْ مَضَى مِـنْ مَاجِـدٍ أَوْ زَاهِـدٍ أَوْ مُثْكِـلِ الْهَيْجَـاءِ فِـي أَبْطَالِهَـا

مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ فَاضِلٍ غَمْـرِ النَّـدَى،   نَجْمِ الْهُدَى، سُـمِّ الْعِـدَى وَثُمَالِهَـا

سَامِي الذُّرَى، مُثْرِي الْقِرَى، لَيْثِ الشَّرَى،   كَهْفِ الْوَرَى مِمَّـا عَـرَى وَثِمَالِهَـا

لاَ تَأْخُذَنِّـي بِالَّـذِي أَسْلَفْتُـهُ   زَمَنَ الصِّبَا مِنْ غَيِّهَـا، وَضَلاَلِهَـا

فَلَقَدْ بَخَسْتُ بِهَـا حُقُـوقَ جُوَارِكُـمْ   وَعَدَلْتُ عَنْ سُبُلِ التُّقَـى وَظِلاَلِهَـا

وَرَكَضْتُ أَفْـرَاسَ الْبِطَالَـةِ لاَهِيـاً   مَا بَيْنَ أَزَاهِـرِ الْهَـوَى وَصِلاَلِهَـا

وَالآنَ يَا قُطْـبَ الْـوَرَى أَعْرَيْتُهَـا وَبَذَلْتُ جُهْـدَ الْجِـدِّ فِـي إِهْمَالِهَـا

وَهَدَمْتُ مَـا شَيَّـدْتُ أَيَّـامَ الصِّبَـا فِـي مَطْمَـحِ الآثَـامِ أَوْ أَطْلاَلِهَـا

وَهَجَرْتُ سُعْدَى وَالرَّبَـابَ وَعَـزَّةً وَرَدَعْتُ نَفْسِي عَنْ قَبِيـحِ جِدَالِهَـا

وَتَشَوَّقَتْ نَفْسِي إِلَـى تَمْـرِ التُّقَـى   وَعَدَلْتُ عَنْ مُقْلِ الْهَـوَى وَجِدَالِهَـا

حَقِّقْ إِذَنْ أَمَلِـي، وَأَنْجِـزْ حَاجَتِـي   يَا مُنْجِزَ الْحَاجَـاتِ قَبْـلَ سُؤَالِهَـا

وَاحْفَظْ أَبِي فِي غَيْبَـةٍ شَطَّـتْ بِـهِ   وَاكْلأْهُ مِنْ غُـولِ النَّـوَى وَخَبَالِهَـا

أَكْنِفْهُ حَيْـثُ ثَـوَى وَعَجِّـلْ أَوْبَـهُ   وَامْنَحْهُ مِنْ فَيْضِ الْغِنَـى بِسِجَالِهَـا

وَاشْفَـعْ لنَـا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ علَّنَـا نَغْدُو مِـنَ النَّاجِيـنَ مِـنْ أَهْوالِهَـا

يَا فَرْعَ أَصْلٍ قَدْ سَمَا فَـوْقَ السَّمَـا وَابْنَ الأُلَى مُنِحُوا النُّهَـى بِكَمَالِهَـا

وَعَلَـى مَقَامِكُـمُ الْعَلِّـي تَحِيَّتِـــي مَـا رَدَّدَتْ وَرْقَـاءُ فِـي أَزْجَالِهَـا

أَذْكَى مِـنَ النُّـوَّارِ أَرَّجَـهُ الْحَيَـا وَأَتَتْ بِـهِ الـأَرْوَاحُ فِـي أَذْيَالِهَـا

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَـى خَيْـرِ الْبَرِيَّـةِ: شَمْسِهَـا وَهِلاَلِهَـا

وَالآلِ وَالأَصْحابِ ما هَبَّـتْ صَبَـا وَتَهَدَّلَتْ قُضْبُ (الرُّبَـى) بِشَمَالِهَـا

وقال بطريق سيدي أبي يعزى، نفعنا الله به، سنة تسع وتسعين (وألف) وفرغ من إنشائها عند رأس الضريح الشريف، وكتبها هنالك:

قَصَدْتُ أَبَا يَعْـزَى وَبِالْبَـالِ بَلْبَـالُ وَفِي كَبِدِي مِنْ مَارِجِ الْحُزْنِ شَعَّـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْـزَى وَفِكْـرِي مُدَلَّـهٌ وَقَدْ هَاجَ بَحْرُ الْهَمِّ إِذْ هَـبَّ أَهْـوَالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى وَرَوْضِي مُجْـدِبٌ وَمُـزْنُ نَـدَاهُ بِالْمَوَاهِـبِ هَطَّـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى لأَنْ خَابَ مَقْصَدِي لِيَقْصِـدَ إِسْعَـادٌ إِلَـيَّ وَإِقْبَـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى عَلَى حِينَ مَسَّنِـي سُمُومٌ مِنَ الإِقْوَاءِ، فَانْخَفَضَ الْحَـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى عَلَى حِينَ سَمَّنِـي سِمَامُ الْهَوَى وَقِيـلَ: إِنِّـيَ بَطَّـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى عَلَى حِينَ شَفَّنِـي وَقَرْطَسَ جِسْمِـي بِالنَّوَائِـبِ نَبَّـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى وَقَدْ أَرْجَفَ الْعِدَى بِأَنِّيَ فِـي بِيـدِ الْخَسَـارَةِ جَـوَّالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى عَلَى حِينَ بَانَ لِي عُيُوبِي، وَأَنْ لِي فِي الْقَبَائِحِ إِيغَـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى وَقَدْ شَهِدَتْ عَلَـى قَبَائِحِ آثَامِـي ضُـرُوبٌ وَأَشْكَـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى وَمَا عَضَّ قَاصِـداً ضَرِيحَ أَبِي يَعْزَى مِنَ الدَّهْرِ أَصْلاَلُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى وَمَا صَدَّ قَاصِـداً ضَرِيحَ أَبِي يَعْزَى عَنِ اللهِ أَشْغَـالُ

قَصَدْتُ أَبَا يَعْزَى وَمَا خَابَ قَاصِـدٌ دِيَارَ أَبِي يَعْـزَى وَبِالْبَـالِ بَلْبَـالُ

قَصَدْتُ الذِي يَـرْوِي نَمِيـرِ أُذِيّـهِ وَحَرُّ الْجَوَى بَيْـنَ الْجَوَانِـحِ فَعَّـالُ

قَصَدْتُ الذِي يَشْفِي مِنَ الْعُسْرِ يُسْرُهُ وَفِي قَبْرِهِ بَحْـرُ الْمَوَاهِـبِ سَيَّـالُ

وَنُورُ الْمُنَى فِي رَوْضِ جُودِهِ يَانِـعٌ وَآسُ الْغِنَى آسٍ لِمَـنْ هُـوَ سَـأَّالُ

قَصَدْتُ امْرَءاً جَمّـاً، نَـوَالٌ أَعَـدَّهُ ... لِمَنْ أَمَّـهُ، مِمَّـنْ أَشَابَتْـهُ أَوْجَـالُ

قَصَـدْتُ دِيَـاراً لِلْعَزِيـزِ بِذِلَّـةٍ ... وَجِئْتُ إِلَى مِصْرَ السَّمَاحَـةِ أَكْتَـالُ

بِبَابِ أَبِي يَعْـزَى مَحَـطُّ رِحَالِنَـا، ... وَبَابُ أَبِـي يَعْـزَى تُوَافِيـهِ أُمَّـالُ

قَطَعْتُ لِجَرَّاهُ الذُّرَى وَهْـيَ شُمَّـخٌ ... وَفِي غَابِهَا الْمُغْتَالِ أُسْـدٌ وَأَغْـوَالُ

وَجُبْتُ لَهُ الْبَيْدَاءَ وَهْـيَ عَرِيضَـةٌ ... بِهَا الْقَلْبُ خَفَّاقٌ كَمَـا خَفَـقَ الـآلُ

إِذَا اشْتَدَّ غَيْظُ الْقَيْـظِ بَيْـنَ أَكَامِهَـا ... نُنَادِي أَبَا يَعْـزَى فَيَعْـرُوهُ إِسْهَـالُ

وَصَلْتُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا عَرَّسَ السَّنَـا ... وَفِيهَا لِسِـرِّ اللـهِ: وَخْـدٌ وَإِرْقَـالُ

نَزَلْتُ عَلَى أَسْخَى الأَفَاضِلِ عَافِيـاً ... وَإِنِّي عَلَى أَهْـلِ السَّمَـاحِ لَنَـزَّالُ

وَقُلْتُ بِـهِ شِعْـراً تَبَاهَـى بِمَدْحِـهِ ... وَإِنِّـي لأَشْعَـارِ الْمَدِيـحِ لَقَـوَّالُ

وَبَيْنَ يَدَيْ مَدْحِي أَبُـوحُ بِمَقْصِـدِي ... وَأَشْكُو لِمَنْ يَأْسُو الْعَلِيـلَ وَلاَ يَالُـو

أَمَوْلاَيَ، أَخْلَـاطُ اهْتِدَائِـي تَعَفَّنَـتْ ... وَسَاوَمَنِي، لَـوْلاَ نَوَالُـكَ، إِضْلَـالُ

أَمَوْلاَي، شَرْيَانُ اعْتِدَائِـي نَابِـضٌ، ... أَمَوْلاَيَ، نَبْضُ الدِّينِ مِنِّـيَ مُغْتَـالُ

أَهَنْتُ أَكُفَّ الْكَفِّ لَمَّـا مُـدِدْنَ لِـي ... (فَأَعْقَبَنِـي) مِنْهَـا هَـوَانٌ وَإِذْلَـالُ

أَمَوْلاَي، خِلْطُ الْعُسْرِ طَالَ احْتِبَاسُـهُ ... وَيُسْرُكَ يَا مَوْلَـاَيَ لِلْعُسْـرِ سَهَّـالُ

أَمَوْلاَي نَفْثُ الْفِكْـرِ سَـاءَ قَوَامُـهُ ... بِبُحْرَانِ هَمِّي وَهْـوَ لِلْفِكْـرِ قَتَّـالُ

أَمَوْلاَي، أَفْرَاخِي هَوِيتُ ارْتِيَاشَهُـمْ ... بِفَضْلِكَ حَتَّى لاَ تَضِيقَ بِهِـمْ حَـالُ

أَمَوْلاَي، بَابُ الْمَنْعِ عِنْـدَكَ مُغْلَـقٌ ... وَلَيْسَ عَلَى أَبْـوَابِ بَذْلِـكَ أَقْفَـالُ

أَمَوْلاَي، أَنْتَ الشَّمْسُ نُورُكَ وَاضِحٌ، ... أَمَوْلاَي، أَنْتَ الْبَحْرُ، عَذْبُكَ سَلْسَـالُ

أَمَوْلاَي، أَنْتَ الْبَدْرُ، وَالنَّاسُ أَنْجُـمٌ، ... أَمَوْلاَي، أَنْتَ التِّبْرُ، وَالنَّاسُ صَلْصَالُ

وَرُشْدُ أَبِي أَسْنَى الذِي قَـدْ طَلَبْتَـهُ ... وَصِحَّتُهُ مِنْ خَيْرِ مَا عَشِـقَ الْبَـالُ

وَإِغْنَاؤُهُ عَـنْ كُـلِّ أَمْـرٍ يَـؤُودُهُ ... فَقَدْ آدَهُ الإِعْلَـالُ مُـذْ فَنِـيَ الْمَـالُ

(وَتَسْهِيلُ) تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَجَمْعِهَـا ... فَيُسْعِـدُ تَفْصِيـلٌ لِـذَاكَ وَإِجْمَـالُ

وَتَيْسِيرُ كَسْبٍ لِلْحَلَـالِ الـذِي يَفِـي ... بِمَا تَقْتَضِي مِنَّا الضَّرُورَةُ وَالْحَـالُ

وَخَتْـمٌ بِخَيْـرٍ تَسْتَتِـمُّ بِـهِ الْمُنَـى ... فَسِيَّـان: إِكْثَـارٌ بِـذَاكَ وَإِقْلَـالُ

وَإِسْبَالُ سِتْرِ اللـهِ فَـوْقَ أَقَارِبِـي بِهِ يَشْتَفِي قَلْبِـي وَيَسْلُـوهُ إِعْلَـالُ

وَحَجٌّ تُجِيحُ الذَّنْبَ بِيـضُ ثَوَابِـهِ وَزَوْرَةُ مَنْ أَعْلَى الْوَرَى وَهْيَ أَغْفَالُ

عَلَيْهِ صَلَـاَةُ اللـهِ يَزْكُـو نَسِيمُهَـاوَيَذْكُو (بِرَيَّـاهُ) الصَّحَابَـةُ وَالـآلُ

وقال في روضة ولي الله أبي علي – فيه وقد زاره –:

قَصَـدْتُ أَبَـا عَلِـيٍّ ذَا الْمَعَالِـي وَنَـارُ كَآبَتِـي ذَاتُ اشْتِعَـالِ

عَلَـى حِيَـنِ ادْلَهَمَّـتْ مُعْضِلَاتِـي لِكَوْنِي بَيْنَ مَـنْ يَهْـوَى اغْتِيَالِـي

وَبُعْـدِ أَحِبَّتِـي وَفِـرَاقِ أَهْلِـي وَحِلِّـي كُـلَّ حِيـنٍ وَارْتِحَالِـي

وَقِلَّـةِ مُنْجِـدِي فِـي دِيـنِ رَبِّـي وَكَثْـرَةِ نَاصِـرِيَ عَلَـى الضَّلَـاَلِ

ذَلِيـلاً مُسْتَغِيثـاً ذَا احْتِـرَاقٍ بِـهِ مِمَّـا عَرَانِـي مِـنْ خَبَـالِ

فَمَنْ يَدْخُلْ حِمَـى الْكُبَـرَاءِ يَسْلَـمْ وَيَـا مَـنْ (لاَ) يَخَـافُ وَلاَ يُبَالِـي

أَغِثْنِـي يَـا عَـلاَءَ أَبِـي عَلِـيٍّ وَأَنْقِذْنِـي مِـنْ أَسْبَـابِ الْوَبَـالِ

أَجِرْنِـي يَـا أَمَـانَ أَبِـي عَلِـيٍّ وَبَاعِـدْ بَيْـنَ وَسْوَاسِـي وَبَالِـي

أَفِدْنِـي يَـا نَـوَالَ أَبِـي عَلِـيٍّ غِنىً عَنْ مَـا سِـوَى رَبِّ الْجَلَـاَلِ

وَنَظِّـمْ شَمْـلَ أَهْلِـي بِاجْتِمَاعِـي بِهِـمْ، ذَا تَوْبَـةٍ وَصَلَـاَحِ حَالِـي

وقال وقد تعذر عليه المسير من حضرة الشيخ سيدي الحسن، رضي الله عنه، بعد وداعه:

سَلَـاَمٌ مُخْجِـلٌ عَـرَفَ الْغَوَالِـي عَلَـى حَسَـنِ الْمَنَاقِـبِ وَالْخِلَـاَلِ

أَمِيـرِ الْعَارِفِيـنَ أَبِـي عَلِـيٍّ مَنَـارِ الرُّشْـدِ، نِبْـرَاسِ الْجَلَـاَلِ

رِجَالُ الْوَقْـتِ يَـا مَوْلَـايَ مِنْكُـمْ بِمَنْزِلَـةِ العِيَـالِ مِـنَ الرِّجَـالِ

أَلا إِنَّ ابْــنَ زَاكُـورٍ دَهَـاهُ فِـرَاقُ ذُرَاكُـمْ مَغْنَـى الْمَعَالِـي

وَبُعْـدٌ إِثْـرَ قُـرْبٍ هَـاجَ وَجْـدِي فَمَا أَشْجَى النَّوَى عَقِـبَ الوِصَـالِ

تَعَفَّنَ مِنْ وَدَاعِـكَ خِلْـطُ صَبْـرِي فَحُـمَّ الْبَـالُ مِـنْ فَـرْطِ الْخَبَـالِ

فَأَعْوَزَنِـي الْمَسِيـرُ غَـدَاةَ يَوْمِـي رَجَاءَ الْبُـرْءِ مِنْـكَ مِـنَ اعْتِلَـالِ

وَفِـي غَدِنَـا أَسِيـرُ بِـلاَ وَدَاعٍ فِـرَاراً مِـنْ ثُمَالِـهِ، (يَاثِمَالِـي)

وَلَوْ نُعْطَى الْخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا   وَلَكِنْ لاَ خِيَارَ مَعَ اللَّيَالِي

عَلَيْكَ قَضِيَّةُ الإِحْسَانِ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ انْفِصَالٍ بِاتِّصَالِ

وقال فِي الشيخ الإمام، علم الأعلام، أَبِي عبد الله سيدي مُحمد القسنطيني – أبقاه الله – يوم ختم مختصر خليل، لليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وألف:

مَظِنَّةُ إِتْلافِ الْمُحِبِّ الْعَوَاذِلُ   أَلاَ، لاَ رَعَى الرَّحْمَانُ مَنْ هُوَ عَاذِلُ

يَرِيشُونَ لِلْمُضْنَى نِبَالَ مَلامِهِمْ   فَيَقْضِي أَسىً، وَاللَّوْمُ فِي الْحُبِّ قَاتِلُ

يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّوْمَ يُجْدِي وَمَا دَرَوْا   بِأَنَّ مَلاَمَ الصَّبِّ لِلْحَيْنِ آيِلُ

عَلَى أَنَّ قَوْ العَذْلِ لَيْسَ بِبَاطِلٍ   بَلَى، كُلُّ مَا يُعْزَى بِهِ الصَّبُّ بَاطِلُ

أَعَاذِلَتِي! وَالْعَذْلُ لَيْسَ يَهُولُنِي   وَأَنَّى يَهُولُ الْعَذْلُ مَنْ هُوَ هَائِلُ؟

دَعِينِي وَتَهْيَامِي فَلَسْتُ بِبَارِحٍ   أُطَاوِلُ فِي مِظْمَارِهِ وَأُسَاجِلُ

تَوَقَّلْتُ أَنْجَادَ الصَّبَابَةِ فِي الصِّبَا   وَخُضْتُ بِحَارَ الْحُبِّ وَهْيَ حَوَافِلُ

وَجِئْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ وَالْحَيُّ آهِلٌ   وَلاَ حَاجِزٌ إِلاَّ الظُّبَى وَالذَّوَابِلُ

فَأَحْرَزْتُ خَصْلَ السَّبْقِ وَحْدِي وَلَمْ أَدَعْ   لِرَاكِبِ أَفْرَاسِ الْهَوَى مَا يُحَاوِلُ

بِرُوحِي مِنْ رُوحِي لَدَيْهِمْ مُقِيمَةٌ   وَإِنْ بَعُدَتْ مِنِّي الذُّرَى وَالْمَنَازِلُ

أُولَئِكَ أَحْبَابِي الأُلَى صَحَّ وُدُّهُمْ   سَقَى عَهْدَهُمْ عَهْدٌ مِنَ الْمُزْنِ هَاطِلُ

لَقَدْ حَالَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ذُرَاهُمُ   سَبَاسِبُ تَعْيَى فِي مَدَاهَا الرَّوَاحِلُ

إِكَامٌ وَأَنْهَارٌ طَغَتْ وَمَهَامِهٌ   قِفَارٌ، وَأَنْجَادٌ عَلَتْ وَمَجَاهِلُ

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَقَرَّرَ عِنْدَهُمْ   هُيَامِي وَأَنِّي مِنْ لَظَى الشَّوْقِ ذَاهِلُ؟

فَيَا مُزْمِعَ التَّرْحَالِ بَلِّغْ تَحِيَّتِي   إِلَيْهِمْ وَحَدِّثْهُمْ بِمَا أَنَا فَاعِلُ

وَيَا نَفَسَ الأَسْحَارِ هُبَّ عَلَيْهِمُ   وَطَارِحْهُمْ شَوْقِي الذِي أَنَا حَامِلُ

وَيَا (دِيمَةَ) الْوَسْمِيِّ حَيِّي ثَرَاهُمُ   وَبُثِّي لَهُمْ أَنِّي مِنَ الْبَثِّ قَاحِلُ

وَيَا نَفْحَةَ الْخِيرِيِّ عُوجِي بِدُورِهِمْ   وَنُثِّي لَهُمْ أَنِّي بَرَتْنِي الْبَلاَبِلُ

عَسَاهُمْ إِذَا طَارَحْتُهُمْ بَلاَبِلِي   تُطَارِحُهُمْ عَهْدَ الْوِصَالِ بَلاَبِلُ

لَئِنْ شَطَّ مَا بَيْنِـي وَبَيْـنَ أَحِبَّتِـي فَإِنِّي عَلَـى عَهْـدِ الْـوِدَادِ لَخَائِـلُ

أَحِنُّ لَهُمْ أَوْ يُغْمِـدُ الْقَبْـرُ مُرْهَفـاً وَأَصْبُو لَهُمْ، أَوْ يُنْحِتَ الطَّوْدَ صَائِلُ

عَلَيْهِمْ سَلاَمُ اللّهِ مَـا هَـامَ عَاشِـقٌ وَمَا حَنَّ مُشْتَاقٌ وَمَا اهْتَاجَ (زَاجِـلُ)

فَلاَ مُدْنِفٌ إِلاَّ الـذِي شَفَّـهُ النَّـوَى فَقَلْبُـهُ خَفَّـاقٌ، وَجَفْنُـهُ هَامِـلُ

وَلاَ عُمُـرٌ إِلاَّ الصِّبَـا وَعَقِيبُـهُ وَلاَ زَمَنٌ إِلاَّ الضُّحَـى وَالأَصَائِـلُ

وَلاَ نَسَـبٌ إِلاَّ السَّمَاحَـةُ وَالتُّقَـى وَلاَ حَسَـبٌ إِلاَّ الْحَيَـا وَالشَّمَائِـلُ

وَلاَ هِمَـمٌ مَـا لَـمْ تَكُـنْ أَدَبِيَّـةً وَلاَ مُنْجِـدٌ إِلاَّ الْقَنَـا وَالْقَنَابِـلُ

وَمَا النَّاسُ إِلاَّ الْعَالِمُـونَ ذَوُو الْعُـلاَ نُجُومُ الْهُدَى إِذْ هُمْ سُـرَاةٌ أَفَاضِـلُ

وَلاَ عَالِـمٌ إِلاَّ الإِمَـامُ مُحِمَّـدٌ أَلَمْ تَرَ مَـا تَلْقَـاهُ مِنْـهُ الْمَسَائِـلُ؟

إِمَـامٌ حَبَـاهُ اللـهُ كُـلَّ فَضِيلَـةٍ تَبَدَّتْ لَهُ فِـي الْمَكْرُمَـاتِ (دَلاَئِـلُ)

سَمَيْذَعُ أَهْلِ الْعَصْـرِ أَرْوَعُ مَاجِـدٌ هِلاَلُ الْمَعَالِـي، أَرْيَحِـيٌّ حُلاَحِـلُ

حَوَى فِي قُلُـوبِ الأَذْكِيَـاءِ مَنَـازِلاً عَلَى أَنَّـهُ فَـوْقَ السِّمَاكَيْـنِ نَـازِلُ

وَطَـاوَلَ أَعْلاَمَ الزَّمَـانِ فَفَاقَهُـمْ وَلاَ يَبْلُغُ الْعَلْيَـاءَ مَـنْ لاَ يُطَـاوِلُ

فَأَصْبَحَ فِـي أَوْجِ الْمَفَاخِـرِ رَاقِيـاً وَأَمْسَتْ (صُرُوفُ) الدَّهْرِ عَنْهُ تُنَاضِلُ

أَتَـاحَ خَلِيـلاً خُلَّـةً مَـا أَتَاحَهَـا خَلِيلاً قُبَيْلَ الآنَ مَـنْ هُـوَ فَاضِـلُ

فَبَيَّـنَ مِـنْ أَلْفَاظِـهِ كُـلَّ مُبْهَـمٍ وَقَيَّـدَ مِـنْ آرَائِـهِ مَـا يُشَاكِـلُ

وَفَصَّلَ مِنْ أَحْكَامِـهِ كُـلَّ مُجْمَـلٍ فَأَصْبَحَ يَشْدُو بِالـذِي قَـالَ قَائِـلٌ:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْـتُ الأَخِيـرَ زَمَانُـهُ لآَتٍ بِمَـا لَـمْ تَسْتَطِعْـهُ الأَوَائِـلُ

لِيَ الرَّايَةُ الْغَرَّاءُ وَالْجَحْفَـلُ الـذِي لَهُ الْفَهْـمُ رِدْءٌ وَالْمَعَانِـي مَنَاصِـلُ

فَمَنْ ذَا يُجَارِينِي إِلَـى كُـلِّ غَايَـةٍ وَمَنْ ذَا يُبَارِينِـي وَمَـنْ ذَا يُجَـادِلُ

قَضَى اللّهُ يَا حَبْرَ الزَّمَـانِ وَعِلْقَـهُ بِأَنَّكَ حَلْيُ الدَّهْـرِ إِذْ هُـوَ عَاطِـلُ

وَأَنَّكَ شَمْسُ الْعِلْمِ وَالْغَيْـرُ كَوْكَـبٌ وَأَنَّـكَ وَقَّـادٌ وَغَيْـرُكَ آفِـلُ

وَأَنَّكَ فِي أَهْـلِ الْبَلاَغَـةِ مِصْقَـعٌ وَأَنَّـكَ سَحْبَانٌوَغَيْـرُكَ بَاقِـلُ

قَطَعْتُ بِطَرْفِ الْعَـزْمِ كُـلَّ تَنُوفَـةٍ تَكِلُّ بِأَدْنَاهَـا الْجِيَـادُ الصَّوَاهِـلُ

وَجُزْتَ بِرِيحِ الْحَزْمِ بَحْراً غَطمَطَماً   فَحُزْتَ بِحَـاراً مَـا لَهُـنَّ سَوَاحِـلُ

وَعَابِـرُ بَحْـرَيْ لُجَّـةٍ وَمَحَجَّــةٍ جَدِيرٌ بِأَنْ تُحْـدَى إِلَيْـهِ الْفَضَائِـلُ

فَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَـا وَأَنْـتَ سِرَاجُهَـا   وَأَضْحَتْ بِكَ الآمَالُ وَهْـيَ مَنَاهِـلُ

فَأَعْلَمْتَ أَغْفَـالَ الْعُلُـومِ وَحُزْتَهَـا   وَأَنْعَشْتَ بِالإِقْرَاءِ مَـا هُـوَ خَامِـلُ

فَلاَزِلْتَ فِي وَجْـهِ السِّيَـادَةِ غُـرَّةً وَلاَ بَرِحَتْ تُطْوَى إِلَيْـكَ الْمَرَاحِـلُ

وَدُمْـتَ دَوَامَ الدَّهْـرِ غَيْـرَ مُكَـدَّرٍوَنُورُكَ وَضَّـاحٌ، وَحَـدُّكَ فَاصِـلُ

أَتَتْكَ عَلَـى رَغْـمِ اللِّئَـامِ خَرِيـدَةٌ   لَهَا النَّظْـمُ دُرٌّ، وَالْقَوَافِـي خَلاَخِـلُ

بَرَهْـرَةٌ رَقْرَاقَـةً، عَذْبَـةَ اللَّمَـى   ثَوَتْ بِقُصُورِ الْغَرْبِ، وَالأَصْلُ بَابِلُ

حَوَتْ مِنْ سُدُولِ الْقَوْلِ كُـلَّ مُنَظَّـمٍ   لَهَا مِـنْ قُلُـوبِ الأَذْكِيَـاءِ سَدَائِـلُ

يَشِيبُ بِهَا ذُو الْغِـلِّ قَبْـلَ شَبَابِـهِ   وَيَصْبُو لَهَا إِنْ شَابَ مَنْ هُوَ عَاقِـلُ

هَدِيَةُ مَنْ يَفْدِيكَ مِـنْ كُـلِّ حَـادِثٍ   وَفِيهَا عَلَى صِـدْقِ الْـوِدَادِ دَلاَئِـلُ

عَلَيْكَ سَلاَمُ اللـهِ مَـا لـاَحَ بَـارِقٌ وَمَا صَابَ هَطَّالٌ، وَمَا سَحَّ وَابِـلُ

أَنَـمُّ مِـنَ النُّـوَّارِ يَصْقُلُـهُ الْحَيَـا يُبَارِي شَذَا الْغِيطَانِ وَاللَّيْـلُ رَاحِـلُ

وقال أيضا مجيبا:

أَتَانَـا النَّظْـمُ يُبْهِـجُ كَاللَّآلِـي   تَـرُوقُ بِجِيـدِ رَبَّـاتِ الْحِجَــالِ

تَحَدَّانَــا بِمُعْجِــزِهِ خَبِيــرٌ   بِأَسْــرَارِ الْبَلاَغَــةِ وَالْكَمَــالِ

فَمَـا أَحْلَـى الْعِتَـابَ بِـهِ وَلَكِنْ   مُضَمَّنُـهُ يُعَـدُّ مِـنَ الْمُحَــالِ

مَعَـاذَ اللـهِ، أَبْخَسُ حَـقَّ خِـلٍّ   يَمُـتُّ إِلَـيَّ بِالسِّحْـرِ الْحَلـاَلِ

وَبِالْمَوْلَـى أَبِـي الْحَسَـنِ الْمُعَلَّـى عَلِـيٍّ ذِي الْمَنَاقِـبِ وَالْخِصَــالِ

فَكَوْنُكَ مِنْ ذُرَى الأَحْبَـابِ قَـاضٍ   عَلَيْنَـا فِـي الإِخَـاءِ بِالاِتِّصَــالِ

أَلَسْتَ مِنْ بَنِـي تِطْـوَانَ مَـنْ قَـدْ عُنِيَـتْ بِحُبِّهِـمْ مُنْـذُ الْفِصَــالِ

عَلَيْهِمْ، مَـا هَفَـا رِيحُ الشَّمَـالِ،   سَلـاَمٌ تَسْتَمِــدُّ بِــهِ الْغَوَالِــي

خُصُوصـاً شَيْخَنَـا رَبَّ (الْكَمَـالِ) أَبَـا حَسَـنٍ عَلِيّــاً ذَا الْمَعَالِــي

فَشُـدَّ يَـدَ الضَّنِيـنِ عَلَـى وِدَادِي فَقَلْبِـيَ مِـنْ وِدَادِكَ غَيْـرُ سَــالِ

وَلَكِنْ لَـمْ تُسَاعِدْنَـا اللَّيَالِـي لِمَا يُرْضِي الإِخَـاء مِـنَ الْوِصَـالِ

وَسَامِحْ مَـا تَضَمَّنَـهُ قَرِيضِـي مِنَ الْمَعْنَـى السَّخِيـفِ بِالارْتِجَـالِ

فَشِعْرِي مِـنْ بَدِيـعِ الْقَـوْلِ خَـالٍ وَفِكْـرِي بِالْبَلاَغَـةِ غَيْـرُ حَالِـي

وقال أيضاً في صغره:

يَا عَاذِلِـي مَـا أَنْـتَ أَوَّلُ عَـاذِلٍ دَعْنِي لَحَاكَ اللـهُ لَسْـتَ بِعَاذِلِـي

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَنْ أُحِـبُّ عَذَرْتَنِـي لَكِـنْ، جَهِلْـتَ فَلُمْتَنِـي بِالْبَاطِـلِ

دَعْنِي وَحَالِي لاَ تَلُمْنِي فِـي هَـوَى مَنْ حُبُّـهُ مُحْيِـي وَلَيْـسَ بِقَاتِلِـي

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَـنْ بِأَسْهُـمِ لَحْظِـهِ قَـدْ قَـدَّ أَحْشَائِـي وَلَيْـسَ بِنَابِـلِ

ظَبْـيٌ تَمَلَّكَنِـي وَآسَـرَ مُهْجَتِـي بِجُفُونِـهِ الْمَلْـأَى بِأُثْمُـدِ بَابِـلِ

يَحْكِـي مُحَيَّـاهُ وَفَاحِـمَ فَرْعِــهِ بَدْرُ الدُّجَى، لَوْ كَـانَ لَيْـسَ بِآفِـلِ

خَفَقَاتُ قَلْبِـي أَصْلُـهُ مِـنْ قُرْطِـهِ إِذْ كَـانَ فِيـهِ مُعَلَّقـاً بِسَلاَسِــلِ

وقال يخاطب جملة من طلبة رباط الفتحوقد بالغوا في أنسه وإكرامه:

أَأَهْلَ سَلاَ: أَهْلَ السُّلُوِّ عَـنِ الْبُخْـلِ سَلِمْتُمْ وَدُمْتُمْ فِـي مُسَالَمَـةِ الْمَحْـلِ

خُصُوصاً بِهَا أَهْلَ الرِّبَـاطِ فَإِنَّهُـمْ أُنَاسٌ يُنَسِّي أُنْسُهُمْ عَطْفَـةَ الأَهْـلِ

يُـدَاوُونَ أَدْوَاءَ النَّـوَى بِنَوَالِهِــمْ وَيَسْقُـونَ عَافِيهِـمْ بِآنِيَـةِ الْفَضْـلِ

وقال أيضا مضمنا قول من قال لمن سأله أن يصله: يا طالب الخوخ في الليالي، عندما اقترح عليه بمدينة الجزائر:

أَفْـدِي رَشـاً لِلْوِصَــالِ قَالِـي وَلَسْـتُ عَــنْ حُبِّــهِ بِسَالِـي

أَغَــرُّ، يَبْسِــمُ عَــنْ لآَلِـي مَـا إِنْ لَـهُ فِـي الْبَهَـاءِ تَــالِ

كَالْخَـوْطِ وَالظَّبْــيِ وَالْهِــلاَلِ فِـي الْقَـدِّ، وَاللَّحْـظِ، وَالْجَمَــالِ

قَـالَ، فَأَضْـرَمَ فِـي فُـؤَادِي نَـاراً: لَظَاهَـا حَشَــايَ صَــالِ

إِذْ قُلْـتُ: صِلْنِـي حَبِيـبَ قَلْبِـي: يَا طَالِـبَ الْخُـوخِ فِـي اللَّيَالِـي!

وقال أيضا في صغره متغزلا:

مَـا بَالُـهُ، وَاللـهُ يُصْلِـحُ بَالَـهُ، وَيَقِيـهِ حَـرَّ لَوَاعِـجِ الْبَلْبَــالِ

لَمَّـا دَرَى أَنِّـي كَلِفْــتُ بِحُبِّــهِ رَكِـبَ الْجَفَـا مُتَشَمِّـراً لِقِتَــالِ

بِلِحَـاظِ نَرْجِسِـهِ وَسَوْسَـنِ ثَغْـرِهِ وَشَقِيـقِ وَجْنَتِـهِ الْمَنُـوطِ بِخَـالِ

وَغَـدَا يُخَـرِّبُ أَضْلُعِـي إِذْ حَلَّهَـا هَلاَّ شَفَـى قَلْبِـي بِيَـوْمِ وِصَـالِ؟

نَفْسِـي فَـدَاهُ وَإِنْ بَرَانِـي لَحْظُـهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يَـرِقُّ لِحَالِـي؟

وقال أيضا، وهو من أوليات نظمه:

حَكَيْتُ الْخَيَـالَ بِجِسْمِـي النَّحِيـلْ وَأَلْبَسَنِي الشَّـوْقُ ثَـوْبَ الأَصِيـلْ

وَأَسْلَمَنِــي لِلتَّــوَى شَــادِنٌ يَخُـدُّ فُــؤَادِي بِخَــدٍّ أَسِيــلْ

وَجَرَّعَنِـي الْبَيْـنُ كَـأْسَ الْمَنُـونْ فَحَسْبِـي الإِلَـهُ وَنِعْـمَ الْوَكِيــلْ

وقال في السلطان، نصره الله، وقد طلب منه ذلك:

اللـهُ فَضَّلَنَـا عَلَـى مَـنْ قَبْلَنَــا فَمَلِيكُنَــا مَوْلَــايَ إِسْمَاعِيــلُ

فَالشُّهْـبُ مِـنْ عَزَمَاتِـهِ مَذْعُـورَةٌ وَالْقَطْـرُ يَحْسُـدُ نَيْلَـهُ وَالنِّيــلُ

وقال على لسان من يليق به ذلك ممن اقترحه:

الْحُسْـنُ فِيــكَ قَــدِ اكْتَمَــلْ لَـوْ كُنْـتَ تُوصَــفُ بِالْخَجَــلْ

لَكِـنْ سَلَكْــتَ سَبِيــلَ مَــنْ نَبَــذَ الْوَفَــاءَ وَمَــا احْتَفَــلْ

غَرَّرْتَنِــــي إِذْ زُرْتَنِـــي مِـنْ غَيْـرِ وَعْـدٍ أَوْ أَمَــلْ

فَظَنَنْــتُ أَنَّـــكَ صَــادِقٌ وَالصِّـدْقُ عَنْـكَ قَــدِ ارْتَحَــلْ

لَــمْ يَبْــدُ بَــدْرُ وِصَالِكُــمْ لِمُحِبِّكُــمْ حَتَّـــى أَفَــــلْ

وَجَفَوْتَــهُ مِــنْ غَيْــرِ مَــا جُــرْمٍ بِجَانِبِكُــمْ أَخَــلْ

كَــمْ حِيلَــةٍ أَبْدَيْتُهَـــا لِرِضَـاكَ، مَـا نَفَعَــتْ حِيَــلْ

وَقَنَعْـتُ مِنْكُـمْ فِـي الصَّبَــا بَــةِ بِالتَّطَــارُحِ وَالْغَــزَلْ

فَصَرَمْـتَ حَبْــلَ مَوَدَّتِــي بِمُـدَى الْقَطِيعَــةِ وَالْمَلَــلْ

فَالْـــآنَ إِذْ حَمَّلْتَنِــــي فِـي الْحُــبِّ مَــا لاَ يُحْتَمَــلْ

وَأَبَيْـــتَ إِلاَّ أَنْ تَــــرَى جِسْمِــي تُسَــاوِرُهُ الْعِلَــلْ

عَزَّيْــتُ فِيــكَ تَوَلُّهِــي وَأَصَخْـتُ فِيـكَ لِمَــنْ عَــذَلْ

وَدَرَسْتُ حُبَّــكَ مِــنْ فُــؤَا   دِي مِثْلَمَــا دَرَسَ الطَّلَــلْ

وقال أيضا، عامله الله بلطفه الخفي، يوم الأربعاء لليلة بقيت من ذي قعدة، مائة وألف بشفشاون، قاصدا لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش، نفع الله به:

أَلاَ حُـمْ حَـوْلَ شَفْشَاوَنْ فَسَــلِّ هُمُوماً مَا لِظُلْمَتِهَـا مُجَـلِّ

دِيَـارٌ كَالَّلآلِـئِ فِـي عُقُـودٍ   لِلَبَّـةِ جِيـدِ شَامِخِهَـا تُحَلِّـي

فَقُلْ: هِـيَ جَنَّـةٌ، وَالطَّـوْدُ فِيهَـا،   هُـوَ الْفِـرْدَوْسُ أَعْلَــاهُ مُعَــلِّ

بِهَا الْجَبَلَانِ: مِـنْ صَخْـرٍ وَفَخْـرٍ،   بِهَا الْعَذْبَـانِ: مِـنْ مَـاءٍ وَفَضْـلِ

بِهَـا الْمَوْلَـى ابْـنُ رَيْسُونِهَلَــالٌ   مُنِيـرٌ فِـي دُجَـى جَهْـلٍ وَمَحْـلِ

لَهَـا مِـنْ أَجْلِـهِ إِذْ حَـلَّ فِيهَــا   مَحَـلٌّ فِـي الْعُـلاَ أَعْلَـى مَحَـلِّ

وَلَكِـنْ عَلَّنِــي بِالْبِــرِّ حَتَّــى   نَسِيـتُ بِبِـرِّهِ وَلَــدِي وَأَهْلِــي

وقال صبيحة ليلة الأحد، وقد قال له ولد شيخه اليوسي - حفظه الله وهو الفقيه الأديب، أبو عبد الله سيدي محمد - أبقاه الله - لم نر من قال في وزن أبيات ابن المرحل:

مَا وُقُوفُكَ بِالرَّكَائِبِ بِالطَّلَلِ

وقد جرى ذكر ذلك:

قُـلْ لِبَيْنِـكَ يَـا حَبِيبِـيَ يَنْجَلِي وَلِوَصْلِكَ يَامُنَـايَ، يَـرِقُّ لِــي

فَفُـؤَادِي مِـنْ نُزُوحِـكَ مُصْعِــدٌ فِـي مَفَــاوِزِ شِــدَّةٍ وَتَمَلْمُــلِ

وقال:

عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودِ طَابَتْ أَنْفُسٌ سَعِدَتْ   بِحُبِّـهِ، فَسَلَـتْ عَنْهَـا الأَبَاطِيـلُ

وَمَنْ يُعَلَّ بِكَأْسِ الرُّشْـدِ لَيْـسَ لَـهُ   عَمَّا حَوَى مِنْ حِيَاضِ الْفَضْلِ تَهْلِيلُ

وقال في بعض ليالي كونه بمراكش وقد اشتد وجع نساه:

نَسَـايَ، نَسَتْنِـي نَجَاتُــهُ لَمَّــا   تَذَكَّرَنِــي مِنْــهُ دَاءٌ دَخِيــلْ

أَيَـا مَـنْ أَعَلَّـهُ سَيْــرٌ إِلَيْهِــمْ   نَشَدْتُكُـمُ اللــهَ مَــنْ لِلْعَلِيــلْ

ومن ذلك هذه الأراجيز المقطوعة. . ثالها:

قَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَـى وَلاَ يَبْقَـى لِـي فَضْلُـكَ يَـا ذَا الْفَضْـلِ وَالنَّـوَالِ

فَأَجْتَنِـي الإِذْلـاَلَ مِـنْ إِقْلاَلِـي وَأَمْتَـرِي سَحَائِـبَ الإِعْلـاَلِ

مُلِثَّـةً بِوَبْلِهَـا الْهَطَّـالِ وَأَصْطَلِـي بِجُـذْوَةِ الْبَلْبَـالِ

إِذَنْ يُضَاعَـفُ اشْتِعَـالُ الْبَـالِ فَأَسْتَفِيـدُ خَيْبَـةَ الآمَـالِ

فَأَشْتَـرِي الإِدْبَـارَ بِالإِقْبَـالِ وَأَرْتَـدِي مَلاَحِـفَ الضَّلـاَلِ

فَأَنْتَهِـي لِطِينَـةِ الْخَبَـالِ بِالْمُقْتَنَـى مِـنْ سَيِّءِ الأَعْمَـالِ

سِتْرَكَ يَا ذَا الْحِلْمِ وَالإِجْمَالِ

خامسها:

إِنِّـي سَأَلْتُـكَ بِخَيْـرِ مُرْسَـلِ مُحَمَّـدٍ نَبِيِّـكَ الْمُكَمَّـلِ

صَلِّ عَلَيْـهِ يَـا إِلَهَنَـا الْعَلِـي وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ وَمَـنْ يَلِـي

وَلَـمْ أُفَـارِقْ حِلْيَـةَ التَّذَلُّـلِ إِلاَّ خَصَصْتَنِـي بِفَضْـلٍ مُجْـزِلِ

وَحُطْـتَ عِرْضِـيَ بِسِتْـرٍ مُسْبَـلِ وَكُنْتَ لِي يَا مَوْئِلِـي نِعْـمَ الْوَلِـي

فِي مَذْهَبِـي وَمَخْرَجِـي وَمَدْخَلِـي وَكُلِّ مَـا عَلَـيَّ مِـنْ أَمْـرٍ وَلِـي

وقلت مجيبا:

يَا أَخَـا اللُّـبِّ، يَـا بَدِيـعَ الْقِيـلِ رَاقَنِـي حُسْـنُ نَظْمِـكَ الْمَقْبُـولِ

بَهَرَتْنِـي أَبْيَاتُـكَ الْغُـرُّ بَـلْ آيَاتُـكَ الْمُعْجِـزَاتُ فِـي التَّخْيِيـلِ

لَـمْ أَجِـدْ إِذْ وَرَدْتُهَـا سَلْسَبِيـلاً لِمُجَـارَاةِ نَظْمِهَـا مِـنْ سَبِيـلِ

أَطْمَعَتْنِـي إِذْ أَطْعَمَتْنِـي جَنَاهَـا فِي مَقَامٍ، فَلَـمْ أُطِـقْ مِـنْ قِيـلِ

وَكَأَنِّي إِذْ قُلْتُ مَا قُلْـتُ فِـي طَـوْعِ التَّمَنِّـي، وَمِلْـتُ لِلتَّأْوِيـلِ

مَائِـقٌ، قَابَـلَ النُّضَـارَ بِصُفْـرٍ وَتَظَنَّـى الأُجَـاجَ مِثْـلَ النِّيـلِ

وَالْمُنَى، مَـا الْمُنَـى يُسَاعِـدُ فِيهَـا فَلْتُسَاعِـدْ دَأْبـاً ذَوِي التَّأْمِيـلِ

وَاتَّخِـذْ، حِيـنَ لاَ خَلِيـلَ، خَلِيـلاً دَائِمَ النَّفْـعِ، مِـنْ عُلُـومِ الْخَلِيـلِ

شِعْرُكُـمْ، شِعْـرُ شَاعِـرٍ مَجْبُـولِ قَـادَهُ طَبْعُـهُ إِلَـى الْمَنْحُـولِ

لَمْ يَضِـرْهُ خَـرْمُ التَّعَاقُـبِ إِذْ أَبْدَى الْمَعَانِـي غَرِيبَـةَ التَّحْجِيـلِ

فَانْخِـرَامُ الْمُعَاقَبَـاتِ بِهَـذَا ال بَحْرِ فَاشٍ فِي شِعْـرِ هَـذَا الْجِيـلِ

وَفُحُـولُ الـدِّلاَءِ قَـدْ خَرَّمُوهَــا وَإِمَامُهُــمْ شَــارِحُ التَّسْهِيــلِ

سَهَّـلَ اللـهُ أَمْرَنَـا إِنَّـهُ الْمَــرْ جُوُّ فِـي نُجْـحِ كُـلِّ أَمْـرٍ جَلِيـلِ

فَالطِّبَـاعُ لاَ تَجْتَوِيــهِ وَإِنْ كَــا نَ عَرِيقاً فِـي الْحَظْـرِ بِالتَّأْصِيـلِ

فَخَفِيـفٌ مِـنْ أَجْـلِ هَـذَا ثَقِيـلٌ مَـنْ يَكَـدْهُ يَجْعَلْـهُ فِـي تَضْلِيـلِ

وَيَسُمْهُ بِالْعَجْـزِ وَالْعَـيِّ لَـو كَـا نَ عَلِيمـاً بِالْـوَزْنِ ذَا تَحْصِيــلِ

وقلت وقد حللت بالقبمن بني دركول من الأخماس:

عَرِّجْ عَلَـى وَادِي بَنِـي دَرْكُـولِ وَأَنِـخْ بِجَامِـعِ قُبِّهَـا الْمَأْهُــولِ

وَاذْكُرْ إِلَهَـكَ فَارِغـاً مِـنْ كُرْبَـةٍ بَيْنَ الْجِبَـالِ الشُّـمِّ غَيْـرَ مَلُـولِ

وَاسْتَوْفِ أُنْسَكَ عِنْـدَ خَيْـرِ قَبِيـلِ وَاظْفَرْ بِمَا قَدْ شِئْـتَ مِـنْ مَأْمُـولِ

وقلت مداعبا لرجل اسمه برطال:

زَعَمُــوا أَنِّــي بُرْطَــالْ وَأَنَــا لَسْــتُ بِبُرْطَــالْ

إِنَّمَــا الْبُرْطَــالُ طَيْــرٌ يَنْشُــلُ الْحَــبَّ بِمِنْشَــالْ

وَجَــزَا الْبُرْطَــالِ فَلْــسٌ وَجَزَائِــي أَلْــفُ مِثْقَــالْ

وَأَنَــا شَخْــصٌ ظَرِيــفٌ أُطْـرِبُ النَّــاسَ بِأَقْــوَالْ

وقلت معارضا لابن المرحل في قوله:

مَا وُقُوفُكُ بِالرَّكَائِبِ بِالطَّلَلِ

بما نصه:

مُرْ عُبَيْـدَكَ، كُـلُّ أَمْـرِكَ مُمْتَثَـلْ فَهْوَ مَـا هُـوَ، لاَ يُلِـمُّ بِـهِ مَلَـلْ

فِـي مُـرَادِكَ أَوْ مَـرَادِكَ هَمُّــهُ فَلِذَلِـكَ مَـا تَهُـمُّ بِــهِ فَعَــلْ

وفي المديح أيضا:

يَـا لُجَّـةً، عِلْمـاً وَدِيمَـةَ نَائِـلِ كِلْتَاهُمَـا مَـدَدُ الْعُـلاَ قَـدْ عَلَّهَـا

فَأَطَـمَّ ذِي وَأَفَاضَهَــا وَأَجَلَّهَــا وَأَصَـبَّ ذِي وَأَدَرَّهَــا وَأَهَلَّهَــا

فَتَلاَقَتَـا، فَتَبَارَتَـا فِــي نَائِــلٍ وَالْكُـلُّ يَغْتَـرِفُ الْمَحَامِـدَ كُلَّهَــا

فَتَسَاوَتَا فِـي قِسْمِهَـا إِذْ لَـمْ تَجِـدْ كُـلٌّ جَمِيـعَ حُظُوظِـهِ أَوْ جُلَّهَــا

فَاسْلَمْ لِتَفْرِيجِ الْمُلِمَّاتِ التِي مِنْهَا الْفَتَى سَئِمَ الْحَيَاةَ وَمَلَّهَا

وَاخْلُدْ، وَمِثْلُكَ وَهْوَ أَنْتَ مُخَلَّدٌ وَكَذَاكَ مَنْ مَلَكَ الْعُلاَ وَأَقَلَّهَا

وفي وزنها ورويها، قال - عفا الله عنه -:

يَا ابْنَ الأُلَى حَوَتِ الْمَفَاخِرَ كُلَّهَا قِدْماً، وَأَنْهَلَهَا الْعَلاَءُ وَعَلَّهَا

وَعُلاَكَ، أَوْ وَحُلاَكَ وَهْوَ يَمِينُ مَنْ بَهَرَتْهُ آيٌ مِنْهُمَا فَتَوَلَّهَا

مَا أَنْتَ إِلاَّ مُزْنَةٌ مِنْ نَائِلٍ قَالَ الْعُلاَ: يَا فَضْلُ قُمْ فَتَوَلَّهَا

وَالْفَضْلُ أَفْضَلُ مَا تَوَلَّى أَمْرَ مَنْ رَبَطَ الْفَضَائِلَ بِالْفِعَالِ وَحَلَّهَا

فَسَمَا لَهَا، فَأَمَالَهَا، وَأَسَالَهَا وَأَجَلَّهَا، وَأَقَلَّهَا وَأَهَلَّهَا

فَاهْتَزَّ مَوْقِعُهَا الْجَمَادُ وَلَمْ يَنَلْ مِنْ غَيْمِهَا ذِي الْجَوْدِ إِلاَّ طَلَّهَا

ومنه في معناه:

يَوَدُّ لِئَامٌ خُيِّبُوا، هُمُ خَيْبَتِي وَحَالِي مِمَّا أَبْتَغِي أَبَداً خَالِي

وَيَرْجُو كِرَامٌ سُلِّمُوا، هُمْ سَلاَمَتِي وَحَالِي مَدَى دَهْرِي بِكُلِّ عُلاً حَالِي

وقلت عند ضريح سيدي علي بن داود:

قَصَدْنَا ابْنَ دَاوُدَ ذَا الْمَعْلُوَاتِعَلِيّاً، عَلِيَّ الْمَقَامِ الْجَلِيلْ

عَلَى حِينَ بَانَ لَنَا (أَنَّهُ) بِكُلِّ الذِي قَدْ أَرَدْنَا كَفِيلْ

فَإِمَّا حَبَانَا بِمَا نَرْتَجِي فَذَاكَ، وَفِيهِ شِفَاءُ الْغَلِيلْ

وَإِلاَّ وَحَاشَاهُ مِنْ سَنَدٍ عَلِمْنَا بِأَنَّ الدَّخِيلَ دَخِيلْ

وَأَنَّ الْمَقَاصِدَ قَدْ بُنِيَتْ عَلَى جُرُفٍ مِنْ رَجَاءٍ عَلِيلْ

فَبَوَّأَنَا دَرَكاً نَازِحاً بُعَيْدَ النِّهَايَةِ مِمَّنْ يُنِيلْ

وَاسْتَغْفِرِ اللهَ أَنَّ الْعَلِي يَعُمُّ نَدَاهُ الدَّنِيَّ الْقَلِيلْ

فَلاَ شَكَّ عِنْدِي مِنْ فَيْضِهِ عَلَيْنَا إِذَا مَا نَوَيْنَا الرَّحِيلْ

وفي اللغز في المقروط:

مَا اسْمُ شَيْءٍ مُحَرَّفُ الشَّكْلِ مَائِلْ لَمْ يَشِنْهُ التَّحْرِيفُ فِي عَيْنِ عَاقِلْ

يَتَجَلَّى مَا بَيْنَ طَوْرٍ وَرَقْمٍ مُسْفَرَ الْوَجْهِ هَائِجاً لِلدَّوَاخِلْ

وفي اللغز في زاكور:

مَـا أَخُـو خَمْسَـةٍ جِلَتْـهُ لِعَاقِـلْ مِثْـلَ أَجْزَائِـهِ أَسَــامٍ لِفَاعِــلْ

وَهْـيَ زَاكٍ يَلِيــهِ زَاوٍ (فَــرَاوٍ) ثُـمَّ (وَارٍ) فَـزَارٍ أَتْبِـعْ وَعَــادِلْ

وَارْعَ ذَا الْقَلْـبَ وَالْمُحَـرَّفَ مِنْهَـا وَاقْفُ مَـنْ قَـالَ، فَالْمُفَسِّـرُ قَائِـلْ

وقال في لفظ اللغز:

هَاكَ لَغْـزاً فِيمَـا يَصِيـرُ لِغَـزْلٍ ثُـمَّ تَصْحِيـفٌ ذَا يُـوَرِّثُ خَبْـلاَ

فَــإِذَا أُسْقِــطَ الْمُقَــدَّمُ مِنْــهُ كَانَ قَوْماً يَرْمُـونَ بِالشَّـرْقِ نَبْـلاَ

فَـإِذَا صُحِّـفَ الْمُقَــدَّمُ مِــنْ ذَا فَهْوَ عِزٌّ، يَا عِزَّ مَـنْ حَـازَ نُبْـلاَ

حرف الميم

وقال يخاطب شمس الزمان، وواسطة سلك الأعيان، أبا علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي وقد ورد فاسا سنة خمس وتسعين (وألف) فيما نضمنه:

عَنْ نُورِ هَدْيِكَ ثَغْرُ الدَّهْـرِ مُبْتَسِـمُ يَا وَاحِداً وَرَدَتْ مِـنْ بَحْـرِهِ أُمَـمُ

هَشَّتْ لِلُقْيَاكَ فَـاسٌ إِذْ حَلَلْـتَ بِهَـا وَفَاسُ لَوْلاَ سَنَـا وُجُودِكُـمْ، عَـدَمُ

فَزَهْوُهَا بِـكَ يَـا مَوْلَـايَ مُنْتَظِـمٌ وَأُنْسُهَـا بِـكَ يَـا مَوْلَـايَ مُلْتَئِـمُ

أَبْهَجْتَ عَبْـدَكَ إِذْ وَافَـاكَ مُكْتَئِبـاً إِنَّ الْجَـوَى بِدُنُـوٍّ مِنْـكَ يَنْحَسِـمُ

وَافَاكَ يَطْلُـبُ نَهْـجَ النَّاصِرِيَّـةِ إِذْ فِي النَّاصِرِيَّةِ نَصْرٌ لَيْـسَ يَنْصَـرِمُ

وَاهًا لَهَا رَغْبَـةً مَـا كَـانَ أَنْفَسَهَـا لِمِثْلِهَـا تَسْتَعِـدُّ الأَيْنُـقُ الرُّسُــمُ

أَمْهَلْتَـهُ لِغَـدٍ، فَبَـاتَ فِـي سَهَـرٍ يُنْجِـدُهُ الْوَجْـدُ إِذْ أَعْـوَزَهُ الْحُلُـمُ

يُخَاطِبُ اللَّيْلَ كَـيْ تَفْتَـرُّ دُهْمَتُــهُ عَنْ ثَغْرِ صُبْحٍ، فَيَبْدُو لِلْمُنَـى عَلَـمُ

يَا عَنْبَرَ اللَّيْلِ، كَافُورَ الصَّبَاحِ أَعِـدْ قَدْ كَادَ يَلْحَقُنِي مِـنْ طُولِـكَ الْهَـرَمُ

إِنْ لَمْ تَجُدْ لِي بِصُبْحٍ، صِحْتُ مِنْ أَسَفٍ: (وَا حَرَّ قَلْبَـاهُ مِمَّـنْ قَلْبُـهُ شَبِـمُ!)

لاَزِلْتَ مِقْبَاسَ عِلْـمٍ يُسْتَضَـاءُ بِـهِ إِذَا بَدَتْ ظُلُمَـاتُ الْجَهْـلِ تَزْدَحِـمُ

وقال يمدح الشيخ أبا العباس بن الحاج في غرض من طلبه:

ثَغْــرُ السِّيَــادَةِ قَــدْ تَبَسَّــمْ   عَـنْ هَـدْيِ قُدْوَتِنَــا الْمُعَظَّــمْ
وَبِحَمْـــدِهِ عَـــنْ قَصْـــدِهِ   طَيْــرُ السَّعَــادَةِ قَــدْ تَرَنَّــمْ
شَمْسُ الْمَفَاخِـرِ فِـي الــأَوَا   خِـرِ فِيـهِ سَائِـرُ مَـنْ تَقَــدَّمْ
فَالْعِلْــمُ حَشْــوُ بُــرُودِهِ   وَالْحِلْـمُ رَائِــدُهُ الْمُقَــدَّمْ
وَالدِّيــنُ وَالتَّوْفِيـــقُ مِـــنْ   لَفْـظِ الثَّنَــاءِ عَلَيْــهِ يُعْلَــمْ
إِذْ مَــدْحُ أَعْلــَامِ الْهُــدَى   لِرُقَــيِّ دِيــنِ اللــهِ سُلَّــمْ
مَقْفَــوُّ أَحْمَــدَ وَالْهُــدَى،   خِلــَّانِ، ذَاكَ بِــذَاكَ مُغْــرَمْ
أَبْنِيَـــةَ الْـــوَرَعِ التِـــي   طَـافَ الرَّشَـادُ بِهَــا وَأَحْــرَمْ
إِنَّ السِّيَـــادَةَ أَحْـــــرُفٌ   بِعُلـاَكَ يَــا مَوْلــاَيَ تُعْجَــمْ
وَلَدَيْــكَ مَدْلُــولُ الْحَقَــا   ئِقِ وَالدَّقَائِـقِ حَسْـبُ يُفْهَـمْ
وَسَنَاكُــمُ يُهْــدِي إِلَــى   دُرَرِ الْمَفَاخِــرِ كَيْــفَ تُنْظَــمْ

فَاسْلَــمْ لِتَنْوِيـــرِ الزَّمَـــا   نِ أَشَمْـسَ بَهْجَتِـهِ لِتَسْلَــمْ

وقال أيضا يمدح الشيخ سيدي سعيد العميري يوم ختمه تلخيص المفتاح عليه:

هَلْ لِذِي الْبُعْدِ مِنْ تَـدَانٍ يَـدُومُ؟   لاَ تَــدَانِ وَدَاعُــهُ التَّسْلِيــمُ
فَعَسَـى يَنْعَـشُ الْفُـؤَادُ وَيَسْلُــو   أَمْ يَمُـوتُ وَحَبْلُــهُ مَفْصُــومُ؟
حَسْبُنَا اللـهُ مَـا لَنَـا كُـلَّ حِيـنٍ   يَنْعَـقُ الْبَيْـنُ بَيْنَنَــا وَيَحُـومُ
حَسْبِـيَ اللـهُ كَـمْ يُقَسِّـمُ قَلْبِـي   نَاظِـرٌ فَاتِـرٌ، وَوَجْــهٌ قَسِيــمُ
صَاحِبِي! صَاحَ بِي الْبِعَادُ وَأَمْسَـتْ   بِـي مَطَايَـاهُ تَرْتَمِـي لاَ تَرِيــمُ
قَدْ أَلِفْتُ النَّوَى وَإِنْ عِشْـتُ شَيْئـاً   فَسَأَصْبُـو إِلَـى النَّـوَى وَأَهِيــمُ
كُلَّمَـا امْتَــدَّ بُعْدُنَــا وَتَنَــاءَى   طَـابَ بُعْـدُ الْمُقَــامِ وَالتَّخْيِيــمُ
وَبُعَيْـدَ الظَّمَــا يَلَــذُّ شَــرَابٌ   وَبِإِثْـرِ الْهَجِيـرِ يَهْـوَى نَسِيــمُ
لاَ تَسَلْ عَنْ حَشَـايَ مَـاذَا يُعَانِـي   إِنَّ رَبِّــي بِأَمْــرِهِ لَعَلِيـــمُ
قَرْطَسَتْـهُ سِهَـامُ وَجْـدٍ وَعَضَّـتْـ   ـهُ أَفَاعِـي الْهُمُـومِ فَهْـوَ سَلِيــمُ
سَأَبُـثُّ حَدِيـثَ وَجْـدِي - وَبَثِّـي   لِسَـرِيٍّ إِذْ لاَ خَلِيــلَ حَمِيــمُ

لإِمَـامٍ حَـوَى الْمَفَاخِـرَ طُـرّاً   مَـا حَـوَى مِثْلَهَـا سِوَاهُ أَرِيـمُ
لِهِلَـاَلِ الْهُـدَى سَعِيـدِ الْمَعَالِـي   مَـنْ بِـهِ سَعِـدَ الْبَيَـانُ الْوَسِيـمُ
وَبِهِ انْـزَاحَ عَـنْ صَبَـاحِ مَعَانِـي   هِ دُجَـى الشُّبُهَـاتِ فَهْـوَ قَوِيـمُ
يَا إِمَـامَ الزَّمَـانِ! أَنْـتَ لَعَمْـرِي   قَمَـرٌ، وَالزَّمَـانُ لَيْـلٌ بَهِيـمُ
بِسَنَـاكَ اهْتَـدَى الْغَبِـيُّ لِفَهْـمٍ ضَـلَّ عَـنْ مِثْلِـهِ الذَّكِـيُّ الْفَهِيـمُ
وَبِلَفْظِكُـمْ وَهْـوَ نَثْـرُ لَـآَلٍ   فَاخَـرَ الـدَّرْسُ وَازْدَهَـى التَّعْلِيـمُ
مَـا رَأَيْنَـا وَلاَ سَمِعْنَـا كَلاَمـاً   يُنْعِـشُ الْفِكْـرَ قَبْلَـهُ وَيَسِيـمُ
قَـدْ لَبِسْتُـمْ مِـنَ السِّيَـادَةِ بُـرْداً   طَـرَّزَاهُ: الْجَلَـاَلُ وَالتَّعْظِيـمُ
إِذْ تَسَنَّمْـتْ فِـي رِعَـانِ الْمَعَالِـي وَسِـوَاكَ عَـنِ الْمَعَالِـي نَئِيـمُ
دُمْتَ فِـي رِفْعَـةٍ وَدَهْـرُكَ طَلْـقٌ وَعَلَيْـكَ مِـنَ الْعُـلاَ تَسْهِيـمُ
وَإِلَيْكُـمْ حَدِيقَـةٌ حَاكَهَـا الْفِـكْ   رُ (وَصَـابَ) عَلَيْهَـا وُدٌّ صَمِيـمُ
أَثْمَـرَتْ يَانِـعَ الْبَدِيـعِ بِأَفْنَـا   نِ الْبَيَـانِ فَضَـاعَ مِنْهَـا شَمِيـمُ

وقال تسلية لمن مرض من الأكابر، وهو القاضي الشريف، أبو عبد الله سيدي محمد، عرف بأبي عنان - رحمه الله -:

مولـاي يَـاذَا المجـدِ الأفْخَـمْ   العصـرُ مـن شَكْـواكَ ظَلَـمْ
إذْ أَنْـتَ شمـسُ كَمالِـهِ   فَافْهَـمْ، فَغيـرُكَ لَيـسَ يَفْهَـمْ
هـذا وعـذرُ سَقامكُـم   فـي مُكْثِـهِ بِكُـمُ مُسَلَّـمْ
وَافاكُـمُ مُتَبرِّكـاً   فاسْتَعْـذَبَ الْمَثْـوَى فَخَيَّـمْ
بهرتـه آيُ جلالِكُـمْ لِلَّـهِ مَـا أَسْنَـى وَأَعْظَـمْ
فَوُقِيـتَ يَـا شَمْـسَ الزَّمَـا   نِ كُسـوفَ ذِي الشَّكْـوَى فَنَسْلَـمْ

وقال يخاطب أبا حفص المانجلاتي، وقد تخلف أياما عن المجلس بمدينة الجزائر:

يَـا أَيُّهَـا الْمَوْلَـى (الْهُمَـامْ)   وَمَـنْ حَـوَى أَعْلَـى مَقَـامْ
لَقَـدْ غَدَوْنَـا فِـي ظَلَـامْ   مُـذْ غِبْـتَ يَـا خَيْـرَ الأَنَـامْ

(فَابْــرُزْ إِلَيْنَــا) نَقْتَبِـــسْ سَنَـــاكَ يَـــا بَـــدْرَ التَّمَـــامْ

وقال يسلي من أدخل السجن على لسان من اقترحه:

نُوَبُ الدُّنَى قَـدْ أَرْهَقَتْـكَ سِهَامُهَـا لاَ تَجْزَعَـنَّ فَمَـا يُطُـولُ مُقَامُهَـا

مَا إِنْ يَشِينُكَ بَـلْ يَزِينُـكَ خَطْبُهَـا إِنَّ الْبُــدُورَ يَزِينُهَــا تَغْيَامُهَــا

هَوِّنْ عَلَيْـكَ فَمَـا حُبِسَـتْ لِرِيبَـةٍ إِنَّ اللُّيُــوثَ مَقَرُّهَــا آجَامُهَــا

حَجَبُوا سَنَا مَرْآكَ عَنْ حَدَقِ الْـوَرَى كَيْ لاَ يَضِيـرَكَ نَبْلُهَـا وَسِهَامُهَـا

أَوَ لاَ تَرَى الأَطْيَارَ يُتْـرَكُ وَحْشُهَـا هَمَلاً، وَيُقْنَـصُ وُرْقُهَـا وَيَمَامُهَـا؟

فِـي سِجْـنِ يُوسُفَلِلْمُبَـرَّإِ أُسْــوَةٌ فَهُنِ الْخُطُوبَ يَهِنْ عَلَيْـكَ مَرَامُهَـا

هَـلْ أَنْـتَ إِلاَّ زَهْـرَةٌ أَوْ نَـوْرَةٌ فَاحَتْ شَذاً، فَأَكَـنَّ تِلْـكَ، كِمَامُهَـا

وقال أيضا:

ثَغْـــرُ الزَّمَـــانِ تَبَسَّـــمْ مِــنْ شَــدْوِ طَيْــرٍ تَرَنَّــمْ

وَالْــوَرْدُ أَبْـــدَى عَقِيقــاً بِشَـــذْرِ تِبْـــرٍ مُعَلَّـــمْ

كَأَنَّــــــهُ بِنَـــــدَاهُ وَجْــــهٌ صَبِيــحٌ مُلَثَّـــمْ

وقال مضمنا أول كل بيت من أبياته حرفا من حروف محمد صلى الله عليه وسلم وعلى

أكرم من تسمى به، على لسان من اقترحه عليه:

مُذْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي سُلِبْـتُ مَنَامِـي وَالصَّبْرُ خَلْفِـي وَالأَسَـى قُدَّامِـي

حَمَّلْتَنِـي هَجْـراً بِغَيْـرِ جِنَايَــةٍ إِلاَّ صَحِيـحَ مَوَدَّتِـي وَغَرَامِــي

مَا ذَا أُكَابِدُ فِيكَ مِنْ حُـرَقِ الْجَـوَى فَالشَّوْقُ شَوْقِي، وَالضِّرَامُ ضِرَامِـي

مَنْ خَصَّنِي بِهَوَاكَ يَعْلَـمُ أَنَّنِـي اسْ تَحْلَيْـتُ فِيـكَ مَــرَارَةَ اللُّــوَّامِ

دُمْ عالِمـاً إِنِّـي بِحُبِّـكَ هَائِـمٌ وَإِلَـى لِقَائِـكَ غُلَّتِـي وَأُوَامِــي

وقال في صغره، مخاطبا للقائد عبد الله الروسي، وقد وقع بينه وبين إنسان، ما أدى الأشر إلى أن نال منه فلزم داره خوفا منه:

أَلاَ أَيُّهَــا الْقَائِــدُ الْمُجْتَبَـــى وَمَنْ حَازَ فِي الْمَجْـدِ أَسْنَـى مَقَـامْ

وَمَنْ هُوَ فِـي فَـاسَ بَـدْرُ دُجـىً يُطَـاوِلُ بِالأُفْـقِ بَـدْرَ التَّمَـامْ
فَزَعْـتُ إِلَيْكُـمْ وَقَـدْ شَفَّنِــي امْ تِـدَادُ مَقَامِــي بِهَــذَا الْمَقَــامْ
وَقَـدْ شِبْـتُ مِمَّـا قُذِفْـتُ بِــهِ بِإِثْـرِ اثْنَتَيْـنِ وَعِشْرِيـنَ عَــامْ
وَيَا لَيْـتَ مَـنْ هُـوَ مِثْلِـي شَجٍ يَصِيـرُ خَبِيئَـةَ إِحْـدَى الرَّجَـامْ
فَـلاَ تَأْخُذَنِّـي بِقَــوْلِ الْعِــدَى وَإِنْ أَكْثَـرُوا فِــيَّ زُورَ الْكَلاَمْ
فَمَـا جِئْـتُ شَيْئـاً أُلَــامُ بِــهِ سِوَى أَنَّنِـي بِالْعُــلاَ مُسْتَهَــامْ
أَخُـوضُ بِحَـارَ الْعُلُـومِ مَـدىً وَأُسْحَـرُ طَـوْراً بِـدُرِّ النِّظَــامْ
وَهَبْنِــي اقْتَرَفْـتُ ذُنُوبـاً طَغَـتْ فَمِثْلُـكَ يُولِـي الذُّنُـوبَ الْعِظَــامْ
فَحِلْمُـكَ قَـدْ عَـمَّ كُـلَّ الْــوَرَى وَأَصْلَحَ مَـا بَيْـنَ خَـاصٍ وَعَـامْ
وَجُـدْ لِـي بِعَفْـوِكَ يَــا رَبَّــهُ فَعَفْـوُكَ عِنْـدِي الْمُنَـى وَالْمَـرَامْ
فَمَـنْ لاِبْـنِ زَاكُـورَ مِـنْ مُنْجِـدٍ سِــوَاكَ، إِذَا حَارَبَتْــهُ اللِّئَــامْ
فَـلاَ زِلْـتَ تَرْقَـى سَمَـاءَ الْعُـلاَ وَكَهْفـاً يَلُـوذُ بِـهِ مَـنْ يُضَــامْ

وقال لمن كتب إليه: اسمعنا من كلامك أيها الأديب، بالجزائر بديهة:

مَا أَنَـا بِالْأَدِيـبِ يَـا مَـنْ كَلاَمُـهْ مِثْـلُ دُرٍّ يَزِينُــهُ نَظَّامُــهْ
الْأَدِيـبُ، الـذِي يَـرُوقُ نِظَامُـهْ، وَتُصَـانُ عَـنِ الْخَنَــا أَقْلاَمُــهْ

وقال في روضة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش يوم الجمعة، مفتتح ذي حجة:

قَصَـدْتُ ذُرَاكَ يَـا نَجْـلَ الْكِـرَامِ أَمُقْتَبِـسَ الْعُـلاَ عَبْـدَ السَّلَـامِ
قَصَدْتُ حِمَـاكَ حَامِـي مَـنْ أَتَـاهُ وَقَلْبِـي بِالتَّلَهُّـفِ جِـدُّ حَـامِ
قَصَـدْتُ يَـا إِمَـامَ النَّـاسِ فَــذّاً لأَكْـرَعَ فِـي نَـدَاكَ بِـلاَ زِحَـامِ
قَصَدْتُ مُحِيطَ بَحْـرِكَ وَهْـوَ طَـامٍ عَلَـى حِيـنَ احْتِرَاقِـي مِـنْ أُوَامِ
فَهَلْ فِي الْكَأْسِ كَأْسِ الْفَضْلِ فَضْـلٌ يَعُـلُّ الْقَلْـبَ مِـنْ تِلْـكَ الْمُـدَامِ؟
وَتُنْشِـي الْفِكْـرَ سَوْرَتُـهُ فَيَبْقَــى مَـدَى الدُّنْيَـا مُنِيـراً فِـي الظَّلَـامِ
مُـدَامٌ مَـا حَوَاهَــا الدَّهْـرَ دَنٌّ وَلَـمْ يُغْلَــقْ عَلَيْهَــا بِالْفِــدَامِ

يَحُوزُ مَنِ انْتَشَى مِنْهَا ثَنَاءٌ   وَيُوسَمُ مَنْ صَحَا مِنْهَا بِذَامِ
لَعَمْرُكَ وَالْيَمِينُ بِهِ عَظِيمٌ   وَمُخْرِجُ نُورِ نُورِكَ مِنْ كِمَامِ
عَلَيْهِ (صَلَاةُ رَبِّي) مَعْ سَلَامٍ   يَعُلَّانِ ثَرَاهُ إِلَى الْقِيَامِ
لَوْ أَنَّ الْهَامِدِينَ تَدِبُّ فِيهِمْ   لَقَامَ الْهَامِدُونَ مِنَ الرِّجَامِ
عَلَى مَثْوَاكُمُ مَثْوَى الْمَعَالِي   رَيَاحِينُ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ

وقال بعد غده بروضة مولاي بوسلهام نفع الله به:

سَلْ هَامَةَ الْعَلْيَاءِ أَبَا سَلْهَامِ   مِنْ بِرِّهِ الْمُبْرِي مِنَ الإِعْدَامِ
وَاجْعَلْهُ قِبْلَةَ مَا تُرِيدُ مِنَ الْمُنَى   تُمْنَحْ بِهِ بِمُجَرَّدِ الإِحْرَامِ
فَالْقَوْمُ أَهْلُ اللهِ فِي يَدِهِمْ مَقَا   لِيدُ الْقَضَاءِ وَحِكْمَةُ العَلَّامِ
وَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَأْهِيلَ امْرِئٍ   لِلْخَيْرِ، أَرْشَدَهُ إِلَى الأَقْوَامِ
وَهُمُ سَلَامُ اللهِ يَشْمَلُ جَمْعَهُمْ   مُتَفَاوِتُونَ بِرُتْبَةٍ وَمَقَامِ
وَمِنَ الأُلَى حَازُوا الْمَقَامَاتِ الْعُلاَ   وَتَمَيَّزُوا بِالنَّقْضِ وَالإِبْرَامِ
وَحَسَوْا كُؤُوسَ السِّرِّ سِرِّ اللهِ مَوْ   لاَنَا أَبُو سَلْهَامِ طَوْدِ شَمَامِ
لاَ يَرْكَنَنْ أَحَدٌ إِلَى الإِحْجَامِ   عَنْ فَضْلِ مَوْلاَنَا أَبِي سَلْهَامِ

وقال في مقام سيدي أبي يعزى:

يَا سَيِّدِي يَا أَبَا يَعْزَى الْهُمَامَ وَمَنْ   لَنَا عَلَيْهِ إِذَا جِئْنَاهُ إِكْرَامُ
أَكْرِمْ جَمَاعَتَنَا وَارْحَمْ ضَرَاعَتَنَا   أَوْ لاَ، فَمَطْلَبُنَا لِلْفَضْلِ لَوَّامُ
وَلاَ يَكُنْ لَكَ، إِنْ لَوْمٌ أَلَمَّ بِنَا   حَاشَا نَدَاكَ، بِرَبْعِ الْمَطْلِ إِلْمَامُ

وقال لما زار أبا القاسم السهيلي رضي الله عنه:

سَلَامُ الْإِلَهِ وَرِضْوَانُهُ   عَلَى قَبْرِكُمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ!
يَفُوحُ ثَرَاهُ بِنَشْرِهِمَا   كَفَوْحِ شَذَا رَوْضِكَ النَّاسِمِ

وقال في المدح:

أَبَى هَاشِمٌ إِلاَّ مُضَاهَاةَ هَاشِمٍ   أَبِيهِ أَبِي آلِ النَّبِيِّ الْخَضَارِمِ
عَلَى مَنْ بِهِ قَدْ شَرَّفُوا أَشْرَفَ الْوَرَى   صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ، وَرَحْمَةُ رَاحِمِ

حَوَى هَاشِمٌ هَـذَا الأَخِيـرُ زَمَانُـهُ مَشَابِهَ مِـنْ عَمْرِوالْعُـلاَ الْمُتَقَـادِمِ

وَقَدْ كَانَ فِي هَشْـمِ الثَّرِيـدِ لِقَوْمِـهِ عَظِيمُ غَنَاءٍ فِـي السِّنِيـنِ الْعَظَائِـمِ

مَكَارِمُ هَـذَا أَنْشَـرَتْ جُـودَ جَـدِّهِ وَكَانَ رَمِيماً فِي ضَرِيـحِ الْمَكَـارِمِ

سَقَى شَجَرَاتِ الْعُرْفِ فَضْلاً فَأَثْمَرَتْ ثَنَـاءً جَمِيـلاً عَنْبَـرِيَّ النَّوَاسِـمِ

ومن ذلك هذه الأراجيز المقطوعة: أولها:

قَدْ مَسَّنِـي الْكَـرْبُ وَأَنْـتَ الْعَالِـمُوَعَلَّنِـي الْغَـمُّ وَأَنْـتَ الْحَاكِـمُ

وَالتَّـذَنُّ، وَالإِذْلَـالُ لِـي مُصَـادِمُ بِبَـابِ فَضْلِـكَ الَّـذِي أُلَـازِمُ

فَـلاَ تَرُدَّنِــي وَإِنِّــي هَائِــمُ عَفْـوَكَ يَـا مَوْلَـايَ، إِنِّـي ظَالِـمُ

غُفْرَانَـكَ اللَّهُـمَّ إِنِّــي جَـارِمُ رُحْمَاكَ يَـا رَحْمَـانُ، إِنِّـي نَـادِمُ

وكتب على شعر قوله:

هَاجَتْ جَوَى أَلَمِي جَوَاهِـرُ الْكَلِـمِ مَـا بَيْـنَ مُنْتَثِـرٍ مِنْهَـا وَمُنْتَظِـمِ

لاَ سَكَّنَ اللَّهُ قَلْبـاً لَـمْ تَهِجْـهُ، فَقَـدْ أَزْرَتْ بِمَا قِيلَ فِي أَيَّـامِ ذِي سَلَـمِ

وفي غير ذلك قلت:

عَبْدُ السَّلاَمِ، وَمَنْ عَبْـدُ السَّلَـامِ إِذَا يُعْنَى بِعَبْدِ الْعَزِيـزِ عَمِّـهِ السَّامِـي

إِذْ ذَاكَ صِنْوُ أَبِيـهِ الْبَـرِّ مَوْضِعُـهُ مَنْ قَلْبُهُ مَوْضِـعٌ لَـمْ يُصْمِـهِ رَامِ

عَبْدُ السَّلَامِ بِذَا تَحْوِي الْوَرَى خَدَمـاً وَذُو النَّبَاهَـةِ مُحْتَـاجٌ لِخُـدَّامِ

دُمْ سَنَـداً لِـذَوِي قُرْبَـاكَ مُعْتَمِـداً وَبَحْرُ فَخْـرِكَ غَمْـرٌ طَافِحٌ طَـامِ

فَـإِنَّ زَهْـرَةَ ذِي الدُّنْيَـا وَزِينَتَهَـا وَمَا يَـرُوقُ بِهَـا أَضْغَـاثُ أَحْلَـامِ

وَقَـدْ رَجَـوْتُ لِسَلَـامٍ سَلَامَتَهَــا فَحَقَّـقَ اللـهُ مَـا أَرْجُـو لِسَلَــامِ

وقلت قريبا في غرض المديح:

لَـكَ الْبُشْـرَى، بِتَيْسِيـرِ الْمَــرَامِ وَنَيْلِـكَ مَـا تُرِيـدُ عَلَـى التَّمَـامِ

بِحَمْـدِ اللـهِ أَصْبَحَـتِ اللَّيَالِــي تَقُـودُ لَـكَ الأَمَانِـي فِـي زِمَـامِ

بِحَوْلِ اللهِ أَضْحَـى كُـلُّ صَعْـبٍ ذَلُـولاً فِـي مَطَاوَعَــةِ الإِمَــامِ

بِفَضْـلِ اللـهِ ذَلَّ لَـكَ الْمُنَــاوِي وَإِنْ سَكَـنَ الْبَـوَاذِخَ مِـنْ شَمَـامِ

فَأَظْفَـرَكَ (الإِلَـهُ) بِكُــلِّ بَــاغٍ وَأَخْدَمَـكَ الْمُلُـوكَ مِـنَ الأَنَــامِ
وَأَسْمَعَـكَ الْهَوَاتِــفَ بِالتَّهَانِـــي وَلَقَّــاكَ الْبَشَائِــرَ بِالـــدَّوَامِ
وَأَبْقَـى كَعْبَـكَ الْمَيْمُـونَ يَسْمُـــو سُمُوّاً لَـمْ يَكُـنْ فِـي بَـالِ سَـامَ
وَأَبْقَـى سَعْيَــكَ الْمَحْمُــودَ زَارٍ عَلَـى أَهْلِ الْمَشَارِقِ وَالشَّــآمِ
إِذَا نُسِبُـوا لِهَدْيِـكَ كُنْـتَ مِنْهُــمْ بِمَنْزِلَـةِ الْحَلاَلِ مِـنَ الْحَــرَامِ
وَكُنْـتَ الـذَّاتَ بَيْنَهُـمُ الْمُسَمَّـى أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِيـنَ وَهُــمْ أَسَــامِ
وَكُنْـتَ التِّبْـرَ بَيْنَهُـمُ الْمُصَفَّـى وَكَانُـوا عِنْـدَ ذَاكَ مِـنَ الرُّغَــامِ
وَكَانُوا مِـنْ هُـرَاءِ الْقَـوْلِ نَثْـراً وَكُنْـتَ الْمُسْتَجَـادَ مِـنَ النِّظَــامِ
فَنِعْـمَ الْغَيْـثُ سَيْبُـكَ وَهْـوَ هَـامٍ وَقَـدْ حُسِـبَ الْكِـرَامُ مِـنَ اللِّئَـامِ
وَنِعْمَ الْبَحْـرُ فَضْلُـكَ وَهْـوَ طَـامٍ إِذَا قَـالَ الثَّنَـاءُ: بِـكَ اعْتِصَامِـي
وَنِعْمَ الْبَدْرُ وَجْهُـكَ حِيـنَ يُمْسِـي وَقَـدْ عَـاضَ اللِّثَـامَ بِالاِبْتِسَـامِ
وَإِنْ كَشَفَتْ لَظَـى الْهَيْجَـاءِ سَاقـاً (فَنِعْـمَ النَّجْـدُ مِـنْ بَطَـلٍ تِهَـامِ)
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ فَضْـلٍ بِـأَنَّ الْفَضْـلَ فَضْلَـكَ جِـدُّ نَـامِ؟
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ خَيْــرٍ بِأَنَّ الْخَيْرَ قَـالَ: بِـكَ ارْتِسَامِـي؟
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ مَجْــدٍ بِأَنَّ الْمَجْدَ قَـالَ: بِـكَ اهْتِمَامِـي؟
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ مَــدْحٍ بِأَنَّ الْمَـدْحَ قَـالَ: بِـكَ اِئْتِمَامِـي؟
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ سَعْــدٍ بِـأَنَّ السَّعْـدَ أَمَّـكَ مِـنْ أَمَــامِ؟
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ يُمْــنٍ بِـأَنَّ الْيُمْـنَ خَصَّـكَ بِالْغَــرَامِ؟
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ عِـــزٍّ بِـأَنَّ الْعِـزَّ عِـزَّكَ فِـي انْتِظَـامِ؟
أَعِنْـدَكَ، دَامَ عِنْـدَكَ كُـلُّ نَصْـرٍ بِأَنَّ النَّصْـرَ مَفْضُـوضُ الْخِتَـامِ؟

يَفُـوحُ أَرِيجُـهُ فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ لِكُــلِّ مُبَــرَّإٍ مِــنْ كُــلِّ ذَامِ
يَـوَدُّونَ الْمَلَــاذَ وِدَادَ مُضْنًــى أَرَّقَتْــهُ الصَّبَابَـــةَ لِلْهُيَـــامِ
وَيَعْتَقِـدُونَ وُدَّكَ فَـرْضَ عَيْــنٍ وَأَنَّ سَنَــاكَ مِصْبَــاحُ الظَّلَــامِ
وَأَنَّ الدِّيـنَ قَبْلَـكَ كَـانَ شَيْخــاً فَصَـارَ الدِّيـنُ فِـي زِيِّ الْغُلَــامِ

وَأَنَّ الْحِلْمَ قَبْلَكَ كَانَ مَيْتاً فَعَادَ الْحِلْمُ مُعْتَدِلَ الْقَوَامِ
وَأَنَّ الْحِفْظَ حِفْظَ اللهِ رَبِّي لِرَبْعِ عُلاَكَ - يَامَوْلاَيَ - حَامِ
وَأَنَّ السِّتْرَ سِتْرَ اللهِ أَضْحَى عَلَى مَغْنَاكَ مَسْدُولَ الْقِرَامِ
وَأَنَّ الْفَضْلَ فَضْلَ اللهِ أَمْسَى بِعُقْرِ ذَرَاكَ مُنْسَجِمَ الْغَمَامِ
وَأَنَّ الرُّشْدَ وَالتَّوْفِيقَ مَالاَ لِمَنْ وَالاَكَ مَيْلَةَ مُسْتَهَامِ
وَأَنَّ الْفُلْجَ وَالإِسْعَادَ قَالاَ لِمَنْ يَهْوَاكَ: حَيَّ عَلَى اللِّزَامِ
وَأَنَّ الْيُمْنَ وَالإِقْبَالَ صَاحَا بِمَرْأَى الْبَخْتِ: يَا بُشْرَى الْهُمَامِ!
فَلاَ بَرِحَتْ تُقَادُ لَهُ الأَمَانِي عَلَى وِفْقِ الْمَنَاقِبِ وَالْمُقَامِ

وفيه أيضا:

عَلِيُّ بْنُ دَاوُدٍ عَلِيٌّ مَقَامُهُ وَفِي الزُّهْدِ فِي الْفَانِي بَعِيدٌ مَرَامُهُ
إِذَا زَارَهُ مَنْ زَارَهُ الْحُبُّ حُبُّهُ سَقَاهُ بِكَأْسٍ قَدْ يَدُومُ مُدَامُهُ

وفي مرهم:

قُلْ لِمَنْ لِلْعَوِيصِ فِي الَّلغْزِ يُلْهَمْ مَا دَوَاءٌ لَمْ يَعْدُ نِصْفاً لِدِرْهَمْ
فِيهِ لِلْجِسْمِ قُوَّةٌ وَنَمَاءٌ وَهْوَ لِلْقَلْبِ عِنْدَ ذِي اللُّبِّ مَهْرَمْ

حرف النون

قال عليه، يوم ختم شمائل المصطفى على الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن الحاج - حفظه الله - ووافق ذلك يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم:

نُورُ الْهَوَى فِي ظَلاَمِ الْبَيْنِ هَادِينَا فَمَا لَنَا وَلِتَزْوِيرِ الْمُرَائِينَا
يُحَاوِلُ الْعَذْلُ يُسْلِينَا أَحِبَّتَنَا لاَ كَانَ شَيْءٌ مِنَ الأَحْبَابِ يُسْلِينَا
نَاشَدْتُكَ اللهَ دَعْنَا وَصَبَابَتَنَا يَا مَنْ غَدَا بِنِبَالِ اللَّوْمِ يَصْمِينَا
إِنَّا أَخَذْنَا عُهُوداً مِنْ أَحِبَّتِنَا أَنْ لاَ نَزَالُ لأَهْلِ اللَّوْمِ قَالِينَا
إِنَّا أَرَقُّ عِبَادِ اللهِ أَفْئِدَةً فَلاَ تَلُمْنَا فَإِنَّ اللَّوْمَ يُرْدِينَا
وَلاَ تُعَاتِبْ عَلَى فَرْطِ الضَّنَى دَنِفاً إِنَّ الضَّنَى خَيْرُ أَوْصَافِ الْمُحِبِّينَا
إِنَّا - مَعَاشِرَ أَهْلِ الْحُبِّ - أَنْفُسَنَا تَشْجَى طَوِيلاً بِمَا سُرَّتْ بِهِ حِينَا

نَفْسِي الْفِدَاءُ وَمَا يُجْدِي الْفِدَاءُ لِمَـنْ شَيَّبَنِي حُبُّهُـمْ فِـي إِثْـرِ عِشْرِينَـا
أَهِلَّـةٌ، لَـوْ رَأَتْ عَيْنَـاكَ بَهْجَتَهُـمْ لَصِرْتَ فِي وَلَهٍ تَحْكِـي الْمَجَانِينَـا
بَالَغْتَ فِي عَذْلِنَا لَـوْ كَـانَ يَنْفَعُنَـا لَكِنَّـهُ بِالضَّنَـى وَالْوَجْـدُ يُغْرِينَـا
لاَ يَنْفَعُ الدَّنِفَ الْمَفْؤُودَ شَيْءٌ سِـوَى شَمَائِلِ الْمُصْطَفَى شَمْـسِ النَّبِيئِينَـا
مُحَمَّـدٍ خَيْـرِ خَلْـقِ اللـهِ قَاطِبَـةً فَهْيَ لَعَمْرِي مِنَ الأَشْجَـانِ تُبْرِينَـا
جَزَى الإِلَهُ أَبَا عِيسَى بِأَفْضَـلِ مَـا جَزَى الذِي شَادَ تَصْنِيفـاً وَتَدْوِينَـا
أَتْحَفَنَـا بِكِتَـابٍ قَـدْ حَـوَى دُرَراً جَلِيلَةً عَـنْ نَفِيـسِ الـدُّرِّ تُغْنِينَـا
هِيَ شَمَائِلُ خَيْرِ (الرُّسْلِ) مَنْ نَطَقَتْ لَـهُ الْجَمَـادَاتُ إِفْصَاحـاً وَتَبْيِينَـا
وَحَنَّ مِـنْ بَيْنِـهِ الْجِـذْعُ وَكَلَّمَـهُ ضَبُّ الْفَلَـاةِ بِمَـا غَـاظَ الْمُعَادِينَـا
وَفَاضَ مِنْ يَدِهِ الْمَاءُ الزُّلَـالُ وَقَـدْ شَكَـا الْبَعِيـرُ إِلَيْـهِ الْكَـدَّ تَلْقِينَـا
وَالذِّئْبُ أَفْصَحَ عَـنْ أَنْبَـاءِ بِعْثَتِـهِ فِي قِصَّـةٍ تُبْهِـرُ الأَلْبَـابَ تَعْيِينَـا
كَمْ مِنْ فَضَائِلَ لاَ يُحْصَـى تَعَدُّدُهَـا بَدَتْ لِكَهْفِ الْوَرَى، غَوْثِ الْمُنَادِينَـا
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَـا طَفِقَـتْ وُرْقُ الْحَمَائِـمِ فِـي دَوْحٍ تُنَاغِينَـا
وَآلِهِ وَجَمِيعِ الصَّحْبِ مَـا قَطَفَـتْ يَـدُ الصَّبَابَـةِ أَلْبَـابَ الْمُحِبِّينَـا
يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَشِيعَتِـهِ إِغْفِرْ لَنَا وَتَجَـاوَزْ عَـنْ مَسَاوِينَـا
وَوَالِدِينَـا وَأَهْلِينَـا وَشِيعَتِنَـا إِنَّـا مَدَدْنَـا أَكُـفَّ الـذُّلِّ دَاعِينَـا

مُسْتَشْفِعِينَ بِخَيْـرِ الْخَلْـقِ قَاطِبَـةً مُنْتَجِعِينَحَيَـا جَـدْوَاكَ (رَاجِينَـا)
شَفِّعْ رَسُولَكَ فِينَـا يَـوْمَ مَحْشَرِنَـا عَسَاهُ مِنْ سُنْدُسِ الْفِرْدَوْسِ يُكْسِينَـا
وَامْدُدْ مَدَى شَيْخِنَا هَذَا الْهُمَامِ الـذِي أَمْسَى شَمَائِلَ خَيْرِ الرُّسْـلِ يُقْرِينَـا
بَدْرُ الْعُلُومِ وَمِصْبَاحُ الزَّمَانِ أَبُـو الْـ عَبَّاسِ مَنْ حَـازَ إِبْدَاعـاً وَتَحْسِينَـا
شَمْسُ الْعُلاَ أَحْمَدُ بْنُ الْحَاجِ دَيْدَنُـهُ دَرْسُ الْعُلُـومِ وَتَبْكِيـتُ الْمُنَاوِينَـا
وَاكْلأْهُ مِنْ كُلِّ مَا تَخْشَـى غَوَائِلُـهُ وَيَرْحَمُ اللـهُ عَبْـداً قَـالَ: آمِينَـا

وقال في روضة سيدي عبد الله الخياط بزرهون:

إِلَـى الْخَيَّـاطِ عَبْـدِ اللـهِ جِئْنَـا وَلِـيِّ اللَّـهِ وَالإِسْعَـادِ مَعْنَـا

نُؤَمِّلُ فَضْلَـهُ، وَالْفَضْـلُ فِيــهِ سَجِيَّـةُ مَـنْ عَـلاَ لَفْظـاً وَمَعْنَـى
فَوَافَتْنَــا الْبَشَائِــرُ ضَاحِكَــاتٍ وَقَابَلَنَـا مِـنَ الآمَــالِ مَجْنَــى
أَمَوْلاَنَـا الـذِي أَهْـدَى وَأَسْــدَى وَأَغْنَـى مَـنْ أَنَـاخَ بِـهِ وَأَقْنَـى
بِكَعْبَـةِ مَجْدِكُـمْ لُذْنَـا وَطُفْنَـا وَفِـي عَرَفَـاتِ عُرْفِكُمْ وَقَفْنَـا
وَبَيْـنَ صَفَـا مَعَالِمِكُـمْ سَعَيْنَـا وَكَبَّرْنَـا بِمَشْعَرِهَـا فَفُزْنَــا
وَفِي حَصْبَا الْمُحَصَّبِ مِـنْ حِمَاكُـمْ نَزَلْنَـا وَالْعَنَـا فِيــهِ أَنَخْنَـا
وَعِنْـدَ وُصُولِنَـا لِمُنَـى الأَمَانِـي ضَرِيحِكَ مَوْئِلِ الرَّاجِـي اسْتَرَحْنَـا
رَمَيْنَا الْجَمْـرَ فِيـهِ جِمَـارَ وَجْدٍ وَبُـدْنَ شَقَائِنَـا الشَّاقِـي نَحَرْنَـا
فَحَـلَّ لَنَـا التَّرَفُّــهُ فَاقْتَرَحْنَــا فَطِبْنَـا أَنْفُســاً مِمَّــا طَرِبْنَـا
وَقُلْنَـا وَالْكَفِيــلُ بِمَـا طَلَبْنَـا سَخَاؤُكُـمُ الـذِي أَغْنَـى الْمُعَنَّـى
أَلاَ أَنْجِــزْ مَطَالِبَنَــا وَأَسْبِــلْ عَلَيْنَا مِـنْ سَحَـابِ جَـدَاكَ مُزْنَـا
أَمِـطْ عَنَّـا أَذَى الدُّنْيَـا وَأَهْــدِي لَنَـا مِمَّـا نُؤَمِّـلُ مِنْـكَ بُدْنَـا
بِمَـا تَحْوِيـهِ مِـنْ خَيْـرٍ وَخِيـرٍ وَعِـزٍّ بَاهِـرِ الْمَعْنَــى أَعِنَّـا
وَإِلاَّ فَالْعَــلاَءُ لَنَـا خَصِيــمٌ يُوَبِّخُنَـا إِذَا أُبْنَــا وَخِبْنَــا
أَلاَ يَـا بَذْلَـهُ الْمَبْــذُولَ حُطْنَـا وَذُدْ عَنَّـا التَّلَهُّـفَ حَيْـثُ عَنَّـى
وَيَا (رَيَّـا) الْمَوَاهِـبِ مِـنْ ثَـرَاهُ أَلاَ هِبِّـي عَلَـى أَحْشَـاءِ مُضْنَـى
وَنَافِحْنِـي وَطَارِحْنِــي وَأَحْــيِ قُلَيْبِــي إِنَّــهُ بِالْهَـمِّ يُعْنَـى

إِلَيْـكَ وَسِيلَتِـي مَـنْ قَـدْ هَدَانِـي إِلَـى مَغْنَـى عُلـاَكَ أَجَـلِّ مَغْنَـى
وَمَـنْ أَبْـدَى سَنَاكُـمْ وَاصْطَفَاكُـمْ فَأَنْهَلَكُـمْ بِكَــأْسِ الْــوُدِّ مَنَّــا
وَأَبْـدَى سِرَّكُـمْ لِلنَّـاسِ جَهْــراً وَصَيَّـرَ قَبْرَكُـمْ حَرَمـاً وَحِصْنَـا
عَلَـى مَبْعُوثِـهِ لِلنَّــاسِ طُــرّاً صَلـاَةٌ تَقْتَضِـي أُنْســاً وَأَمْنــاً
وَآلِــهِ وَالصِّحَــابِ وَتَابِعِيهِــمْ وَمَـنْ أَعْلَـى لِدِيـنِ اللـهِ رُكْنَـا
صَلـاَةٌ لَذنَـةُ النَّسَمَـاتِ تَتْـرَى عَلَيْهِمْ مَـا ثَنَـى النَّسَمَـانُ غُصْنَـا

وقال عند زيارة الولي الصالح سيدي الصعيدي - نفعنا الله ببركاته - بتطاون - حرسها الله - في رمضان، ثلاث وتسعين وألف:

بِقَبْـرِ الصَّعِيــدِيِّ فَاسْتَشْفِعَــنْ إِلَى اللـهِ يَنْفَـضُّ عَنْـكَ الْحَـزَنْ

وَلُــذْ بِحِمَــاهُ فَــإِنَّ حِمَــاهُ أَمَـانٌ لِمَـنْ قَـدْ بَرَتْـهُ الْمِحَــنْ

وَلاَ تَعْـدُ عَـنْ قَصْـدِهِ سَاعَــةً فَــإِنَّ نَـدَاهُ مُبِيــدُ الشَّجَــنْ

فَكَـمْ مِـنْ هُمُـومٍ غَـدَا فَاصِمـاً عُرَى خَطْبِهَـا، نَـدَّ مِنْهَـا الْوَسَـنْ

أَمَوْلَـاَيَ قَـدْ جِئْــتُ مُنْتَجِعــاً نَدَى بَحْـرِ كَفِّـكَ طَلْـقَ الرَّسَـنْ

وَأَجْــدِرْ بِمَــنْ أَمَّ مَثْــوَاكَ أَنْ يَنَــالَ مُنَــاهُ وَلَــمْ يُغْتَبَــنْ

فَعَجِّـلْ مُنَــايَ، وَسَكِّـنْ حَشَــايَ فَقَـدْ قَرْطَسَتْــهُ سِهَــامُ الزَّمَــنْ

وَكُنْ لِـي مُجِيـراً مِـنَ الْغَمَـرَاتِ فَسُقْمِـي طَوِيـلٌ وَدَائِـي عَفَــنْ

وَفُلْكُ افْتِقَـارِي (لِبَحْـرِ) اعْتِبَـارِي ثَوَى، وَنَسِيـمُ اصْطِبَـارِي سَكَـنْ

أَقُـولُ، وَقَــدْ هَالَنِــي مُكْثُــهُ أَلاَ أَزْجِــهِ بِنَسِيــمٍ حَسَــــنْ

بِخَيْـرِ الْخَلاَئِـقِ أَفْضَــلِ مَــنْ حَبَـاهُ الإِلَــهُ بِأَهْـدَى سَنَــنْ

مُحَمَّــدٍ الْمُصْطَفَــى الْمُقْتَفَــى رَسُـولِ الإِلَـهِ سَنِــيِّ السُّنَــنْ

عَلَـى رَسْمِـهِ مَـا هَمَـتْ دِيمَــةٌ صَلَـاَةٌ مِـنَ اللـهِ مُولِـي الْمِنَـنْ

وَآلِـهِ وَالصَّحْـبِ مَـا صَدَحَــتْ حَمَـامٌ، وَمَـا ظَبْـيُ رِيـمٍ شَـدَنْ

وقال قديما في سيدي محمد بن الحسندفين باب الجيسة:

يَا وَلِـيَّ اللـهِ يَـا نَجْـلَ الْحَسَـنْ يَا سَرِيّـاً قَـدْ حَـوَى كُـلَّ حَسَـنْ

اِمْنَـحِ الضَّمْـآنَ مِـنْ أَبْحُرِكُــمْ نُغْبَـةً تُطْفِـئُ مَوْقُـودَ الشَّجَــنْ

بِرَسُـولِ اللـهِ يَنْبُـوعِ (السَّنَــا) خَيْرِ خَلْـقِ اللـهِ شُؤْبُـوبِ الْمِنَـنْ

وكتب من أرض غمرة إلى أبي العباس سيدي أحمد اليمني - أبقاه الله -:

قُلْ لِشَمْسِ الْفَضْـلِ غَيْـثِ الْمِنَـنِ أَمَنَــارَ الْمُهْتَدِيــنَ الْيَمَنِــي!

نَجْلُ زَاكُـورٍ لَكُـمْ فِـي (غَمْـرَةٍ) شَاكِـرٌ فِــي سِــرِّهِ وَالْعَلَــنِ

وَسَلَــاَمُ اللــهِ أَهْـدَي لَكُــمُ كَالصَّبَا تَـرْوِي الشَّـذَا عَـنْ فَنَـنِ

وقال أيضا عند زيارة مولانا عبد الله بن أحمد - نفعنا الله به - مكناسة الزيتون:

إِنَّمَا رَوْضَةُ الشَّرِيفِ الرِّضَى عَبْ دِ الإِلَهِ بْنِ أَحْمَدٍ رِضْوَانُ

فِيهِ لِلزَّائِرِينَ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَتَلَذُّهُ الأَجْفَانُ

وقال أيضا مجيبا للأديب أبي الحسن الحاج علي مندوصة التطاوني الأندلسي - حفظه الله - عن قطعة في هذا البحر والروي:

قَسَماً بِمَنْ بِالصَّدِّ قَدْ أَضْنَانِي وَسَقَانِ كَاسَاتٍ مِنَ الْهِجْرَانِ

وَغَدَا يُمَزِّقُ مُهْجَتِي بِلِحَاظِهِ وَكَسَانِ ثَوْبِيَ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ

مَا أَنْتَ إِلاَّ حَائِزٌ خَصْلَ الْعُلاَ مُتَضَلِّعٌ بِلآلِئِ التِّبْيَانِ

يَا ابْنَ الأُلَى هَمَعَتْ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ وَتَوَشَّحُوا بِمُثَقَّفِ الْمُرَّانِ

وَعَدَوْا عَلَى الأَبْطَالِ فِي صَهَوَاتِهِمْ وَنَمَوْا إِلَى عَدْنَانَ أَوْ قَحْطَانِ

مِنْ كُلِّ قَرْمٍ بَاسِلٍ يَوْمَ الْوَغَى بَادِي السُّرُورِ إِذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ

هِمْنَا بِشِعْرِكَ بَلْ بِسِحْرِكَ فَانْثَنَتْ أَلْبَابُنَا سَكْرَى بِخَمْرِ بَيَانِ

مَا شِئْتَ مِنْ لَفْظٍ أَرَقَّ مِنَ الْهَوَى وَأَلَذَّ فِي الأَسْمَاعِ مِنْ عِيدَانِ

وَبَدِيعِ مَعْنًى كَالنَّسِيمِ لَطَافَةً أَحْلَى مِنَ الرَّشَفَاتِ مِنْ غِزْلاَنِ

مَالْبُحْتُرِي وَأَبُوفِرَاسٍ وَالْبَهَا بِأَرَقَّ مِنْكَ وَلاَ الْفَتَى الْهَمَذَانِي

حُزْتَ الْبَرَاعَةَ وَالْيَرَاعَةَ وَالْعُلاَ وَسَبَقْتَ فِي مِضْمَارِ هَذَا الشَّانِ

وَإِلَيْكَهَا تُسْدِي إِلَيْكَ تَحِيَّةً أَذْكَى شَذاً مِنْ نَفْحَةِ الْبُسْتَانِ

مَا اهْتَاجَ قُمْرِيٌّ بِأَفْنَانِ الرُّبَى وَتَمَايَسَتْ هَيْفَا غُصُونِ الْبَانِ

وقال بتطاون، يستنجز استعارة كتاب من الأديب أبي يعقوب سيدي يوسف الشودري - حفظه الله - سنة اثنين وتسعين وألف:

يَا مَنْ بِهِ شَرُفَتْ عَلَى الْبُلْدَانِ تِطْ وَانُ الْغَرَّا بِلاَ بُهْتَانِ

وَتَأَرَّجَتْ أَرْجَاؤُهَا مِنْ نَشْرِهِ وَغَدَا لِطِرْسِ النُّبْلِ كَالْعُنْوَانِ

أَنْجِزْ أَبَا يَعْقُوبَ فِي إِرْسَالِ مَا هِمْنَا بِهِ مِنْ زَهْرَةِ الْبُسْتَانِ

فَلَقَدْ دَجَتْ أَفْكَارُنَا كَلَفاً بِهِ فَعَسَى يَضُوعُ شَذَاهُ بِالسُّلْوَانِ
لاَ زِلْتَ تَرْفُلُ فِي بُرُودِ مَسَرَّةٍ بَادِي الْبَشَائِرِ، ضَاحِكِ الأَسْنَانِ
وَمِنِ ابْنِ زَاكُورٍ سَلاَمٌ عَاطِرٌ كَالْيَاسَمِينِ يَضُوعُ فِي بُسْتَانِ
أَذْكَى مِنَ النِّسْرِينِ بَلَّلَهُ النَّدَى وَأَلَذُّ مِنْ وَصْلٍ عَلَى هِجْرَانِ
يَأْتِيكَ مَا غَنَّتْ (حَمَائِمُ) أَيْكَةٍ وَتَمَايَسَتْ عَذَبَاتُ قُضْبِ الْبَانِ

وقال أيضا على لسان من سأل منه ذلك:

أَيْنَ عَهْدُكُمُ الْمُؤَكَّدُ أَيْنَا؟ أَنَقِيضَ الْمُرَادِ كُنَّا ارْتَضَيْنَا؟
لَوْ عَلِمْنَا اطِّرَادَ نَقْضٍ لَدَيْكُمْ لَلَهَجْنَا بِعَكْسِ مَا قَدْ نَوَيْنَا
قُلْتُمْ: تَصْرِمُونَ وَصْلَ أُنَاسٍ وَتَرُدُّونَ صَفْوَ ذَاكَ إِلَيْنَا
مَا وَفَيْتُمْ حَتَّى نَقَضْتُمْ لَدَيْهِمْ كُلَّمَا كُنْتُمُ، غَزَلْتُمْ لَدَيْنَا
لَسْتُمُ الْخَائِبِينَ بَلْ مَنْ حَجَاكُمْ لِلْوَفَاءِ أَهْلاً، فَصَادَفَ مَيْنَا

وقال أيضا في مثل ذلك:

عَاهَدُونَا عَلَى الْوَفَاءِ فَخَانُوا فَكَأَنَّا عَلَى الْخِلاَفِ اصْطَحَبْنَا
لَوْ عَلِمْنَا اطِّرَادَ نَقْضِ الأَمَانِي لاَعْتَمَدْنَا عَكْسَ الْمُرَادِ فَفُزْنَا

وقال أيضا في مدح تطاون – حرسها الله –:

تِطْوَانُ، مَا أَدْرَاكَ مَا تِطْوَانُ سَالَتْ بِهَا الأَنْهَارُ وَالْخُلْجَانُ
قُلْ – إِنْ لَحَاكَ مُكَابِرٌ فِي حُبِّهَا –: هِيَ جَنَّةٌ فِرْدَوْسُهَا الْكِيتَانُ

وقال أيضا:

دَعِيُّ الشَّامِ إِنْ تَجْهَلْ عَلَيْنَا تَجِدْ حِلْماً وَإِغْضَاءً لَدَيْنَا
لَنَا هِمَمٌ تُجَنِّبُنَا الْمَخَازِي فَلَوْ شِئْنَا هِجَاءَكَ مَا اهْتَدَيْنَا

وقال أيضا:

شِرْذِمَةٌ مَأْبُونَهْ فِي جَهْلِهَا مَسْجُونَهْ

لَمْ تَكْتَسِبْ مِنْ رَبِّنَا رُشْداً وَلاَ مَعُونَهْ
تَبَرَّأَتْ وَقَدْ غَشَتْ أَنْفُسَهَا الْمَلْعُونَهْ

وَقَــــدْ رَأَتْ عَرُوضَهَـــا مَقْطُوعَـــــةً مَخْبُونَـــــهْ

وَالــذُّلُّ قَــدْ حَــفَّ بِهَـــا (أَبْكَـــارَهُ) وَعُونَـــــهْ

وَالْعُجْــبُ يَتْلُــو نَحْوَهَـــا مِـــنَ الْغَبَـــا فُنونَـــهْ

مِــنْ مَعْشَـــرٍ ذِي غُـــرَرٍ زَاهِـــرَةٍ مَيْمُونَـــــهْ

مِــنْ كُــلِّ مَــنْ هِمَّتُــهُ مِــنَ الْخَنَــى مَصُونَـــهْ

إذْ سُرْبِلُــوا (بِالْعِـــزِّ) وَال وَقَـــارِ وَاللُّدُونَـــــهْ

وَنُسِبُـــوا لِبَلَـــدٍ هُــمْ أَصْلَحُــوا شُؤُونَــهْ

وَزَيَّنُـــوا سُهُولَـــهُ وَسَهَّلُـــوا حُزُونَـــهْ

وَهُــمْ، إذَا أَجْــدَبَ، بِـــالْ إحْسَـــانِ يُخْصِبُونَـــهْ

فَالْفَضْـــلُ لاَ يَعْدُوهُـــمُ وَهُـــمُ لاَ يَعْدُونَـــهْ

أَبْقَاهُـــمُ اللـــهُ لِمَـــا مِــنْ دِينِـــهِ يَحْيُونَـــهْ

وَلِلَّــذِي مِــنْ عِلْمِـــهِ وَحُكْمِـــهِ يَدْرُونَـــهْ

وَلِلَّــذِي مِــنْ ذِكْـــرِهِ وَشُكْـــرِهِ يَتْلُونَـــهْ

وقال يرثي رمضان، تسع وتسعين (وألف) وقد رأى هلال شوالِها:

نَبْكِي لِفَقْدِ سَنَـاكَ يَـا رَمَضَـانُ إذْ حَفَّنَـا لِفِرَاقِــهِ أَشْجَــانُ

نَبْكِي لِبَيْنِ حُلاَكَ يَـا زَيْنَ الْحُلَـى إنَّ الْبُكَـاءَ لِبَيْنِهَـا إيمَـــانُ

نَبْكِي، وَحُقَّ لَنَا، وَقَـلَّ لَهَـا الْبُكَـا لَوْ كَـانَ يُسْعِدُنَـا جَـدىً هَتَّـانُ

نَبْكِـي الصِّيَـامَ وَفَضْلَـهُ وَثَوابَـهُ وَيُعِينُنَـا التَّسْبِيـحُ وَالْقُـرْآنُ

نَبْكِي التَّشَبُّـهَ بِالْمَلاَئِـكِ فِيـكَ يَـا أَزْكَى الشُّهُورِكَمَـا بَكَـتْ صِبْيَـانُ

نَبْكِي الرِّيَاضَةَ وَالنَّشَاطَ وَفَرْحَـةَ الْ إفْطَـارِ إنْ يَنْبِـضْ لَـهُ شَرْيَـانُ

نَبْكِـي وَنُبْكِـي لِلتَّرَاوِيـحِ التـي هِيَ لِلْقُلُوبِ اللَّـتْ زَكَـتْ رَيْحَـانُ

وَقِيَامَنَا سَحَراً، وَقَدْ وَشَـتِ الرُّبَـى أَسْرَارَهَـا فَوَشَـى بِهَـا النَّسَمَـانُ

وَالشُّهْبُ كَالأَصْدَافِ فِي بحْرِ الدُّجَى يَرْقَـى لَهَـا غَوَّاصُهَـا الإِنْسَـانُ

أَوْ كَاللَّآلِـئَ غَالَهَـا عُبْــدَانُ يَبْهُـو السَّـوَادُ بِهِـنَّ وَاللَّمَعَـانُ

أَوْ كَالْكُـؤُوسِ تُدِيرُهَـا (إِخْـوَانُ)أَوْ كَالأَزَاهِـرِ إِذْ زَهَـا الْبُسْتَـانُ

أَوْ كَالْجِمَـارِ يَحُفُّهُـنَّ دُخَّـانُ   أَوْ كَالْمُنَـى قَـدْ حَاطَـهُ حِرْمَـانُ

نَبْكِيكَ حَتَّـى تَمْـرَهَ الأَجْفَـانُ يَا حِلْيَـةَ الأَزْمَانِ، يَـا رَمَضَـانُ

لِـمْ لاَ، وَفِيـكَ تَنَـزَّلَ الْقُـرْآنُ؟ لِـمْ لاَ، وَفِيـكَ تَعَاظَـمَ الإِحْسَانُ؟

لِـمْ لاَ، وَفِيـكَ تَصَفَّـدَ الشَّيْطَـانُ؟   لِمْ لاَ، وَفِيـكَ (تَصَعَّـدَ) الْعُـدْوَانُ؟

لِـمْ لاَ، وَفِيـكَ تَجَـاوَزَ الرَّحْمَـانُعَمَّنْ جَنَى، وَتَضَاعَـفَ الْغُفْـرَانُ؟

فَلَقَـدْ بَكَـاكَ الدِّيـنُ حَـقَّ بُكَائِـهِ   لِـمْ لاَ، وَأَنْـتَ لِعَيْنِـهِ إِنْسَـانُ؟

وقال أيضا قديما:

مَلَكْتَ أَعْشَارَ قَلْبِي وَهَـوَاكَ حَـوَى   جِسْمِي، فَأَسْلَمَـهُ لِلْبَـثِّ وَالْحَـزَنِ

فَاشْفَعْ بِوَصْلِكَ جِسْمِي وَاضْمُمْهُ إِلَى   قَلْبِي الْمُعَنَّى، وَخَلِّصْهُ مِـنَ الْمِحَـنِ

وَاهْنَأْ بِمِلْـكِ فَتـىً مَـا إِنْ يُعَادِلُـهُ   مَالُ الْعِرَاقِ وَلاَ مُلْكُ ابْنِ ذِي يَـزَنِ

وقال أيضا:

نَسِيمَ الصَّبَا! هَلاَّ تَحَمَّلْتَ مِـنْ شَجٍ   سَلاَماً كَأَنْفَـاسِ الْحَدَائِـقِ مَوْهِنَـا؟

وَهُبَّ عَلَى مَنْ حَالَ بَيْنِـي وَبَيْنَهُـمْ   سَبَاسِبُ أَوْلَتْنِـي الْكَآبَـةَ وَالضَّنَـى

وقال أيضا في فدان زرع تخلله شقيق، ونور أبيض وأصفر مع اصفرار الشمس:

وَكَأَنَّمَـا الْبَطْحَـاءُ بُـرْدَةُ سُنْـدُسٍ   قَـدْ طُـرِّزَتْ بِالـدُّرِّ وَالْمُرْجَـانِ

مِنْ أَبْيَضٍ قَدْ حَاكَـهُ قَطْـرُ النَّـدَى   فِي أَحْمَـرٍ، فِـي أَخْضَـرٍ فَيْنَـانِ

وَالشَّمْسُ لَمَّا حَانَ وَقْـتُ غُرُوبِهَـا   كَسَتِ الْجَمِيـعَ مَطَـارِفَ الْعِقْيَـانِ

ومما قاله - بعد تدوين ما تقدم - على حرف النون هذه القطعة:

مَوْلـاَيَ يَـا مَلْجَــأَ الْمَسَاكِيــنِ   وَمَـنْ حُلـاَهُ حَلْــيُ الدَّوَاوِيــنِ

عَبْـدُكَ ذَاكَ الـذِي يَـرُودُ بِكُــمْ   رَوْضَ الْمَحَاسِــنِ ذَا الأَفَانِيــنِ

قَـدْ جَـاءَ مُقْتَطِفـاً لِوَعْدِكُــمُ ال   دَّانِي الْجَنَـى مِـنْ دَوْحِ الدَّمَامِيـنِ

لاَ زَالَ أُفْـقُ عُلـاَكَ مُحْتَرِسـاً   بِشُهْـبِ مَجْـدِكَ مِـنْ شَيَاطِيــنِ

وَرَوْضُ مَدْحِـكَ نَشْــرُ هَبَّتِــهِ   أَذْكَى شَـذاً مِـنْ نَشْـرِ الرَّيَاحِيـنِ

وقال أيضا مجيبا عن مثله في الوزن والروي:

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مَنْ قَدْ نَأَى فَدَنَا　　وَلَمْ يَحُلَّ سِوَى رَبْعِ الْحَشَا وَطَنَا

لَوْلاَ فُؤَادِي أَخْشَى أَنْ يَذُوبَ ضَنىً　　لَقُلْتُ: أَنْتَ فُؤَادِي، أَوْ لأَنْتَ أَنَا

وقال على روي النون، ما يعلن بشوق في الأحشاء مكنون:

صَبَا نَجْدٍ أَلاَ هُبِّي عَلَيْنَا　　فَإِنَّا لَنَا عَلَى مَسْرَاكِ دَيْنَا

فَرُبَّتَمَا بَرَدْتِ غَلِيلِ صَبٍّ　　يَحِنُّ إِلَى بُثَيْنَةَ أَوْ رُدَيْنَا

أَجَدَّكِ هَلْ رَأَيْتِ وَلَنْ تَرَيْهَا　　بُدُوراً كَانَ مَطْلَعُهُمْ لَدَيْنَا

سَمَوْا صُعُداً إِلَى مَهْفَاكِ شَوْقاً　　إِلَيْهِ، فَاسْتَرَاحُوا، وَاكْتَوَيْنَا

فَهَلْ شَاهَدْتِ طَلْعَتَهُمْ فَتَدْرِيْ　　بِأَنَّ نَوَاهُمُ مَا كَانَ هَيْنَا؟

وَهَلْ شِمْتِ اللَّوَامِعَ مِنْ سَنَاهُمْ　　فَتَدْرِيْ قَدْرَ بَيْنِهِمُ عَلَيْنَا؟

وَهَلْ سُفْتِ النَّوَاسِمَ مِنْ شَذَاهُمْ؟　　فَلاَ تَلْحَيْ فَتىً أَصْلَوْهُ بَيْنَا

وَهَلْ آنَسْتِ شَيْئاً مِنْ حُلاَهُمْ؟　　فَلاَ تُزْرِيْ عَلَيْنَا إِنْ بَكَيْنَا

فَأُقْسِمُ، لَوْ عَلِمْتِ بِذَاكَ يَوْماً،　　لَمَا أَدَّيْتِ نَشْرَهُمُ إِلَيْنَا

وَغِرْتِ مِنْ تَشَوُّقِنَا إِلَيْهِمْ　　وَلاَ كَجَمِيلٍ إِنْ ذُكِرَتْ بُثَيْنَا

وَصِرْتِ مِنْ عِدَانَا فِي هَوَاهُمْ　　وَحُزْتِ قَسَاوَةً وَنَبَذْتِ لِينَا

لَئِنْ سَارُوا بِأَقْمَارِ الدَّيَاجِي　　وَكَانَ السَّيْرُ لِلأَقْمَارِ زَيْنَا

فَزَادُوا مَشْرِقَ الأَنْوَارِ حُسْناً　　فَسُرْبِلَ مَغْرِبُ الأَكْدَارِ شَيْنَا

لَقَدْ أَسْلَوْا، وَحَقِّهِمُ، عَلَيْنَا　　بِبَيْنِهِمُ الْمُذِيبِ الصَّخْرَ حَيْنَا

فَهَا الأَلْبَابُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِمْ　　تُرَقِّصُهَا الرِّيَاحُ مَتَى سَرَيْنَا

وَهَا الأَكْبَادُ لاَ تَأْلُو اصْطِلاَءً　　بِجَمْرِ جَوىً كَأَنَّ بِهِنَّ قَيْنَا

لَقَدْ كُنَّا وَمَا نَخْشَى فِرَاقاً　　إِذَا نُدْعَى إِلَى كَمَدٍ أَبَيْنَا

وَإِنْ حَادَتْ بِنَا الأَهْوَاءُ يَوْماً　　إِذَا شِمْنَا سَناً لَهُمُ اهْتَدَيْنَا

فَصِرْنَا وَاللِّقَاءُ أَعَزُّ شَيْءٍ　　مَتَى يَصْرُخْ بِنَا غَمٌّ رَدَيْنَا

وَهَوَّنَ وَجْدَنَا، أَنَّا مَتَى مَا　　تَلَذَّذْنَا بِذِكْرِهِمُ انْتَشَيْنَا

وَأَنَّا حَيْثُمَا تُقْنَا إِلَيْهِمْ　　نَرَاهُمْ بِالْبَصَائِرِ فِي يَدَيْنَا

وَمِـنْ فَقْـدٍ نَعُـدُّ الْبُعْـدَ قُرْبـاً وَمِـنْ بُعْـدٍ نَعُـدُّ الْفِكْـرَ أَيْنَـا

وَأَنَّـا نَرْتَجِـي لَهُـمْ بَشِيـراً يَقُولُ: أَلاَ انْعَمُـوا (بِالْقَـوْمِ) عَيْنَـا

ومما ارتجله في بعض زياراته:

إِرْحَمُـــوا عَبْـــداً أَتَاكُـــمْ يَــــا مَوَالِينَـــــا!

سَائِفَـــاً تُـــرْبَ حِمَاكُـــمْ مِسْــــكَ دَارِينَـــــا

شَاحِـذاً بِيــضَ رَدَاكُـــمْ لِلْمُنَــــا وِينَــــا

وقال مساء ذلك اليوم، وهو يوم السبت بروضة سيدتنا ميمونة:

يَـا أُمَّنَـــا مَيْمُونَـــهْ يَـــا دُرَّةً مَكْنُونَـــهْ

زَائِـــرُكِ اللَّهْفَـــانُ هَـــلْ تَقْضِنَّـــهُ دُيُونَـــهْ؟

لَـــهُ عَلَـــى عُلَـــاكِ دَيْ نٌ، كُـــلُّ دَيْـــنٍ دُونَـــهْ

وَاللـــهُ قَـــدْ أَوْلَـاكِ بَـــذْ لَ الْعُـــرْفِ يَـــا مَصُونَـــهْ!

أَلاَ افْرُجِـــي شُجُونَـــهْ وَأَصْلِحِـــي شُؤُونَـــهْ

وَأَسْرِجِـــي يَـــا قَبَـــسَ الْ مُنَـــى لَـــهُ دُجُونَـــهْ

وَأَنْقِذِيـــهِ مِـــنْ أَســـىً شَبَاتُـــهُ مَسْنُونَـــهْ

وَأَنْجِـــدِي عَبْـــدَكِ فِـــي حَـــرْبِ عِـــدىً يَقْلُونَـــهْ

وقال فيه، إذ قال على نهر (مضا) قرب روضة سيدي عيسى بن الحسن مع الشيخ أبي علي الحسن فهطلت عليهم هنالك سحاب المنى والمنن:

قَدْ حَوَيْنَا كُـلَّ مَـا شَـيْءٍ حَسَـنْ بِحِمَى مَوْلاَيَ عِيسَى بْـنِ الْحَسَـنْ

فَاقْتَبَسْنَا النُّورَ مِـنْ وَجْـهِ الْحَسَـنْ وَأَكَلْنَـا اللَّحْـمَ وَالشَّهْـدَ الْحَسَـنْ

وَمَضَى الأُنْـسُ لَنَـا يَـوْمَ مَضَـى مَا لِيَوْمٍ فِي (مَضَـا) عِنْـدِي ثَمَـنْ

هَطَلَتْ فِيـهِ لَنَـا سُحْـبُ الْمُنَـى إِذْ جَـرَى النَّهْـرُ بِأَنْـوَاعِ الْمِنَـنْ

وقال، رزقه الله الصواب في المقال:

إِنَّمَا الْفَضْلُ فَضْـلُ رَبِّـي جَـلَّ ال لَّـهُ خَالِقُنَـــا الْعَظِيـــمُ الشَّـــانِ

يُطْعِـمُ الْبَـرَّ بُـرَّ بِـرٍّ بِـلاَ نٍّ وَيَسْقِيـهِ خَمْـرَةَ الإِحْسَـانِ

وقال بالحجيرة، أرض قرب فاس، تملكها المولى الفاضل الخير: أبو العباس سيدي أحمد

اليمنيرضي الله عنه:

يَهْنِالْحُجَيْـرَةَ أَنْ صَـارَتْ مُكَبَّـرَةً حَتَّى أَنَافَتْ عَلَى الأَطْـوَادِ وَالْقُنَـنِ
وَاسْتَقْبَلَتْهَا وُفُـودُ الْفَخْـرِ مُذْعِنَـةً لِمْ لاَ وَقَدْ حَازَهَا شَمْسُ الْهُدَى الْيَمَنِي؟

وقال ناظما معنى قول بعض أصحابه وقد مروا بمقبرة في فلاة كأنَّهم ما كانوا:

مَضَـوْا كَـأَنْ لَـمْ يَكُونُـوا وَمِثْلُهُــمْ سَنَكُــونُ
وَكُــلُّ صَعْــبٍ شَدِيــدٍ فَبِالْمُضَــيِّ يَهُــونُ

وقال أيضا منتجعا سحاب فضله ليسح عليه كعادته بوبله:

تَرَكْنَا الْبِحَـارَ الزَّاخِـرَاتِ وَرَاءنَـا إِلَيْـكَ أَبَـا يَعْـزَى فَلَـبِّ نِدَاءنَـا
فَقَدْ كُنْـتَ تُولِينَـا النَّـدَى وَتُمِدُّنَـا إِذَا اضطَرَّنَا خَطْبٌ لَكُـمْ وَأَجَاءنَـا
وَقَدْ كُنْـتَ تُشْكِينَـاإِذَا قَذَفَـتْ بِنَـا إِلَيْكَ النَّوَى وَاشْتَفَّ ذَا الْبَيْنُ مَاءنَـا
فَهَا نَحْنُ جِئْنَـا وَالرَّجَـاءُ رَفِيقُنَـا فَوَفِّ عَطَايَانَـا، وَأَجْـزِلْ حِبَاءنَـا
وَإِلاَّ فَإِنِّـي لِلْعُـلاَ جِـدُّ لاَئِـمٍ نَلُومُ الْعُـلاَ أَنْ لاَ يُجِيـبَ رَجَاءنَـا
فَإِنَّ الْكَرِيـمَ الْحَـضَ مِثْلَـكَ قَائِـلٌ نَدَاهُ لِمَنْ يَرْجُـوهُ: لَبَّيْـكَ هَـا أَنَـا
سَأَشْكُو إِلَى مَثْوَاكَ أَيْضـاً نُفُوسَنَـا فَقَـدْ أَقْسَمْـتَ أَلاَّ تُجِيـبَ دُعَاءنَـا
وَأَمْسَـتْ لَدَيْنَـا لاَ تُـرَامُ بِحِيلَـةٍ دَهَـاءً وَأَعْيَـتْ مَكْرَنَـا وَدَهَاءنَـا
وَأَضْحَـى هَوَاهَـا مَالِكـاً لِقُلُوبِنَـا وَأَرْدَى خَنَاهَـا مَجْدَنَـا وَسَنَاءنَـا

وقال، وهو مما حاول به أن يحوم حول حمى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى عباده الذين اصطفى:

ذَوِي وُدِّي وَيَـا مَـنْ عَنَّفُونِــي سَمَاعـاً لِـي، عَسَاكُـمْ تَعْذِرُونِـي
أُحَدِّثُكُـمْ بِأَنِّــي مُسْتَهَــامٌ وَكَائِـنْ مِـنْ حَدِيـثٍ ذُو شُجُـون
وَأَنِّي (قَـدْ) جَفَانِـي مَـنْ سَبَانِـي فَنَادَى الْوَجْدُ: حَـيَّ عَلَـى الأَنِيـنِ!
وَأَغْرَى الشَّوْقُ بِي لَيْـلَ التَّصَابِـي وَأَغْرَى الْهَجْرُ بِـي جُنْـدَ الْحَنِيـنِ

فَرُمْتُ تَخَلُّصاً مِمَّا عَرَانِي بِمَا قَدْ يَطْرُدُ الأَحْزَانَ دُونِي
فَنَادَى الرُّشْدُ: وَيْحَكَ رُمْ خَلاَصاً بِمَدْحِ الْمُصْطَفَى طَهَ الأَمِينِ
مُحَمَّدٍ، الرَّسُولِ لِكُلِّ إِنْسٍ وَجِنٍّ، جَاءَ بِالنُّورِ الْمُبِينِ

عَلَيْهِ اللهُ مُرْسِلُهُ إِلَيْنَا لِيُنْقِذَنَا، يُصَلِّي كُلَّ حِينِ
أَلاَ فَاقْصِدْ عُلاَهُ فَنِعْمَ مَنْ قَدْ جَلَى ظُلَمَ الْخُطُوبِ عَنِ الْحَزِينِ
مَتَى تَأْتِ ابْنَ عَبْدِ اللهِ تَظْفَرْ بِحَوْلِ اللهِ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ
مَتَى تَقْصِدْ أَجَلَّ بَنِي لُؤَيٍّ أَجَلَّ النَّاس، تُقْصَدْ بِالْيَقِينِ
مَتَى صَافَحْتَ كَفَّ مَدِيحِ طَهَ تُصَافِحْكَ السَّعَادَةُ بِالْيَمِينِ
فَلَبَّيْتُ النِّدَاءَ وَكَانَ فَرْضاً جَوَابُ فَتىً بِهَدْيٍ مُسْتَعِينِ
مُقِرّاً بِالْقُصُورِ لأَنَّ مَدْحِي يُقَصِّرُ عَنْ مَدَائِحِ جَبْرَئِينِ
مُمِدَّ أَكُفِّ مُعْتَذِرٍ إِلَى مَنْ أُجِلَّ، وَآدَمُ فِي مَا وَطِينِ
وَأَرْسَلَهُ الإِلَهُ لَنَا بَشِيراً نَذِيراً بِالذِي بَعْدَ الْمَنُونِ
بِأَنَّا إِنْ أَطَعْنَاهُ أُثِبْنَا بِحُورٍ فِي جِنَانِ الْخُلْدِ عِينِ
وَإِنَّا إِنْ عَصَيْنَاهُ جُزِينَا بِنِيرَانٍ تَهُدُّ قُوَى الْحُزُونِ
فَبَلَّغَ وَالإِلَهُ بِهِ حَفِيٌّ رِسَالَتَهُ لِمُخْتَلِفِ الشُّؤُونِ
فَآمَنَ مَنْ رَآهُ بِعَيْنِ عِزٍّ وَعَانَدَ مَنْ رَآهُ بِعَيْنِ هُونِ
رَسُولٌ قَدْ زَكَى خَلْقاً وَخُلْقاً وَقُدِّسَ فِي الظُّهُورِ وَفِي الْبُطُونِ
وَلاَ يَجْزِي عَلَى (سَيْءٍ) بِسَيْءٍ نَعَمْ يَجْزِي عَلَى غِلْظٍ بِلِينِ
وَقَالَ اللهُ فِي الْقُرْآنِ: صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا يَا أَهْلَ دِينِي!
صَلاَةُ اللهِ وَهْوَ أَجَلُّ شَيْءٍ عَلَى الْمُخْتَارِ ذِي الْعَقْلِ الرَّزِينِ
عَلَى ذِي الْحِلْمِ وَالْعِلْمِ الْمَتِينِ عَلَى ذِي الذِّكْرِ وَالسِّرِّ الْمَصُونِ
عَلَى ذِي الْبِشْرِ بَرَّاقِ الثَّنَايَا عَلَى ذِي النُّورِ وَضَّاحِ الْجَبِينِ
عَلَى غَمْرِ الْمَوَاهِبِ وَالْعَطَايَا عَلَى مَنْ لاَ يُضَافُ إِلَى ضَنِينِ
عَلَى كَهْفِ الأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَحَامِلِ ثِقْلِ أَرْبَابِ الدُّيُونِ

عَلَى مَنْ لاَ يُكَدِّرُ (مَنْ) أَتَاهُ   وَلاَ يُحْصَى بِتَكْدِيرِ الْمَنُونِ
عَلَى مَنْ قَاتَلَ الْكُفَّارَحَتَّى   عَلاَ دِينُ الْمُهَيْمِنِ كُلَّ دِينِ
عَلَى مَنْ لَيْسَ يَضْجَرُ مِنْ قِتَالٍإذَا اشْتَعَلَتْ لَظَى الْحَرْبِ الزَّبُونِ
عَلَى مَنْ كَلَّمَتْهُ وُحُوشُ قَفْرٍ وَلاَذَتْ مِنْهُ بِالْحِصْنِ الْحَصِينِ

وَلاَحَ لِضَرْبِهِ الصَّفْوَانَنُورٌ   رَأَى مِنْهُ الْبَعِيدَ مِنَ الْحُصُونِ
كَبُصْرَى وَالْعِرَاقِ، وَذَا شَهِيرٌ   لَدَى الأَقْوَامِ مِنْ عَالٍ وَدُونِ
وَأَنْزَلَ بِالدُّعَاءِ غَزِيرَ قَطْرٍ عَلَى مَنْ ضَرَّهُ شُهْبُ السِّنِينِ
فَصَابَ عَلَيْهِمْ سَبْتاً إِلَى أَنْ   تَهَدَّمَتِ الدِّيَارُ مِنَ الْهُتُونِ
فَقَالَ، وَقَدْ أَرَادُوا الصَّحْوَ قَوْلاً   بَلِيغاً مُعْشِياً فَهْمَ الْفُطُونِ
حَوَالَيْنَا يَقُولُ وَلاَ عَلَيْنَا: عَلَى الآكَامِ رَبِّي وَالْحُزُونِ
فَأَقْلَعَ عَنْهُمُ: يَهْمِي عَلَى مَا   حَوَالَيْهِمْ، وَسَلْ غُرَرَ الْمُتُونِ
وَفَاضَ الْكَفُّ مِنْهُ بِكُلِّ فَضْلٍ كَمَا قَدْ فَاضَ بِالْمَاءِ الْمَعِينِ
فَرَوَّى جَيْشَهُ أَلْفاً وَنِصْفاً   وَأَفْضَلَ فَضْلَ هَاتِيكَ الْعُيُونِ
وَحَنَّ الْجِذْعُ لَمَّا بَانَ عَنْهُ   إِلَيْهِ حَنِينَ مَفْقُودِ الْجَنِينِ
فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَكَانَ بَرّاً   رَؤُوفاً حِينَ أَبْدَعَ فِي الرَّنِينِ
وَبَشَّرَهُ بِأَنْ سَيَنَالُ غَرْساً   بِدَارِ الْخُلْدِ مُخْضَرَّ الْفُنُونِ
عَلَى مَنْ لاَ يُحِيطُ بِمَا حَوَاهُ سِوَى الرَّحْمَانِ جَلَّ مِنَ الْفُنُونِ
عَلَى يَعْسُوبِ أَرْوَاحِ الْبَرَايَا   وَأَصْلِ الأَصْلِ وَالِدِ ذِي الْقُرُونِ
فَذَا الْمَخْلُوقُ مِنْ عَرْضٍ وَجُرْمٍ   تَفَرَّعَ مِنْ سَنَاهُ الْمُسْتَبِينِ
وَكُلُّ الْعَالَمِينَ بَنُو سَنَاهُ   وَعَرْشُ اللهِ جَلَّ مِنَ الْبَنِينِ
يَمِيناً بِالَّذِي أَسْدَى إِلَيْهِ   مُفَضِّلُهُ وَحَسْبُكَ مِنْ يَمِينِ
كَتَسْبِيحِ الْحَصَا فِي رَاحَتَيْهِ وَشَقِّ الْبَدْرِ وَالْجِذْعِ الْحَنُونِ
وَرَدِّ الشَّمْسِ لِلْمَوْلَى عَلِيٍّ   وَقَدْ غَرُبَتْ فَصَلَّى عَنْ يَقِينِ
وَإِشْبَاعِ الْمَلاَ مِنْ مِلْءِ كَفٍّ   وَمَا قَدْ قَلَّ مِنْ شِبْعِ الْبَطِينِ

وَمَا قَدْ فَاتَ مِنْهَا الْحَصْرَ نَثْراً وَأَعْجَزَ كُلَّ ذِي قَلَمٍ وَنُونِ

لَقَدْ أَسْرَى بِهِ ذُو الْعَرْشِ لَيْلاً إِلَى الأَقْصَى بِرَغْمِ ذَوِي الْمُجُونِ
(وَأَرْقَاهُ) إِلَى الأَعْلَى وَرَقَّى مَزِيَّتَهُ لَدَى الْمَلإِ الْمَكِينِ
فَأَوْحَى وَالذِي أَوْحَى إِلَيْهِ عَظِيمٌ فَوْقَ تَكْيِيفِ الظُّنُونِ
مَلاَذِي يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي هَمَى هَمِّي وَأَشْجَتْنِي شُجُونِي

وَنَفْسِي وَهْيَ لِي أَعْدَى عَدُوٍّ تُحَارِبُنِي، فَهَلْ لِي مِنْ مُعِينِ؟
إِذَا أَلْقَتْ إِلَيَّ زِمَامَ طَوْعٍ فَأَيّاً شِئْتِ يَا دُنْيَايَ كُونِي!
فَإِنْ شِئْتِ الْوِصَالَ فَلاَ تَحِيفِي عَلَى قَلْبِي، وَإِلاَّ فَارِقِينِي
أَقُولُ لَهَا، وَقَدْ جَشَأَتْ وَجَاشَتْ كَمَوْجِ الْبَحْرِ يَرْجُفُ بِالسَّفِينِ:
ثِقِي بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكِّرِينِي
وَإِنْ أَبْصَرْتِ حُسَّادِي فَلِينِي وَأَيُّ الدَّهْرِ، ذُو لَمْ يَحْسُدُونِي!؟
وَلاَ تَنْسَيْ نَصِيبَكِ مِنْ صَلاَةٍ عَلَى الْمُخْتَارِ مَعْدُومِ الْقَرِينِ
عَلَيْهِ صَلاَةُ رَبِّي مَعْ سَلاَمٍ يَفُوقُ شَذَاهُ نَشْرَ الْيَاسَمِينِ
وَآلِهِ وَالصِّحَابِ وَتَابِعِيهِمْ شُمُوسِ الْهُدَى، آسَادِ الْعَرِينِ

ومما كتب له به أيضا، هذه القصيدة:

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ وَالْحَوَادِثُ أَلْوَانُ وَمِنْ دُونِ آمَالِ الْمُحِبِّينَ حِرْمَانُ
سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ وَالأَسَى يَتْبَعُ الأَسَى عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْكُمْ فَخَوَّانُ
سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ حَيْثُ سَارَتْ حُدُوجُكُمْ وَسَايَرَكُمْ رُوحُ الإِلَهِ وَرَيْحَانُ
وَرَوَّضَ رَبِّي (الْقَفْرَ) حَيْثُ حَلَلْتُمُ بِهِ، إِنَّ ذَاكَ الْقَفْرَ عِنْدِيَ عُمْرَانُ
أَأَحْبَابَنَا يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ بَهْجَةً لِبَيْنِكُمُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ نِيرَانُ
أَأَحْبَابَنَا يَا أَرْجَحَ النَّاسِ نُهْيَةً عُبَيْدُكُمُ، مُذْ سِرْتُمُ عَنْهُ، حَيْرَانُ
أَأَحْبَابَنَا يَا، يَا أَرْبَحَ النَّاسِ صَفْقَةً مَسِيرُكُمُ دُونِي لِلْقَلْبِ خُسْرَانُ
أَأَحْبَابَنَا يَا أَصْدَقَ النَّاسِ صَدِّقُوا ظُنُونِي بِقُرْبٍ، فَالْحَشَا مِنْهُ ظَمْآنُ
أَأَعْذَبَ شَيْءٍ مَا أَمَرَّ فِرَاقُكُمْ! فَمُذْ بِنْتُمُ مَا خَامَرَ الْقَلْبَ سُلْوَانُ

أَأَحسَنَ شَيْءٍ شَانَنِـي الْبُعْـدُ عَنْكُـمُ وَكَنْتُ بِكُمْ يَا أَجْمَـلَ النَّـاسِ أَزْدَانُ

أَأَعْلَمَ شَيْءٍ، قَـدْ جَهلْـتُ مَذاهِبِـي وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ البَيْنِ قَلْبِـيَ شَيْحَـانُ

أَأَرْفعَ شَيْءٍ، حَـطَّ قَـدْرِي بَيْنَكُـمْ وَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ النَّوَى شَأْنِيَ الشَّانُ

أَأَجْوَدَ شَيْءٍ مَـا أَضَـنَّ (خَيَالَكُمْ) عَلَى مُقْلَتِي، فَالْوَجْدُ مِنْ ذَاكَ يَقْضَانُ

وَعِرْقُ الْمُنَى مِنْ بُعْدِكُمْ غَيْرُ نَابِضٍ وَهَلْ لِلْمُنَى بَعْدَ الأَحِبَّـةِ شَرْيَـانُ؟

وَسَيْرُكُـمُ أَذْوَى رِيَـاضَ مَسَرَّتِـي فَلاَ مَاؤُهَا صَدّاً وَلاَ النَّبْـتُ سَعْـدَانُ

لَئِنْ مَنْطِقِـي قَـدْ أَخْرَسَتْـهُ نَوَاكُـمُ فَحَالِي بِمَا أَبْقَى مِنَ الْبَيْـنِ سَحْبَـانُ

فَمَا مُدْنِفٌ أَضْنَـاهُ بُعْـدٌ (وَفُرْقَـةٌ) غَرِيبٌ إِلَى لُقْيَـا الأَحِبَّـةِ عَطْشَـانُ

تَذَكَّـرَ مَشْتَاهُـمْ بِنَجْـدٍ وَهَاجَـهُ مَصِيفٌ لَهُمْ حَيْثُ الْتَقَى الضَّالُ وَالْبَانُ

وَمَرْبَعُهُمْ بَيْنَ الرُّبَى حَيْثُ جُمِّعَتْ خُزَامَى وَيَعْضِيـدٌ وَعِيـدٌ وَظَيَّـانُ

وَشَاقَتْـهُ أَحْـدَاجٌ لِسَلْمَـى بِعَاقِـلٍ وَأَغْرَتْـهُ آرَامٌ هُنَـاكَ وَغِزْلَـانُ

مَتَى لاَحَ مِنْ نَجْدٍ بَرِيقٌ يُرَاقُ مِـنْ مَحَاجِرِهِ مُزْنٌ مِـنَ الدَّمْعِ هَتَّـانُ

وَإِنْ فَاحَ مِنْ نَجْـدٍ نَسِيـمُ عَـرَارِهِ يَطِيـرُ بِـهِ قَلْـبٌ إِلَيْهِـمُ حَنَّـانُ

بِأَكْثَـرَ مِنِّـي حَسْـرَةً وَتَشَوُّقـاً إِلَيْكُمْ، فَصَدْرِي مِنْ زَفِيـرِي مَلْآنُ

سَلاَمٌ عَلَى مَا رَافَقَ الرَّكْبَ مِنْكُـمُ لِرَافِقِـهِ مِنْكُـمْ لَبِيـدٌ وَحَسَّـانُ

وَقُـسٌّ وَسَحْبَـانٌ وَكَعْـبٌ وَحَاتِـمُ وَمَالِكُنَـا وَالشَّافِعِـيُّ وَنُعْمَـانُ

سَلاَمٌ كَرِيـمٌ مِثْـلَ نَسْمَـةِ خُلْقِكُـمْ فَخُلْقُكُمُ يَا أَلْيَـنَ الْخَلْـقِ رِضْـوَانُ

سَلَـامُ فَتَـىً بَوَّأْتُمُـوهُ مَرَاتِبـاً فَنَافَسَـهُ فِيهَـا الثُّرَيَّـا وَكِيـوَانُ

وَطَوَّقْتُمُـوهُ - لاَلِشَـيْءٍ - قَلاَئِـداً فَفَـازَ لَهَـا دُرٌّ ثَمِيـنٌ وَعِقْيَـانُ

وَأَوْلَيْتُمُـوهُ - لاَ بِمَـنٍّ - فَوَائِـداً فَغَازَلَـهُ مِنْهُـنَّ حُـورٌ وَغِزْلَـانُ

وَسَقَيْتُمُـوهُ كَـأْسَ وُدٍّ رَوِيَّـةً فَرَاحَ بِهَا بَيْنَ الْوَرَى وَهْوَ نَشْـوَانُ

وَكَانَ بِكُـمْ، فَاللـهُ يَجْمَعُـهُ بِكُـمْ، قَرِيباً يُسَلِّي الْهَمَّ، وَالْهَـمُّ غَضْبَـانُ

عَلَيْنَا إِذَا شِمْنَـا مُحَيَّـاكَ يَـا أَبَـاعَلِيٍّ لِمَا تَقْضِـي الْمَسَـرَّةُ إِذْعَـانُ

وَتَمْزِيـقُ أَطْمَـارِ الْكَآبَـةِ عِنْدَمَـا يُقَابِلُنَـا مِنْكُـمْ غَدِيـرٌ وَبُسْتَـانُ

وَشَمْسٌ وَبَـدْرٌ نَيِّـرَانِ وَوَابِـلٌ وَبَحْرٌ طَمَى مِنْ فَيْضِهِ الْعَذْبِ خُلْجَانُ
وَرَضْوَى وَسَلْمَى فِي الْوَقَارِ وَشُمَّـخٌ بِنَجْـدٍ وَأَطْـوَادُ السَّـرَاةِ وَثَهْلَـانُ
هُنَـاكَ ابْـنُ زَاكُـورٍ يَتِـمُّ مُـرَادُهُ وَيَبْدُو لَهُ وَجْهُ الْمُنَى وَهْـوَ حُسَّـانُ

وقلت فيما يظهر:

يَـا هَـذِهِ الزَّيْتُونَـهْ كَفَيْتِنَـا مَؤُونَـهْ
بِظِلِّـكِ الـذِي هَفَـتْ أَفْنَانُـهُ الْمَوْضُونَـهْ
وَالرِّيـحُ يَهْفُـو مُعْلِنـاً بِالْبَـرْدِ وَاللُّدُونَـهْ

وَالْحَـرُّ لَـوْ يَحْظَـى بِنَـا أَبَثَّنَـا مَكْنُونَـهْ
لَكِـنَّ أَرْوَاحَ الضُّحَـى قَـدْ كَسَّـرَتْ قُرُونَـهْ
وَقَلَّعَـتْ أَضْرَاسَـهُ وَسَمَّلَـتْ عُيُونَـهْ
وَقَلَّمَـتْ أَظْفَـارَهُ وَلَـمْ تَكُـنْ مَأْمُونَـهْ
وَفَلَّلَـتْ شَبَاتَـهُ وَإِنَّهَـا مَسْنُونَـهْ
وَكَـانَ يَغْلِـي قَـدْرُهُ فَكَافَـأَتْ مَضْمُونَـهْ
وَأَخْمَـدَتْ نِيرَانَـهُ وَصَدَّعَـتْ مَاعُونَـهْ
حَمْـداً لِمَـنْ سَنَّـى لَنَـا هَـذَا النَّسِيـمَ دُونَـهْ

ومن المقول قديما:

لاَ تَخَـفْ أَنْ يَنْقُـضَ الـذَّنْـ بُ الـذِي بَيْنِـي وَبَيْنَـكْ
إِنَّ مَـا بَيْنِـي وَبَيْنَـكْ لَـوْ بَـدَا أَعْجَـبَ عَيْنَـكْ
وَرَأَتْ مِنْـهُ الـذِي يُـو ضِحُ بَيْـنَ النَّـاسِ زَيْنَـكْ
قَرِّبَـنْ وُدَّكَ مِنَّـا قَـرَّبَ الرَّحْمَـانُ بَيْنَـكْ
وَأَمِـطْ عَنْـهُ الدَّوَاعِـي لِيُمِيـطَ اللـهُ شَيْنَـكْ

ومن ذلك:

إِنِّـي سَأَلْتُـكَ بِالرَّسُـولِ وَبِالْكِـرَامِ الْكَاتِبِيـنْ
أَلاَ كَتَبْـتَ لَنَـا (هُـدىً) يَـا رَبِّ رَبَّ الْعَالَمِيـنْ

ثانيهما:

قَـدِ افْتَقَـرْتُ يَـا إِلَهَنَـا الْغَنِـــي وَآبَ بِالْحِرْمَـانِ عَبْـدُكَ الدَّنِـــي

وَلَمْ أَجِـدْ مِـنْ أَحَـدٍ بِـي يَعْتَنِـي سِوَاكَ يَا رَبِّ، فَكُـنْ لِـي أَغْتَنِـي

السادس:

سَهِّلْ عَلَـيَّ يَـا إِلَـهَ الْعَالَمِيـنْ   وَأَوْلِنِـي مِنْـكَ نَـوَالَ الْفَاضِلِيـنْ

وَاغْفِرْ لِعَبْـدِكَ أَخَـسِّ الْمُجْرِمِيـنْ   وَانْجِيَنْـهُ مِـنْ عَـدُوِّ الْمُؤْمِنِيـــنْ

وَأَلْحِقَنْـهُ سَيِّــدِي بِالصَّالِحِيـــنْ إِنِّـي سَأَلْتُـكَ بِأَزْكَـى الْمُرْسَلِيـنْ

مُحَمَّـدٍ نَبِيِّـكَ الْهَـادِي الأَمِيـــنْ أَزْكَى صَلاَتِـكَ عَلَيْـهِ كُـلَّ حِيـنْ

وَآلِــهِ وَصَحْبِــهِ وَالتَّابِعِيـــنْ   وَتَابِعِيهِــمْ لِقِيَــامِ الْهَامِدِيـــنْ

وقلت في جبل مصمودة وقد ذيلت الخفيف:

جَبَـلٌ جَلَّلَــتْ ذَرَاهُ الرَّيَاحِيـــنْ مَتَّـعَ اللـهُ سَاكِنِيـهِ إِلَـى حِيـنْ

وَحَمَاهُـمْ مِـنْ كُـلِّ سُـوءٍ وَأَبْقَـا هُمْ كُهُوفاً يَـأْوِي إِلَيْهَـا الْمَسَاكِيـنْ

وَقَفَـتْ دُونَـهُ الشَّوَامِـخُ إِجْــلاَ   لاً لَـهُ إِذْ لَـهُ وَقَـارُ السَّلاَطِيـــنْ

(يَمْتَلِـي) قَلْـبُ مَـنْ رَآه سُـرُوراً   وَتُدَلِّـي لَـهُ (مُنَـــاهُ) الأَفَانِيـــنْ

ومن المقول في السفر، في منزل نلنا فيه بعض الوطر:

أَبُو يَدَّدَنْ، فَامْدَحْهُ بِالشِّعْرِ وَاسْتَعِـنْ   بِرَبِّكَ رَبِّ النَّاسِ وَاصْدُقْ وَلاَ تَمِـنْ

وَحَدِّثْ بِـأَنَّ الْمَـاَء مَـاء عُيُونِـهِ قَتِيلُ الظَّمَا تَزْكُو بِهِ فِطْنَـةُ الْفَطِـنْ

وَإِنْ شَارَ فِيهِ الشَّهْدَ مَنْ جَارَ سُهْدُهُ   فَذَاكَ بِمَا يَرْجُوهُ مِـنْ فَـرَحٍ قَمِـنْ

وَإِنْ لـاَذَ مَوْتُـورُ الْهَـوَى بِهَوَائِـهِ مُنِيلِ الْمُنَى قَلْباً بَرَاهُ الضَّنَـى أَمِـنْ

وفي المعارضة في الفخر وزنا ورويا وتجنيسا:

خُلِقْتُ عَزُوفَ النَّفْسِ لَيْسَ بِمُجْتَـنٍ   سِوَى غَرْسِ إِعْزَازٍ فَأَخْرَقَ دَيْدَنِـي

أَكُفُّ أَكُفِّـي عَـنْ تِلـاَدِي تَقَـذُّراً لَهُ إِنْ دَنَتْ مِنْهُ أَكُـفُّ يَـدَيْ دَنِـي

وفي ما يناسب ما قبله:

هَـذَا ضَرِيـحُ خَدِيمأَهْـلِ وَزَّانٍ   أَعْيَـانٍ سَادَاتِنَـا سَـادَاتِ أَعْيَـانٍ

عَلاَ بِهِمْ مُرْتَقَى صَعْبـاً فَكَـانَ لَـهُ - إِذْ أَنْجَدُوهُ - بِهِ شَانٌ مِنَ الشَّان

بِهِمْ سَمَا، وَبِصِـدْقٍ فِـي مَحَبَّتِهِـمْفَالصِّدْقُ فِي حُبِّهِمْ مِعْـرَاجُ إِحْسَـانِ

وَمَنْ يُجَرِّبْ يقُرْبٍ، يَمْتَحِـنْ كَلِمِـي يَجِـدْ مَقَالِـي مَعْضُـوداً بِبُرْهَـانِ

فِي خَمْسَ عَشْرَةَ بَعْدَ الأَلْفِ مَعْ مِائَةٍ مَضَى سَرِيعاً إِلَـى رَوْحٍ وَرَيْحَـانِ

مَا زَالَ يَقْبِسُ أَنْوَاراً لَهُـمْ سَطَعَـتْ حَتَّى تَوَى غَيْـرَ مَلْمُـوزٍ بِنُقْصَـانِ

وفي رثاء العالم أبي عبد الله محمد بن الصيني رحمة الله عليه:

أَعَلَى مُحَمَّدٍ الرِّضَى ابْـنِ الصِّينِـي عَلَمِ الْهُدَى انْهَمَلَتْ عُيُـونُ الدِّيـنِ؟

سُحِّي عُيُـونَ الدِّيـنِ عَبْـرَةَ فَاقِـدٍ لِخَلِيلِـهِ الْمُخْتَـصِّ بِالتَّمْكِيـنِ

بَكَتِ السَّمَـاءُ عَلَيْـهِ حَـقَّ بُكَائِهَـا وَالـأَرْضُ تَبْكِيـهِ لِيَـوْمِ الدِّيـنِ

وفيه مع تعزية:

حَلَّتْ حُلَى حَسَـنِ الْحُلَـى زَيْـدَانِ حَامِي الْحِمَى مَا حَـلَّ مِـنْ بُلْـدَانِ

إِنْ حَلَّ فِي بَلَـدٍ غَـدَا مِـنْ حِينِـهِ يَسْمُـو بِبَهْجَتِـهِ عَلَـى بَغْـذَانِ

أَوْ زَارَ أُفْـقَ مَدِينَـةٍ قَمَـراً زَرَتْ زَهْـواً بِطَلْعَتِـهِ عَلَـى غُمْـدَانِ

بَاهَـتْ بِـهِ أَوْطَانُـهُ فَاسـاً بِمَـا قَـدْ حَلَّهَـا بَـدْراً بِـلاَ نُقْصَـانِ

زَادَتْ فَضَائِلُـهُ وَكَانَـتْ جَمَّـةً بِزِيَـادَةِ الآنَـاءِ وَالأَحْيَـانِ

فَلِـذَاكَ سَمَّـوْهُ بِزَيْـدَانٍ عَلَـى فَعْلاَنَ لِلْإِمْعَانِ فِـي الرُّجْحَـانِ

إِذْ زِيدَ: مَصْدَرُ زَادَ، وَالتَّذْيِيـلُ لِـل تَّكْثِيـرِ فِـي مَعْنَـاهُ بِالْبُرْهَـانِ

فَأَفَادَنَـا أَنَّ الْمُسَمَّـى (مُفْـرَدٌ) بِزِيَـادَةٍ عَـنْ سَائِـرِ الأَعْيَـانِ

كَزِيَادَةِ الإِيغَالِ فِـي نَفْـعِ الْـوَرَىبِزِيَـادَةِ الإِفْضَـالِ وَالإِحْسَـانِ

وَزِيَادَةِ التَّدْرِيـجِ فِـي دَرَجِ الْعُـلاَ بِزِيَـادَةِ التَّفْرِيـجِ لِلأَشْجَـانِ

وَزِيَادَةِ الإِيقَادِ فِـي غَيْـظِ الْعِـدَى بِزِيَـادَةِ الإِخْمَـادِ لِلنِّيـرَانِ

وَزِيَـادَةِ الإِقْـدَامِ فِـي الْمَيْـدَانِ وَزِيَـادَةِ الإِحْجَـامِ عَـنْ عُـدْوَانِ

وَزِيَادَةِ الإِسْعَادِ لِلْمَكْـرُوبِ فِـي الْ أَزَمَـاتِ، وَالإِنْقَـاذِ لِلَّهْفَـانِ

وَزِيَـادَةِ التَّوْقِيـرِ لِلْأَعْيَـانِ وَزِيَـادَةِ التَّوْفِيـرِ لِلشُّجْعَـانِ

وَزِيَــادَةِ التَّهْذِيــبِ لِلْإِخْــوَانِ   وَزِيَــادَةِ التَّأْدِيــبِ لِلْعُبْــدَانِ
فَمَنَاقِبُ الْمَوْلَى عَلَى حَسَبِ اسْمِـهِ   جَلَّتْ وَقَـدْ أَغْنَـتْ عَـنِ التِّبْيَـانِ
مِنْ أَجْلِهَـا أَجْلَلْتُ قَـدْرَ خِطَابِهَـا   بِعَزَائِـهِ بِـأَخٍ لَــهُ ذِي شَــانِ
هَشَّتْ لِلُقْيَـاهُ الْجِنَـانُ (وَحُورُهَـا)   مُتَسَرْبِـلاً بِمَلاَبِـسِ الرِّضْــوَانِ
وَرَأَيْـتُ أَنَّ عَــزَاءَهُ بِمُصَابِــهِ   لِصَحِيفَـةِ النُّقْصَــانِ كَالْعُنْــوَانِ
إِذْ ذَاكَ يُوهِــمُ أَنَّــهُ مُتَخَشِّــعٌ لِنَوَائِـبِ الأَزَمَــاتِ وَالأَزْمَــانِ
مِنْ أَجْلِ أَنَّ جِدَاهُ فِي حُكْـمِ النُّهَـى   أَنْجَـادُ قَلْـبٍ مُزَلْـزَلِ الأَرْكَــانِ
بَلْ ذَاكَ عِنْدِي، حَيْثُ لاَ جَزَعٌ يُرَى،   أَخْنَى مِـنَ الْهَذَيَـانِ مِـنْ نَشْـوَانِ
فَـإِذَا أَنَــا عَزَّيْتُــهُ أَدْخَلْتُــهُ –   حَاشَاهُ – بَابَ مُصَـدَّعِ الْبُنْيَـانِ
وَالظَّـنُّ، أَوْ هُـوَ الْمُحَقَّـقُ أَنَّــهُ   مَا إِنْ لَهُ فِـي صَبْـرِهِ مِـنْ ثَـانِ

فَلَـهُ عَلَـى وَلَـدِ الْمُلُـوكِ مَزِيَّـةٌ كَمَزِيَّــةِ الْيَاقُــوتِ وَالْعِقْيَــانِ
أَبْقَـى إِلَهِـي جُــودَهُ وَوُجُــودَهُ مُتَعَارِفــاً بِحِمَايَــةِ السُّلْطَــانِ
نَصَـرَ الإِلَـهُ جُنُــودَهُ وَبُنُــودَهُ نَصْـراً يَـذِلُّ لَـهُ ذَوِي التِّيجَـانِ
وقال في الرثاء:
أَغَـدَتْ زِيَادَتُنَـا إِلَـى النُّقْصَـانِ؟ أَمْ نُقْصُنَـا قَـدْ صَـارَ لِلرُّجْحَـانِ؟
أَمْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَـا فِـي حَـقِّ مَـا جَلَبَ الأُجُـورَ وَفَـادِحَ الأَشْجَـانِ
الأَجْرُ وَالْوَجْدُ الْعَظِيـمُ هُمَـا هُمَـا   قَـدْ أَوْقَفَانِـي مَوْقِـفَ الْحَيْــرَانِ
فَـإِنِ الْتَفَـتُّ لِـذَا عَرَفْـتُ بَهَـاءَهُ وَبَقَـاءَهُ لَــوْلاَ عُلُــوُّ الثَّانِــي
فَـإِذَا رَكَنْـتُ لَـهُ وَذَلِـكَ غَايَتِـي سَالَتْ غُرُوبُ الدَّمْعِ مِـنْ أَجْفَانِـي
وَصَرَخْتُ مُحْتَرِقاً وَصِحْتُ مُوَلَّهـاً   يَا دَمْـعُ زِدْ سَيْـلاً عَلَـى زَيْـدَانِ
زَيْـدَانَ نَجْـلِ أَبِيـهِ سِـرِّ مَلِيكِنَـا سَمْشِ الْمُلُـوكِ وَبَاهِـرِ السُّلْطَـانِ
زَيْـدَانَ زَيْـدِ الْخَيْـلِ وَالْفُرْسَـانِ وَالْخَيْرِخَيْـرِ الْمُفْضِــلِ الْمَنَّــانِ
وَأَبِـي الثَّنَـاءِ الْحُـرِّ يُنْبِتُـهُ لَـهُ حَقْـلُ السَّخَـاءِ بِوَابِـلِ الإِحْسَـانِ
نَبْكِيهِ مَا دَامَـتْ عُصُـورُ الْفَانِـي نَبْكِيهِ مَـا دَامَـتْ غُصُـونُ الْبَـانِ

نَبْكِيـهِ مِـلْءِ عُيُونِنَـا وَقُلُوبِنَـا نَبْكِيــهِ بِالإِسْــرَارِ وَالإِعْلَــانِ
نَبْكِي السَّخِيَّ بِكُـلِّ مَضْنُـونٍ بِـهِ نَبْكِـي الْمُهَيْمِـنَ الْعَيْـنِ لِلْأَعْيَـانِ
نَبْكِي الْمُصِرَّ عَلَـى مَبَـرَّةِ أُمِّـهِ وَأَبِيـهِ خَيْـرِ أَبٍ بِـذِي الأَزْمَـانِ
نَبْكِي الْمُعَظِّـمَ أَجْـرَ كُـلِّ مُؤَمِّـلٍ لِعَطَائِــهِ ذِي الْوَابِــلِ الْهَتَّــانِ
نَبْكِي الشَّرِيفَ الْمَحْضَ، كُلُّ خِلاَلِـهِ جَلَـلٌ، وَكُـلُّ شُؤُونِـهِ ذُو شَــانِ
نَبْكِي عُلاَهُ وَمَـا لَنَـا مِـنْ طَاقَـةٍ تُوفِـي عُلَـاهُ بُكَاءَهَــا بِبَيَــانِ
نَبْكِيـهِ تَبْرِيـداً لِحَــرِّ قُلُوبِنَــا بِمُحَبَّــرِ الأَلْحَــانِ وَالــأَوْزَانِ
وَنَقُولُ إِثْرَ تَنَهُّـدٍ يُغْـرِي الْجَـوَىطَلَباً لِمَا يُرْضِيــهِ مِـنْ رِضْـوَانِ
أَهْدَى الإِلَـهُ إِلَيْـكَ كُـلَّ تَحِيَّـةٍ مَحْفُوفَـةٍ بِالــرَّوْحِ وَالرَّيْحَــانِ
وَهَفَتْعَلَيْــكَ نَوَاسِــمُ الْغُفْــرَانِ تُزْجِي لَكَ الرَّحَمَاتِ مِـنْ رَحْمَـانِ
وَبَكَى عَلَيْكَ الْفَضْـلُ حَـقَّ بُكَائِـهِ وَالْفَضْلُ مَـنْ يَبْكِيـهِ لَيْـسَ بِفَـانِ

وكتب إلى قاضي مكناسة الزيتون:

مِـنْ أَفْقَـرِ الْخَلْـقِ بِـذَا الزَّمَـنِ مِنَ ابْـنِ زَاكُـورٍ أَخِـي الشَّجَـنِ
إِلَـى إِمَــامِ الْعَصْــرِ أَوْحَــدِهِ عَمِيـدِ أَهْلِ السَّنَــنِ الْحَسَــنِ
قُطْـبِ رَحَـى الْعِلْـمِ بِمَغْرِبِنَــا شَمْسِ الْهُدَى الأَهْـدَى أَبُومَدْيَـنِ
أَبْقَاهُ مَـنْ يُبْقِـي عَلَـى خَيْـرِ مَـا يُبْقِـي عَلَيْـهِ الْحَبْـرَ ذَا السُّنَــنِ
بَعْــدَ سَلَــامٍ نَافِــحٍ عَبِــقٍ يُحْيِـي شَـذَاهُ مَيِّــتَ الْفِطَــنِ
أَطْلِعْ بَنِي عَمِّـي عَلَـى جَدِّنَـا الْ مَذْكُـورِ فِـي الْمِعْيَـارِ بِالْعَلَــنِ
أَطْلَعَـكَ اللـهُ عَلَـى كُـلِّ مَــا يُنْجِي مِـنَ الْمَرْهُـوبِ مِـنْ فِتَـنِ
مُخَــوَّلاً عِــزًّا وَمُغْتَبِطــاً عَلَى الـذِي يُرْضِيـكَ مِـنْ مِنَـنِ

حرف الصاد

قال عليه، يستمرئ سحاب فضل من تعتمد عليه:

أَمَّا رِضَـاكَ عُمُومُـهُ وَخُصُوصُـهُ فَمُنَاخَـةٌ بِـذُرَى الْمُنِيـبِ قُلُوصُـهُ

وَهُدَاكَ، جَلَّ هُدَاكَ يَلْزَمُ كُـلَّ مَـنْ   لَزِمَ الضَّلَـالَ مَحِيصُـهُ وَحُيُوصُـهُ
وَجَدَاكَ مُنْسَجِمُ الْغَمَائِـمِ عِنْـدَ مَـنْ   لَزِمَ اصْفِرَاراً مِنْ جَلاَلِـكَ بُوصُـهُ
يَدْنُو لِمَـنْ يَدْنُـو (بِبَابِـكَ) وَاثِقـاً   بِكَ مُهْطِعاً، صَدْرَ الْيَقِيـنِ وَبُوصُـهُ
وَيَخُصُّ خِزْيُكَ يَا مُخَصِّصُ كُلَّ مَنْ   قَدْ خُصَّ فِي شَيْءٍ سِوَاكَ خُصُوصُهُ
خَلَّصْتَ مِنْ هُوَى الْهَوَى مَنْ قَدْ بَـدَا   لَـكَ رَبَّنَـا، إِخْلاَصُـهُ وَخُلُوصُـهُ
سُبْحَانَـكَ اللَّهُـمَّ مَـا مِـنْ كَائِـنٍ إِلاَّ وَمِنْـكَ فُرُوعُـهُ وَأُصُوصُــهُ
عَمَّ الْخَلاَئِقَ جُـودُكَ الْغَمْـرُ الـذِي   مِنْهُ الْوُجُودُ (عُرُوقُـهُ) وَفُصُوصُـهُ
أَوْرَدْتَنَـا مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَوْجَدْتَنَـا بَحْراً غَلَـتْ أَصْدَافُـهُ وَفُصُوصُـهُ
فَالرَّوْضُ قَدْ فَاحَـتْ بِـهِ أَزْهَـارُهُوَالْغُصْنُ قَدْ غَنَّـى بِـهِ بَلَصُوصُـهُ
وَالْحَوْضُ قَدْ رَقَّـتْ سَجَايَـا مَائِـهِ   بِهِ (فَانْتَشَى) مِنْ عَذْبِـهِ دُعْمُوصُـهُ
وَالْبَحْرُ قَـدْ سَبَحَـتْ بِـهِ حِيتَانُـهُ   وَالْبَـرُّ مِنْـهُ وُعُوثُـهُ وَدُعُوصُـهُ
وَبِهِ اسْتَنَارَ الأُفْـقُ أَشْـرَقَ شُمْسُـهُ   وَهِلاَلُـهُ وَعَبُــورُهُ وَغَمُوصُــهُ
شَهِـدَتْ بِوَحْدَتِـكَ الْعَوَالِـمُ كُلُّهَـا   بُعْداً لِمَنْ قَدْ بَـانَ عَنْـكَ نُكُوصُـهُ
نَطَقَ الْجَمَادُ بِـذَاكَ وَالْحَيَـوَانُ قَـدْ   بَهِرَتْ وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ نُصُوصُـهُ
وَالْعَالَـمُ الْعُلْـوِي وَالسُّفْلِـي قَــدْ شَهِدَتْ بِهِ أَعْرَاضُـهُ، وَشُخُوصُـهُ
رُحْمَاكَ فِي قَلْبِي الْمُجَـرَّحِ بِالْمُـدَى   مِنْ بَاطِلِي، فَعَلَـيَّ عَـزَّ حُمُوصُـهُ
إِنْ (لاَ) تُخَلِّصْـهُ يَكُـنْ يَـا رَبَّنَـا مِمَّا جَنَتْ أَيْدِي الضَّلاَلِ مُصُوصُـهُ
حُطْهُ وَحُصْهُ بِالتُّقَـى يَـا سَيِّـدِي   مَنْ لِي سِوَاكَ يَحُوطُـهُ وَيَحُوصُـهُ؟
وَاسْتُـرْ عُبَيْـدَكَ فِـي دُنَـاهُ وَوَارِهِ   حَتَّـى يُـوَارِيَ جِسْمَـهُ قُرْمُوصُـهُ
لاَ تَأْخُذَنْـهُ بِمُقْتَضَــى أَفْعَالِــهِ (فَالْفِعْلُ) أَشْتَـرُ طَرْفِـهِ مَبْخُوصُـهُ
هَذَا الزَّمَـانُ وَأَنْـتَ أَعْلَـمُ بِالـذِي   قَدْ سَاءَنِي، أَخْنَى عَلَـيَّ شُصُوصُـهُ
لأَظَلَّنِـي مِنْـهُ وَلاَ يَخْفَـاكَ مَــا، قَلْبِي بِهِ وَجَـعُ الْحَشَـا مَمْغُوصُـهُ
هَمِّـي بِمَـا جَاشَـتْ بِـهِ أَزَمَاتُـهُ طَيْرٌ أَحَـصُّ جَنَاحِـهِ مَقْصُوصُـهُ

لَقَضَى عَلَى الأَفْرَاحِ سُوقُ هُمُومِـهِ   وَالْهَمُّ يَخْتَـرِمُ السُّـرُورَ شُمُوصُـهُ

لاَ تُسلِّمْنِـي لِلزَّمَـانِ تَنِـدُّ بِـي عَنْ ذَاكِرِيـكَ قُلُوصُـهُ وَأُصُوصُـهُ
وَتَنِدُّ بِي إِمَّـا فَعَلْـتُ عَـنِ الْهُـدَى تَجْتَاحُنِي بِفَلاَ الضَّلاَلِ لُصُوصُـهُ
فَوَسِيلَتِـي لِرِضَـاكَ جَـاهُ مُحَمَّـدٍ أَزْكَى الْوَرَى، سَامِي الْعُلاَ مَرْصُوصُهُ
أَزْكَى صَلاَتِـكَ لاَ يَـزَالُ أَرَاكُهَـا يُذْكِـي فَمـاً لِضَرِيحِـهِ وَيَشُوصُـهُ
وَكَذَا جَمِيعُ الآلِ وَالأَصْحَـابِ مَـنْ أَسْيَافُهُمْ نَخْـلُ الرَّشَـادِ وَخُوصُـهُ
فَالرُّشْدُ مِنْ جَرَّاهُمُ سَامِـي الطُّلَـى وَالْغَـيُّ أَوْقَـصُ جِيـدِهِ مَوْقُوصُـهُ
وقال في خطاب صاحبه أبي الحسن علي مندوصة التطاوني أديب العصر:
رِدْ صَفْوَهَـا يَـا أَخِـي مَنْدُوصَـهْ مَنَاهِـلاً بِالْعُـلاَ مَخْصُوصَـهْ
وَاحْلُـلْ بِهَـا وَخَلَـاكَ ذَمٌّ مَبَانِيـاً لِلْهُـدَى مَرْصُوصَـهْ
أَنْـتَ وَلاَ زَعَمَـاتِ نَـذْلٍ شَجَـى ذَوِي فِطَـرٍ مَنْقُوصَـهْ
وَتَـاجُ حَمْـدٍ بِـرَأْسِ مَجْـدٍ أَجَـادَ صَـوْغَ النَّـدَى تَخْلِيصَـهْ
تَقْـذَى بِـهِ أَعْيُـنُ الأَعَـادِي قَـذىً لأَعْيُنِهَـا الْمَبْخُوصَـهْ
لَـوْ حَمَلَتْـهُ جِبَـالُ رَضْـوَى لَظَلَّـتْ أَعْنَاقُهَـا مَرْقُوصَـهْ

حرف الضاد

قال عليه، متضرعا لمن ينفع التضرع (إليه):
إِلَهِي إِنْ كَانَتْ فِعَالِـيَ لاَ تُرْضِـي فَحِلْمُكَ يَا مَوْلاَيَ بِالْعَفْوِ قَدْ يَقْضِـي
لَكَ الْخَيْرُ كُلَّ الْخَيْـرِ أَنْـتَ مُنْيلُـهُ وَلاَ خَيْرَ إِلاَّ مَا لِعَفْوِكَ قَـدْ يُفْضِـي
إِلَهِـي أَعْتَقْـتَ الْمَسَاجِـدَ مِنَّــةً مِنَ النَّارِ وَهْيَ الْبَعْضُ مِنْ مُلْكِكَ الْمَحْضِ
وَفِيمَا بِـهِ أَرْسَلْـتَ أَكْـرَمَ مُرْسَـلٍ يُنَجِّزُ عِتْقُ الْكُلِّ مِنْ مُعْتَقِ الْبَعْضِ
وقال أيضا، يستعتب بعض الفضلاء على لسان بعضهم:
أَيُّهَـا الْقَـرْمُ الْهُمَـامُ الْمُرْتَضَــى مَنَ حَوَى فِي الْمَجْدِ بُرْداً فَضْفَضَـا
لاَ تُوَاخِذْنِـي بِجُـرْمٍ قَـدْ مَضَـى عَنْ قِلىً أَسْلَفْتُـهُ، لاَ عَـنْ رِضَـى
وَأَزِلْ عَتْبِــي بِعَتْبِــي فَلَقَــدْ خَاضَ بِي الْهَجْرُ لَظَى نَارِ الْغَضَـى
لاَ سُلِبْتَ الدَّهْـرَ أَثْـوَابَ الرِّضَـى يَا سَرِيّاً، مُنْتَقَـى الْمَـدْحِ اقْتَضَـى!

وَسَلاَمُ اللهِ أُهْدِي عَاطِراً (لَكُمْ) مَا عَضْبُ بَرْقٍ أَوْمَضَا

وقال في الموضع المسمى بـ الحوض من كندر، وقد نزل به حي أصحابه من غمرة، أيام كونه فيهم، يحثهم على الرحيل عنه:

خَلُّوا سَبِيلَ الْحَوْضِ وَفَحِّصُوا عَنْ حَوْضِ
مِثْلَ اللُّجَيْنِ الْمَحْضِ يَنْسَابُ وَسْطَ رَوْضِ
ذِي خَلَّةٍ وَحَمْضِ مِنَ الْجَمِيمِ الْغَضِّ
أَوْ بَارِضٍ لاَ بَرْضِ فِي مُسْتَوٍ مِنْ أَرْضِ
يَنْعَشُ كُلُّ عِرْضِ فِي طُولِهَا وَالْعَرْضِ

وقال في مقام المولى القاضي أبي الفضل عياض رضي الله عنه:

هَذَا ضَرِيحُكَ يَا عِيَاضُ يَا مَنْ شِفَاهُ شِفَا الْمِرَاضْ
فَلَقَدْ شَفَيْتَ غَلِيلَهُ لَمَّا حَوَى مِنْكَ الْحِيَاضْ
سَحَّتْ عَلَيْهِ - لِأَنْ حَوَى مِنْكَ الْحَدَائِقَ وَالرِّيَاضْ
وَالْبَحْرَ بَحْرَ مَعَارِفٍ وَعَوَارِفٍ سَهْلَ الْفِرَاضْ
دِيَمٌ تَلُثُّ ثَرَاهُ مِنْ رِضْوَانِ رَبٍّ عَنْكَ رَاضْ

وفي غيرها:

إِنَّ رَوْضَ الْكِيتَانِ رَوْضٌ أَرِيضُ وَمَدَى اللَّهْوِ فِي ذُرَاهُ عَرِيضُ
يَكْتَسِي نَضْرَةً بِهِ وَسُرُوراً مَنْ حَشَاهُ مِنَ الْهُمُومِ مَرِيضُ

وقال يرثي:

هَوَانٌ لِدُنْيَا غَزْلُهَا بِيَدِ النَّقْضِ إِذَا لَمْ تَكُنْ تُرْضِي الذِي لَمْ يَزَلْ يُرْضِي
وَأَعْزِزْ عَلَيْنَا أَنْ يُعَزَّ الْعَزِيزُ مَا يَبُزُّ عُيُوناً لِلْعُلاَ لَذَّةَ الْغَمْضِ
أَتَرْجُو أَكُفُّ الْقَبْضِ بَسْطاً إِلَى الذِي تَعَوَّدَ بَسْطاً لِلأَكُفِّ بِلاَ قَبْضِ؟
لِذَاكَ خَلِيلٌ وَالْجَلِيلُ تُجِلُّهُ، عَلَى أَنَّ بَعْضَ الشَّرِّ، أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
عَلَى أَنَّ بَعْضَ الشَّرِّ، يَزْدَانُ رَبُّهُ كَمَا ازْدَانَ خَدُّ الأَبْيَضِ الْبَضِّ بِالْعَضِّ
فَشَرٌّ يَسُوقُ الْخَيْرَ بَيْنَ بُرُودِهِ عَظِيماً هُوَ الْخَيْرُ الْمُعَافَى مِنَ النَّقْضِ

وَمَـا هَـذِهِ الأَيَّــامُ إلاَّ أَرَاقِــمٌ   وَإِنَّ بَرزَتْ فِي زَيٍّ زُخْرُفِهَا الْغَضِّ
إِذَا سَالَمَتْ مِنْ بَعْضٍ مَا قَدْ تَلَمَّظَـتْ   فَذَلِكَ مِنْهَا الْخَيْرُ ذُو الطُّولِ وَالْعَرْضِ
يُعَالِجُ مِنْهَـا الْمَـرْءُ كَيْـدَ مُنَافِـقٍ تُريهِ ابْتِسَاماً وَهْيَ تَغْلِي مِنَ الْبُغْضِ
كَمَا اخْرَنْبَقَ الأَفْعَى لِيَنْبَـاعَ دُفْعَـةً   فَلا تَحْسبَنَّ الأَيْمَ أَطْرَقَ مِنْ غَـضِّ
وَيَعْلَمُ مَـا فِـي طَبْعِهَـا بِامْتِحَانِهَـا   كَمَا يُدْرَكُ الدَّاءُ الدَّفِينُ مِنَ النَّبْـضِ
فَلِلَّهِ عَيْناً مَنْ رَأَى مِثْلَ مَـنْ يَـرَىكَوَارِثَهَا رَحْضاً، لَهُ أَيَّمَـا رَحْـضِ
فَلاَ يَزْدَهِيهِ الرَّفْـعُ إِن شَـامَ بَرْقَـهُ   وَلاَ يَنْزَوِي لِلْخَفْضِ إِنْ سِيمَ بِالْخَفْضِ
فَذَاكَ الذِي يَحْتَاجُ جَمْـعَ خُطُوبِهَـا   بِجَمْعٍ مِنَ التَّأْيِيـدِ لَيْـسَ بِمُرْفَـضِّ
يُقَابِلُهَـا مِـنْ دُونِ تَحْرِيــقِ أُرَّمٍ   بِرَأْيٍ لأَبْكَـارِ الْحَـوَادِثِ مُنْقَـضِّ
إِلَى أَنْ تَصِيرَ السُّودُ بِيضاً وَفِعْلُهَـا   بِجَمْعِ الأَعَادِي السُّودِ لَيْسَ بِمُبْيَـضِّ
أَقُـولُ فَـإِنَّ الْقَـوْلَ يَنْفَـعُ غُلَّـةً   وَيُطْفِئُ لَوْعَاتٍ، وَيَشْفِي مِنَ الْمَـضِّ
وَيَقْضِـي عَلَـى عِلاَّتِـهِ بِسِيَاسَـةٍ (إِذَا) النَّاسُ مَقْضِيٌّ عَلَيْهِ وَمُسْتَقْـضِ
أَقُولُ – وَهَلْ يُلْفَى لِقَوْلِـيَ عَائِـبٌ   إِذَا مَا مَضَى قُدْماً، إِذَا الْقَوْلُ لَمْ يَمْضِ؟:
إِذَا لَمْ تَحُوطُوا الأَرْضَ مِنْ رَجفَانِهَا   فَغَضْبَةُ مَنْ أَسْمَى السَّمَاءَ عَلَى الأَرْضِ
أَلاَ إِنَّ ذَاكَ الْمِثْـلَ أَنْـتَ وَوَالِـدٌ نَهُوضٌ بِأَعْبَاءِ الْعُلاَ صَادِقُ النَّهْضِ

وقال في الخيري المختلف في اللون:

أَهْدَى لَنَا الْخِيـرِيُّ فِـي الرَّوْضَـهْ   عَـرْفَ خُيُـورٍ فِيـكَ مُبْيَضَّــهْ
أَصْفَـرُهُ الْفَاقِـعُ مِـنْ ذَهَـبٍ   وَالأَبْيَـضُ النَّاصِـعُ مِـنْ فِضَّـهْ
وَالأَحْمَـرُ الْفَاقِـعُ، وَجْنَـةُ مَـنْ أَغْـرَى بِكُـلِّ الْمُبْتَلَـى بَعْضَــهْ
سَرَى إِلَيْــهِ خُفْيَــةً خَجَـلٌ   فَعَضَّـهُ فِــي خَــدِّهِ عَضَّــهْ
لَـوْلاَ ذُبُـولٌ يَعْتَرِيــهِ جَنــىً   قُلْـتُ: أَيَـادِي السَّيِّـدِ الْغَضَّــهْ
جَـادَتْ بِهَـا كَـفٌّ لَـهُ سَمَحَـتْ   مَا عَرَفَـتْ مُـذْ بَسَطَـتْ قَبْضَـهْ
دَامَ عُلَــاهُ وَالْمُنَــى قَائِــمٌ   بَيْـنَ يَدَيْـهِ صَــادِقُ النَّهْضَــهْ

حرف العين

قال عليه، جعله الله ممن استغنى بما لديه:

قِفَا حَدِّثَانِي عَنْ مَغَانِ وَأَرْبُعِ بِجزْعِ النَّقَا بَيْنَ الْهِضَابِ فَأَنْقُعِ

فَبَانَةِ جَرْعَاءِ الْحِمَى فَظِبَائِهِ فَآرَامِهِ اللاَّتِي رَتَعْنَ بِأَضْلُعِي

وَعَنْ ذِي حَبَابٍ بِالرِّيَاضِ مُسَلْسَلٍ يَسِيعُ كَمَا انْسَابَ الْحُبَابُ بِأَجْرُعِ

فَشَبِّهْ بِهِ - وَالشَّمْسُ رَاقَ أَصِيلُهَا - جُمَاناً عَلَى سَيْفٍ بِتِبْرٍ مُلَفَّعِ

سَقَى مَرْتَعَ الأَحْبَابَ دِيمَةُ وَاكِفٍ وَهَلْ غَيْرُ أَوْطَانِ الأَحِبَّةِ مَرْتَعِي؟

وَإِنِّي وَإِنْ أَمْسَيْتُ فِي فَاسَ ثَاوِياً، لِتِطْوَانَ آمَالِي، وَفِيهَا تَوَلُّعِي

دِيَارٌ، أَنَاخَ الْحُسْنُ فِي عَرَصَاتِهَا وَأَرْخَى عَلَى أَرْجَائِهَا كُلَّ بُرْقُعِ

إِذَا نَفَحَتْ مِنْ جَانِبِ الْجَوْفِ نَفْحَةٌ (تَسِيحُ) عَلَى خَدِّي مَذَانِبُ مَدْمَعِي

حَنِيناً إِلَى تِلْكَ الْبَطَائِحِ وَالرُّبَى وَشَوْقاً إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ الْمُرَفَّعِ

رَعَى اللّٰهُ أَحْبَاباً بِتِطْوَانَ كُلَّمَا ذَكَرْتُهُمُ اهْتَاجَتْ شَعَائِلُ أَضْلُعِي

أَأَحْبَابَنَا فِيهَا، هَلِ الدَّهْرُ سَامِحٌ بِلُقْيَاكُمُ قَبْلَ الْحُلُولِ بِشَرْجَعِ؟

وَهَلْ لِي فِي الْكِيتَانِ نُزْهَةُ وَامِقٍ؟ عَسَى أَشْتَفِي مِنْ لَوْعَتِي وَتَفَجُّعِي!

فَيَا نَهْرَ الْكِيتَانِ جَادَتْكَ دِيمَةٌ مِنَ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ غَيْرِ مُصَدَّعِ

وَيَا مَنْزِلَ الأَحْبَابِ لاَ زِلْتَ آهِلاً بِأَهْلِ الْعُلاَ تَزْهُو بِكُلِّ (سَمَيْدَعِ)

وَيَا جُمْلَةَ الأَحْبَابِ مِنِّي عَلَيْكُمُ سَلاَمٌ كَأَنْفَاسِ الْعَبِيرِ الْمُشَعْشَعِ

لَئِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ الْمُشِتُّ انْتِظَامَنَا بِلِينٍ فَمَا وَجْدِي عَلَيْكُمْ بِصَعْصَعِ

إِلَى اللّٰهِ أَشْكُو مَا (أُعَانِيهِ) مِنْ أَسىً أَعَانَ عَلَى قَلْبِي النَّوَى كُلَّ شِبْدَعِ

شَكِعْتُ بِلَيْلِ الْهَمِّ حَتَّى تَقَرَّحَتْ مَآقِي وَأَجْفَانِي لِطُولِ تَوَجُّعِي

وَضَعْضَاعُ جِسْمِي ضَعْضَعَتْهُ بَلاَبِلِي وَشَوْقِي إِلَيْكُمْ ثَابِتٌ لَمْ يُضَعْضَعِ

وَحِرْصِي عَلَى أَخْبَارِكُمْ مُتَزَايِدٌ وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ سِوَاكُمْ بِهَوْدَعِ

سَأَبْكِي لِشَعْشَاعِ الْوِصَالِ الذِي هَوَتْ مَطَالِعُهُ أَوْ يَنْزِفُ الْوَجْدُ أَدْمُعِي

وَأَصْبُو إِلَى أَهْلِ الصَّفَا كُلَّمَا هَفَا نَسِيمُ الرُّبَى فِي نَفْحَةٍ وَتَضَوُّعِ

إِلَى حَيْثُ مُاءُ الْمَكْرُمَاتِ مُسَلْسَلٌ وَنَهْرُ النَّدَى فِي جَرْيَةٍ وَتَصَيُّعِ

وَرَوْضُ الْمُنَى فِي عَطْفَـةٍ وَتَهَـدُّلٍ   إِلَى حَيْثُ دُرُّ النَّظْمِ غَيْـرُ مُضَيَّـعِ

وَحَيْثُ أَبُو يَعْقُـوبَ بَحْـرُ بَلاَغَـةٍ   لَـهُ لُجَـجٌ يَشْتَاقُهَـا كُـلُّ مَنْقَـعِ

هُمَامٌ بِـهِ تِطْـوَانُ زَادَتْ مَحَاسِنـاً   وَلِمْ لاَ، وَقَدْ أَرْبَى عَلَى كُلِّ مِصْطَعٍ؟

فَلاَ زَالَ فِي أُفْـقِ الْبَلاَغَـةِ كَوْكَبـاً   يُصِيبُ بِشُهْبِ الشِّعْـرِ كُـلَّ هَمَلَّـعِ

عَلَيْهِ سَلاَمُ اللـهِ مَـا قَـالَ نَـازِحٌ:   قِفَا حَدِّثَانِـي عَـنْ مَعَـانٍ وَأَرْبُـعِ

وقال في أبي ميمونة سيدي دراس بن أسماعيل:

(بِبَـابِ) أَبِـي مَيْمُونَـةَ أَتَضَـرَّعُ   إِلَى اللّهِ أَكُفِّى مَـا أَنَـا بِـهِ مُوجَـعُ

مَلاَذِي ابْنُ إِسْمَاعِيلَ دَرَّاسُ مَنْ هَفَا   أَرِيجُ الْمُنَـى مِـنْ قَبْـرِهِ يَتَضَـوَّعُ

وقال أيضا، فاض عليه الفضل فيضا:

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَـنْ أَبَـانَ هُجُوعِـي   وَلَهِي بِـهِ مُـذْ أَنْ حَـلَّ ضُلُوعِـي

ظَبْـيٌ كَلِفْـتُ بِحُسْنِـهِ وَأَطَاعَنِـيفِي حُبِّـهِ، ذُلِّـي لَـهُ وَخُضُوعِـي

كَالْبَـدْرِ إِلاَّ أَنَّـهُ أَبَـداً يُـرَى   مُتَهَلِّـلاً كَالْبَـدْرِ وَقْـتَ طُلُــوعِ

لَبَّـى مَحَاسِنَـهُ صَفَـاءُ مَوَدَّتِــي فَغَـدَوْتُ حِلْـفَ صَبَابَـةٍ وَوُلُـوعِ

دَيْنِي عَلَـى الأَيَـامِ بَـذْلُ وِصَالِـهِ   حَتَّـى أَفُـوزَ بِأُنْسِـي الْمَمْنُــوعِ

وَأُخَاطِبُ الْبَـدْرَ الْمُنِيـرَ إِذَا بَـدَا: يَا بَـدْرُ! إِنَّ الْبَـدْرَ مِـنْ يَرْبُـوعِ

وقال فيما تنشط به الرقة من عقال:

أَ مَوْلـاَيَ يَــا نَيِّــرَ الْمَطْلَــعِ   بِعَـادُكَ أَذْكَـى لَظَـى جَزَعِــي

أَقُولُ وَقَـدْ حَـانَ وَقْـتُ الْفِـرَاقِ وَقَـدْ كِـدْتُ أَسْبَـحُ فِـي أَدْمُعِـي

يَعِــزُّ عَلَــيَّ فِرَاقُــكَ يَــا   غَـزَالَ النَّقَـا وَرَشَـا الأَجْـرُعِ

لَئِنْ بَانَ شَخْصُـكَ عَـنْ نَاظِـرِي فَمَـا بَـانَ حُبُّـكَ عَـنْ أَضْلُعِـي

أُوَدِّعُــكَ اللــهَ سُبْحَانَـــهُ   وَمَـنْ وَدَّعَ اللــهُ لَــمْ يُــودَعِ

وقال أيضا:

طَالَ الطَّرِيقُ إِلىَ فَاسٍ عَلَى السَّاعِي   مُضَاعَفُ الشَّوْقِ بِالآنَـاءِ وَالسَّـاعِ

تَأَجَّجَتْ نَارُهُ السَّوْدَاءُ (لَمَّـا) دَعَـا إِلىَ الرَّحِيـلِ عَـنِ الْحَمْرَالَـهُ دَاعِ

وَقَالَ دَاعِي السُّرَى: نَادَيْتُ مُسْتَمِعـاً وَقَالَ دَاعِي الْعَنَا: أَبْلَغْـتَ أَسْمَاعِـي

وَكُلَّمَا سِرْتُ عَنْهَا قَيْدَ شِبْرٍ، سَـرَى طَيْفُ اشْتِيَاقٍ إِلىَ أَهْلِي وَأَشْيَاعِـي

وَمُنْشِئِي حَيْثُ خَالَفْتُ هَوَايَ، وَلَـمْ أَكُنْ لِمَنْ قَدْ نَهَـى عَنْـهُ بِمِطْـوَاعِ

وَرُضْتُ أَفْرَاسَ تَحْسِينِي وَإِبْدَاعِـي بَيْنَ حَدَائِـقِ أَشْعَـارِي وَأَسْجَاعِـي

حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْبَيْضَاءُمِـنْ كَثَـبٍ (عَادَ) الْحَنِينُ إِلىَ الحمْرَاءِ وَالدَّاعِي

لِمْ لاَ، وَفِيهِمْ أُصَيْحَابِي الذِينَ ثَـرَوْا وَهُمْ بِهَا بَيْنَ أَحْشَائِي وَأَضْلاَعِـي؟

فَارَقْتُهُمْ غَيْـرَ مُذْمُـومٍ جُوَارُهُـمُ،حَاشَا الأُلىَ، وَرِثُوا الْفَضْلَ بِإِجمَـاعِ

أَسْتَوْدِعُ اللـهَ مِنْهُـمْ كُـلَّ مُؤْتَمِـنٍ عَلَى الْوِدَادِ لِثَدْيِ الصِّـدْقِ رُضَّـاعِ

وقال يرثيه ويبكيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله:

يَا جَمِيلَ الصَّبْـرِ لَـبِّ مَـنْ دَعَـا قَبْـلَ أَنْ يَقْضِـيَ مِمَّـا فُجِعَـا

لَبِّ شَخْصاً جَزِعاً مِنْ مَـوْتِ مَـنْ ذَابَ مِـنْ خَشْيَـةِ رَبِّـي جَزَعَـا

وَالْزَمِـي يَـا رَحْمَـةَ اللـهِ الـذِي كَـانَ مِـنْ رَحْمَتِـهِ مُجْتَمِعَـا

وَاخْدُمَـنْ يَـا عَفْـوَ رَبِّـي سَيِّـداً كَـانَ لِلْعَفْـوِ عَـنِ الْجَانِـي وَعَـا

وَاحْتَسِبْ يَـا طَالِـبَ الْعِلْـمِ امْـرَأًمَـاتَ فِيـهِ الْعِلْـمُ وَالدِّيـنُ مَعَـا

وَانْبُـذَنَّ الْخَلْـقَ طُـرّاً بَعْـدَ مَـنْ كَـانَ فِيـهِ الْخَلْـقُ طُـرّاً جُمِعَـا

وَاقْتَصِـرْ، وَاللـهِ مَـا نَعْلَـمُ مِـنْ أَحَـدٍ قَـدْ سَـدَّ مِنْـهُ مَوْضِعَـا

أَقْصَـدَ الْيُوسِـيَّ سَهْـمٌ مِـنْ رَدَى أَثْكَـلَ الْعَالَـمَ فِيـهِ أَجْمَعَـا

ضَعْضَعَ الْمَـوْتُ الإِمَـامَ الأَرْوَعَـا أَيُّ رُكْـنٍ لِرَشَـادٍ ضَعْضَعَـا؟!

حَـجَّ مِنْـهُ بَيْـتَ عِلْـمٍ إِثْـرَ مَـا حَـجَّ بَيْـتَ اللـهِ بَـرّاً أَوْرَعَـا

وَسِعَـتْ حُفْـرَةُ قَبْـرٍ ضَيِّـقٍ مَـنْ لِخَلْـقِ اللـهِ طُـرّاً وَسِعَـا؟

ضَاقَتِ الأَرْضُ بِنَـا - وَهْـيَ التِـي رَحُبَـتْ - لَمَّـا نَعَـاهُ مَـنْ نَعَـى

فَتَصَامَمْنَـا وَهَيْهَـاتَ فَمَـا يَنْفَـعُ الْمُثْكِـلَ أَنْ لاَ يَسْمَعَـا

بِأَبِـي مَـنْ زَارَ قَبْـرَ الْمُصْطَفَـى بَعْـدَ مَـا طَـافَ وَلَبَّـى وَسَعَـى

وَانْثَنَـــى تَكْنُفُـــهُ أَنْـــوَارُهُ   ثُـمَّ مَـا سَلَّــمَ حَتَّــى وَدَّعَــا

وقلتُ أثناء رسالة:

وَقَرَّرَ مَا تَحْوِيـهِ مِنْـكَ الأَضَالِـعُمِنَ الْوَجْدِ بِالرِّيمِ التِـي لاَ تُطَـاوِعُ

فَعَـزَّ عَلَيْنَـا أَنْ تَهِيـمَ بِفَـارِكٍ إِلَى كُلِّ مَا يُنْعَى عَلَيْـكَ تُسَـارِعُ

تَوَدُّ لَوْ أَنَّ الْوَصْـلَ جَـدَّتْ حِبَالُـهُ   وَأَمْسَتْ مَغَانِي الْقُرْبِ وَهْيَ بَلاَقِـعُ

وَتُجْهَدُ فِي قَطْـعِ الْمَـوَدَّةِ جُهْدَهَـا   وَتَبْسِـرُ إِمَّـا جِئْتَهَــا وَتُمَانِــعُ

فَلَوْ كَانَ لِي فِي عَطْفَةِ الْقَلْبِ حِيلَـةٌ   وَطِـبٌّ لأَسْبَـابِ التَّنَافُـرِ قَاطِـعُ

جَعَلْـتُ حَشَايَاهَـا ثِيَـابَ هَوَاكُـمُفَيَصْبُو إِلَيْكُمْ وُدُّهَـا وَهْـوَ خَاضِـعُ

وَلَكِنَّ عُمُومَ الْعَجْـزِ عَـمَّ جَمِيعَنَـا   فَلَيْسَ لِمَا يَقْضِـي بِـهِ اللـهُ مَانِـعُ

نَعَمْ، أَنَّنَا نَرْجُوهُ فِي جَبْرِ صَدْعِكُـمْ   وَنَسْأَلُـهُ بِالْفَضْلِ عَنْكُـمْ يُدَافِـعُ

وَأَنْ يَنْزِعَ الشَّحْنَاءَ مِنْ قَلْبِ عِرْسِكُمْ   فَتَطْلُعُ فِي أُفْـقِ السُّـرُورِ طَوَالِـعُ

وَأَنْ يُبْدِلَ الْفِرْكَ الذِي قَـادَ طَبْعَهَـا   دَلاَلاً لِجَيْشِ الْهَـمِّ مِنْـهُ مَصَـارِعُ

فَتَصْفُو سَجَايَاهَـا وَيُصْبِـحُ قَلْبُهَـا   وَفِيهِ لِسَرْحِ الْحُـبِّ فِيـكَ مَرَاتِـعُ

وفي ما يظهره فحوى الشاعر:

مَقَــامُ أَبِــي نَافِــعٍ نَافِــعُ   لِمَــنْ زَارَهُ وَالْهُــدَى شَافِــعُ

وَلاَ سَيَّمَـا مَــنْ بَنَــى قُبَّــةً،   بِـهِ نُـورُ بَهْجَتِهَـا سَاطِــعُ

فَـذَاكَ الـذِي يَرْتَــوِي عَلَــلاً   بِكَـأْسِ مُنًــى بِــرُّهُ نَاقِــعُ

وَيَحْظَـى بِأَرْغَــبِ مَرْغُوبِــهِ   وَلَيْـسَ لَـهُ مِـنْ عُــلاً مَانِــعُ

وَيَعْلُـو بِحَـوْلِ الإِلَــهِ عَلــى   حَسُـودٍ لَــهُ طَرْفُــهُ دَامِــعُ

ضَمِنْـتُ لَـهُ عَـنْ أَبِـي نَافِـعٍ   مِـنَ النَّفْـعِ مَـا يَرْتَجِـي النَّافِـعُ

وَأَهْـوِنْ بِـذَاكَ عَلَـى جَـاهِ مَـنْ   تَجَلَّــى لَنَــا سِــرُّهُ الرَّائِــعُ

وَآيَاتُـــهُ كُتِبَـــتْ لِلْـــوَرَىعَلَـى الْبَـدْرِ فَهْـوَ بِهَـا طَالِــعُ

حرف الغين

قال عليه، يَمدح من ألقيت مقاليد الرحَمات إليه، صلى اللّه وسلم عليه، وعلى آله، ومن تروى من بحر يديه:

لَئِنْ كَانَ وَرْدُ الْخَدِّ أَبْدَعَ فِي الصَّبْـغِ وَحَاطَتْهُ حَيَّاتٌ تَدَلَّتْ مِـنَ الصُّـدْغِ
وَذَادَتْ نِبَالُ اللَّحْـظِ دُونَ اقْتِطَافِـهِ وَبَانَتْ عَلَى مَنْ سَامَهُ سِمَةَ الصَّـدْغِ
فَفِي قَطْفِ وَرْدِ الْمَدْحِ مَـدْحِ مُحَمَّـدٍ عَلَيْهِ صَلاَةُ اللّه أَمْـنٌ مِـنَ الَّلـدْغِ
أَدِمْ قَطْفَهُ تَظْهَرْ عَلَـى كُـلِّ حَاسِـدٍ وَتَظْفَرْ بِأَسْنَى مَا تُرِيدُ وَمَـا تَبْغِـي
فَفِي قَطْفِهِ قَطْفُ الْمُنَى دُونَ مَا عَنَـا وَهَصْرُ غُصُونِ الْبِرِّ مِنْ دَوْحَةِ الرَّفْغِ
فَحُكْ فِيهِ مِنْ حَـرِّ الثَّنَـاءِ مَطَارِفـاً مُنَمْنَمَةَ الأَعْلاَمِ، بَاهِـرَةَ الصَّبْـغِ
وَقُلْ، وَاعْتَرِفْ بِالْعَجْزِ، فِيهِ قَصِيـدَةً وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الإِجَـادَةِ وَالنَّبْـغِ
فَقَدْ أَفْصَحَ الذِّكْـرُ الْحَكِيـمُ بِمَدْحِـهِ وَمَدْحُكَ مِنْهُ فِـي الْحَقِيقَـةِ كَالنَّشْـغِ
وَلَكِنَّـهُ صَلَّـى الإِلَـهُ عَلَيْـهِ مَـا حَلاَ ذِكْرُهُ (يُولِي) الْجَزِيلَ مِنَ الْوَشْغِ
وَكُنْ ذَا خُضُوعٍ فِي خِطَابِ جَلاَلِـهِ فَإِنَّهُ لِلْمُثْنِـي عَلَـى مَجْـدِهِ مُصْـغِ
فَـإِنْ كَـانَ ذَا ذُلٍّ فَسَمْـعٌ مُبَلَّـغٌ وَإِلاَّ فَسَمْعٌ لاَ يُضَـافُ إِلَـى بَلْـغِ
بِجَاهِكَ عِنْدَ اللّه يَـا أَصْـلَ أَصْلِـهِ فَـآدَمُ لَوْلَـاكَ مَـا فَـازَ بِالنَّبْـغِ
وَحَـقِّ أَبِـي بَكْـرٍ لَدَيْـكَ وَبِنْتِـهِ وَبِضْعَتِكَ الزَّهْرَا، اكْفِنَا كُلَّمَـا مِلْـغِ
وَحُطْنِي وَأَهْلِي مِنْ عِدَاتِكَ وَاسْقِنَـا بِسَجْلٍ مِنَ الإِحْسَانِ مُتَّسِـعِ الْفَـرْغِ
حَنَانَيْـكَ قُدْنَـا لِلسَّعَـادَةِ وَاهْدِنَـا فَذَاكَ الذِي نَرْجُو، وَذَاكَ الذِي نَبْغِـي
(لَقِينَا) مِنَ الدُّنْيَـا وَأَنْيَـابِ بُؤْسِنَـا نَظِيرَ الذِي يَلْقَى الْهَشِيشُ مِنَ الْمَضْغِ
وَغَيَّرَنَـا فِيهَـا قَبِيـحُ ذُنُوبِنَـا كَمَا غَيَّرَتْ بِيضَ الثِّيَابِ حُلَى الصَّبْغِ
فَأَنْقِـذْ نُهَانَـا مِـنْ هَوَانَـا فَإِنَّـهُ شَجَاهَا كَمَا يَشْجُو الْفَتَى وَرَمُ الرَّفْـغِ
عَلَيْكَ صَلاَةُ اللّه يَـا مُرْسَـلاً إِلَـى جَمِيعِ الْوَرَى مَا اسْتُؤْصِلَتْ شَأْفَةُ النَّزْغِ
وَمَا مَحَقَ الْبُهْتَـانَ نُـورُ رَشَادِكُـمْ وَأَرْدَى الْهُدَى رَأْسَ الضَّلاَلَةِ بِالْفَدْغِ
وَمَا نَـوَّهَ الذِّكْـرُ الْحَكِيـمُ بِمَدْحِكُـمْ وَمَا رَاقَ تَدْبِيجُ الْقَرَاطِيسِ بِالصَّمْـغِ
وَمَا نِيلَ مِنْ جَرَّاكُـمُ فَضْـلُ رَبِّنَـا وَمَا عَرَّجَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ عَلَـى فَـرْغِ
كَذَا الآلُ أَقْمَارُ الْهُـدَى وَالصِّحَـابُ مِنْ (أَبَارُوا) عُدَاةَ الدِّينِ بِالضَّرْبِ وَالنَّدْغِ

كَسَوْهُمْ جِلاَبِيبَ الدِّمَا بَعْدَ بَزِّهِـمْ   فَحَاكُوا جُلُودَ الشَّاءِ عُلَّتْ مِنَ الدَّبْـغِ
وَحَابُوا بِهِمْ كُـلَّ الْوُحُـوشِ تَكَرُّمـاً   فَأَفْنَوْا، وَمَا كَادُوا اللُّحُومَ مِنَ الْمَشْـغِ
وَخَضَّبَ تَحْجِيـلَ الْجِيَـادِ نَجِيعُهُـمْ   فَتَحْسِبُ يَاقُوتاً تَنَاسَقَ فِـي الرُّسْـغِ

حرف الفاء

قال عليه، مادحا شيخه الإمام أبا عبد الله سيدي محمدبن المولى أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي - أبقى الله بركتهم - وأنشده إياه يوم ختم البخاري عليه:

شَاقَتْـــكَ آرَامُ إِلْـــفِ بَيْـنَ الْعُذَيْـــبِ وَحِقْـــفِ
إِذْ وَاصَلَتْـــكَ الأَمَانِـــيبَيْـــنَ ارْتِقَـــابٍ وَخَـــوْفِ
فِـي مَـا حَـوَى نُعْـمَ عَيـنٍ   وَرَوْحَ أُذْنٍ وَأَنْـــــفِ
مِـنْ جَنَّـةٍ ضَحِكَـتْ مِـنْ   بُكَـاءِ أَجْفَـانِ وُطْـفِ
إِنْ غَنَّـتِ الْـوُرْقُ فِيهَـا أَذْكَـتْ مَجَامِـرَ عَـرْفِ
وَأَوْجَـسَ الْغُصْـنُ أُنْسـاً   فَهَـزَّ عِطْفـاً لِعَطْـفِ
وَنَبَّـهَ الطَّـلُّ نَـوْراً   يَرْنُـو بِأَجْفَـانِ خِشْـفِ
خَلَعْـتُ فِيهَـا عِـذَارِي بَيْـنَ اجْتِنَـاءٍ وَقَطْـفِ
وَلَثْـمِ خَـدٍّ لِـوَرْدٍ   وَرَشْـفِ خِلْـفٍ لِقِطْـفِ
وَرُضْـتُ فِيهَـا غَرَامِـي يَقُـودُهُ طِـرْفُ طَرْفِـي
رَاقَـتْ فَـرَاقَ نَسِيبِـي فَهَـامَ وَصْفِـي بِرَصْفِـي
فَمَـا التَّخَلُّـصُ مِنْهَـا فِـي وُسْعِ حِذْقِـي وَظَرْفِـي
لَـوْلاَ مَدِيـحُ هُمَـامٍ   مِـنَ الْغَبَـاوَةِ يَشْفِـي
لأَنَّـهُ ذُو ذَكَـاءٍ   مُبْـدٍ لِمَـا أَنْـتَ تُخْفِـي
وَشَمْـسُ عِلْـمٍ وَفَهْـمٍ وَظَـرْفُ ظَـرْفٍ وَلُطْـفِ
مُحَمَّـدُ الْحَبْـرُ الأَسْمَـى ال   فَاسِـي الْمُحَلِّـي لِوَصْفِـي

بَــدْرٌ بَــدَا نُــورُهُ مِـــنْ شُمُــوسِ عِلْـــمٍ وَكَشْـــفِ
مَـنْ قَــدْ رَوَى عَـــنْ أَبِيـــهِ   مِـــنَ الْعُـــلاَ كُـــلَّ صِنْـــفِ
وَصَافَحَتْـــــهُ صَغِيــــــراً أَكُـــفُّ أَمْـــرٍ وَكَـــفِّ
وَسَرْبَلَتْـــــهُ السَّجَايَــــامِـــنَ الثَّنَـــاءِ بِزَعْـــفِ
يَرْتَـــاحُ إِنْ عَـــنَّ بَحْـــثٌ مِـــنْ ذِي ذَكَـــاءٍ وَظَـــرْفِ
وَيَزْدَهِيــــــهِ ابْتِهَــــاجٌ كَالْخَـــرْقِ يَحْظَـــى بِضَيْـــفِ
يُبْـــدِي بِأَعْـــذَبِ لَفْـــظٍ   مَـــا لاَ يُـــؤَدَّى بِأَلْـــفِ

إِلَـــى شُمُـــوسِ بَيَـــانٍ تَضِـــيءُ مِـــنْ كُـــلِّ حَـــرْفِ
بَيْـــنَ الْهُـــدَى وَنُهَـــاهُ فِـــي النَّصْـــرِ، أَوْثَـــقُ حِلْـــفِ
وَبَيْـــنَ مَـــا يَقْتَفِيـــــهِ وَالْعُجْـــبِ (غَايَـــةُ) خُلْـــفِ
شَيْـــخٌ غَذَتْـــهُ الْمَعَالِـــي   بِـــدَرٍّ أَفْضَـــلِ خِلْـــفِ
فَهْـــيَ بِـــهِ خَيْـــرُ رِيـــمٍ لأَنَّـــهُ خَيْـــرُ خِشْـــفِ
يُبْـــدِي شَمَائِـــلَ زُهْـــراًلِـــذِي خَلاَئِـــقَ غُلْـــفِ
مَـــا إِنْ يَغِيـــظُ حُلْــــاهُ وَهْـــوَ الـــأَذَى بَحْـــثُ جِلْـــفِ
بَـــلْ وَجْهُـــهُ يَتَلْــــاَلاَ بِشْـــراً عَلَـــى كُـــلِّ عَـــوْفِ
كَالشَّمْـــسِ تَقْـــذِفُ نُـــوراً   لِـــذِي ثَنَـــاءٍ وَقَـــذْفِ
نَعَـــمْ إِذَا سَـــامَ أَمْـــرٌ حَـــقَّ الإِلَـــهِ بِخَسْـــفِ
(تَهْفُـــو) رِيَـــاحُ انْتِصَـــارٍ مِنْـــهُ بِعَصْـــفٍ وَقَصْـــفِ
وَيَمْتَطِـــي طِـــرْفَ رَدْعٍ وَيَنْتَضِـــي سَيْـــفَ عُنْـــفِ
سَجِيَّـــةٌ قَـــدْ حَوَاهَـــا عَـــنْ كُـــلِّ أَرْوَعَ عِـــفِّ
مِـــنْ مَعْشَـــرٍ قَـــدْ أَحَاطُـــوا   بِكُـــلِّ مَـــدْحٍ وَوَصْـــفِ
مُـــذْ أَسْرَجُـــوا لِلْمَزَايَـــا   مِـــنَ الْهُـــدَى كُـــلَّ طِـــرْفِ
وَظَاهَـــرُوا بَيْـــنَ زَعْـــفٍ مَجْـــدٍ، وَزُهْـــدٍ، وَخَـــوْفِ
فَأَوْقَعُـــوا بِالْمَخَــــازِي وَاللُّـــؤْمِ فِـــي كُـــلِّ زَحْـــفِ

أَوْتَــادُ فَـــاسٍ فَفَـــاسٌ تَلُـــوذُ مِنْهُـــمْ بِكَهْـــفِ
لأَنَّهُـــمْ قَـــدْ حَمَوْهَـــا بِالْعِلْـمِ مِـنْ كُـلِّ رَجْـفِ
فَلَـــمْ يَهُمُّـــوا بِنَقْـــصٍ وَلَـــمْ يَفُوهُـــوا بِخَلْـــفِ
وَمَـا ابْتَغَـوْا قَـطُّ أَمْـراً يَحْكِـي سَحَابَـةَ صَيْـفِ
بَـلْ حَـرَّرُوا كُـلَّ عَـدْلٍ مِـنَ الْخِلَـافِ وَصَـرْفِ
وَأَوْضَحُـــوا لِلْمَعَالِـــي كُـلَّ اصْطِلَـاحٍ وَعُـرْفِ
حَلَّـوْا صَحِيـحَ الْبُخَـارِي بِحَلْـيِ أَنْفَـسِ صُحْـفِ
فَهْـوَ بِهَـا خَيْـرُ أُذْنٍ لأَنَّهَـا خَيْـرُ شَنْـفِ

وَهْـوَ بِهَـا خَيْـرُ زَنْـدٍ لأَنَّهَـا خَيْـرُ وَقْـفِ
وَأَنْجَبُـــوا بِإِمَـــامٍ أَبْـدَى سَنَـاهُ بِضَعْـفِ
يَضِيقُ عَـنْ عُشْرِ مَـا قَـدْ حَـوَى رَوِيِّـي وَحَرْفِـي
لِـأَنَّ مُجْتَثَّشِعْـرِي يُدْلِـي بِعَيِّـي وَضَعْفِـي
أَبْقَـى سِيَادَتَـهُ مَـنْ يَبْقَـى بِـلاَ نَقْـصِ كَـفِّ
وقال في قطائف ربيع، طرزت بالبديع، وحسن فيها الصنيع:
أَتَلُومُنِـي يَـا عَاذِلِـي فِـي حُسْنِ هَاتِيكِ الْقَطَائِـفْ؟
وَالطَّيْـرُ مُـذْ بَـرَزَتْ لَـهُ غَـرِدٌ عَلَـى الْـأَدْوَاحِ هَاتِـفْ
مُتَرَنِّـمٌ، كَلَفـاً بِهَـا، طَـرِبٌ عَلَـى الأَفْـرَاحِ عَاكِـفْ
وَالْغُصْـنُ أَوْمَـأَ رَاكِعـاً لِجَمَالِهَـا لَـدْنَ الْمَعَاطِـفْ
(خَلَـعَ الرَّبِيـعُ عِـذَارَهُ) فِيهَا فَأَبْـدَعَ فِـي اللَّطَائِـفْ
بِبَهَارِهَـا مُتَقَيِّـئٌ بِشَقَائِـقِ النُّعْمَـانِ رَاعِـفْ
مَـا بَيْـنَ أَصْفَـرَ فَاقِـعٍ فِـي أَحْمَـرٍ غَـضِّ الْمَقَاطِـفْ
فِـي وَسْـطَ أَخْضَـرَ يَانِـعٍ لِلَوَاحِـظِ الأَبْصَـارِ خَاطِـفْ
عَـرِّجْ عَلَيْهَـا إِذْ بِهَـا مَـا أَعْجَـبَ الصَّـبَّ الْمُلاَطِـفْ
لاَ سِيَّمَـا عِنْـدَ الأَصِيـلِ فَحُسْنُهَـا السُّلْـوَانَ قَاطِـفْ

وَالشَّمْــسُ تَرْقُـــمُ مَتْنَهَـــا بِنُضَارِهَــا رَقْــمَ الْمَطَــارِفْ

وقال في الغزل، جعله الله ممن تولى عن الفحش واعتزل:

إِنَّ الـذِي حَـازَ مُهْجَتِـي شَغَفَــاً قَدْ لَـجَّ فِـي هَجْـرِهِ وَمَـا عَطَفَـا

سَـدَّدَ نَحْـوِي سِهَـامَ قَـوْسِ جَفَـا حَسْبِي الإِلَـهُ مِـنَ الْجَفَـا وَكَفَـى

إِنْ كَـانَ أَبْهَجَنِـي غَـدَاةَ وَفَــى (فَكَمْ) بَرَانِي التَّجَيـبُ حِيـنَ جَفَـا

سَلَّمَــهُ اللــهُ لاَ أُعَاتِبُـــهُ فَعَـنْ سَبِيـلِ الْمِلاَحِ مَـا صَدَفَـا

وَلاَ سَخِطْـتُ الـذِي رَمَانِـي بِـهِ وَإِنْ كَسَانِـي السَّقَــامَ وَالدَّنَفَــا

لَكِـنْ نَفَثْـتُ الْغَـرَامَ مُسْتَشْفِيــاً فَإِنَّ فِـي نَفْـثِ ذِي الْغَـرَامِ شِفَـا

سَأَسْـأَلُ الصَّفْـحَ عَـنْ جِنَايَتِــهِ إِنْ صِرْتُ مِنْهَا عَلَـى شَفِيـرِ شَفَـا

وَأَطْلُبُ الصَّفْوَ مِـنْ رِضَـاهُ فَقَـدْ جَنَيْتُ مِنْ غَـرْسِ هَجْـرِهِ التَّلَفَـا

يَا غُصْنُ، يَا بَـدْرُ عَطْفَـةً وَسَنَـاً! يَا ظَبْيُ، يَا شَمْـسُ خِلْقَـةً وَصَفَـا!

أَصْلَيْتَنِي بِنَارِ الصُّدُودِ نَارَ الأَسَـى هَبْ لِي مِـنَ الْوَصْلِ جَنَّـةً أُنُفَـا

وقال في صباه، هب عليه شمال العفو وصباه:

أَحِبِّي يَا شَمْسَ الْمَحَاسِـنِ وَالصَّفَـا تَـرَفَّقْ بِمَـنْ أَمْسَـى بِحُبِّـكَ مُدْنِفَـا

وَأَطْفِـئْ بِمَـاءِ الْوَصْـلِ فَإِنَّــهُ تَلَظَّـى بِنِيـرَانِ الْكَآبَـةِ وَالْجَفَــا

وَأَبْقِ حَيَاتِـي فَهْـيَ لِلدَّهْـرِ زِينَـةٌ وَلاَ تَكُ يَا رُوحِـي لِرُوحِـي مُتْلِفَـا

وقال في بعض زياراته للإمام التباع:

أَقَبْـرَ الْهُمَــامِ أَبِــي فَـارِسٍ أَمَأْوَى السَّنَـا وَالْعُـلاَ وَاللَّطَائِـفْ!

غَرِيــبٌ أَتَـــى لِزِيَارَتِكُـــمْ وَقَدْ (أَوْرَدَتْـهُ) الذُّنُـوبُ الْمَتَالِـفْ

خَلِيـقٌ بِنَيْـلِ الــذِي يَرْتَجِيــهِ لَدَيْكُمْ مِنْ شَـمِّ عَـرْفِ الْمَعَـارِفْ

وَلاَ تَنْسَ يَـا عِـزَّ عَبْـدِ الْعَزِيـزِ نِـدَاءَ ذَلِيـلٍ بِرُكْنِـكَ طَائِــفْ

قال وقد حل برج رأس الطرف من أرض تطاون – حرسها الله – المطل على سبتة وما قابلها من بر الأندلس – رد الله جميع ذلك لمن غضب منه من المؤمنين:

رَاقَتْ عَشِيَّةُ رَأْسِ الطَّرْفِ طَرْفَ فَتىً لَمْ يَثْنِ رَأْسَ الْجَوَى عَنْ قَلْبِهِ طَرْفَهْ

حَالَفَنَـا الأُنْـسُ فِيـهِ وَالْمَسَـرَّةُ إِذْ عَنَّ لَنَا الْمُتَمَنَّـى مَسْرِجـاً طَرْفَـهْ

وَالْبَحْرُ مِمَّا صَفَـا أَبْـدَى ضَمَائِـرَهُ وَالْبُرْجُ مِمَّا عَلاَ يَكْشِفُ مَـا خَلْفَـهْ

وَلاَحَتِ الشَّمُّ مِـنْ أَطْـوَادِ أَنْدُلُـسٍ تَشْكُو ذُرَاهَا النَّصَارَى وَهْيَ فِي لَهْفَهْ

وَقَـدْ بَـدَتْ سَبْتَـةٌ مِنْـهُ مُنَادِيَـةً: يَا لأَهْلِ دِينِ الْهُدَى! هَلْ عِنْدَكُمْ عَطْفَهْ؟!

هَلْ غَيْرَةٌ تَقْتَضِي طُهْرِي مِنْ نَجَسِ ال شِّرْكِ بِمُطْلَقِ دِينِ الْمِلَّةِ الصِّرْفَـهْ؟!

هُنَـاكَ أُنْشِـدُ وَالآمَـالُ دَانِيَـةٌ وَالْكُفْرُ عَمَّتْ ذَوِي شَوْكَتِهِ الرَّجْفَـهْ

الْحَمْـدُ لِلَّـهِ أَهْـلُ الحَمْـدِ مُلْهِمُـهُ مُخْزِي النَّصَارَى وَمُولِي مَنْ هَدَى لُطْفَهْ

ومنه خطابا للأول، وهو الصالح بن المعطي:

فَخُـذِ الزَّكَـاةَ وَلاَ تَخَـفْ وَاجْبُـرْ بِهَـا صَـدْعَ السَّلَـفْ

وَارْقَـعْ بِهَـا خَـرْقَ الدُّيُـو نِ وَجُـدَّ أَسْبَـابَ التَّلَـفْ

وَاحْلُلْ بِهَـا عَقْـدَ الأَسَـى وَافْلُـلْ بِهَـا حَـدَّ الأَسَـفْ

وَانْقَـعْ بِهَـا غُلَـلَ الْجَـوَى وَابْـرُدْ بِهَـا حَـرَّ اللَّهَـفْ

وَانْقَـذْ لأَحْكَـامِ الْحَكِـي مِ، فَـذَاكَ عُنْـوَانُ الشَّـرَفْ

وَتَبَـوَّأَنْ عُـرْفَ الرِّضَـى فَلَقَـدْ سَمَـتْ نِلْـكَ الْغُـرَفْ

حرف القاف

قال عليه، فيمن ألقى أزمة العقد والحل إليه، المولى أبي علي الحسن اليوسي وقد زاره عند نزوله بصنهاجة:

بِكَ هَذَا الْمَكَـانُ يَـا مَـنْ فِرَاقُـهْ هَالَنَـا، زَالَ نَحْسُـهُ وَمُحَاقُـهْ

قَـدْ أَقَـامَ لِكَوْنِكُـمْ فِيـهِ عُرْسـاً فَتَحَلَّـتْ بِثَلْجِـهِ أَطْوَاقُـهْ

وَتَغَنَّـتْ رِيَاحُـهُ النُّكْبُ لَحْنـاً أَرْقَصَ الْغُصْنَ بِالْحُسَيْـنِ عِرَاقُـهْ

مَنْ لِصَنْهَاجَةٍ بِوَصْلِ ابْـنِ مَسْعُـو دِالإِمَـامِ الـذِي دَهَـى إِشْرَاقُـهْ

وَسَقَى بَحْـرُهُ الْمَشَـارِقَ مِـنْ بَـعْ دِ الْمَغَـارِبِ مُنْـذُ طَـابَ مَذَاقُـهْ

حَسَـنُ الْعِلْـمِ وَالشَّمَائِـلِ وَالْـأَخْ لاَقِ، حُسْنُ الزَّمَـانِ مِنْـهُ اشْتِبَاقُـهْ

لاَ تَحلَّتْ بِحُسْنِـهِ غَيْـرُ أَيَّـا مٍ، وَفِـي فَاسِنَـا يَكُـونُ اِئْتِلاَقُـهْ

وقال، ولطبعه في الرقة إرقال:

مَنْ لِـي بِأَحْـوَرِ فَاتِـرِ الأَحْـدَاقِ قَدْ صِرْتُ عَبْـدَ جَمَالِـهِ الرَّقْـرَاقِ

ظَبْـيٌ تَمَلَّكَنِـي بِسِحْـرِ لِحَاظِـهِ لاَ عَـنْ مُبَايَعَـةٍ وَلاَ اسْتِحْقَـاقِ

بَدْرٌ مَطَالِعُـهُ قُلُـوبُ ذَوِي الْهَـوَى رِئْـمٌ ثَـوَى بِأَضَالِـعِ الْعُشَّـاقِ

(هَامَتْ) بِهِ زُمَرُ الأَنَـامِ فَمَـا لِمَـنْ أَصْمَتْـهُ أَسْهُـمُ لَحْظِـهِ مِـنْ رَاقِ

كَتَبَتْ بَنَاتُ الْحُسْنِ فِـي وَجَنَاتِـهِ: وَارَحْمَـةٌ لِلْعَاشِـقِ الْمُشْتَـاقِ!

قُمْ فَاسْقِنِي صِرْفَ الْمُـدَامِ وَغَنِّنِـي وَاصْدَحْ بِذِكْـرِ جَمَالِـهِ يَـا سَـاقِ!

وَأَعِدْ عَلَى سَمْعِي - سَلِمْتَ مِنَ الضَّنَـى -: مَنْ لِـي بِأَحْـوَرَ فَاتِـرِ الأَحْـدَاقِ؟

وقال مضمنا بيت أبي الطيب، همى عليه صوب المعرفة الصيب:

أَلاَ مَا لِذَاكَ الظَّبْيِ صَيَّـرَ مُهْجَتِـي دَرِيئَـةَ عَيْنَيْـهِ وَلَـمْ يَتَرَقَّـقِ

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْـقُ قَلْبَـهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِـرْ جُفُونَـهُ يَعْشَـقِ

رَمَانِي فَأَصْمَانِي فَسَحَّـتْ هَوَاطِـلاً دُمُوعِي فَأَذْكَتْ لَوْعَتِـي وَتَحَرُّقِـي

وقال أيضا في المعنى، لا زال باللطف الخفي يعنى:

اللـهَ فِـي قَلْبِـي الـذِي أَصْلَيْتَـهُ بِسَعِيرِ هَجْرِكَ ذِي الْهَجِيرِ الْمُحْـرِقِ

رِفْقاً بِـهِ يَـا أَيُّهَـا الْقَمَـرُ الـذِي لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَغْـرِبٌ عَـنْ مَشْـرِقِ

وكتب على أوراق شعر، لبعض أدباء العصر:

حَيَّـرَ الُّلـبَّ مَـا بِـذِي الـأَوْرَاقِ مِـنْ نَفِيـسٍ لأَلْطَـفِ الْحُـذَّاقِ

إِنْ أَصِفْهَـا بِالْحُسْـنِ وَالإِشْـرَاقِ كُنْـتُ شَبَّهْتُهَـا بِـذَاتِ الْمِحَـاقِ

أَوْ تَكَلَّفْـتُ وَصْفَهَـا بِسِـوَى مَـا لَـاحَ مَـا صُنْتُهَـا مِـنَ الإِغْـرَاقِ

غَيْرَ أَنِّـي أَقُـولُ وَالْحَـقُّ أَوْلَـى بِالْفَتَـى ذِي مَكَـارِمِ الأَخْلَـاَقِ

جَمَعَـتْ مِـنْ نَفَائِـسِ الأَعْلَـاَقِ مَـا يُبَـارِي جَوَاهِـرَ الأَطْـوَاقِ

وقال في عشية ربيع، أذكرته ما تقدم من الشمل الجميع:

وَعَشِيَّـةٍ أَذْكَـى رُوَاؤُ جَمَالِهَـا بَيْـنَ الْجَوَانِـحِ لاَعِـجَ الأَشْـوَاقِ

بَسَطَتْ قَطَائِفُ تِبْرِهَا بِحَدَائِقٍ   مَرْقُومَــةٍ بِزَبَرْجَـدِ الــأَوْرَاقِ

نَدَبَتْ لِرَاحِ الأُنْسِ مَحْرُوقَ الْجَـوَى   بِلَظَى النَّوَى قُمْ هَاتِهَا يَـا سَـاقِ!

وقال مجيبا للأديب اللبيب، أبي الحسن الحاج علي مندوصة التطاوني الأندلسي فيما يظهر من فحواه:

يَا سَلِسَ الأَلْفَـاظِ عَـذْبَ الْمَـذَاقْ   وَابْنَ الأُلَى رَاضُو الْمَذَاكِي الْعِتَـاقْ

وَمَنْ بِهِ تِطْـوَانُ حَسْـبُ اغْتَـدَتْ فِي رَوْنَقٍ تُزْرِي بِشِعْـبِ الْعِـرَاقْ

لِلَّـهِ مَـا أَطْلَعَـتْ مِــنْ أَنْجُــمٍ   أَدْرَكَ بَـدْرَ الأُفْـقِ مِنْهَـا الْمُحَـاقْ

دَعَوْتَنِـي لِلْأُنْـسِ فِـي (رَوْضَـةٍ) طَـابَ نَسِيـمُ الأُنْـسِ فِيهَـا وَرَاقْ

لَبَّيْـكَ يَـا بَـدْرَ (الْعُـلاَ) وَالنَّـدَى فَلاَ دَهَـاكَ الدَّهْـرَ وَشْـكُ الْفِـرَاقْ

وقال أيضا في شجرة برقوق أسود:

وَذَاتُ غُصُــونٍ بِإِبْرَاقِهَـــا   تَهِيــجُ صَبَابَــةَ عُشَّاقِهَـــا

تُلاَحِظُنَـــا بِعُيُــونِ الظِّبَـــا   ءِ أَشْفَـــارُ سُنْـــدُسٍ أَوْرَاقِهَـــا

إِذَا رَآءهَامَــنْ بَــرَاهُ الْجَــوَى   سَـلاَ مَــنْ سَبَتْــهُ بِأَحْدَاقِهَـــا

وقال أيضا فيها، ولها حكاية غريبة:

وَمُثْمِــرَةٍ بِعُيُــونِ الظِّبَـــاءِ   تَحَلَّــتْ بِسُنْــدُسٍ أَوْرَاقِهَـــا

إِذَا رَآءهَـا مَــنْ بِــهِ شَجَــنٌ   حَبَتْــهُ السُّــرُورَ بِإِيرَاقِهَـــا

وقال في أصيل، مالت الأغصان بنسيمه العليل، وغنى هزارها بما يعطف القلوب ويميل:

وَافَى الأَصِيـلُ مُذَهَّـبَ الأَطْـوَاقِ يَخْتَالُ فِـي حُلَـلٍ مِـنَ الإِشْـرَاقِ

أَشْجَى بِبَهْجَتِـهِ الْهَـزَارَ وَغُصْنَـهُ   فَشَدَا وَمَاسَ، وَذِي حُلَـى الْعُشَّـاقِ

وقال أيضا فيه:

أَبْدَى الأَصِيـلُ شَمَائِـلَ الْعُشَّـاقِ شَـدْواً وَرَقْصـاً وَالْتِـزَامَ عِنَـاقِ

لَـمْ يَبْتَسِـمْ بَيْـنَ الْبِطَـاحِ مُسَلِّمـاً   حَتَّى بَكَى (فَـوْقَ الرُّبَـى لِفِـرَاقِ)

وقال فيه وولدا معنى، رفع الإبداع عقيرته به فغنى:

جَـاَء الأَصِيـلُ بِمَنْظَـرٍ رَقْـرَاقِ يَقْضِي عَلَـى الْعُشَّـاقِ بِالأَشْـوَاقِ

لَمْ يَبْتَسِمْ عَنْ عَسْجَدٍ فَـوْقَ الرُّبَـى   حَتَّى بَكَـى بِـدَمٍ عَلَـى الـأَوْرَاقِ

وقال فيه أيضا:

لَبِـسَ الأَصِيـلُ مُـلاَءةً مُوشِيَّــةً بِنُضَــارِهِ وَزُمُــرُّدِ الــأَوْرَاقِ

وَوَشَى النَّسِيمُ بِسِرِّ أَزْهَـارِ الرُّبَـى   هَلْ مِنْ كُؤُوسِ مَسَرَّةٍ يَـا سَـاقِ؟!

وقال وقد اكتحل بالسهاد، وجفاه طيب الرقاد:

جَفْنِــي ابْتُلِــي بِالــأَرَقِ لِلَّــهِ جَفْنِــي مَــا لَقِــي!

وَطَـــالَ لَيْلِــي فَشَقِــي قَلْبِــي بِنَــارِ حُرَقِــي

صِحْـتُ أَسـىً فِـي الْغَسَـقِ   ذَا كَلِــــفٍ وَقَلَــــقِ

يَــا دَهْمَــةَ اللَّيْــلِ ارْفِقِــي   بِمَــا بَقِـي مِــنْ رَمَــقِ!

يَــا لَيْـتَ طُـولَ أَرَقِــي يَعْلَــمُ كَــمْ مِنْــهُ بَقِــي!

وَهَلْ لَهُ مِنْ فَلَقِ؟

وقال أيضا:

بِرُوحِـي مَـنْ أَوْدَى بِعَقْلِـي حُبُّـهُ وَلَمْ تَسْلُنِي عَنْـهُ كُـؤُوسُ رَحِيـقِ

يُوَاصِلُنِي حَتَّى أَفِيقَ مِـنَ الْجَـوَى   وَيَهْجُرُنِـي حَتَّـى أَغَـصَّ بِرِيـقِ

غَدَوْتُ بِهِ مِـنْ وَصْلِـهِ وَصُـدُودِهِ بِـدَارِ نَعِيـمٍ أَوْ عَـذَابِ حَرِيـقِ

وقال يخاطب الأديب الحسيب، السيد الفاضل، صالح بن المولى المعطي أحد الأعيان، من أولاد القطب سيدي محمد الشرقي - نفع الله به - جوابا عن بيتين طلب منه بهما أن يقرئه لامية الإمام الزقاق وهما:

يَا مَنْ رَقَى رُتَـبَ الأُلَـى السُّبَّـاقِ وَعَـلاَ عَلَـى النُّبَـلاَءِ وَالْحُــذَّاقِ

عَجِّـلْ بِتَعْلِيمِـي الـذِي أَمَّلْتُــهُ   مِنْ نَظْمِ مَوْلاَنَـا الرِّضَـى الزَّقَّـاقِ

ونص الجواب:

يَـا ذَا الْكَمَـالِ الْبَاهِـرِ الإِشْـرَاقِ وَابْنَ الأُلَى نَفُسُوا عَلَـى الإِطْلاَقِ

إِنَّ ابْـنَ زَاكُـورٍ بِمَدْحِـكَ حَائِـزٌ رُتَبـاً تَفُـوقُ مَرَاتِـبَ السُّبَّــاقِ

أَبْقَاكَ مَنْ أَرْقَاكَ تَخْلُفُ مَنْ مَضَـى كَسُمَاكَ يَا ابْنَ الطَّيِّبِ الأَعْـرَاقِ!

وقال وقد خرج من مكناسة لزيارة مولاي أبي يعزى وصدر الأول للصالح بن المعطي:

يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَـارِ سَيِّدِنَـا مُحَمَّدٍ مَنْ سَرَى لَيْـلاً إِلَـى الأُفُـقِ

عَلَيْهِ أَزْكَـى صَلـاَةٍ مِنْـكَ دَائِمَـةٍ مَا شَقَّ عَضْبُ صَبَاحٍ فَرْوَةَ الْغَسَـقِ

اِجْعَلْ خُطَانَا خُطَى مَنْ قَالَ مَطْلَبُـهُ لَهُ: هَنِيئـاً مَرِيئـاً قَوْلَـةَ الْوَمَـقِ

وقال فيه:

نَحْنُ قَوْمٌ إِنْ غَـابَ عَنَّـا السَّاقِـي بَلَغَـتْ نَفْـسُ أُنْسِنَـا لِلتَّرَاقِــي

وَتَلَظَّــتْ أَنْفَاسُنَــا وَقَسَـــتْ أَنْفُسُنَا مِنْ فِـرَاقِ خَمْـرِ التَّلاَقِـي

فَأَدِرْهَا يَـا ابْـنَ الْكِـرَامِ أَبَـا يَـعْ زَى عَلَـى سِرِّنَـا بِكَـأْسٍ دِهَـاقِ

وَاسْقِنَـا خَمْـرَةً نَظَـلُّ بِهَـا نَـجْ نِي جَنَى الْمَلَكُوتِ فَـوْقَ الطِّبَـاقِ

وَنَحُوزُ بِهَا الْمَـدَى حِيـنَ لاَ يَـحْ وِي الْمَدَى مِنْ فَتىً سِـوَى السُّبَّـاقِ

وَأَثِبْ ذِي الْخُطَى الَّتِـي أَوْصَلَتْنَـا لِحِمَـاكَ الْمَعْلُـولِ بِالإِشْــرَاقِ

بِالَّـذِي تَقْتَضِيـهِ مِنْـكَ الْمَزَايَـا وَالسَّجَايَـا الْكَرِيمَــةُ الأَعْــرَاقِ

وَمُنـىً قَـدْ أَطَـرْنَ نُحْـوَكَ قَلْبـاً مُدْرَجـاً فِـي لَفَائِـفِ الأَشْــوَاقِ

إِنَّهَـا وَعُلــاَكَ قَــدْ أَوْرَدَتْـــهُ مَنْهَلَ الْفَضْلِ وَهْوَ عَـذْبُ الْمَـذَاقِ

وَأَرَتْـهُ مِـنَ الْمَكَـارِمِ رَوْضــاً مُثْمِــراً بِمَكَـارِمِ الأَخْلــاَقِ

هَبْ لَهْ أَجْـزَلَ الْمَوَاهِـبِ، حَتَّـى لاَ يَخَافُ، الْمَرْهُـوبَ مِـنْ إِمْلـاَقِ

وَأَنِلْـهُ مِــنَ الذَّخَائِــرِ مَــالاً يَخْتَشِـي فِيـهِ غِيلَــةَ السُّـرَّاقِ

فَالذِي عِنْدَكُمْ مِـنَ الْفَضْـلِ لاَ يَـنْ فِـدُ، وَالْمَـرْءُ ذُو هَـوىً تَــوَّاقِ

وَأَبُوكُــمْ أَبُــو شُعَيْبٍشَفِيعِـــي لِعُلاَكُـمْ مَـعَ الصَّفِـيِّ الْعِرَاقِـي

ذَلِكَ الِقُطْـبِ سَيِّـدِي عَابِـدِ الْقَـا دِرِحِبِّكُـمْ فِـي رِضَـى الْخَـلاَّ قْ

يَا لَهُ صَاحِبـاً وَيَـا لَـهُ مَصْحُـو بـاً وَيَـا لَكُـمْ مَلْجَــأً لِلرِّفَــاقِ

صُحْبَـةٌ طَهَّـرَ الإِلَــهُ ثَرَاهَــا مِـنْ خَبَـالٍ وَدُلْسَــةٍ وَشِقَــاقِ

صُحْبَـةٌ نَـزَّهَ الإِلَـهُ سَنَاهَـا   عَنْ دُجَـى كُـلِّ صَاحَـبٍ مَـذَّاقِ

صُحْبَـةٌ بَنَـتْ قُرْبَـةً لَحَظَتْهَـا نَفَحَـاتُ الإِلَـهِ بِالأَحْـــدَاقِ

كَثَّـرَ اللــهُ فَضْلَكُـمْ وَسَقَانَـا   بِيَدَيْكُـمْ كَـأْسَ الْمَعَانِـي الرِّقَـاقِ

وَأَدَامَ أَزْكَى الصَّلَـاةِ عَلَـى الْمُخْ تَارِ طَـهَ كَالْمِسْـكِ فِـي الأَحْقَـاقِ

وَعَلَــى آلِــهِ وَأَصْحَابِـــهِ طُـ   رًّا وَأَتْبَاعِهِــمْ بِحُسْــنِ اتِّفَــاقِ

وقال في مقام سيدي محمد الشرقي:

لَئِنْ غَرُبَتْ شَمْسٌ تَبَدَّتْ مِنَ الشَّرْقِ   فَفِي الْغَرْبِ شَمْسٌ لاَ تَغِيبُ مِنَ الشَّرْقِي

لَهَا بِأَبِـي الْجَعْـدِ الرَّفِيـعِ مَطَالِـعٌ   تُبَارِي بِهَا الشَّمْسَ الْمُنِيـرَةَ بِالأُفْـقِ

هَلُمُّوا إِلَيْهَا يَا بَنِـي الْحَـاجِ إِنَّهَـا تُدِرُّ بِأَمْطَارٍ غِـزَارٍ مِـنَ الـرِّزْقِ

فَلِلَّهِ شَمْسٌ تُمْطِـرُ الْفَضْـلَ وَابِـلاً   بِلاَ مِنَّةٍ، حَاشَا نَدَاهَـا مِـنِ الرَّنْـقِ

أَلاَ إِنَّهَا شَمْـسُ الْفَضَائِـلِ وَالْعُـلاَ   أَلاَ إِنَّهَا شَمْـسُ الْحَقَائِـقِ وَالْحَـقِّ

أَلاَ إِنَّهَا تَجْلُو الْقُلُوبَ مِـنَ الصَّـدَى   كَمَا قَدْ جَلاَ سَاجِي الدُّجَى سَاطِعُ الْبَرْقِ

لِذَلِكُـمْ هَـذَا الْعُبَيْـدُ أَتَـى أَبَـا عُبَيْدٍ عُبَيْـدِ الزَّائِرِيـنَ ذَوِي الـرِّقِّ

يُرَجِّي (نَدَاهُ) وَالنَّدَى عَبْـدُ ضَيْفِـهِ   وَيَسْتَمْطِرُ الْفَضْلَ الْغَزِيرَ وَيَسْتَسْقِـي

أَلاَ يَا سَحَابَ الْجُودِ مِنْ أُفْـقِ كَفِّـهِ   أَسِيلِي عَلَيْنَا جُودَ فَضْلٍ بِـلاَ مَـذْقِ

وَسُحِّـي عَلَيْنَـا بِالْهِدَايَـةِ وَالتُّقَـى   وَرَوِّي حَشَانَا بِالْمَعَـارِفِ وَالصِّـدْقِ

وَهُبِّي عَلَيْنَـا يَـا (مَعَارِفَـهُ) بِمَـا نَحُوزُ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى قَصَبَ السَّبْـقِ

بِجَاهِكَ عَنْـدَ اللـهِ وَهْـوَ مُعَظَّـمٌ أَثِبْ بِالـذِي أَمَّلْتُـهُ فِيكُـمُ نُطْقِـي

وَأَسْعِدْ خُطَانَا إِنَّهـا أَشْقَـتِ الْفَـلاَ   وَحَاشَاكَ أَنْ تَشْقَى لَدَيْكَ وَأَنْ تُشْقِـي

إِذَا أَرْشَدَ الْخَلاَّقُ جَـلَّ امْـرَءاً إِلَـى   سَعِيدٍ، فَذَاكَ الْمَرْءُ مِنْ أَسْعَدِ الْخَلْـقِ

حَنَانَيْكَ فَاسْتَبِـقِ الْقُـوَى بِنَوَالِكُـمْ   فَإِنَّ دَؤُوبَ السَّيْـرِ لَيْـسَ بِمُسْتَبْـقِ

وَرَضِّ رَسُـولَ اللـهِ عَنَّـا فَإِنَّـهُ   عَلَيْهِ صَلاَةُ اللّهِ أَرْأَفُ مِـنْ يُبْقِـي

وقال عن إذن الشريف أبي عبد الله الصقلي:

جُوزِيتَ عَـنْ آلِ النَّبِـيِّ الصَّـادِقِ خَيْرِ الْجَزَاءِ جَـزَاءِ صَـبٍّ وَامِـقِ

يَهْوَى النَّبِـيَّ وَآلَـهُ وَيَـذُودُ عَـنْ أَعْرَاضِهِمْ مَنْ رَامَهَـا مِـنْ فَاسِـقِ
عَدَّلْتَهُمْ إِنْ كُنْـتَ مِـنْ أَنْصَارِهِـمْ لَمَّـا بَـدَا تَجْرِيحُهُـمْ مِـنْ مَـارِقِ
لاَ تَعْدِمَــنَّ مَسَــرَّةً مَوْصُولَــةً بِمَسَـرَّةٍ أُخْـرَى أَعِبْـدَ الْخَالِــقِ
ومنه:
إِلَيْـكَ وَسِيلَتِـي أَزْكَـى الْخَلاَئِـقْ وَمَـنْ أَوْلَيْتَـهُ أَسْنَـى الْخَلاَئِــقْ
كَمَـا أَلْبَسْتَنِــي أَبْــرَادَ بُــرْءٍ وَعَافِيَــةٍ وَحَقَّقْــتَ الْحَقَائِــقْ
ومنه في التحذير:
أَبْنَـاءُ فَــاسٍ مَــنْ يُفَارِقُهُــمْ يُبْقِــي عَلَيْــهِ السِّتْرَ خَالِقُهُــمْ
أَبْنَـاءَ فَــاسٍ فَارِقُــوا فَهُــمُ يَسْعَـدُ عِنْـدِي مَــنْ يُفَارِقُهُــمْ
تُدَنِّـسُ الأَعْــرَاضَ خُلْطَتُهُــمْ وَتَكْلَــمُ الدِّيــنَ مَرَافِقُهُــمْ
يُبْـدُونَ تَرْحِيبـاً وَمَـا اشْتَمَلَــتْ إِلاَّ عَلَــى الشَّــرِّ مَفَارِقُهُــمْ
ظَاهِرُهُـمْ أَرْيٌ صَفَــا وَحَــلاَ وَالشَّـرْيُ مَـا يَشْتَــارُ ذَائِقُهُــمْ
لَيْـسَ لَهُـمْ إِلاَّ النِّفَــاقُ حُلــىً وَالْخَـبُّ سِيمَـا مَــنْ يُرَافِقُهُــمْ
رَائِدُهُــمْ كَيْــدٌ وَصَاحِبُهُــمْ خَـبٌّ، وَمَحْضُ الْمَكْـرِ سَائِقُهُمْ
لِــذَاكَ لاَ يَسْلَــمُ صَاحِبُهُــمْ إِلاَّ إِذَا كَـــانَ يُنَافِقُهُـــمْ
وَفِـي النِّفَـاقِ الْخُبْـثُ مُدَّغَـمٌ يُـورِثُ ذُلاًّ مَــنْ يُخَالِقُهُــمْ
فَالْحَــزْمُ عِنْــدِي أَنْ أُنَابِذَهُــمْ وَلاَ أُرَى الدَّهْــرَ أُصَادِقُهُــمْ
وَأَبْـذُلَ النُّصْـحَ لِكُــلِّ فَتــىً (غِـرّاً) نَبَـتْ عَنْــهُ حَقَائِقُهُــمْ
كَـيْ لاَ يُـرَى يَوْمــاً لِغِرَّتِــهِ تَخْدَعُــهُ مَكْـراً (بَوَارِقُهُــمْ)
وَأُرْشِـدَ السَّاهِــي خِيفَــةَ أَنْ تَطْرُقَــهُ يَوْمــاً طَوَارِقُهُــمْ
فِـي مِحَـنٍ جَلَّـتْ وَفِـي تَعَـبٍ مَـنْ كَـانَ تَغْوِيــهِ مَخَارِقُهُــمْ
وَعَـنْ سَبِيـلِ الرُّشْــدِ مُنْتَبَــذٌ مَـنْ لَـمْ تَضِقْ عَنْـهُ طَرَائِقُهُـمْ
وَفِـي يَـدِ الأَحْــزَانِ مُرْتَهَــنٌ شَخْــصٌ تُغَادِيــهِ بَوَائِقُهُــمْ
وقلت في خطاب الأول:

يَا أَخِي الصَّالِحَ الْكَثِيرَ السِّبَاقِ   فِي مَدَى حَائِزِي الْمَعَانِي الرِّقَاقِ
أَطْرَبَتْنِي أَلْفَاظُكُمْ وَقَدِيماً أَطْرَبَتْنِي نَفَائِسُ الأَعْلَاقِ
أَعْجَبَتْنِي أَبْيَاتُكُمْ وَقَدِيماً أَعْجَبَتْنِي جَوَاهِرُ الأَطْوَاقِ
ضَاعَ قُسْطُ السَّلَامِ مِنْهَا وَقَدْ أَحْ   رَقَهُ نَارُ مِجْمَرِ الأَشْوَاقِ
وَأَثَارَتْ مَا لَمْ يَكُنْ - عَلِمَ اللَّ هُ - لِيُخْمِدَ مِنْ لَهِيبِ اشْتِيَاقِي
غَيْرَ أَنِّي نَسِيتُ طُولَ الْفِرَاقِ إِذْ تَنَسَّمْتُ عَرْفَ قُرْبِ التَّلَاقِي
وَرَجَوْتُ الإِلَهَ سُبْحَانَهُ فِي رَفْعِ تَعْذِيبِنَا بِنَارِ الْفِرَاقِ

وسئلت عن كشف معمى وقع في شعر بما نصه:

فقلت:

بَيَانُ اسْمِهِ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ فَصَدِّقِ   بِحُكْمِ اخْتِيَارٍ، بَخْتِيَارٌ بِمَشْرِقِ
فَذَا نِصْفُهُ (بَخْتٌ) وَلَوْ كَانَ لِي رَنَا   إِلَيَّ الذِي أَهْوَى بِمُقْلَةِ مُشْفِقِ
وَلَوْ كَانَ لِي رَأْيٌ وَذَا عَكْسُ مَا بَقِي   دَعَانِي إِلَى رُشْدِي فَلَمْ أَتَعَشَّقِ
دَعَوْتَ إِلَى رُشْدٍ وَدُمْتَ مُسَدَّداً وَأَنْتَ عَلَى الْعَلْيَاءِ تَاجٌ بِمَفْرِقِ

وقلت فيه:

يَقُولُ الْمُعَنَّى لِلذَّكِيِّ الْمُحَقِّقِ مَحَلُّ اخْتِيَارِي بَخْتِيَارٌ بِمَشْرِقِ
فَلَوْ كَانَ لِي (بَخْتٌ) وَذَا نِصْفُهُ رَنَا   إِلَيَّ بِعَيْنِ الْعَاشِقِ الْمُتَمَلِّقِ
وَلَوْ كَانَ لِي رَأْيٌ كَعَكْسِ الذِي بَقِي   هُدِيتُ فَلَمْ أُبْصِرْ جَمَالاً لأَخْرَقِ

وقلت فيه أيضا:

أَقُولُ وَحَمْدُ اللهِ أَوَّلُ مَنْطِقِي فَفِي (بَخْتِيَارٍ) اِخْتِيَارُكَ فَانْتَقِ
فَنِصْفُ اسْمِهِ (بَخْتٌ) وَلَوْ كَانَ لِي غَدَا حَبِيبِي مُحِبّاً لِي عَظِيمَ التَّعَشُّقِ
وَلَوْ كَانَ لِي عَكْسٌ (لِيَارٍ) الذِي بَقِي   وَذَلِكَ رَأْيٌ لَمْ أُحَرَّقْ بِأَخْرَقِ

وقلت فيه أيضا:

أَلاَ فَالذِي تَسْمُو إِلَيْهِ وَتَرْتَقِي   أَلاَ بَخْتِيَارٌ، اِسْمُ ذَاكَ الْمُمَزَّقِ
فَنِصْفَاهُ: (بَخْتٌ) ثُمَّ (يَارٌ) وَعَكْسُ ذَا لِمَنْ رَامَهُ رَأْيٌ بِهِ الْمَرْءُ يَتَّقِي
وَبِخْتُكَ يُدْنِي مِنْكَ كُلَّ مُمَنَّعٍ وَرَأْيُكَ يَنْفِي عَنْكَ ذُلَّ التَّعَشُّقِ

فَلاَ تَتَعَشَّـقْ غَيْـرَ سَعْـيٍ لِرَاحَـةٍ تَدُومُ، وَوَصْلٍ مَا لَـهُ مِـنْ تَفَـرُّقِ

وقلت فيه:

إِذَا أَنْتَ لَفَّقْتَ الـذِي قَالَـهُ الشَّقِـي تَجِدْ (بَخْتِيَاراً) اِسْـمَ ذَاكَ الْمُمَـزَّقِ

فَنِصْفُ اسْمِهِبَخْتٌ، وَعَكْسُ الذِي بَقِي وَذَلِكَ (يَارٌ) رَأْيُ مَـنْ لَـمْ يُحَمَّـقِ

وَلَمْ يَتَعَشَّقْ مَـنْ سَيُمْسِـي مُمَزَّقـاً بِأَيْدِي الْبِلَى فِي التُّرْبِ كُلَّ مُمَـزَّقِ

حرف السين

قال عليه، أحسن الله تعالى إليه، يمدح مولانا إدريس بن عبد الله وقد زار مقامه العالي ومثواه:

أَعْضَلَـتْ عِلَّتِـي فَجِئْـتُ رَئِيسَـا فَاقَ فِي الطِّـبِّ أَرِسْطَـا طَالِيسَـا

وَقَصَـدْتُ رُكْـنَ السِّيَـادَةِ مَـوْلاَ نَا ابْنَ مَنْ أَسَّسُوا الْهُـدَى تَأْسِيسَـا

وَانْتَجَعْتُ مُـزْنَ الْغَائِـبِ مَـنْ أَحْ يَى بِغَرْبٍ رَبْـعَ الرَّشَـادِ الدَّرِيسَـا

وَأَمَّمْتُ كَنْـزَ الْغِنَـى عَيْـنَ أَعْيَـا نِ السُّـرَاةِ بَحْـرَ النَّـدَى إِدْرِيسَـا

شَمْـسَ مَنْجَاتِنَـا، فَبَعْـضُ سَنَـاهُ مَاحِقٌ كُـلَّ مَـا اقْتَضَـى تَنْكِيسَـا

فَـرْعَ عَبْـدِ الإِلَــهِ وَالْحَسَنَيْــنِ وَالْوَصِـيِّ أَبْـدَوْا سَنَـاهُ شُمُوسَـا

وَالْبَتُولاِبْنَـةِ الرَّسُـولِ عَلَيْـــهِ ال لَّهُ صَلَّـى، سَقَـتْ عُلاَهُ كُؤُوسَـا

لاَ تَلُمْنَـا لــأَنْ قَصَدْنَــاهُ إِنَّــا قَـدْ قَصَدْنَـا بِـهِ خَلِيفَـةَ عِيسَـى

وَالـذِي تَفْضُـلُ الأَكَـارِعُ إِذْ تَـخْ طُو عَلَى أَرْضِهِ الطُّلَى وَالرُّؤُوسَـا

قَـدْ سَعَـى وَفْدُنَـا إِلَيْـكَ أَمَـوْلاَ يَ أَمَوْلَى الْكِـرَامِ مُجْلِـي الْبُوسَـا

بِابْنِكُـمْ جَارِنَـا الرِّضَـى إِدْرِيسَـا إِعْنِنَا عَـنْ أَعْمَـالِ: نِعْـمَ وَبِيسَـا

وَانْـفِ عَنَّـا التَّلْبِيـسَ وَالتَّدْلِيسَـا فَعَسَـى لاَ نَـرَى عَذَابـاً بِيسَـــا

وَلْتُفِدْنَـا مِـنَ الْمَوَاهِـبِ مَـا بَـغْ لِـبُ فَيْـضُ زُلاَلِـهِ الْقَامُوسَـا

عَاطِنَا خَمْرَةَ الْغِنَـى مِنْـكَ حَتَّـى لاَ نَخَـافَ الإِعْسَـارَ وَالتَّفْلِيسَـــا

وَاغْذِنَا مِنْ غِـذَاءٍ حُلْـوِ الأَمَانِـيمَـا يُجِيـدُ الْكَيْلُـوسَ وَالْكَيْمُوسَـا

وَاسْقِنَا مِنْ كُـؤُوسِ بِـرِّكَ وَاخْلَـعْ مِنْ نَسِيجِ الرِّضَـى عَلَيْنَـا لَبُوسَـا
وَارْوِ حَـرَّ الْحَشَـا بِجَـدْوَاكَ رِيّـاً لَمْ يَدَعْ فِـي الْفُـؤَادِ مِنَّـا رَسِيسَـا
لاَ تُضَيِّعْ خُطىً وَصَلْنَا بِهَـا مَـثْ وَاكَ مَثْوَى السَّنَا الْمُزِيـحِ النُّحُوسَـا
فَرَأَيْنَـا السَّنَـا بِــهِ مُسْتَطِيــراً وَرَأَيْنَـا الْجَلاَلَ فِيــهِ جَلِيسَــا
وَسَلاَمٌ مِـنْ عَبْدِكُـمْ نَجْـلِ زَاكُـو رٍ، عَلَى الْقَبْـرِ لاَ يَـزَالُ حَبِيسَـا
عَاطِـرٌ نَشْـرُهُ كَنَشْــرِ ثَرَاكُــمْ مَا حَـوَى الْمَجْـدُ قَبْرَكُـمْ عِرِّيسَـا
وَالصَّلاَةُ عَلَى أَبِـي الْقَاسِـمِ الْمُخْ تَـارِ مَـنْ قَـدْ حَبَاكُـمُ التَّقْدِيسَـا
أَنْفَسِ الْخَلْـقِ كُلِّهِـمْ مَـنْ بِـهِ يَـا دُرَّةَ الطَّاهِرِيـنَ كُنْــتَ نَفِيسَــا

وقال عند زيارة سيدي ابن عيسى:

إِنَّ تُرْبَ لَيْثِ السُّرَاةِ ابْـنِ عِيسَـى مُسْجِـدٌ مِـنْ جَلاَلِــهِ بَلْقِيسَــا
تَحْسِبُ الأُسْـدُ مِـنْ مَهَابَـةِ مَثْـوَاهُ تَخِــذْنَ أَكْنَافَــهُ عِرِّيسَـــا

وقال وقد زار شيخه منار العرفان ومداره، ومطاف الهدى ومزاره، أبا علي الحسن بن مسعود أبقاه الله حليا في جيد الوجود:

إِيــهِ فَالْعِـزُّ قَـدْكَ مِـنْ تَدْلِيــسِ لَيْـسَ بَيْـنَ الْمَقِيـلِ وَالتَّعْرِيــسِ
إِنَّمَا الْعِزُّ فِي الرَّحِيـلِ فَبَطْـشُ ال لَّيْثِ لَيْـسَ يُحَسُّ فِـي الْعِرِّيـسِ
زَعَمَتْ إِذْ تَيَقَّنَـتْ صِـدْقَ سَيْـرِي أَنَّنِي قَـدْ رَضَعْـتُ ثَـدْيَ الْبُـوسِ
مَـا دَرَتْ لاَ دَرَتْ قَضَايَـا عِتَابِـي إِنَّ قَصْدِي انْتِجَاعُ غَيْـثِ الْيُوسِـي
الإِمَـامُ الـذِي يَحِـقُّ لَـهُ السَّـعْ يُ - وَحَقِّ عُلاَهُ - فَوْقَ الـرُّؤُوسِ
الْهُمَامُ الذِي ضِيَـاءُ الْهُـدَى يَـسْطَعُ مِنْهُ سُطُوعَ ضَـوْءِ الشُّمُـوسِ
شَيْخُنَـا أَفْضَـلُ الشُّيُـوخِ وَمَـا أَدْ رَاكَ مَـا شَيْخُنَـا بَهَـاءُ الـدُّرُوسِ
شَيْخُنَـا بَاهِـرُ الشُّيُـوخِ بِفَضْـلٍ فَاضَ فَيْضاً أَرْبَى عَلَـى الْقَامُـوسِ
شَيْخُنَـا كَعْبَــةُ الْفَضَائِــلِ لاَ زَا لَـتْ مَطَافـاً (لِمُغْـرَمٍ) بِالنَّفِيــسِ
قَـدْ قَصَدْنَـاكَ وَالْفَلاَحَ قَصَدْنَــا بِـكَ وَالرُّشْـدَ يَـا مُنِيـرَ الـتُّـوسِ
قَـدْ قَصَدْنَـاكَ وَالنَّجَـاحَ قَصَدْنَـا بِكَ وَالـرِّيَّ مِـنْ أَجْـلِ الْكُـؤُوسِ

قَـدْ قَصَدْنَـاكَ وَالنَّجَـاةَ قَصَدْنَـا بِـكَ مَوْلَـايَ مِـنْ عَـذَابِ بِيـسِ

قَـدْ قَصَدْنَـاكَ وَالْخَلَـاصَ قَصَدْنَـا بِـكَ مِـنْ أَكْبَـرِ الْعِـدَا إِبْلِيـسِ

قَدْ قَصَدْنَـاكَ وَالْغِنَـى قَـدْ قَصَدْنَـا بِكَ عَـنْ عَـارِضٍ دَنِـيٍّ خَسِيـسِ

قَـدْ قَصَدْنَـاكَ وَانْتِفَاعـاً قَصَدْنَـا مِنْـكَ عِنْـدَ التَّدْوِيـنِ وَالتَّدْرِيـسِ

قَـدْ قَصَدْنَـاكَ وَانْتِصَـاراً قَصَدْنَـا مِنْكَ فِـي حَـرْبِ حَاقِـدٍ مَنْكُـوسِ

قَـدْ قَصَدْنَـاكَ وَالشِّفَـاءَ قَصَدْنَـا مِنْكَ مِمَّاحَوَى الْحَشَا مِـنْ رَسِيـسِ

قَدْ قَصَدْنَا مِنْكُـمْ طَبِيـبَ النُّفُـوسِ لاَ طَبِيـبَ الْكَيْلُـوسِ، وَالْكَيْمُـوسِ

وَظَفِرْنَـا بِكُـمْ بِــآسِ الْمَعَالِــي لاَ بِــآسٍ يُعْــزَى لِجَالَيْنُــوسِ

هَـبْ لَنَـا مِـنْ حَلـاَوَةِ التَّأْنِيـسِ مَـا يُنَسِّـي مَــرَارَةَ التَّنْكِيــسِ

وَاسْقِنَا مِـنْ سَكَنْجَبِيـنِ (الْمَعَانِـي) مَا يُلِينُ احْتِبَـاسَ بُـؤْسِ النُّفُـوسِ

وَاحْمِنَـا مِـنْ نُفُوسِنَـا، إِنَّهَـا قَـدْ حَارَبَتْنَـا، وَلاَ كَحَـرْبِ الْبَسُـوسِ

وَأَرَادَتْ سَلْـبَ الـذِي أَسْبَــلَ ال لَّهُ عَلَى الْعِرْضِ مِنْ جَمِيلِ اللَّبُـوسِ

نَظْـرَةٌ فِـي أَبِـي عَلِـيٍّ كَفَتْنَــا شُرْبَةً مِـنْ أَبِـي عَلِـيِّ الرَّئِيـسِ

دَامَ، وَالْنُّـورُ مِـنْ هُـدَاهُ يُرِيــهِ بَـدْرَ مَجْـدٍ بِمَطْلَـعِ التَّقْدِيــسِ

وقال ﷺ أبي يعزى وقد بهره بر أشهر عقبهأبي العباس أحمد بن صابر:

يَا أَبَـا يَعْـزَى يَـا مُعِـزَّ النَّـاسِ! يَـا مُذِيبــاً لِبَاتِــرَاتِ الْبَــاسِ

قَدْ حَثَثْنَا الرَّحِيلَ مِـنْ أَرْضِ فَـاسِ نَرْتَجِـي مِنْـكَ عَاطِـرَ الأَنْفَـاسِ

فَأَفَـاضَ الإِكْـرَامَ فَيْـضَ بِحَــارٍ نَجْلُـكَ الْمُتْرَتَضَـى أَبُـو الْعَبَّـاسِ

الْهُمَامُ الـذِي يُـرَى بَيْـنَ عَيْنَـيْ هِ سُطُـوعُ السَّنَـا كَمَـا النِّبْـرَاسِ

صَابِـرٌ لِلْوُفُــودِ مِثْــلُ أَبِيــهِ سَيِّـدِي صَابِرٍسَنَــا الأَغْلَــاسِ

فَاخْصُصْنْـهُ بِسِرِّكُـمْ إِنَّــهُ أَوْ لَـى بِذَلِكُـمْ مِـنْ جَمِيـعِ النَّـاسِ

قَـدْ أَحَلَّـتْ جَمِيعَنَـا دَارُ سُكْنَــا هُ ذَرَاهَـا وَلَـمْ يَكُــنْ بِالنَّــاسِ

وَحَبَانَـا مِـنْ أُنْسِــهِ بِالأَمَانِــي فَالـآنَ مِنَّـا الـذِي هُـوَ قَــاسِ

وَأَتَانَـا مِـنْ أَجْلِكُـمْ كُـلُّ خَيْــرٍ وَسَقَانَـا مِـنْ بِـرِّهِ كُـلَّ كَــاسِ

فَـأَدرُّوا عَلَيْـهِ سُحْـبَ نَدَاكُــمْ إِنَّـهُ الْمُطْعِـمُ الْمُنِيـلُ الْكَاسِـــي

وَجـَزَاكَ الإِلَـهُ عَنَّــا أَمَــوْلاَ يَ جِنَـانَ الْعُـلاَ خَيْـرَ مُــوَاسِ

فَبِحَقِّـهِ عِنْدَكُــمْ يَــا مَلَــاذِي يَحْتَمِي عِرْضُنَـا مِنَ الأَدْنَـاسِ

وَنُوَقَّــى مَكَائِــدَ الْخَنَّـــاسِ وَنَرْقَـى بِالرَّغْـمِ مِنْ أَرْجَــاسِ

وَبِقُرْبِـهِ مِنْكُـمْ وَهْــوَ إِمْــرٌ لاَ تَكُـنْ عَـنْ مَطَالِبِـي ذَا تَنَـاسِ

وَارْوِ حَـرَّ إِعْسَارِنَــا بِنَدَاكُــمْ إِنَّـهُ مُبْرِئِــي مِــنَ الإِفْلَــاسِ

وَعَلَيْـكَ السَّلَـامُ يَـا خَيْــرَ آسٍ مُخْجِــلٌ نَشْــرُهُ نَوَاسِــمَ آسِ

وقال في خطاب مولاي محمدعند كونه بالدلاءفي غرض المولى الصقلي:

طَلَعَـتْ بِأَبْـرَاجِ الـدِّلاَءِ شُمُـوسُ فِيهَـا لأَرْكَـانِ الْعَـلاَءِ أُسُــوسُ

بِمُحَمَّـدٍ نَالَـتْ سَنـاً إِذْ نُـورُهُ الْ أَسْمَـى لِشَرْيَـانِ السَّنَـا كَيْمُـوسُ

بِمُحَمَّـدٍ نَالَـتْ عُـلاً وَمُحَمَّــدٌ آثَـارُه لِمِعَـى الْعُــلاَ كَيْلُــوسُ

بِمُحَمَّـدٍ نَالَـتْ غِنًـــى وَمُحَمَّــدٌ بِنَـدَاهُ بُسْتَـانُ الْغِنَـى مَغْــرُوسُ

بِمُحَمَّـدٍ نَالَـتْ مُنًـــى وَمُحَمَّــدٌ بِلُهَـاهُ شُـرَّادُ الْمُنَـى مَحْبُــوسُ

بِمُحَمَّـدٍ جَلَّـتْ لِــأَنَّ مُحَمَّــداً تَعْنُـو لِعَـرْشِ جَلاَلِـهِ بَلْقِيــسُ

بِمُحَمَّـدٍ جَمُلَـتْ لِــأَنَّ مُحَمَّــداً تَصْبُو، إِذَا يَبْـدُو، نُهـىً وَنُفُـوسُ

بِمُحَمَّـدٍ شَرُفَـتْ، لِـأَنَّ مُحَمَّــداً شَرَفٌ، لَهُ بَيْـنَ الْـوَرَى قُدْمُـوسُ

بِمُحَمَّـدٍ نَالَـتْ سُعُــوداً بَعْدَمَــا أَخْنَـتْ عَلَيْهَـا بِالْخُمُـولِ نُحُـوسُ

بِمُحَمَّـدٍ قَـدْ سُـرَّ وَجْـهُ كَمَالِهَـا وَلَقَدْ خَلاَ الأَزْمَـانُ وَهْـوَ عَبُـوسُ

بِمُحَمَّـدٍ فَـرْعُ الْهُمَــامِ مَلِيكِنَــا شَمْسِ الْهُدَى حَيِيَ الْحَيَا الْمَرْمُـوسِ

بِمُحَمَّــدٍ، لِلَّـــهِ دَرُّ مُحَمَّـــدٍ قَـدْ نُـوِّرَ الإِقْـرَاءُ وَالتَّدْرِيـسُ

زُفَّـتْ لَـهُ بِكْـرُ الْمَحَامِـدِ مِثْلَمَـا زُفَّـتْ لِعَاشِقِهَـا الْعَهِيـدِ عَـرُوسُ

وَلَقَدْ أَقُولُ، وَفِي الْحَشَاجَمْرُ الْغَضَـا مِنْ بَيْنِهِ وَهْـوَ الْعَمَـى وَالْبُـوسُ:

مَوْلاَيَ كَوْنُكَ فِي الْفُـؤَادِ مُصَحِّحـاً مَا قَالَـهُ فِـي الـرُّوحِ جَالَيْنُـوسُ

إِذْ أَنْـتَ رُوحِـي وَالْفُـؤَادُ مَحَلُّكُـمْهَـذَا قِيَـاسٌ قَاطِـعٌ مَحْسُــوسُ

فَعَلَيْكَ مِثْلُ شَذَى حُلَاكَ تَحِيَّـةٌ نَفَحَاتُهَا: التَّمْجِيـدُ وَالتَّقْدِيـسُ

وقال أيضا، في حرف هذه وبحرها، مجيبا للفقيه العلامة البركة، أبي الحسن الحاج علي بركة، عن معاتبة، في ترك المكاتبة:

رَبْعُ الْمَـوَدَّةِ بِالْحَشَا مَأْنُـوسُ بِهَوَى الأَحِبَّـةِ مَا عَـرَاهُ دُرُوسُ
وَلَـدَيَّ لِلْأَحْبَـابِ ذِكْـرُ مَعَاهِـدٍ رَوْضُ الْفُـؤَادِ بِحُبِّهَا مَغْـرُوسُ
وَلَئِنْ كَبَا طَـرْفُ الْقَرِيحَـةِ عَنْهُـمُ لِحَـوَادِثٍ مِنْهَا الْحَشَـا مَخْلُـوسُ
فَهَـوَايَ صَـبٌّ فِيهِـمُ، وَمَوَدَّتِـي إِنَّ الْمَـوَدَّةَ لِلْوَفَـا تَأْسِيـسُ
سَنَدِي، أَبَاحَسَنٍ أَمِثْلُكَ وَهْـوَ مَـنْ أَرْسَـى لَدَيْـهِ الْعِلْـمُ وَالتَّقْدِيـسُ
وَتَشَعْشَعَـتْ أَنْـوَارُهُ إِذْ أَشْرَقَـتْ مِنْـهُ بُـدُورُ مَعَـارِفٍ وَشُمُـوسُ
وَبِهِ عَلَى تِطْـوَانَ صَابَـتْ أَسْعُـدٌ وَلَقَدْ هَمَى مِنْ قَبْـلُ فِيهَـا الْبُـوسُ
يَنْمِي إِلَى مِثْلِيَ غَدْراً، وَهْـوَ مَـنْ مَـا زَالَ أَفْـرَاسَ الْوَفَـاءِ يَسُـوسُ

وَيَذُمُّ مَنْ نَبَذَ الْعُهُـودَ وَحَـادَ عَـنْ سَنَـنِ الْعُـلاَ، إِنِّـي إِذَنْ لَخَسِيـسُ
غَيْرِي، قَتِيلُ الْوُدِّ، مَرْمُوسُ الْهَـوَى تَثْنِيهِ عَنْ سَنَـنِ الْكِـرَامِ عَـرُوسُ
أَيَصُدُّنِي عَـنْ نَشْوَتِـي بِخِطَابِكُـمْ وَهْوَ الْمُنَـى رُودٌ زَهَـتْ وَلَبُـوسُ
لاَ، وَالَّـذِي أَعْلَـاكَ سُمْـتَ الْعُـلاَ عَرْشـاً، عَنَـتْ لِسَنَائِـهِ بَلْقِيـسُ
وَكَسَا بِلَـادَكَ مِـنْ سَنَـاكَ مُـلاَءَةً وَلَقَـدْ كَسَاهَـا قَبْلَـكَ الْحِنْدِيـسُ
مَا حِدْتُ عَنْ سَنَنِ الْكِتَابَةِ عَنْ رِضىً لَكِـنْ لِـوَاءُ عَزَائِمِـي مَنْكُـوسُ
وَرَوِيَّتِـي مَشْغُولَـةٌ وَقَرِيحَتِـي أَوْدَى بِهَـا الإِقْـرَاءُ وَالتَّدْرِيـسُ
وَإِذَا أَرَدْتَ حَقِيقَتِي فَأَنَـا الَّـذِي مَا حَـدَّ طِـبَّ هَـوَايَ جَالَيْنُـوسُ
وَلَرُبَّ مَحْرُوقِ الْجَوَى بِلَظَى الْهَوَى يَثْنِيهِ عَـنْ بَـثِّ السَّقَـامِ رَسِيـسُ
فَمِـنَ الْمَعَانِـي خُـرَّدٌ دَلَّهْنَنِـي عَقْلِـي بِسِحْـرِ جَمَالِهَا مَأْلُـوسُ
وَمِـنَ الْبَيَـانِ مُدَامَـةٌ وَكُـؤُوسُ وَمِـنَ الْبَدِيـعِ حَدَائِـقٌ وَغُـرُوسُ
إِنْ كُنْـتُ أَخَّـرْتُ الْكِتَابَـةَ لاَهِيـاً لاَ خَامَرَتْنِـي بِالسُّـرُورِ كُـؤُوسُ
وَتَبَـرَّأَتْ مِنِّـي السُّـرَاةُ وَخَانَنِـي أَدَبِي وَلاَ اشْتَمَلَـتْ يَـدِيَ طُـرُوسُ

وقال أيضا لمن اقترحها عليه لتكتب في الحيطيعلى لسانه:

جَمَالِيَ فَوْقَ مَـا تَهْـوَى النُّفُـوسُ وَوَصْفِيَ قَدْ تَضِيقُ بِـهِ الطُّـرُوسُ

ضِيَاءُ السَّعْدِ يَسْطَـعُ فِـي بُيُـوتٍ بِهَا مِنْ حُسْـنِ خَوْخَاتِـي شُمُـوسُ

إِذَا دَارٌ كَسَــوْتُ لَهَــا جِــدَاراً تَطَايَـرَ مِـنْ مَبَانِيهَـا النُّحُــوسُ

وَتَبْتَسِــمُ السُّعُــودُ لِسَاكِنِيهَــا كَمَا ابْتَسَمَتْ لِمَنْ تَهْـوَى عَـرُوسُ

وقال أيضا:

قَـدْ قَطَفْنَـا ذَهَبـاً مِـنْ سُنْـدُسٍ وَاقْتَضَيْنَـا شَفَقـاً (عَـنْ) حِنْـدِسِ

وَقَنَصْنَـا بَيْـنَ أَزْهَـارِ الرُّبَــى قُـرَّةَ الْعَيْـنِ وَزَهْــوَ الأَنْفُــسِ

وقال في بعض (زياراته) سيدي أحمد البرنسي دفين لمطة - (نفع) اللّه به آمين -:

تَأَمَّمْتُ رُكْـنَ الْبُرْنُسِـيِّ الْمُؤَسَّسَـا لِيُلْبِسَنِي مِنْ سَابِغِ الْفَضْـلِ بُرْنُسَـا

عَلَى حِينَ قَلْبِي مِنْ ذُنُوبِي قَدْ قَسَـا وَفَادِحُ ضُرِّي فِي ذُرَى الْجِسْمِ عَرَّسَا

وقلنا هذه السينية، وقد قربنا من مدينة فاس - أبقاها اللّه طاهرة من الأدناس - وعجز

البيت الأول والثالث، وجميع البيت الثاني، ومعنى التاسع، للأديب الأريب، الفاضل سيدي محمد ولد شيخنا نخبة العصر، سيدي الحسن اليوسي - حفظهما اللّه -:

قَـدْ شَمِمْنَـا نَفَائِــسَ الأَنْفَــاسِ (إِذَا قَرُبْنَـا مِـنَ الْبَهِيَّـةِ فَــاسِ)

(وَقَفَلْنَـا مِـنَ الزِّيَــارَةِ نَرجُــو نَفْعَهَـا وَاجْتِبَــاءَ رَبِّ النَّــاسِ)

فَانْتَشَـتْ أَنْفُـسٌ لَنَــا بِشَذَاهَــا (وَطَرِبْنَـا لِعَرْفِهَـا بَعْـدَ يَــاسِ)

(وَسَقَانَا) السُّرُورُ مِمَّـا صَبَـتْ أَرْ وَاحُنَـا لِلتَّسْلِيـمِ أَلْطَـفَ كَــاسِ

وَصَبَوْنَـا إِلَــى لِقَــاءِ سَــرَاةٍ طَيِّبِي النَّفْـسِ عَاطِـرِي الأَنْفَـاسِ

وَتَضَاعَـفَ الشَّـوْقُ مِنَّـا لأَفْـرَا خٍ حِسَــانٍ كَأَنْجُـمِ الأَغْلَــاسِ

فَاسْتَرَاحَتْ أَجْسَامُنَا مِنْ عَنَاءِ السَّيْـ ـرِ وَأَفْكَارُنَـا مِـنَ الْوَسْــوَاسِ

وَاسْتَفَدْنَـا قَرَائِحـاً تَنْظِـمُ الشِّــعْ رَ الْبَدِيعَ الْحُلَى، الأَنِيـقَ الْجِنَـاسِ
(بَلَّـغَ اللـهُ مَـا قَصَدْنَـا وَوَقَــا نَا وَأَصْحَابَنَـا ضُـرُوبَ الْبَـاسِ)
وَأَدَامَ أَزْكَى الصَّلَـاةِ عَلَـى الْمُـخْ تَـارِ طَـهَ تَفُـوقُ نَشْـرَ الــآسِ
وَعَلَــى آلِــهِ وَأَصْحَابِــهِ وَال تَّابِعِيــنَ الْمُرْدِيــنَ لِلْأَرْجَــاسِ
مَا صَبَا نَـازِحٌ إِلَـى أَرْضِ فَـاسِ وَأَغَـذَّ الْيَـرَاعُ فِـي الْقِرْطَــاسِ
وقال – إذ كان هنالك – لبعض الأصحاب، يسمى سليمان، ترك صلاة الصبح:
يَا سُلَيْمَانُ، قَدْ تَرَكْتَ صَلاَةَ الصُّـبْ حِ حَتَّـى رَأَيْـتَ قَـرْنَ الشَّمْـسِ
فِعْلَ مَـنْ أَخْفَقَـتْ تِجَـارَةُ مَسْعَـا هُ وَبَـاعَ حَلْـيِ الرَّشَـادِ بِبَخْــسِ
وقال، وقد زار أبي العباس السبتي – نفع اللّه به –:
جِئْتُكُـمْ مُقْتِـراً أَبَــا الْعَبَّــاسِ مُدْرَجـاً فِـي لَفَائِـفِ الإِفْلَــاسِ
رَاجِياً مِـنْ نَوَالِكُـمْ مُذْهِـبَ الْفَـقْ رِ وَمُحْيِي الْغِنَـى وَمُفْنِـي الْبَـاسِ
هَاتِ فَضْلَكُـمْ فَضْـلَ رَبِّ النَّـاسِ لِلَّـذِي قَـدْ أَتَاكُـمْ مِـنْ فَــاسِ
رَاجِـلاً رَاجِيـاً خَلاَصـاً وَقَـدْ أَنْ شَـبَ فِيـهِ الْعَنَـا مَخَالِـبَ فَـاسِ
وَنَسَـاهُ مِمَّـا قَسَـا خَطْـوُهُ قَــدْ مَضَغَتْـهُ الأَوْجَـاعُ بِالأَضْــرَاسِ
هَا أَنَا رُدْتُ مِـنْ جَنَابِـكَ رَوْضـاً مُثْمِــراً بِمُبَـــدِّدِ الإِبْلَـــاسِ
وَبَنَـاتُ الرَّجَـاءِ بَيْــنَ رُبَــاهُ لِنَخِيـلِ الْمُنَـى ذَوَاتِ اغْتِــرَاسِ

وَشَفِيعِي – أَنْ كَانَ لاَ بُدَّ لِـي مِـنْ شُفَعَـاءَ إِلَــى جَنَــاهُ الــآسِ
نُورُ شَمْسِ الْهُدَى الإِمَامِ أَبُو الْفَضْلِ عِيَـاضٌ طَـوْدُ الْعُلُـومِ الرَّاسِـي
بَلَدِيُّكُـمْ مَـنْ شَفَـى بِالشِّفَـا مَـا قَدْ تَعَاصَى قِدْمـاً عَلَـى كُـلِّ آسِ
وَشَرِيكُكُـمْ فِـي الْمَقَــامِ بِمُــرَّا كُشَ حَيْثُ الْعُلاَ بِكُمْ فِـي احْتِـرَاسِ
وَأَخُـوهُ فِيمَـا رَوَاهُ عَـنِ ابْـنِ الْ عَرَبِـيِّ الإِمَــامِ رَوْضِ الــآسِ
أَيْ أَبُـو الْقَاسِـمِ السُّهَيْلِـي رَبُّ ال رَّوْضِ رَوْضِ الْعُلُومِ ذِي الأَنْفَـاسِ
وَجَمِيـعُ الْمُجَاوِرِيـنَ لَكُـمْ فِــي ذَا الصَّعِيـدِ السَّعِيـدِ مِـنْ آسَـاسِ
كَالْجَزُولِـي ذِي دَلاَئِـلِ خَيْــرَا تِ وَأَتْبَاعِــهِ هُــدَاةِ النَّــاسِ

وقال بوادي نفيس، وقد (صحب) الإمام العطار إلى بستانه به:

وَادِي النَّفِيسِ نَفِيسٌ فِيهِ إِينَاسُ لِمَنْ عَرَاهُ لِبَيْنِ الأَهْلِ وَسْوَاسُ

أَهْدَتْ لَنَا نَسَمَاتُ الرِّيحِ لَمَّا هَفَتْ بِهِ الذِي أَوْدَعَتْ أَنْفَاسَهَا فَاسُ

حَيْثُ الطُّيُورُعَلَى (الأَدْوَاحِ) صَادِحَةٌ وَالنَّهْرُ مُطَّرِدٌ وَالرَّوْضُ مَيَّاسُ

وكتب في صدر رسالة، لشيخه الإمام، أبي علي الحسن بن مسعود وقد صدر من حجته المبرورة:

يَا سَائِقاً ضُمَّرَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ يَطْوِي الْفَلاَ بِحَشىً، لِلشَّوْقِ مَفْرُوسِ

إِمَّا أَتَيْتَ عَلَى الرَّكْبِ الْمُغَرَّبِ فِي أَمْنٍ وَعَافِيَةٍ سَلِّمْ عَلَى الْيُوسِي

ذَاكَ الإِمَامِ الذِي نُهَى الْوَرَى سَبَحَتْ مِنْ عِلْمِهِ اللَّدْنِيِّ أَيَّ قَامُوسِ

وَقُلْ لَهُ قَوْلَ مَبْهُوتٍ بِطَلْعَتِهِ يَا وَارِثاً وَحْدَهُ مَعَارِفَ الطُّوسِي

إِنَّ ابْنَ زَاكُورَ، وَهْوَ الْمُحْتَمِي بِكُمُ، مُذْ سِرْتُمُ بِالنَّعِيمِ فِي لَظَى الْبُوسِ

وَاسْتَوْهِبَنْ دَعْوَةً لِي مِنْهُ صَالِحَةً يَحْيَا بِهَا مِنْ رَشَادِي كُلُّ مَرْمُوسِ

وفي ذلك:

لَمْطَةٌ فِيهَا مَا تُحِبُّ النُّفُوسْوَمَا يُرِيحُ الْقَلْبَ مِنْ كُلِّ بُوسْ

هَوَاؤُهَا يُحْيِي قَتِيلَ الْمُنَى وَمَاؤُهَا يَقْتُلُ حَيَّ النُّحُوسْ

وَتُرْبَتُهَا تُنْبِتُ مُجْلِي الضَّنَا وَجَوُّهَا يُطْلِعُ مُسْلِي النُّفُوسْ

لَوْ حَلَّ فِيهَا مَنْ بَرَاهُ الْجَوَى عَلَّلَهُ الأُنْسُ بِأَسْنَى الْكُؤُوسْ

ومن ذلك، رثاء أبي زيد عبد الرحمان الرائس أستاذنا، رحمه الله:

لَقَدْ حُمِلَ الرَّائِسُ الْمُرْتَضَى رَئِيسُ الْأَسَاتِيذِ فَوْقَ الرُّؤُوسْ

يَبْكِي لَهُ مِنْ نَفِيسٍ مَضَى تُشَيِّعُهُ لِلْقُبُورِ النُّفُوسْ

وَكَانَ يُشَيِّعُهُ الطَّالِبُونْ إِلَى الدَّارِ مِنْ حَلَقَاتِ الدُّرُوسْ

فَيَا رَبِّ فَارْحَمْهُ وَارْحَمْ بِهِ وَأَلْبِسْهُ الْعَفْوَ أَسْنَى لَبُوسْ

وَأَنْزِلْهُ فِي غُرُفَاتِ الرِّضَى فَمَا حَلَّ تِلْكَ الْمَنَازِلَ بُوسْ

وَأَجْزِلْ قِرَاهُ (بِمَا) قَدْ قَرَا كِتَابَكَ لِلْمُعْتَفِينَ الْجُلُوسْ

وَأَسْعِدْهُ بِالْخُلْـدِ فِــي جَنَّــةٍ   فَقَدْ كَـانَ يُسْعِـدُ أَهْـلَ النُّحُـوسْ

جُزِيـتَ أَبَـا زَيْـدٍ الْمُرْتَضَــى   عَظِيـمَ الزِّيَـادَةِ بَعْـدَ الأُسُــوسْ

وَوِرْداً مِنَ الْحَوْضِ حَوْضِ الرَّسُولْ   عَلَيْـهِ الصَّلَـاةُ بِأَسْنَـى الْكُـؤُوسْ

وَأَنَّسَـكَ الذِّكْـرُ فِـي حُفْـرَةٍ   حَوَتْ مِنْكَ بَحْراً وَضَوْءِ الشُّمُـوسْ

غَـزَارَةَ عِلْـمٍ وَإِشْرَاقَـةَ وَجْـهٍ   وَخَفْضَ جَنَـاحٍ إِلَـى لِيـنِ تُـوسْ

بَكَيْتُـكَ لَمَّـا مَضَيْــتَ حَمِيــداً   وَعِشْـتَ غَنِيّـاً (بِـدُون) فُلُـوسْ

وَرُمْـتَ وَلَـمْ أَسْتَطِـعْ خُلْدَكُــمْ   أُخَلِّـدُ ذِكْرَكُـمُ فِـي الطُّـرُوسْ

وَقُلْــتُ لِطَالِـــبِ مِثْلِكُـــمُ:   تَعَزَّ! فَـلاَ عِطْـرَ بَعْـدَ عَـرُوسْ

وقال في غرض المديح للقائدأعزه الله:

فَرَّجْتُ مِـنْ هَمِّـي وَمِـنْ بُوسِـي   بِمَدِيـحِ صِفْـوَةِ صَفْـوَةِ الرُّوسِـي

عَبْـــدٌ لِخَالِقِـــهِ وَبَارِئِـــهِ   غَوْثــاً لِمَلْهُــوفٍ وَمَوْكُــوسِ

رَأْسُ الـرُّؤُوسِ وَخَيْرُهُـمْ حَسَبـاً   وَأَجَلُّهُـمْ فِـي نَفْـسِ مَــرْؤُوسِ

أَبْهَاهُــمُ وَجْهــاً وَأَوْجَهُهُـــمْ   فِـي أَعْيُـنِ الأَعْيَـانِ وَالــرُّوسِ

أَنْدَاهُـــمُ كَفّـــاً أَكَفُّهُـــمُ   عَـنْ فِعْـلِ مَحْظُـورٍ وَمَلْقُــوسِ

أَنْقَاهُــمُ ثَوْبـــاً وَأَلْبَسُهُــمْ   لِلْمَجْـدِ وَهْـوِ أَجَـلُّ مَلْبُــوسِ

أَزْكَاهُــمُ غَرْســاً وَأَغْرَسُهُــمْ   لِلْخَيْـرِ وَهْـوَ أَجَـلُّ مَغْــرُوسِ

أَحْمَاهُــمُ لِلْفَخْــرِ أَحْرَسُهُـــمْ   لِلْفَضْـلِ وَهْـوَ أَجَـلُّ مَحْــرُوسِ

أَذْكَاهُــمُ نَفْســاً، وَأَنْفَسُهُـــمْ   نَفْســاً، وَأَرْأَفُهُـمْ بِمَنْفُـــوسِ

أَسْنَاهُــمُ خَلْقــاً، وَأَحْسَنُهُـــمْ   خُلُقــاً، وَأَخْلَقُهُــمْ بِتَنْفِيـــسِ

أَعْلاَهُــمُ هِمَمـــاً، أَهَمُّهُـــمْ   بِفَكَــاكِ مَصْفُــودٍ وَمَبْخُــوسِ

أَحْلاَهُــمُ ذِكْــراً، وَأَذْكَرُهُــمْ   لِشَـجٍ، عَدِيـمِ الذِّكْـرِ ذِي بُـوسِ

مِثْلَ ابْـنِ زَاكُـورٍ وَحَسْبُـكَ مَـا   أَوْلَـاهُ مِـنْ بِـرٍّ وَتَأْنِيــسِ

لَوْلَـاهُ مَـا يَبْقَــى لَــهُ أَثَــرٌ   فِـي أَوْجُـهِ الْغُــرِّ الأَمَالِيــسِ

هُـوَ إِذْ حَبَـاهُ بِمَـا حَبَـاهُ بِـــهِ   فِـي حُكْـمِ مَعْقُـولٍ وَمَحْسُــوسِ

قَامُـوسُ مَكْرُمَـةٍ طَمَـى فَحَبَـا   قَامُـــوسَ مَحْمَــدَةٍ بِقَامُـــوسِ
فَرَمَـتْ غَـوَارِبُ ذَا مَحَامِــدَ ذَا   مِنْ أَجْـلِ ذَا السَّامِـي الْقَرَاطِيـسِ
وَالــأَوَّلُ الْمُسْــدِي كَحِبْوَتِـــهِ   فِيمَـا يُـرَى أَحْلَـى الْقَوَامِيـــسِ
فَلَـهُ الْمَحَامِــدُ مِثْـلُ طَلْعَتِـــهِ   مَجْلُـوَّةً فِـي عَــرْشِ بَلْقِيـــسِ
وَعَلَـى الْحُلَـى إِبْـدَاعُ حُلَّتِهَــا   مُزْرِيَـــةً بِجَنَـــاحِ طَـــاوُوسِ
وَعَلَـى النُّهَـى تَوْفِيـدُ سَيِّدِهَـــا   فِـي زَيِّ ذِي يَـــزَنٍ وَقَابُـــوسِ
مُسْتَصْحِبـاً مِقَـةً وَصِـدْقَ هَـوىً   لَـمْ يَصْحُ مِـنْ تَقْدِيـسٍ قُـدُّوسِ
ومنه ما رقمته على أوراق رحلة ابن شيخنا اليوسي:
حُزْتَ يَـا ابْـنَ الْفَخَـارِ الْيُوسِـي كُلَّ فَخْرٍ بِرَقْـمِ هَـذِي الطُّـرُوسِ
دَلَّ إِبْدَاعُهَـا عَلَـى أَنَّـكَ الْمَــعْ   ـولُ نُبْـلاً بِمُتْرَعَـاتِ الْكُـؤُوسِ
وَالسَّلِيـلُ الْجَلِيـلُ لِلْوَالِـدِ الْمَـــا   جِدِ شَمْسِ الدُّرُوسِ قُـوتِ النُّفُـوسِ
لاَ عَدِمْتُمْ مِـنْ بِـرِّهِ مُذْهِـبَ الْبُـؤْ   سِ مُجَلِّي النُّحُوسِ ضَوْءِ الشُّمُـوسِ
وَسَلاَمٌ مِـنَ ابْـنِ زَاكُـورَ يَحْكِـي   خُلْقَكُمْ إِذْ (لاَ عِطْرَ بَعْـدَ عَـرُوسِ)
وقلت في غير ذلك:
غَازِي غَزَانِي ابْنِ حَيُّونِ مِنَ الْحَرَسِ   فَمَنَعُونِي مِنْ حَظِّـي مِـنَ الْحُبُـسِ
حَبَّسَــهُ أَهْلُنَـا عَلَـى ضَعِيفِهِــمُ   فَكُنْتَ أَوْلَى بِهِ فِي حُكْـمِ ذِي نَفَـسِ
وَالْحَوْزُ فِـي يَدِنَـا فَـلاَ يُنَازِعُنَـا   فِيهِ سِوَى مَنْ بَغَى عَلَى الْهُدَى فَنَسِي
فَاغْنَمْ ثَوَابـاً عَلَـى أَعْلاَمِ سَيِّدِنَـا   وَاجْعَلْ نُهُوضَكَ فِي شَأْنِي مِنَ الْخُمُسِ
وكتب بما نصه:

مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ زَاكُور، إِلَى مَنْ قَالَ فِي حَقِّهِ عَلَى حَسَبِ مَجْدِهِ، وَوِفْقِهِ: إِنَّمَا عَرَّسَتِ الْعُلاَ تَعْرِيساً، وَأُسِّسَتْ أَرْكَانُهَا تَأْسِيساً، فَدُرِّسَتْ آيَاتُهَا تَدْرِيساً، فِي مَقَامِ الشَّرِيفِ بْنِ الشَّرِيفِ سَيِّدِي عِيسَى، فَإِنَّهُ حَبَّسَ عَلَيْهَا أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ تَحْبِيساً، بَعْدَمَا نَفَّسَ عَنْهَا مَا دَهِمَهَا تَنْفِيساً، وَبَثَّ طَلاَقَهَا عَلَى مَنْ دَلَّسَ عَلَيْهَا فِي خُطْبَتِهَا تَدْلِيساً، سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ

اللّٰهَ الذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَى آلاَئِهِ وَمِنْ (أَجلِّهَا) مَا جَلاَّهُ كِتَابُكُمْ بِلأَلاَئِهِ، فَإِنَّهُ نَفَّسَ عَنْ قُلُوبِنَا مَا أَلْبَسَهَا مِنَ الْكُرُوبِ شُومُ ذُنُوبِنَا، عَلَى أَنَّه إِنَّمَا وَصَلَ بَعْدَ مَا شَابَتْ لِلرَّجَاءِ فِي انْتِظَارِهِ الْخُصَلُ، وَأَحْسَنَ بِمَا أَصْحَبْتُمُوهُ مِنَ الرِّيَالاَتِ، فَإِنَّهَا أَبْهَجَتْ بِبَهْجَتِهَا الْعِيَالاَتُ، وَنَفَتْ عَنْ قُلُوبِنَا بَعْضَ مَا كَانَ يَطْرُقُهَا بِهِ الْهَمُّ مِنَ الْخَيَالاَتِ، فَحَمَلَنِي ذَلِكَ عَلَى أَنَّ قُلْتُ:

عِيسُ الْعُلاَ حَمَلَتْ نَدىً مِنْ عِيسَى بَحْرِ الْجَزَائِرِ دَامَ يُهْدِي الْعِيسَا
حَطَّتْ بِفَاسٍ رَحْلَهَا عِنْدَ امْرِئٍ أَقْرَا لَهَا التَّمْجِيدَ وَالتَّقْدِيسَا
لِيَرُدَّهَا لِحِمَى الْجَزَائِرِ بُدَّناً تُنْهِي الذَّخَائِرَ مِنْ مَفَاخِرِ عِيسَى
عِيسَى الشَّرِيفِ بْنِ الشَّرِيفِ وَمَنْ لَهُ مَجْدٌ يُذِيبُ شُعَاعُهُ إِبْلِيسَا
وَصَلَتْ مَشَارِقُ جُودِهِ بِجَزَائِرٍ لِمَغَارِبٍ دَارِ الْهُدَى إِدْرِيسَا
أَهْدَى لِمُغْتَرِبٍ بِمُوجِشٍ مُغْرِبٍفِي مَشْرِقٍ مِنْ فَضْلِهِ تَأْنِيسَا
فَغَدَا وَكَانَ بِزَارَةٍ مِنْ وَحْشَةٍ فِي مَكْنَسٍ مِنْ مَأْنَسٍ مَحْرُوسَا
نِعْمَ امْرأً وَصلَ امْرَأً، لَيْسَ امْرُؤٌ إِلاَّ يَقُولَ لَهُ بِحَقٍّ بِيسَا
وَصَلَ ابْنَ زَاكُورٍ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى بِصِلاَتِهِ الْقُرْبَى وَكَانَ نَفِيسَا
بِنَفَائِسٍ مِنْ جُودِهِ لَمْ تَعْدُهُأَنْ نَفَّسَتْ عَنْهُ الأَسَى تَنْفِيسَا
أَبْقَى الإِلَهُ كَمَالَكُمْ مَحْرُوسَا وَأَدَامَ سِرَّ جَلاَلِكُمْ مَحْسُوسَا

وَأَمَّا زِيَارَةُ سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَانِ، فَإِنَّهَا دَيْنٌ لِي عَلَى الزَّمَانِ، وَإِنَّ أَمَلِي إِلَى وِرْدِ مَنْهَلِهَا لَظَمْآنُ، فَإِنْ سَاعَدَنِي الْمَنَى، بِتَيْسِيرِ ذَلِكَ الْمُنَى، فَمَا بِي عَنْهُ مِنْ غِنىً، وَمَا عُدِمْتُ مِنَ الْحَنِينِ إِلَيْهِ مِنْ عَنَا، وَإِلاَّ فَفِي اللّٰهِ الْكِفَايَةُ، مِنْ كُلِّ ذِي نِهَايَةٍ.

وقال في فاتحة رسالة:

أَزْكَى السَّلاَمِ عَلَى الْمُسَلَّمِ عِيسَى مِمَّنْ يُدَرِّسُ فَخْرَهُ تَدْرِيسَا

وَيَرَى لَهُ الْحَسَبَ الْحَسِيبَ إِزَاءَهُ نَفْسٌ تُشَوِّقُ لِلنَّفِيسِ نُفُوسَا
دَامَتْ كَذَلِكَ وَالْعُلاَ تَعْلُو بِهَا وَتَعُلُّهَا التَّمْجِيدَ وَالتَّقْدِيسَا

وقال وقد دخل مكناسة الزيتون في غد ذلك اليوم، يخاطب المولى الفاضل الأديب، أبا العباس سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي:

يَا أَخَا الْفَضْلِ يَـا أَبَـا الْعَبَّـاسِ يَـا مُجْلِـي الْكُـرُوبَ بِالإِينَــاسِ
مَا عَلَـى مَـنْ أَتَاكُـمْ مِـنْ فَـاسِ أَنْ يَرَاكُـمْ فَتَنْتَشِـي مِـنْ بَـاسِ؟

حرف الشين

قال عليه، ما يفيد حكمة من أنصت إليه:

قُلْ لِلَّـذِي لاَ يَنْتَهِـي عَـنْ فُحْشِـهِ أَ أَمِنْتَ مِنْ مَكْـرِ الإِلَـهِ وَبَطْشِـهِ؟
أَمْ أَنْتَ عَنْ غَرَضِ الْمَنُونِ بِمَعْـزِلٍ لَمْ تَكْتَـرِثْ (بِسِهَامِـهِ) وَبِنَجْشِـهِ؟
(هَيْهَاتَ قَدْ) أَصْبَحْتَ فِي لَهَوَاتِ مَا أَفْنَى الْقُـرُونَ الْمَاضِيَـاتِ بِدَبْشِـهِ
وَعَـدَا عَلَـى عَـادٍ وَشَـدَّادٍ وَلُـقْ مَـانٍ وَأَرْدَى نَسْـرَهُ فِـي عُشِّـهِ
وَقَضَى عَلَى حَيَّيْ جَدِيسَ وَطَسْمِهَا وَمُبِيدِهَـا الْمُغْتَـالِ هَاجِـمِ حَفْشِـهِ
وَأَدَارَ دَارَا عَـــنْ ذُرَاهُ وَدَارِهِ وَاغْتَالَ قَاطِعَ عَرْشِـهِ فِـي فَرْشِـهِ
وَابْنَيْ بَغِيضٍ رَضَّ كَابْنَـيْ وَائِـلٍ وَعَدِيدُهُمْ فَاقَ الْحَصَى فِـي فَرْشِـهِ
مِنْ كُلِّ مَنْ مَلأَ الْمَـلاَ مِـنْ مَالِـهِ إِذَا ضَاقَ وَاسِعُ فَرْشِهِ عَـنْ فَرْشِـهِ
طَحَنَتْهُمُ أَضْرَاسُهُ طَحْـنَ الرَّحَـى مَرَّتْ عَلَى يَبِسِ الْحَصِيـدِ وَهَشِّـهِ
لَمْ تُبْقِ، وَاسْتَفْسِرْ شُهُودَ الْحِسِّ مِـنْ أَسَدٍإِذَا رَكِـبَ الْمَطَـا مِـنْ هَشِّـهِ
وَمُقَلَّـدٍ (بِالْمَكْـرِ) خَـبٍّ حُـوَّلٍ يَسْبِي الْعَظِيمَ بِظَاهِـرٍ مِـنْ هَشِّـهِ
وَمُمَنَّـعٍ بِجُنُـودِهِ وَبُنُـــودِهِ شَقِيَـتْ عِـدَاهُ بِجَيْشِـهِ وَبِجَأْشِـهِ
وَمُخَـوَّلٍ وَمُمَـوَّلٍ وَمُنَـوَّلٍ غَمْرِ النَّدَى هَطِلِ النَّـوَالِ أَجَشِّـهِ
وَمُـرَوَّعٍ وَمُصَـدَّعٍ، وَمُلَفَّـعٍ بِالْهَـمِّ أَضْنَـاهُ الزَّمَـانُ بِنَهْشِــهِ
وَمُطَيَّـبٍ وَمُعَطَّـرٍ حُلْـوِ الْحُلَـى بَهِـجٍ بِمَـا تَجْنِيـهِ رَوْضَـةُ قَشِّـهِ
وَمُقَرْطَـقٍ وَمُكَحَّـلٍ وَمُخَلْخَـلٍ رَقَّـتْ سَجَايَـا نَفْسِـهِ أَوْ نَقْشِـهِ
وَمُتَيَّـمٍ بِجَلْبِلِـهِ وَخَلْبِلِـهِ صَبٍّ بِمَا أَبْدَى الْهَوَى مِـنْ رَقْشِـهِ
وَمُذَمَّـمٍ، جَـادَتْ يَـدَاهُ بِعِرْضِـهِ إِذْ ضَـنَّ مِمَّـا قَـدْ حَـوَاهُ بِقَمْشِـهِ

وَمُـؤَدَّبٍ، وَمُهَــذَّبٍ وَمُشَــذَّبٍ عَلاَّمَـةٍ رَوْضِ الرَّشَـادِ مَحَشِّــهِ

وَمُمَجَّــدٍ وَمُنَجَّــدٍ، وَمُسَـــدَّدٍ مِجْذَامَـةٍ مُفْنِــي الْفَسَـادِ مِحَشِّــهِ

لَـمْ يَبْـقَ مِـنْ آثَارِهِـمْ إِلاَّ سُمَـا مَنْ قَدْ سَمَا عَـنْ خُبْثِـهِ أَوْ فُحْشِـهِ

أَوْ ضُـرِّهِ أَوْ غَــدْرِهِ أَوْ شَــرِّهِ أَوْ مَكْــرِهِ أَوْ كَيْــدِهِ أَوْ غِشِّــهِ

أَوْ هَمْـزِهِ أَوْ غَمْــزِهِ أَوْ لَمْــزِهِ أَوْ رَجْـزِهِ أَوْ رِجْسِـهِ أَوْ نَجْشِــهِ

مِنْ فَاضِـلٍ عَـمَّ الْـوَرَى بِنَوَالِـهِ لَمْ يَأْلُ فِي صَيْـدِ الثَّنَـاءِ وَحَرْشِـهِ

أَوْ عَـاذِلٍ لَيْسَـتْ تَلِيـنُ قَنَاتُــهُ جَاثٍ عَلَى كُرْسِيِّ الصَّوَابِ وَعَرْشِهِ

أَوْ عَالِمٍ، طَلَعَـتْ شُمُـوسُ عُلُومِـهِ مِنْ تَحْتِ كُرْسِيِّ (الْوِفَاقِ) وَعَرْشِـهِ

أَوْ قَائِـمٍ بِالْحَـقِّ مِـنْ ذِي إِمْــرَةٍ مُؤْوٍ لِمَـنْ ثُلَّـتْ دَعَائِـمُ عَرْشِـهِ

أَوْ شَاعِرٍ رَقَّـتْ حَوَاشِـي طَبْعِـهِ يَنْحَاشُ عَنْ (وَخْشِ) الْكَلاَمِ وَوَحْشِهِ

أَوْ صَابِـرٍ فِـي النَّائِبَـاتِ مُـرَزَّإٍ ثَبْتٍ عَلَى كَدْشِ الزَّمَـانِ وَخَدْشِـهِ

(أَوْ زَاهِـد فِيمَـا تَكَـدَّرَ مُكْتَــفٍ بِالْقُوتِ مِنْ خَشْلِ الْفَـلاَ أَوْ بَهْشِـهِ

أَوْ عَابِـدٍ يُنْضِـي مَطِيَّـةَ لَيْلِـهِ وَنَهَـارِهِ حَـادِي النَّشَـاطِ بِكَدْشِـهِ)

فَبِسَيْرِهِمْ سِرْ سَاحِبـاً بُـرْدَ التُّقَـى إِنْ شِئْتَ تُوقَى مِنْ عَنَـاكَ وَكَدْشِـهِ

وَالْبَسْ جَلاَبِيـبَ الْعَفَـافِ وَرَيْطَـهُ وَانْقُـشْ عَفَافَـكَ بِالْحَيَـاءِ وَوَشِّـهِ

وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَـلاَ تَكُـنْ مُتَخَشَّعـاً وَصُنِ امْتِهَانَـكَ بِالْوَقَـارِ وَغَشِّـهِ

وَاللَّهَ خَـفْ وَارْجُ رِضَـاهُ وَبَطْشَـهُ وَارْكَبْ مَطَا دُهْمِ السَّدَادِ وَبَرْشِـهِ

أَجْدِرْ بِمَنْ يَرْجُو وَيَخْشَـى اللـهَ أَنْ يَرْقَى إِلَى غُـرَفِ الْجِنَـانِ بِنَعْشِـهِ

وَاشْكُرْ إِلَهَـكَ دَائِمـاً فَالْفَـوْزُ فِـي شُكْرِ الإِلَهِ عَلَـى سَحَائِـبِ نَعْشِـهِ

وَأَزِمَّةُ الْبَرَكَاتِ فِـي كَـفِّ الـذِي صَلَّى عَلَى رَوْضِ الرَّشَـادِ وَحَشِّـهِ

غَيْثِ الْوَرَى صَلَّى عَلَيْهِ اللـهُ مَـا حَيِـيَ الْعِبَـادُ بِوَبْلِــهِ وَبِرَشِّــهِ

وَعَلَـى الأَفَاضِـلِ آلِـهِ وَصِحَابِـهِ مِنْ كُلِّ مَنْ أَفْنَى الضَّلَـالَ مِجَشِّـهِ

وقال وقد طال حصار المسلمين لحصن العرائش وهو هنالك: يوم عيد الأضحى من السنة:

أَذَا الْعَرْشِ إِنْ تُبْسِمْ ثُغُورَ الْعَرَائِشِ   تَجِدْنِي لِسَهْمِ الدِّينِ أَوَّلَ رَائِشِ

سَأُعْطِيكَ عَهْداً لاَ أَخُونُكَ بَعْدَمَا   تُطَهِّرُهَا مِنْ رِجْسِ أَهْلِ الْفَوَاحِشِ

وَيُضْحِي بِهَا نَابُ الْهُدَى يَنْهَشُ الْهَوَى   وَيُمْسِي بِهَا ظُفْرُ الْهَوَى غَيْرَ خَادِشِ

وَيُصْلِتُ فِيهَا الرُّشْدُ عَضْبَ هِدَايَةٍ   يُصِيبُ ضَلاَلاَتِ الْعِدَا فِي الرَّوَاهِشِ

وَيَعْدُو عَلى آلِ الصَّلِيبِ وَبَالُهُمْ   فَيُلْقَوْنَ فِي بَحْرٍ مِنَ الْهَمِّ جَائِشِ

فَسَدِّدْ إِلَى مَنْ حَلَّ فِيهِ مِنَ الْعِدَا   مِنَ الرُّعْبِ سَهْماً مُصْمِياً غَيْرَ طَائِشِ

وأسبل عليهم من رداك سحائبا   تسح بسيل من بلائك حافش

وَمَلِّكْ أُسُودَ الْمُسْلِمِينَ ذِيَابَهُمْ لِكَيْ يَنْشُبُوا فِيهِمْ مَخَالِبَ بَاطِشِ

عَسَى أَنْ يَقُولَ الدِّينُ قَوْلَةَ شَاكِرٍ:   لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي فِي افْتِتَاحِ الْعَرَائِشِ

بِجَاهِ رَسُولِ اللّهِ مَنْ عَضَّ غَيَّهُمْ   عَلَى يَدِهِ مِنْ بَعْثِهِ فِعْلَ نَاهِشِ

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللّهِ مُوجِبِ غَزْوِهِمْ   وَمُلْمِسِنَا مِنْ نَصْرِهِ كَفَّ نَاعِشِ

وفي الرثاء أيضا:

مَاتَ الْحَفِيظُ فَمَنْ يَحْفَظُ مَنْ عَاشَا   مِنَّا إِذَا لُبُّهُ مِنَ الْجَوَى طَاشَا

فَاتَ الْحَفِيظُ امْرَأً قَدْ كَانَ (يَطْلُبُهُ)   لِسَقْيِ رَوْضِ مُنىً مَا زَالَ مِعْطَاشَا

مَاتَ الْحَفِيظُ فَظَلَّ الْمَجْدُ مُخْتَبَلاً   وَأُرْعِشَتْ كَبِدُ الْعَلْيَاءِ رِعَاشَا

مَاتَ الْحَفِيظُ وَكَانَ الْعَيْشُ مِنْهُ سَنىً   فَأَغْطَشَتْ عَيْشَنَا الأَنْكَادُ إِغْطَاشَا

وَأَبْطَشَتْ بِالنُّهَى أَيْدِي النَّوَى بُتِكَتْ   إِنَّ النَّوَى كَانَ بِالأَلْبَابِ بَطَّاشَا

كَانَتْ بِطَلْعَتِهِ الأَيَّامُ تُؤْنِسُنَا فَأَبْدَلَتْنَا مِنَ الإِينَاسِ إِيحَاشَا

وَأَلْبَسَتْنَا وَكَانَ الزَّهْوَ مَلْبَسُنَا حُزْناً يَهِيجُ لَنَا مَبْكىً وَإِجْهَاشَا

يَا بَدْرَ مَجْدٍ لَوْ أَنَّ اللهَ أَنْسَأَهُ مَا أَدْهَشَتْنَا صُرُوفُ الدَّهْرِ إِدْهَاشَا

حَتَّى جَهِلْنَا مُصَاباً لاَ نَظِيرَ لَهُ   جَاشَ عَلَيْنَا شُرُودَ الْوَحْدِ فَانْحَاشَا

قَدْ جَلَّ فَقْدُكَ أَنْ يُبْقِيَ مِنْ خَلَدٍ   إِذْ جَلَّ قَدْرُكَ أَنْ تَرْضَى بِمَنْ عَاشَا

وَجَلَّ فَخْرُكَ أَنْ يُدْرَى فَنُحْصِيَهُ   حَاشَا لِفَخْرِكَ مِنْ إِحْصَائِنَا حَاشَا

فَمَا عَرَفْنَاكَ إِلاَّ بِالَّذِي شَهِدَتْ   بِهِ الْمَزَايَا وَفَضْلٌ كَانَ جَيَّاشَا

وَمَـا رَأَيْنَـاكَ إلاَّ مِثْـلَ رُؤْيَتِنَـا شَمْسَ الظَّهِيرَةِ إِذْ مَا نُورُهَـا جَاشَـا
وَمَـا شَهِدْنَـاكَ إلاَّ بِالْبَصَائِـرِ لاَ بِبَصَـرٍ يُـدْرِكُ الأَخْيَـارَ أَوْبَاشَـا
خَمَّشْتُ بَعْدَكَ وَجْهَ الْمَنْعِ مِن جَـزَعٍ إِذْ كَانَ مَوْتُكَ وَجْهَ الصَّبْـرِ خَمَّاشَـا
أَفْرَخْتُ مَا بَاضَ مِنْ غَمِّي وَقَدْ مَلأَتْ عِقْبَانُهُ مِنْ ذُرَى الأَحْشَـاءِ إِعْشَاشَـا
بِالْبَوْحِ بِالنَّوْحِ تَرْوِيحاً عَلَى شَجَـنٍ قَدْ أَفْحَشَتْ نَارُهُ فِي الْقَلْـبِ إِفْحَاشَـا
مُعْتَصِماً بِبَقَايَا الصَّبْـرِ مِـنْ كَمَـدٍ أَوْدَى بِمُعْظَمِـهِ إِذِ الْحَشَـا حَاشَــا
فَالْمَرْءُ سَهْـمٌ وَذَاكَ السَّهْـمُ حِلْيَتُـهُ بِأَنْ يُرَى بِخَوَافِي الصَّبْـرِ مُرْتَاشَـا
فَإِنْ رَمَتْـهُ اللَّيَالِـي وَهْـيَ رَامِيَـةٌ لَمْ يُلْفَ عَنْ هَدَفِ التَّأْيِيـدِ طَيَّاشَـا
أَمَّا الذِي سَوْفَ أُهْدِيهِ إِلَـى جَـدَثٍ حَلَلْتَـهُ تُنْعِـشُ الأَمْـوَاتَ إِنْعَاشَـا

فَنَسَمَـاتُ تَحِيَّـاتٍ يَغَــارُ لَهَــا رَوْضُ الرُّبَى بَاتَ فِيهِ الطَّلُّ رَشَّاشَا

حرف الهاء

قال عليه، يَمدح أكرم خلق الله عليه، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله ومن (شام) من أصحابه السنا بين عينيه:

نِلْنَـا وَلَـوْلاَ الْحُـبُّ مَـا نِلْنَاهَـا أَلْوِيَــةَ التَّرْقِيــقِ إِذْ سُمْنَاهَــا
حَاكَتْ لَنَا أَيْـدِي الْغَـرَامِ مَطَارِفـاً غَزَلَ التَّوَلُّهُ فِـي الْحَبِيـبِ سَدَاهَـا
قُدْنَا الْهَـوَى لَمَّـا انْفَعَلْنَـا لِلْهَـوَى بِأَزِمَّـةٍ قَتَـلَ الْخُضُـوعُ قُوَاهَــا
طِبْنَـا فَوَفَّتْنَـا الصَّبَابَــةُ حَقَّنَــا مِنْ حَيْثُ رَاضَـتْ لُبَّنَـا رُضْنَاهَـا
نَارُ الْغَرَامِ، وَحَـقِّ مَـنْ أَغْرَاهَـا، لَمُنَعَّـمٌ مَــنْ قَلْبُــهُ مَأْوَاهَــا
أَوْقِدْ لَظَاهَا فِـي حَشَـايَ فَمُنْتَهَـى آمَالِـهِ فِــي مُنْتَهَـى لأْوَاهَــا
لَكِنْ أَخَافُ عَلَـى هَـوَاكَ مُنَعِّمِـي بِحَـرَارَةِ الأَشْـوَاقِ أَنْ يَصْلاَهَــا
كَـلاَّ هَـوَاكَ بِهَـا الْخَلِيـلُ فَنَـارُهُ بَـرْدٌ، سَلاَمٌ حَرُّهَـا وَلَظَاهَــا
زِدْ فِـي تَسَعُّرِهَــا أَزِدْكَ تَذَلُّــلاً فَقَسَـاوَةُ الأَجْلاَفِ لاَ أَرْضَاهَــا
بِاللَـهِ آاللَـهُ يَـا سَمْشَ الْبَهَــا أَوْلاَكَ أَحْشَائِـي، فَكُنْـتَ حَشَاهَـا

بِاللـهِ آاللـهُ يَـا رُوحَ الْمُنَـى   أَلْقَاكَ فِي رُوحِي، فَكُنْـتَ مُنَاهَـا
بِاللـهِ آاللـهُ يَـا عَيْـنَ السَّنَـا   أَلْقَاكَ فِـي عَيْنِـي، فَكُنْـتَ سَنَاهَـا
بِاللـهِ آاللـهُ يَـا نَفْـسَ الْغِنَـى   أَلْقَاكَ فِـي نَفْسِـي فَكُنْـتَ غِنَاهَـا
بِاللـهِ آاللـهُ يَـا غَيْـظَ الْعِـدَى أَوْلـاَكَ أَعْدَائِـي تُثِيـرُ ضَنَاهَـا
زِدْ فِي تَحَرُّقِهَا، فَـزَادَ اللـهُ فِـي   أَكْبَادِهَـا غَيْظـاً يَحُـلُّ عُرَاهَـا
وَأَطِلْ تَمَلْمُلَهَـا أَطَـالَ اللـهُ فِـي إِبْقَائِـكَ الْمُفْنِـي مُفِيـتَ رَدَاهَـا
لِي فِي هَوَى الْمَحْبُوبِ أَعْظَمُ نَشْـوَةٍ   مَوْصُولَـةِ الأَفْـرَاحِ رَقَّ طِلاَهَـا
فَإِذَا سَكِرْتُ صَحَوْتُ مِنْ طَرَبِي بِهَا   وَإِذَا صَحَوْتُ سَكِرْتُ مِـنْ ذِكْرَاهَـا
فَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا صَحَوْتُ عَنِ الْعُلاَ   وَإِذَا سَكِرْتُ فَمَـا سَكِـرْتُ سَفَاهَـا
جَمَحَتْ بِمَيْدَانِ النَّسِيـبِ قَرِيحَتِـي   وَمَدِيحِ مَنْ سَـادَ الْـوَرَى يَرْعَاهَـا
نَادَتْهُ يَا مُجْلِي الْعَنَا: رُسُـمُ الْهَـوَى   أَرْقَلْنَ بِـي لَمَّـا امْتَطَيْـتُ مَطَاهَـا
فَتَخَلَّصَـتْ بِسَنَـاهُ إِذْ لَبَّاهَـا   كَالشَّمْسِ، إِشْرَاقُ الضُّحَـى جِلاَّهَـا
وَجَدَتْ مَكَانَ الْقَوْلِ مَفْقُـودَ الْمَـدَى   سَامِي الذُّرَى، أَعْيَى الْوَرَى مَرْقَاهَـا

جَمَّ الْفَضَائِلِ – لاَ يُحَاوِلُ حَصْرَهَا – غَمْرَ الْمَزَايَا، عَـوْضُ لاَ تَتَنَاهَـى
قَصُرَتْ بَنَانُ الشَّرْحِ عَـنْ تَبْيِينِهَـا   إِذْ بَانَ عَجْزُ الْفَهْـمِ عَـنْ مَعْنَاهَـا
بَهَتَتْ، وَحُـقَّ لِمِثْلِهَـا، فِـي مِثْلِـهِ وَالْمِثْـلُ مَفْقُـودٌ لأَحْمَـدَ طَـهَ
شَمْـسُ الْعَوَالِـمِ كُلِّهَـا وَمُمِدُّهَـا فِي النَّشْأَةِ الأُولَـى وَفِـي عُقْبَاهَـا
قَبْـلَ الْوُجُـودِ تَلأْلَـأَتْ أَنْـوَارُهُ فَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ بَعْـضُ سَنَاهَـا
أَصْلُ الأُصُولِ وَفَرْعُهَـا وَمَلاَذُهَـا وَسِـرَاجُ غَيْهَبِهَـا وَفَجْـرُ دُجَاهَـا
وَلَدَتْـهُ آمِنَـةٌ أَبَـا الْـأُمِّ آدَمٍ   لِلَّـهِ مَـنْ تَلِـدُ ابْنَهَـا وَأَبَاهَـا؟
ضَحِكَتْ بِهِ زُمَرُ الْحَقِيقَـةِ إِذْ بَكَـتْ   فِـرَقُ الـرَّدَى هَمَّالَـةٌ عَيْنَاهَـا
فَمَنَاهِـلُ الإِيمَـانِ طَـمَّ هُدَاهَـا وَمَنَازِلُ الْخُسْـرَانِ صَـمَّ صَدَاهَـا
تَاهَتْ مُلُوكُ الْقَـوْلِ فِـي أَمْدَاحِـهِ   وَالتِّيـهُ فِـي أَمْدَاحِـهِ أَقْصَاهَـا
لاَ يُسْتَطَـاعُ مَدِيـحُ مَـنْ أَوْصَافُـهُ قَدْ طَرَّزَ الْقُـرْآنُ بَعْـضُ حُلاَهَـا

وَإِذَا امْتَرَيْتَ فَـإِنَّ (سُبْحَـانَ الـذِي أَسْـرَى بِـهِ لَبْـلاً) كَفَـاكَ وَطَـهَ

قَالُوا: أَلاَ امْدَحْـهُ، فَقُلْـتُ: أَبَعْدَمَـا أَثْنَـى عَلَيْـهِ اللـهُ جَـلَّ شِفَاهَـا

فِي حَضْرَةٍ مِنْ قُدْسِهِ لَـمْ يَسْتَطِـعْ جِبْرِيـلُ أَنْ يَدْنُـوَ مِـنْ أَدْنَاهَـا؟

مَا بَعْـدَ مَـدْحِ اللـهِ جَـلَّ جَلاَلُـهُ مَدْحٌ لِمَنْ خَفَـضَ الْعُـلاُ وَعَلاَهَـا

وَبَنَانُهُ فَاضَـتْ نَـوَالاً مِثْـلَ مَـا قَاضَتْ بِمَا رَوَّى الْجُيُـوشَ مِيَاهَـا

وَأَنَالَـهُ الرَّحْمَـانُ جَـلَّ مَكَانَـــةً فَتَبَـارَكَ الرَّحْمَـانُ مَـا أَعْلاَهَــا

أَقْسَمْتُ بِالْهَيَمَـانِ فِـي أَسْرَارِهَـا مَا حَامَ خَلْـقٌ قَـطُّ حَـوْلَ حِمَاهَـا

عُذْراً رَسُـولَ اللـهِ جِئْتُـكَ طَالِبـاً لاَ مَادِحاً، حَاشَـاكَ عِنْـدَكَ جَاهَـا

وَلَئِنْ أَسَأْتُ بِمَـا نَظَمْـتُ، فَإِنَّنِـي أَهْدَيْـتُ (أَبْكَـارِي) إِلَـى مَوْلاَهَـا

أَنْـتَ الـذِي أَوْلَيْتَنَــا أَسْبَابَهَــا وَاللـهِ، لَـوْلاَ أَنْـتَ مَـا نِلْنَاهَــا

هَـا عَبْـدُكَ الْمُضْطَـرُّ أَمَّ جَنَابَكُـمْ يَرْجُو مِنْ أَسْبَـابِ الْهُـدَى أَقْوَاهَـا

هَا عَبْـدُكَ الْمَلْهُـوفُ لَـاذَ بِبَابِكُـمْ يَرْجُو مِنْ أَدْوِيَـةِ الضَّنَـى أَشْفَاهَـا

قَـدْ غَلَّـهُ الْإِيغَـالُ فِـي شَهَوَاتِـهِ إِذْ أَوْثَقَتْــهُ ذُنُوبُــهُ إِكْرَاهَـــا

وَتَنَاوَشَتْـهُ مُعْضِلَــاتُ زَمَانِـــهِ حَتَّى بَـرَاهُ الْوَجْـدُ مِـنْ جَرَّاهَـا

قَابِـلْ ضَرُورَتَـهُ بِمُمْكِـنِ طِبِّكُـمْ فَـدَوَامُ ذَلِـكَ مُطْلِــقٌ شَكْوَاهَــا

وَاعْطِفْ هُدَاكَ عَلَى مَحَـلِّ ضَلاَلِـهِ عَطْفاً يُنَجِّي النَّفْـسَ مِـنْ غُمَّاهَـا

وَأَنِلْـهُ تَخْصِيصـاً بِجَـرِّ إِضَافَـةٍ لِحِمَاكَ مَعَ مَـنْ قَـدْ أَطَـاعَ اللـهَ

وَامْنَحْهُ فِي حَدِّ الْغِنَى طَـرْدَ الْعَنَـا حَتَّـى تُنَاوِلَـهُ الْمُنَـى يُمْنَاهَــا

(وَأَفِدْهُ) فَهْماً فِـي قَضَايَـاكَ التِـي عَكْسُ النَّقِيـضِ مُوَافِـقٌ فَحْوَاهَـا

وَاحْفَـظْ أَبَـاهُ وَأَهْلَـهُ، وَشُيُوخَـهُ فِـي هَـذِهِ الدُّنْيَـا وَفِـي أُخْرَاهَـا

صَلَّى عَلَيْكَ اللـهُ يَـا مَـنْ جَاءَنَـا مُسْتَبْشِراً كَالشَّمْسِ (وَقْتَ) ضُحَاهَـا

صَلَّى عَلَيْكَ اللـهُ يَـا مَـنْ جَاءَنَـا بِالرِّفْـقِ لاَ فَضّــاً وَلاَ جَبَّاهَــا

صَلَّى عَلَيْكَ اللـهُ يَـا مَـنْ جَاءَنَـا سَهْلاً عَلَـى الضُّعَفَـاءِ لاَ تَيَّاهَـا

صَلَّى عَلَيْكَ اللـهُ يَـا مَـنْ نُـورُهُ مَسَـكَ الْعَوَالِـمَ أَرْضَهَـا وَسَمَاهَـا

صَلَّى عَلَيْكَ اللـهُ يَـا مَـنْ حُبُّـهُ قَدْ بَصَّـرَ الأَلْبَـابَ بَعْـدَ عَمَاهَـا
صَلَّى عَلَيْكَ اللـهُ يَـا مَـنْ ذِكْـرُهُ قَـدْ طَيَّـبَ الأَسْمَـاعَ وَالأَفْوَاهَــا
صَلَّى عَلَيْكَ اللـهُ مَـا قَـالَ الـذِي   شَرِبَ التَّحَيُّرَ مِـنْ جَلاَلِـكَ وَاهَـا
وَعَلَى قَرَابَتِـهِ مَصَابِيـحِ الْـوَرَى وَعَلَـى صَحَابَتِـهِ الْعَمِيـمِ هُدَاهَـا
وقال متوسلا:

جَاشَـتْ بَلاَبِلُنَـا وَسَـالَ وَادِيهَـا يَـا رَبِّ كُـنْ خَيْـرَ وَالٍ لِمُعَانِيهَـا
يَا رَبِّ فَرِّجْ، فَقَدْ ضَاقَـتْ مَسَالِكُنَـا   وَمُنْقَعُ الْغَمَـرَاتِ قَـدْ طَمَـى فِيهَـا
يَا رَبِّ أَنْعِمْ عَلَى مَنْ بَـاتَ يَطْلُبُـهُ   هَـمٌّ، وَغَـمٌّ، وَحُـزْنٌ بِتَلاَفِيهَــا
يَا رَبِّ كُـنْ مَلْجَـأً لَنَـا وَمُسْتَنَـداً فَقَـدْ غَزَتْنَـا هُمُـومٌ لاَ نُقَاوِيهَــا
يَا رَبِّ عَجِّلْ عَلَى مَنْ سَامَ عِشْرَتَنَـا   بَخْسـاً بِدَاهِيَـةٍ تَطْغَـى دَيَاجِيهَـا
وَاكْبِتْ عِدَانَا بِمَا يُرْضِـي أَحِبَّتَنَـا   وَاجْعَلْ مَكَائِـدَ قَـوْمٍ فِـي تَرَاقِينَـا
بِالْمُصْطَفَى خَيْرِ خَلْقِ اللـهِ قَاطِبَـةً   دَاعِي الْبَرَايَا إِلَى الْحُسْنَى وَهَادِيهَا
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَـهُ الْعَـرْشِ مُرْسِلُـهُ إِلَـى الْخَلاَئِـقِ قَاصِيهَـا وَدَانِيهَـا
أَنْتَ مَلَـاذَ الـذِي أَعْيَـتْ مَذَاهِبُـهُ طُرّاً، أَرَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَـنْ فِيهَـا
وقال عند زيارة سيدي محمد بن عبد الله الجزائري رضي الله عنه:

أَبْرَكْـتُ آمَالِـي ابْـنَ عَبْـدِ اللـهِ بِجَانِبِـكَ الْعَالِـي، وَلِــيَّ اللــهِ
أَطْلِقْ مَتِيـنَ عُقَالِهَـا بِنَوَالِكُـمْ يَا مَنْ لَهُ شَـرَفُ الْحِمَـى وَالْجَـاهِ
وَأَفِضْ علَى الْعَافِي بُحُـورَ نَدَاكُـمُ   يَا مَنْ سَمَـا شَرَفـاً عَلَـى الأَشْبَـاهِ
بِالْمُصْطَفَى الأَزْكَـى رَسُـولِ اللـهِ   خَيْـرِ الْـوَرَى مِـنْ آمِـرٍ أَوْ نَـاهِ
مُجْلِي الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى مَـنْ ذِكْـرُهُ   أَحْلَى مِـنَ الْبَرْنِـيِّ فِـي الأَفْـوَاهِ
مَنْ خَصَّـهُ الرَّحْمَـانُ دُونَ عِبَـادِهِ   بِعِنَايَـةٍ مَـا حَازَهَــا ذُو جَـاهِ
أَبْقَى، عَلَيْهِ مَنِ اصْطَفَـاهُ، صَلاَتَـهُ   مَوْصُولَـةً تَتْـرَى بِغَيْــرِ تَنَــاهِ
وَعَلَى جَمِيعِ الآلِ وَالأَصْحَابِ مَـنْ   بَاعُـوا نُفُوسَهُـمْ بِــرُوحِ اللــهِ
مَنْ ذِكْرُهُمْ يَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الصَّدَى وَأَلَــذُّ لِلْهَفَــانِ مِــنْ أَمْــوَاهِ

وَعَلَى رَفِيـعِ مَقَامِكُـمْ مِمَّـنْ أَتَـى مُتَظَلِّمـاً مِـنْ فِعْـلِ وَغْـدٍ زَاهِ

مُسْتَصْرِخـاً بِحِمَاكُـمْ (ذَا) حُرْقَـةٍ لاَ تَنْطَفِـي لَفَحَاتُهَـا بِمِيَـاهِ

أَزْكَـى سَلاَمٍ كَالْعَبِيـرِ وَنَشْـرِهِ مَـا رَدَّتْ وُرْقٌ بِقُضْـبِ عِضَـاهُ

وقال يمدح الإمام العلامة سيدي محمد القسنطيني - أبقاه الله - عند ختم الصغرى عليه، وهي من أول شعره:

بُشْرَى لِفَاسٍ وَقَدْ طَمَـتْ دَيَاجِيهَـا لَوْلاَ مَصَابِيحُهَـا مِـنْ آلِ فَاسِيهَـا

إِنْ عَمَّرَ اللـهُ رَبْعـاً لِلْعُلُـومِ وَقَـدْ ظَلَّـتْ مَحَاسِنُـهُ لِلرِّيـحِ تَسْقِيهَـا

بِعَالِمٍ مَا سَخَـى قَـطُّ الزَّمَـانُ بِـهِ أَضْحَى، بِصَرْفِ الْعُلاَ وَالْعِلْمِ، يَسْقِيهَا

فَاخْضَرَّ رَوْضُ الْمُنَى مِنْهَا بِصَيِّبِـهِ وَغَـرَّدَتْ طَرَبـاً وُرْقُ قُمَارِيهَــا

لَيْسَ كَمَا حَدَّثُوا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ وَلاَ عَنْ أَهْلِ أَنْدَلُـسٍ، عُجْبـاً وَتَنْوِيهَـا

هَذَا الزُّلاَلُ الـذِي صَفَـتْ مَـوَارِدُهُ فَاكْرَعْ بِهَا، يَا حَلِيفَ الْجَهْلِ وَاْتِيهَـا

بَحْرُ الْعُلُومِ، مَلاَذُ الدِّيـنِ عَاضِـدُهُ وَكَعْبَةُ الْمَجْـدِ، لاَ هُـدَّتْ مَبَانِيهَـا

أَحْيَى جَمِيعَ الْفُنُونِ بَعْدَ مَا دَرَسَـتْ وَقَرَّرَ الْكُتُـبَ مِـنْ بَعْـدِ تَلاَشِيهَـا

سَلِ الْمَهَـارِقَ إِنْ تَجْهَـلْ مَآثِـرَهُ فَهِـيَّ تُنْبِيـكَ مَـا الأَقْلاَمُ تُولِيهَـا

تَبَارَكَ اللـهُ مَـا أَجْلَـى مَحَاسِنَـهُ كَأَنَّ عَرْفَ الصَّبَـا لِلنَّـاسِ يُبْدِيهَـا

مُوَضَّحَاتٍ، فَلاَ تَخْفَى عَلَـى أَحَـدٍ إِلاَّ عَلَـى جَاهِـلٍ قَـدْ رَاحَ يَنْفِيهَـا

مَا ضَرَّ شَمْسَ الضُّحَى فِي الأُفْقِ طَالِعَةً إِنْ لَمْ يَكُنْ أَرْمَـدُ الْعَيْنَيْـنِ رَائِيهَـا

يَا رَوْضَةً أَرِجَتْ أَزْهَارُهَـا فَغَـدَتْ أَفْكَارُنَا تَجْتَنِي مِنْ غَـضِّ خَيْرِيهَـا

كَمْ مِنَّـةٍ لَـكَ لاَ يُحْصَـى تَعَدُّدُهَـا عَظِيمَةٍ، لَيْـسَ إِلاَّ اللـهُ يُحْصِيهَـا

أَحْيَيْتَ ذِكْـرَ أُنَـاسٍ بَعْـدَ مَوْتِهِـمُ أَكْرِمْ بِهَـا مِنَّـةً، أَعْظِـمْ بِمُسْدِيهَـا

هَذَا وَصُغْرَى الْعَقَائِدِ التـي بَهَـرَتْ أَلْبَسْتَهَا حُلَـلاً، مَـا الدَّهْـرُ يُبْلِيهَـا

فَضَضْتَ أَبْكَارَهَا الْغِيدَ التِي عَنَسَتْ إِنْ لَمْ تَجِدْ فِي الْوَرَى كُفْـءاً يُضَاهِيهَا

عَقِيدَةٌ قَدْ خَلَـتْ مِـنْ كُـلِّ شَائِبَـةٍ هِيَ الْجَوَاهِرُ وَالأَسْـرَارُ مَـا فِيهَـا

أَزْرَتْ بِكُتْبِ إِمَامِ الْحَرَمَيْـنِ كَمَـا، مُحَصَّلَ الْفَخْـرِ، فَاقَـتْ بِمَغَانِيهَـا

يَا غَادِيَ الْوَابِلِ الْهَطَّالِ فَامْضِ عَلَى أَرْضِ تِلِمْسَانَ، وَاسْكُبْ فِي نَوَاحِيهَا
وَاسْقِ ضَرِيحَ السَّنُوسِي وَلْتُؤَدِّ لَهُ بِشَارَةً، مَا نَسِيمُ الرَّوْضِ يَحْكِيهَا
أَنَّ عَقَائِدَهُ، لاَ، بَلْ فَرَائِدَهُ أَمْسَى إِمَامُ الْوَرَى الْكَمَّادُ يُقْرِيهَا
وَفِي حِمَى سِبْطِ خَيْرِ الْخَلْقِ قَاطِبَةً إِدْرِيسَ غَيْثِ الْوَرَى طُرّاً وَحَامِيهَا
مِنِّي عَلَى جَدِّهِ الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ أَزْكَى صَلاَةٍ يَوَدُّ الْمِسْكُ يَفْدِيهَا
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ وَأَطْرَبَ الْعِيسَ بِالأَلْحَانِ حَادِيهَا

وقال أيضا فيما عنَّ من غرض:

يَا دَارَ مَنْ أَهْوَى رَعَاكِ اللهُ وَتَفَجَّرَتْ بِرِيَاضِكِ الأَمْوَاهُ
وَغَدَوْتِ فِي حُلَلِ النَّضَارَةِ تَزْدَهِي وَهَفَا عَلَيْكِ مِنَ الصَّبَا أَنْدَاهُ
مَا كَانَ آنَقَ نُزْهَةً سَلَفَتْ لَنَا بِرُبَاكِ إِذْ بَرْقُ الْمُنَى شِمْنَاهُ
وَالزَّهْرُ سَالَمَنَا وَفَلَّ شَبَاتَهُ عَنْ حَرْبِنَا وَأَحِبَّتِي مَا تَاهُوا
وَالأُنْسُ يَنْظِمُ شَمْلَنَا فِي سِلْكِهِ وَالْوَصْلُ صَافَحَ يُمْنَنَا يُمْنَاهُ
فِي جَنَّةٍ مَا كَانَ أَلْطَفَ نَشْرَهَا حَسَدَتْ عَلَيْهِ أُنُوفَنَا الأَفْوَاهُ
مَاسَتْ لِدَانُ غُصُونِهَا لَمَّا شَدَا شُحْرُورُهَا النَّشْوَانُ: وَاطَرَبَاهُ!
وَتَبَسَّمَتْ أَزْهَارُهَا لَمَّا بَكَى فِيهَا الْحَيَا، هَمَّالَةً عَيْنَاهُ
أَفْشَتْ نَوَاسِمُهَا سَرَائِرَ نَوْرِهَا لِلَّهِ سِرُّ النَّوْرِ مَا أَفْشَاهُ
وَالرَّوْضُ مُبْتَهِجُ الأَصَائِلِ وَالضُّحَى سَقْياً لِذَاكَ الْعَصْرِ، مَا أَحْلاَهُ!

مَا كَانَ إِلاَّ رَيْثَمَا انْتَعَشَتْ بِهِ أَرْوَاحُنَا حَتَّى اسْتَرَدَّ سَنَاهُ
وَاغْتَالَنَا صَرْفُ الْحَوَادِثِ بِالنَّوَى عَجَباً لِهَذَا الدَّهْرِ مَا أَجْفَاهُ!
آهٍ لِمَا أَلْقَاهُ مِنْ وَجْدِي عَلَى مَا قَدْ مَضَى لَوْ كَانَ يَنْفَعُ آهُ
أَيَرُوضُ خِصْبُ الْوَصْلِ بُسْتَانَ الْمُنَى؟ فَلَطَالَمَا مَحْلُ النَّوَى أَذْوَاهُ
لَوْ مَا الذِي أَرْجُوهُ مِنْ جَمْعٍ عَلَى دَعَةٍ، قَضَيْتُ كَآبَةً لَوْمَاهُ
مَا إِنْ تَزَالُ سَحَائِبٌ كَمَدَامِعِي يَسْقِي مَنَازِهَ أُنْسِنَا وَرُبَاهُ
وَتَحِيَّتِي مَوْصُولَةٌ كَمَوَدَّتِي تَتْرَى إِلَى مَنْ فِي الْحَشَا سُكْنَاهُ

كَنَوَاسِمِ الْعَهْـدِ الـذِي مِـنْ طِيبِـهِ تُذْكِـي سَعِيـرَ أَضَالِعِـي ذِكْـرَاهُ
فَبَلاَبِلِـي مِـنْ بَعْـدِهِ مَوْقُـودَةٌ وَالشَّـوْقُ لاَ يَدْرِيـهِ إِلاَّ اللـهُ

وقال يرثي امرأة من الأقارب رحمها الله:

هِـيَ الدُّنْيَـا يَغُـرُّ بِنَـا سَنَاهَـا فَنَأْمَنُهَـا، فَيَفْجَأُنَـا دُجَاهَـا
تُعَلِّلُنَـا بِـإِدْرَاكِ الأَمَانِـي وَلاَ يَنْفَـكُّ يَرْشُقُنَـا رَدَاهَـا
فَلَـوْ أَنَّـا عَقَلْنَـا مَـا لَهَوْنَـا بِمَـا أَبْـدَتْ إِلَيْنَـا مِـنْ حُلاَهَـا
وَلَكِنَّـا أَضَـرَّ بِنَـا هَوَاهَـا وَأَرْدَانَـا التَّنَافُـسُ فِـي خَلاَهَـا
أَنَلْهُـو وَالـرَّدَى فِينَـا مُقِيـمٌ أَعَـدَّ لَنَـا نِبَـالاً قَـدْ بَرَاهَـا
وَنَرْجُـو الْخُلْـدَ فِيهَـا وَالْمَنَايَـا تُدِيـرُ عَلَـى أَحِبَّتِنَـا طِلاَهَـا؟
وَتَفْجَعُنَـا بِـرُزْءٍ إِثْـرَ رُزْءٍ عَلَـى أَنَّـا سَتَطْحَنُنَـا رَحَاهَـا
سَقَى الرَّحْمَانُ قَبْراً ضَـمَّ شَخْصـاً تَسَرْبَـلَ بِالْمَكَـارِمِ وَارْتَدَاهَـا
وَنَضَّـرَ مَضْجِعـاً لِفَتَـاةِ صِـدْقٍ حَوَى غُـرَرَ الْفَضَائِـلِ إِذْ حَوَاهَـا
لَقَدْ كَانَتْ تَحُـضُّ عَلَـى الْمَعَالِـي وَتَنْـدُبُ لِلْمَكَـارِمِ مَـنْ أَبَاهَـا
وَقَدْ كَانَـتْ بِأُفْـقِ الْفَضْـلِ شَمْسـاً فَحَطَّتْهَـا الْمَنِيَّـةُ عَـنْ ذُرَاهَـا
وَأَلْبَسَهَا الْمَنُـونُ (مُلَـى) كُسُـوفٍ فَهَـلاَّ فَضْلُهَـا الْوَافِـي حَمَاهَـا؟
فَكَـمْ أَحْيَـتْ مَوَاهِبُهَـا كَئِيبـاً أَحَلَّتْـهُ النَّوَائِـبُ فِـي حِمَاهَـا
وَكَـمْ رَبَّـتْ بِأَنْعُمِهَـا يَتِيمـاً قَلَتْـهُ أُمُّـهُ حَتَّـى سَلاَهَـا
لَئِـنْ مَاتَـتْ فَمَـا مَاتَـتْ حُلاَهَـا وَإِنْ أَوْدَتْ فَمَـا أَوْدَى عُلاَهَـا

فَقَـدْ أَبْقَـتْ مَآثِـرَ مُشْرِقَـات تُخَبِّرُ عَـنْ عُلاَهَـا فِـي (نَوَاهَـا)
وَمَنْ يُنْجِبْ بِمِثْلِكَ يَـا ابْـنَ عَمِّـي فَقَـدْ ذَخَـرَ الْمَحَامِـدَ وَاقْتَنَاهَـا
تَجَلَّدْ وَاحْتَسِـبْ وَاصْبِـرْ لِتُعْطَـى أُجُـوراً لاَ يُحَـاطُ بِمُنْتَهَاهَـا
وَلاَ تَحْـزَنْ فَإِنَّـا عَـنْ قَرِيـبٍ سَيَسْقِينَـا الـرَّدَى مِمَّـا سَقَاهَـا
جَزَاهَا اللـهُ خَيْـراً مِـنْ حَصَـانٍ وَقَـدَّسَ رُوحَهَـا وَسَقَـى ثَرَاهَـا
وَلاَ زَالَـتْ جِنَـانُ الْخُلْـدِ تُهْـدِي إِلَيْهَـا مَـا تَـأَرَّجَ مِـنْ شَذَاهَـا

وقال في تطاون حرسها الله:

تِطْوَانُ، تِطْوَانُ لاَ شَيْءَ يُضَاهِيهَا　　غَنَّتْ بَلاَبِلُهَا إِذْ سَالَ وَادِيهَا

وَالْفَجْرِ وَاللَّيْلِ، لَوْلاَ بَعْضُ مَا فِيهَا　　لَمَا نَوَيْتُ رَحِيلاً عَنْ مَغَانِيهَا

وقال بمدينة الجزائر وقد قيل له: لم تركت الشعر؟ وقد كان تركه مدة:

أَعْدَى عَلَيَّ الشِّعْرُ كُلَّ سَفِيهِ　　فَتَرَكْتُهُ إِذَّاكَ زُهْداً فِيهِ

أَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَانَ مِمَّا صُغْتُهُ　　مِنْ حِلْيَةِ الأَسْنَى لِغَيْرِ ذَوِيهِ

وقال رفيقه في زيارة أولياء الله، وهو الأديب صالح بن المعطي، يوم خروجهما من فاس ما نصه:

يَا سَادَتِي أَوْلِيَاءَ اللهِ　　رِقُّوا لِعَبْدٍ أَتَاكُمْ وَاهِ

مُسْتَشْفِعاً بِالْهَاشِمِيِّ الْمُصْطَفَى　　وَالآلِ وَالصَّحْبِ الْعِظَامِ الْجَاهِ

فاقترح عليه تذييلهما فقال:

لاَ تَطْرُدُوا آمَالَهُ عَنْ مَوْرِدٍ　　بِحِمَاكُمُ يَجْرِي بِسَيْبِ اللهِ

جَاءَتْهُ مُوقَدَةَ الْجَوَانِحِ مِنْ صَدىً　　لِزُلاَلِهِ الْمُفْنِي لَهْوَ اللاَّهِي

واستجازه المذكور آنفا في بيت قاله، وقد أشرف على مقام سيدي عبد الله الْخَيَّاطِ وهو:

رَبِّي بِحُرْمَةِ الرِّضَى الأَوَّاهِ　　قُطْبِ الْوَرَى الْخَيَّاطِ عَبْدِ اللهِ

فقال:

أَصْلِحْ بِفَضْلِكَ دِينَنَا وَاغْفِرْ لَنَا　　وَاخْصُصْ إِضَافَتَنَا بِأَهْلِ الْجَاهِ

واقترح عليه إجازة هذا البيت من يجب إسعافه، والبيت:

مَا بَالُ حَيِّ الْهَاشِمِيَّةِ أَنْجَدُوا　　وَالْهَاشِمِيَّةُ مُهْجَتِي مَثْوَاهَا

فقال:

فَالْهَاشِمِيَّةُ بَعْدَ قُرْبِ مَزَارِهَا　　شَطَّتْ نَوَاهَا مَا أَمَرَّ نَوَاهَا

وَالْهَاشِمِيَّةُ لاَ يَزَالُ بِخَاطِرِي　　شَوْقٌ يُؤَجِّجُ نَارَهُ ذِكْرَاهَا

وَالْهَاشِمِيَّةُ مِنْ سِيَادَةِ حُسْنِهَا　　تُنْسِي السِّيَادَةَ كُلَّ مَنْ يَنْسَاهَا

وَالْهَاشِمِيَّــةُ رَبُّنَــا يَرْعَاهَـــا حَـقٌّ عَلَـى الأَلْبَـابِ أَنْ تَرْعَاهَـا

وَتَجُـولَ فِـي أَوْصَافِهَـا أَفْكَارُهَـا وَتَـرُودُ رَوْضَــةَ حُسْنِهَـا وَبَهَاهَـا

وَتُطَـرِّزَ الأَشْعَـارَ وَهْـيَ أَنِيقَـةٌ بِبَدِيـعِ يَهْجَتِهَـا وَحُسْـنِ حُلاَهَـا

لُذْنَا عَلَـى أَنْ لـاَتَ حِيـنَ لِيَاذِنَـا مِـنْ (شَوْقِنَـا) فَقُلُوبُنَـا أَضْنَاهَـا

بِحَدِيثِهَــا إِنَّ الْقُلُــوبَ تَلَــذُّهُ (فَكَأَنَّهَـا) شَرِبَـتْ بِـهِ أَمْوَاهَــا

فَالْهَاشِمِيَّـةُ ذِكْرُهَـا مِـنْ طِيبِـــهِ قَـدْ طَيَّـبَ الأَسْمَـاعَ وَالأَفْوَاهَــا

وَالْهَاشِمِيَّـةُ رَوْضَـــةٌ مَمْطُـورَةٌ تَجْنِي الْحَيَـاةُ لِكُـلِّ مَـنْ يَهْوَاهَـا

وَاهاً لِمَـنْ مَلَكَـتْ مَجَامِـعَ قَلْبِـهِ وَاهـاً لِذَلِـكَ ثُـمَّ وَاهـاً وَاهَــا

ومما كتبه على شعر القائد عبد الخالق رحمة اللّه عليه:

قَرِيضُـكَ يَـا حَيَاتِـي يَـا سَنَاهَـا مُنَى نَفْسِـي، فَـلاَ عَدِمَـتْ مُنَاهَـا

بَقِيـتَ لَهَـا وَلِلإِسْلـاَمِ حِصْنــاً تُرِيـحُ شَمْـسَ سَلْوَتِهَـا عَنَاهَــا

منه:

قَرِيضُـكَ، وَاللَّطَافَـةِ يَـا أَخَاهَـا - وَلاَ عَدِمَتْـكَ - مَرْتَعُـهُ حَشَاهَـا

فَدَيْتُكَ، هَـلْ عَلِمْـتَ بِـأَنَّ عَقْلِـي عَقِيرُ عُقَـارِ شِعْـرِكِ مُـذْ حَشَاهَـا

ومنه:

كَلاَمُكَ - وَالْحَدَائِقِ فِـي نَدَاهَـا - أَرَقُّ مِـنَ النَّوَاسِـمِ فِـي رُبَاهَــا

وَأَطْيَبُ فِـي أُنُـوفِ الـذَّوْقِ مِمَّـا تَحَمَّلَـهُ الْجَـآذِرُ فِــي طُلاَهَــا

لِهِنَّـكَ حَاكِـمُ الأُدَبَــاءِ طُــرًّا شَرَائِعُهُـمْ بَـدَا لَـكَ مُنْتَهَاهَــا

فَشِـدْ يَـا عَبْـدَ خَالِقِــهِ بِنَاهَـا وَحُـطْ يَـا عَبْـدَ خَالِقِـهِ حِمَاهَـا

فَلاَ بَرِحَتْ رِيَـاضُ الْعِـزِّ تُهْـدِي لِسَعْـدِكَ مَـا تَـأَرَّجَ مِـنْ شَذَاهَـا

وقال على (رويها ووزنها) في المديح:

وَعَيْشِـكَ، وَالسَّمَـاءِ وَمَـا بَنَاهَـا وَأَضْـوَاءِ الْغَزَالَـةِ فِـي ضُحَاهَـا

لِهِنَّـكَ لَلرَّئِيـسُ رَئِيـسُ فَــاسٍ وَفَـاسٌ جَنَّـةُ الدُّنْيَـا ذُرَاهَــا

أَمِـطْ يَـا عَيْـنَ بَهْجَتِهَـا قَذَاهَـا وَحُطْ يَـا شَـوْقَ مَغْرِبِهَـا سَنَاهَـا

سَنَاهَـا أَنْتُـمْ لِلَّـهِ أَنْتُـمْ   كَوَاكِبُ أَسْعُدٍ مَحَقَتْ دُجَاهَـا

وَلاَ (كَعُبَيْـدِ) خَالِقِهَـا فَتَاهَـا   سَلِيلِ ذَوَاتِهَا وَأَبِـي عُلاَهَـا

عُلاَهَـا اللَّـذْ بِـهِ بَلَغَتْ مَدَاهَا   وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لاَ تُضَاهَـى

إِذَا مَـا سَـادَةٌ وَلَـدَتْ أَبَاهَـا   تَكَمَّلَ مَجْدُهَـا وَسَمَـا سُمَاهَـا

لَـهُ مِرْبَاعُ حُبِّـيَ وَالصَّفَايَـا   (وَحُكْمُهُ) وَالنَّشِيطَـةُ مَعْ سِوَاهَا

بِآيَـةِ أَنَّـهُ عَجِلَـتْ إِلَيْـهِ   صُنُوفُ مَحَامِدٍ لَمَّـا دَعَاهَـا

دَعَاهَا وَهْيَ عَاقِـدَةٌ حُبَاهَـا   فَحَلَّتْهَا فَطَـارَ بِهَـا هَوَاهَـا

هَوَاهَـا أَنْ تَـرَاهُ أَوْثَـرَاهُ   فَـلاَ يَنْفَـكُّ مُنْتَشِقـاً ثَرَاهَـا

وفي ذلك المقام أنشدت بديهة:

هَنِيئـاً لِمَـنْ أَحْسَـنَ اللهُ لَـهْ   وَجَـادَ عَلَيْـهِ بِمَـا أَمَّلَـهْ

وَأَنْقَـذَهُ مِـنْ عَنَـا نَفْسِـهِ   فَكَانَتْ لَـهُ، أَوْ عَلَيْـهِ وَلَـهْ

حرف الواو

قال عليه، متشوقا إلى ما استرده الدهر مما كان أهداه قديما من المنى إليه:

أَهَاجَـكَ بَيْنُهُـمْ إِذْ نَـأَوْا   وَطَيُّ الْوِصَالِ الـذِي قَـدْ طَوَوْا

وَتَوْدِيعُ صَبْـرِكَ إِذْ وَدَّعُـوكْ   وَتَفْطِيرُ قَلْبِـكَ لَمَّـا بَكَـوْا

وَشَاقَـكَ أُنْسُهُـمُ بِاللِّـوَى   وَمُنْعَرِجِ النَّهْـرِ حَيْـثُ انْتَـدَوْا

وَنَيْلُهُـمُ بَيْـنَ مَهْفَـى الشَّمَـالْ   وَمَهْفَى الصَّبَا، وَالصِّبَا مَـا اشْتَهَوْا

وَعِقْـدُ الْمُنَـى غَيْـرُ مُنْتَثِـرٍ   وَسَعْـدُكَ دَانٍ بِمَـا قَـدْ دَنَـوْا

عَفَـا اللهُ عَنْهُـمْ وَنَضَّرَهُـمْ   كَمَا عَنْكَ يَـوْمَ اللِّقَـا قَـدْ عَفَـوْا

حَلَـتْ لَـكَ أَيَّامُهُـمْ بِالْعُذَيْـبِ   وَمِـنْ نَكْبَـةٍ قَـدْ خَلَـوْا فَحَلَـوْا

شَـوَوْا وُدَّهُـمْ لَـكَ حَتَّـى صَفَـا   وَمَـا رَمَّـدُوا بِالْجَفَـا مَـا شَـوَوْا

وَعَاطَـوْكَ كَأْسَـهُ مَمْزُوجَـةً   بِمَا مِـنْ عَظِيـمِ السُّـرُورِ عَطَـوْا

وَأَجْنَـوْكَ رَوْضَـةَ وَصْلِهِـمُ   بِمَا مِنْ ثِمَـارِ الْمُنَـى قَـدْ جَنَـوْا

رَعَـى اللهُ عَهْدَهُـمُ بِالرِّيَـاضِ   كَمَـا عَهْـدَ حُبِّـيَ فِيهَـا رَعَـوْا

وَأَيَّـامَ أُنْـسٍ لَهُـمْ بِالْحِمَـى حَمَوْا مِنْ سُـرُورِي بِهَـا مَاحَمَـوْا
لَيَالِـيَ يُبْهِجُنِـي جَمْعُهُـمْ وَيُؤْنِقُنِـي لَهْوُهُـمْ إِذْ لَهَـوْا
ويُبْـرِئُ قَلْبِـيَ مِـنْ سُقْمِـهِ بِلَسْـعِ الأَسَـى شَدْوُهُـمْ إِنْ شَـدَوْا
وَأَبْنِي مِـنَ الشِّعْـرِ شِعْـراً أَنِيقـاً يُنَسِّـي الـرُّوَاةَ الـذِي قَـدْ رَوَوْا
سَقَـاكِ الْحَيَـا يَـا عُـرُوشَ النَّقَـا فَفِيـكِ سَقَوْنِـي الـذِي قَـدْ سَقَـوْا
وَيَـا مُلْتَقَـى النَّهْـرِ وَالْمُنْحَنَـى أَلاَ اسْلَـمْ، فَفِيـكَ عَلَـيَّ حَنَـوْا
وَيَا نَفْحَـةَ الـرَّوْضِ طِيبِـي بِهِـمْ فَإِنَّهُـمُ قَـدْ زَكَـوْا وَذَكَـوْا
أَلاَ نَفْحَـةٌ مِـنْ رُبَـى وَصْلِهِـمُ تُبَـرِّدُ مَـا بِالنَّـوَى قَـدْ كَـوَوْا
أَلاَ عَطْفَـةٌ لأَسِيرِهِـمُ؟ أَلاَ رَحْمَـةٌ لِلَّـذِي قَـدْ سَبَـوْا؟
سَلَـامُ الإِلَـهِ وَرِضْوَانُـهُ يَؤُمَّانِهِمْ حَيْثُمَـا قَـدْ ثَـوَوْا
وَلاَ زَالَ شَوْقِـي لَهُـمْ صَاعِـداً كَزَفَـرَاتِ قَلْبِـي يَـوْمَ نَـأَوْا
وَلاَ زَالَ وُدِّي لَهُـمْ تَنْتَهِـي نُسَيْمَاتُـهُ الْغُـرُّ حَيْـثُ انْتَهَـوْا

وقال مجيبا للصالح بن المعطي عن شعر تضمن الدعاء له في رويه:

بِجَـاهِ جَـدِّكَ يَـا مَـنْ قَـدْ سَرَّنِـي حِيـنَ رَوَى
وَزَادَكَ اللَّـهُ أَيْضـاً (سِيَـادَةً) وَسُمُـوَّا
وَلاَ عَدِمْـتَ حَسُـوداً عَلَـى الْعُـلاَ وَعَـدُوَّا
يَصْلَـى الْجَحِيـمَ رَوَاحـاً وَالزَّمْهَرِيـرَ غُـدُوَّا

وقال وقد حل أرض اغصاوة:

لِلَّهِ يَوْمَ شَرِبْنَـا فِيـهِ كَـأْسَ مُنًـى بَيْنَ الْحَدَائِقِ مِنْ أَطْـوَادِ اغْصَـاوَهْ
غَاضَتْ بُحَيْرَةُ هَمِّي يَوْمَ ذَاكَ كَمَـا غَاضَتْ لِخَلْقِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى سَاوَهْ
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا عَجَـزَتْ أَهْلُ السَّمَا وَالثَّرَى أَنْ يُدْرِكُوا شَـأْوَهْ
يُضْحِكُنِي قَوْلُهُـمْ أَيِّهَـا، وَكَسْرُهُـمُ هَاءَ الْمُؤَنَّثِ مَـعْ قَوْلِهِـمْ: لـاَوَهْ

ومما قلت لو فعلت:

اِتَّقِ اللـهَ مَـا اسْتَطَعْـتَ فَـإِنَّ ال لَّـهَ رَبِّـي مَـعَ الذِيـنَ اتَّقَـوْهُ

وَاعْـصِ إِبْلِيـسَ وَاتَّخِـذْهُ عَـدُوّاً إِنَّمَـا يُفْلِـحُ الذِيــنَ عَصَــوْهُ

وَاتْرُكِ النَّفْسَ وَاذْكُـرْ رَبَّـكَ إِقْبَـا   لاً عَلَيْـهِ مَــعَ الذِيــنَ أَتَــوْهُ

لِتَـرَى فَضْلَـهُ الـذِي مَـا لَـهُ حَ   دٌّ عِيَانــاً مَــعَ الذِيـــنَ رَأَوْهُ

وَادْعُـهُ ضَارِعـاً لَـهُ إِنَّ رَبِّــي   لَقَرِيــبٌ مِــنَ الذِيــنَ دَعَــوْهُ

وَارْتَـدِ الدِيـنَ سَابِغـاً وَاشْتَمِلْـهُ إِنَّمَـا يَهْتَـدِي الذِيــنَ ارْتَــدَوْهُ

وَاشْتَرِ الرُّشْـدَ بِالضَّلَالَـةِ وَاعْلَـمْ   إِنَّمَـا يَرْبَـحُ الذِيــنَ اشْتَــرَوْهُ

وَارْتَـجِ اللـهَ فَضْلَـهُ وَاطْلُبَنْــهُ   إِنَّمَـا يَغْتَنِـي الذِيــنَ ارْتَجَــوْهُ

وَاقْتَـنِ الصَّبْـرَ لِلنَّوَائِـبِ وَاعْلَـمْ إِنَّمَـا يَقْتَنِــي الذِيــنَ اقْتَنَــوْهُ

وَابْتَنِ الأَجْـرَ عِنْـدَ رَبِّـكَ بِالـذِّكْ   رِ وَكُنْ مِنْ أَعْلَـى الذِيـنَ ابْتَنَـوْهُ

وَاجْتَنِ الْعِلْـمَ مِـنْ حَدَائِـقِ دَرْسٍ   وَلْتُنَافِـسْ أَسْنَـى الذِيـنَ اجْتَنَـوْهُ

وَاجْتَبِ الْمُجْتَبَى لَدَى الشَّرْعِ وَاعْلَـمْ   إِنَّمَـا يَجْتَبِـي الذِيــنَ اجْتَبَــوْهُ

وَاصْطَفِ الْمُصْطَفَى لِرَبِّـكَ وَاعْلَـمْ   إِنَّمَـا يُصْطَفَـى الذِيـنَ اصْطَفَـوْهُ

وَارْتَضِ الْمُرْتَضَى مِنَ الْحَقِّ وَاعْلَمْ   إِنَّمَـا يُرْتَضَـى الذِيـنَ ارْتَضَـوْهُ

وَامْتَطِ الْقَصْدَ فِـي الأُمُـورِ ذَلُـولاً   إِنَّمَـا يَبْلُــغُ الذِيــنَ امْتَطَــوْهُ

وَاقْرِ ضَيْفَ الأَذَى احْتِمَـالاً وَحِلْمـاً   إِنَّمَـا يُحْمَــدُ الذِيــنَ قَــرَوْهُ

وَاجْتَنِبْ خَلْقَ كُلِّ مَا لَيْـسَ تَفْـرِي   فَالرِّجَـالُ مَـا يَخْلُقُــونَ فَــرَوْهُ

وَاخْشَ مِنْ مُفْسِدِ الصَّنِيعِ فَشَـرُّ الـ   خَلْقِ مَنْ رَمَّدُوا الـذِي قَـدْ شَـوَوْهُ

وَالْـزَمِ الْعِـزَّ وَأْبَ فِعْـلَ الدَّنَايَـا فَرَفِيـعٌ شَـأْنُ الأُلَـى قَـدْ أَبَــوْهُ

وَاجْتَوِ الْبَغْـيَ وَانْتَبِـذْ مِـنْ ذَوِيـهِ   مَـا أَجَـلَّ قَـدْرَ الذِيـنَ اجْتَـوَوْهُ

وَاكْظِـمِ الْغَيْـظَ وَانْـفِ عَنْـكَ أَذَاهُ   أَيُّ عَيْـشٍ، عَيْـشُ الذِيـنَ نَفَـوْهُ؟

مَلَكُـوا أَمْرَهُـمْ، وَنَالُـوا مُنَاهُــمْ عَاجِلاً، وَسَعَـى لَهُـمْ مَـا اشْتَهَـوْهُ

وَهَنَاهُـمْ تَيْسِيـرُ كُـلِّ عَسِيــرٍ   فَاحْتَسَوْا مِنْ أَفْرَاحِهِمْ مَـا احْتَسَـوْهُ

وَارْقَيْـنَ شَامِـخَ الْعُـلَا بِالتَّعَامِـي فَكَذَلِـكَ الْكِـرَامُ قِدْمــاً رَقَــوْهُ

وَاعْتَلِ الْفَخْـرَ ذَا ارْتِفَـاعٍ بِمِعْـرَا   جِ الْوَفَـاءِ وَلَـوْ لِمَـنْ مَـا اعْتَلَـوْهُ

وَارْفُ ثَوْبَ الْهُدَى بِمُنْصَحِ ثَـوْبٍ إِنَّ أَهْـلَ النُّهَـى كَـذَاكَ رَفَــوْهُ

وَابْتَغِ الْخُلْدَ فِـي الْجِنَـانِ وَجَاهِـدْ كَيْ تَـرَى رُتْبَـةَ الذِيـنَ ابْتَغَـوْهُ

وَاتْلُ دَأْبـاً كِتَـابَ رَبِّـكَ وَاسْلُـكْ بِاجْتِهَـادٍ سَبِيـلَ مَـنْ قَـدْ تَلَـوْهُ

وَانْتَقِ الْفَضْـلَ بِالصَّلَـاةِ عَلَـى أَزْكَى رَسُـولٍ، مِثْـلَ الذِيـنَ انْتَقَـوْهُ

فَعَلَيْـهِ الصَّلَـاةُ تَقْفُــو سَلَامــاً مَـا تَـلاَ النَّـاسُ هَدْيَـهُ وَاقْتَفَـوْهُ

وَعَلَـى آلِـهِ الْكِـرَامِ الأُلَـى حَـا زُوا الْفَخَـارَ مِـنْ أَجْلِـهِ وَحَـوَوْهُ

وَارْضَ يَا رَبَّنَا، رِضىً غَيْرَ مَمْـزُوجٍ بِسُخْـطٍ عَـنِ الذِيـنَ حَمَــوْهُ

وَعَـنِ التَّابِعِيـنَ مَـنْ بَلَغُـوا هَـدْ يَهُـمْ لِلأُلَـى اِهْتَــدَوْهُ فَــرَوَوْهُ

ومن كلامه وتضمن تاريخ بناء مكتب:

كَتَبْـتُ بِمَكْتَـبٍ أَبْيَـاتَ شِعْــرٍ تُفِيدُ أَخَـا النُّهَـى مَرحـاً وَزَهْـوَا

يُمِيـتُ بَدِيعُهُـنَّ كُـلَّ وَصْــفٍ لَهُ، فَاتْرُكْ بُحَيْرَ الْوَصْـفِ رَهْـوَا

وَقُلْ: مَتْلَـى كِتَـابِ اللـهِ وَاكْفُـفْ وَفَارِقْ مَنْ سَهَا فِي الْوَصْفِ سَهْـوَا

وَتَـمَّ بِنَــاؤُهُ إِذ شَــقَّ حَــيٌّ جُيُـوبَ قَمِيصِـهِ طَرَبـاً وَلَهْــوَا

حرف الياء

قال عليه، متوسلا برجال الحلية وصاحبها - نفعنا الله بهم - في غرض المولى الشريف أبي عبد الله الصقلي عند ختمه إياها ليلة المولد الشريف، فأملاها في ليلة واحدة:

إِنَّ رِجَــالاً زَيَّنُــوا الْحِلْيَـــهْ حَلاَّهُــمُ الزَّمَــانُ بِالْحِلْيَـــهْ

حِلْيَـةِ يَاقُـوتِ الرَّشَــادِ وَنَــا هِيـكَ بِهَـا مِـنْ حِلْيَـةِ الْعِلْيَــهْ

كَسَاهُـمُ اللـهُ لَبُــوسَ هُــدىً لَمَّـا انْتَقَــى، أَلْحَفَهُــمْ زِيَّــهْ

وَمِـنْ سُلَـافِ الْـوُدِّ أَلْهَمَهُــمْ فَأَصْبَحُـوا قَـدْ أَحْمَــدُوا رِيَّــهْ

نَاهِيـكَ مِـنْ قَـوْمٍ حَـوَوْا شَرَفـاً إِذْ رَفَضُـوا الدُّنْيَـا كَمَـا الزِّنْيَــهْ

وَسَلَّمُــوا الأَمْــرَ لِخَالِقِهِــمْ وَاتَّخَــذُوا مَرْضَاتِــهِ قِنْيَــهْ

وَبَذَلُـوا فِـي الأَمْـرِ طَاقَتَهُــمْ إِذْ فَاتَهُــمْ أَنْ يَقْرَبُــوا نُهْيَــهْ

غِذَاؤُهُـمْ ذِكْــرُ حَبِيبِهِــمُ   وَرُبَّمَـا قَامَــتْ بِـهِ الْبِنْيَــهْ
سُبْحَـانَ مَـنْ سَقَاهُــمُ كَرمــاً   مِنْ فَضْلِـهِ مَـا اسْتَعْذَبُـوا سَقْيَـهْ
سُبْحَـانَ مَـنْ بِالزُّهْـدِ صَدَّهُــمْ   عَـنْ عَـرَضِ الدُّنْيَـا بِـلاَ مِرْيَـهْ
فَعَـرَضُ الدُّنْيَـا قَلَــوْهُ وَفِــي   زَخَـارِفِ الأُخْـرَى لَهُـمْ غُنْيَــهْ
فَعَــرَضُ الدُّنْيَــا بِأَعْيُنِهِــمْ   كَعَقْــرَبٍ تَلْــدَغُ أَوْ حَيَّــهْ
خُطُــورُهُ وَقْتــاً بِبَالِهِــمْ   مُسْتَوْجِـبٌ فِـي عُرْفِـهِ فِدْيَــهْ
حِــنَّ إِلَــى أَطْلَــالِ حُبِّهِــمُ   حَنِيــنَ غَيْلَــانِ إِلَــى مَيَّــهْ
فَمَـنْ يَحُـمْ حَــوْلَ مَحَبَّتِهِــمْ   يَنَــالُ مِـنْ طَعْـمِ الـرَّدَى حِمْيَـهْ
سَلْ بِهِـمُ الرَّحْمَـانَ تَقْطِـفُ مِـنْ رَحْمَتِــهِ الآمَــالَ وَالْبُغْيَــهْ
وَاطْلُـبْ رِضَـا (اللـهِ) بِجَاهِهِـمْ   تَحْـظَ بِهِـمْ إِنْ كُنْــتَ ذَا نِيَّــهْ
مَــنْ سَــأَلَ اللــهَ بِجَاهِهِـمُ   تُقَبَّــلَ اللــهُ بِهِـمْ سَعْيَــهْ
إِنَّ سُــــؤَالاً بِجَلاَلَتِهِــــمْ   يَحُـولُ بَيْـنَ الْقَطْـعِ وَالْمُدْيَــهْ
إِنَّ سُــــؤَالاً بِمَكَانَتِهِــــمْ   يَكُـونُ مِـنْ كُـلِّ أَسـىً رُقْيَــهْ
وَاسْمَــعْ أَحَادِيــثَ كَرَامَتِهِــمْ   مَرْوِيَّـــةً عَمَّــنْ لَــهُ دِرْيَــهْ
إِنَّ سَمَاعــــاً لِمَفَاخِرِهِــــمْ   يَكْسُـو قُلُوبـاً قَـدْ قَسَـتْ خِشْيَـهْ
إِنَّ سَمَاعــــاً لِمَنَاقِبِهِــــمْ   يَصِيــرُ الْمَنْكُــوبُ ذَا نَشْيَــهْ

إِنَّ الْتِـــذَاذاً بِحَدِيثِهِـــمُ   وَحَقِّهِـمْ مِـنْ أَشْـرَفِ الْمُنْيَــهْ
بِجَاهِهِـمْ رَبِّـي لَدَيْــكَ وَمَــنْ   طَوَّقَهُــمْ إِذْ شِئْتَهُــمْ حِلْيَــهْ
نَبِيِّنَـا خَيْـرِ الْـوَرَى مَنْ أَتَـى   إِلَيْـهِ جِبْرِيــلُ كَمَــا دِحْيَــهْ
أَزْكَـى صَلَــاةٍ مِنْــكَ دَائِمَــةٍ   عَلَيْـهِ مَـا أَهْـدَى لَنَــا هَدْيَــهْ
جَـازَ الـذِي أَبْـدَى شَمَائِلَهُــمْ   بِجَنَّــةِ الْفِـرْدَوْسِ فِــي حِلْيَــهْ
أَبُـو نُعَيْـمٍ مَنْ سَمَــا وَعَــلاَ   أَبُــو نُعَيْــمٍ نَاعِــمُ النِّيَّــهْ
أَبُـو نُعَيْـمٍ مَـنْ غَــدَا حَسَنــاً   مُـذْ حَسَّـنَ اللـهُ (بِهِـمْ) وَشْيَـهْ
أَبُـو نُعَيْـمٍ مَنْ حَـوَى شَرَفــاً   نَعَّمَــهُ الرَّحْمَــانُ بِالرُّؤْيَــهْ

وَاغْفِـرْ لَنَــا اللَّهُــمَّ خَالِقَنَــا   مَـا قَـدْ جَنَـاهُ الْبَغْـيُ وَالْفِرْيَــهْ
وَمَــا اقْتَرَفْنَـــا بِبَطَالَتِنَـــا   وَلَهْوِنَــا بِالْجَهْــرِ وَالْخُفْيَـــهْ
وَانْصُـرْ أَمِيـرَ الْمُؤْمِنِيـنَ عَلَى   مَــنْ رَامَ أَنْ يُوسِعَهُــمْ بَغْيَـــهْ
وَأَدِمِ اللَّـــهُ مَحَاسِنَـــهُ إِذْ هِـيَ مِـنْ رَأْسِ الْهُـدَى نَقْيَـهْ
وَاحْفُظْـهُ يَـارَبِّ بِكُــلِّ سَنَــيً   وَاسْقِهِ مِنْ حَـوْضِ الْمُنَـى أَرْيَـهْ
وَوَفِّــقِ اللَّــهُ بِطَانَتَــهُ وَسَــدِّدَنْ يَــا رَبَّنَــا رَأْيَــهْ
وَأَصْلِـحِ الأَشْـرَافَ سَادَتَنَــا   إِنَّ لَنَـا فِـي رُشْدِهِــمْ بِغْيَــهْ
وَأَسْنِــدِ اللــهُ لَهَــمْ هِمَمــاً   مَـا أُسْنِـدَ الْحُسْـنُ إِلَـى الظَّبْيَـهْ
وَقَــارِئَ الْحِلْيَـــةِ ذَا نَغَــمِ   تُزِيـلُ عَـنْ قَلْـبِ صَـدٍ غَيَّــهْ
وَرَاقِــمِ الشِّعْــرِ بِمَجْدِهِـــمُ   أَصْلِحْهُمَـا وَالأَهْـلَ وَالصِّبْيَــهْ
وَمَـنْ حَمَـى لِلْمُسْلِمِيـنَ أَسَــيً   فَاقْصُـرْ عَلَيْـهِ رَبَّنَــا حِمْيَــهْ
وَمَنْ غَشَـى مِـنْ حِقْدِهِـمْ وَغَـلاَ   طَوِّقْـهُ يَـا رَبَّ الْعُــلاَ غَشْيَــهْ
وَاجْعَـلْ أَذَى الْمُــؤْذِي بِلَبَّتِــهِ   وَسَقِّـهِ مِــنْ بَأْسِــهِ شَرْيَــهْ
بِجَـاهِ شَمْـسِ الْخَلْــقِ سَيِّدِنَــا   مُحَمَّـدٍ أَزْكَـى الْــوَرَى نُهْيَــهْ
صَلَّـى عَلَيْـهِ اللـهُ مَـا هَطَلَـتْ   دُمُـوعُ أَقْـوَامٍ مِــنَ الْخِشْيَــهْ
وَالْــآلِ وِالصِّحْــبِ وَتَابِعِهِــمْ   وَمَـنْ حَوَتْـهُ كُتُــبُ الْحِلْيَــهْ

وقال أيضا في غرض المذكور يخاطب مولانا محمد بن السلطان نصره الله:

أدام اللــه مولانـــا العليـــا   يُحاكـي الزُّهـر والزَّهـر الْجنيـا
ذكي الْخُلق زين الْخَلق يحـي الـن   واظـر والْخواطـر حيـث حيــا
وحلـاه الإلــه بكــل فضــل   ولا زال العَــلاء لــه نَجِيــا
أمولانـا الـذي خفـظ الثريــا   وبـان بـه العُـلا بشـرا سويــا
لقـد أضنـت مَحبتـك الْمزايــا   كما أضنـى الْهـوى غيلـان ميـا
حبـــارك لا تكدرهـــا دلاء   إذا مـا كـدرت يومــا ركيــا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيـنَ، أَبُـوكَ مَـنْ قَـدْ أَتَــاهُ رَبُّــهُ مُلْكــاً عَلِيَّـــا

وَجَـدُّكَ خَيْـرُ خَلْـقِ اللـهِ طُـرّاً بِحَسْبِـكَ أَنْ تَكُـونَ لَـهُ سَمِيَّـا

فَكَيْفَ وَقَدْ عَكَفْتَ عَلَى (هُـدَاهُ) وَصِـرْتَ بِكَنْـزِ سُنَّتِـهِ غَنِيَّـا

وَجَنَّبْـتَ الْمَثَالِـثَ وَالْمَثَانِـي وَصَيَّـرْتَ الْهَـوَى يَهْـوِي هَوِيَّـا

وَبَيْنَ يَدَيْ خِطَابِـكَ، يَـا مَلَـاذِي! أَبُـوحُ بِمَـا غَـدَوْتَ بِـهِ شَجِيَّـا

بِعَـادُكَ يَـا مُحَمَّـدُ وَهْـوَ سُـمٌّ أَعَـانَ الْبَـثَّ وَالشَّكْوَى عَلَيَّـا

وَنَارُ الشَّـوْقِ، وَهْـيَ أَحَـرُّ نَـارٍ رَأَتْ قَلْبِـي بِهَـا أَوْلَـى صُلِيَّـا

فِرَاقُـكَ صَيَّـرَ الْبَيْضَـاءَ سَـوْدَا لأَنَّـكَ كُنْـتَ كَوْكَبَهَـا السَّنِيَّـا

أَمَا شَاقَتْـكَ فَـاسُ؟ فَقَبْـلُ شَاقَـتْ لَيَالِـي السَّفْـحِ مَوْلاَنَـا الرَّضِيَّـا

لَعَـلَّ أَبَـاكَ يَنْبُـوعَ الْمَعَالِـي مُعِيـدُ رَمِيـمِ مَيْـتِ الْفَخْـرِ حَيَّـا

يَكُـونُ بِكُـمْ عَلَـى فَـاسٍ سَخِيّـاً كَمَـا كَـانَ الزَّمَـانُ بِـهِ سَخِيَّـا

يَـرُدُّ لِمَطْلِـعِ الْخُلَفَـاءِ مِنْكُـمْ هِلَـاَل الْفَضْـلِ مُلْتَاحـاً بَهِيَّـا

فَيَسْـرَحُ مِنْـكَ غَيْهَبُنَـا فَنَلْقَـى بِـكَ الآمَـالَ (زَاهِـرَةً) الْمُحَيَّـا

وقال أيضا وقد حمل على اقتباس: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِياً):

قَضَّيْتُ مَـا وَعَـدَ التَّلَاقِـي وَكَـانَ وَعْـدُهُ مَأْتِيَـا

أَنْ أَصْطَلِـي نَـارَ الْفِـرَاقِ (فَكَـانَ) حَتْمـاً مَقْضِيَـا

اَلْبَيْـنُ هَيَّـجَ صَبْوَتِـي وَأَعَـادَ لُبِّـيَ مَسْبِيَـا

وَالْبَيْـنُ أَضْـرَمَ لَوْعَتِـي وَأَصَـارَ قَلْبِـي مَكْوِيَـا

وَالْبَيْـنُ صَبَّـرَ مُقْلَتِـي تَبْكِـي الدِّمَـاءَ تَعَدِّيَـا

وَبِعَـادُ مَالِـكِ مُهْجَتِـي لِحَشَـايَ أَمْسَـى مُرْدِيَـا

وَمُعَذِّبِـي بِعَـذَابِ مَـنْ مَـا دَانَ دِينـاً مَرْضِيَـا

قَـدْ قُلْـتُ عِنْـدَ وَدَاعِـهِ يَـوْمَ الرَّحِيـلِ تَمَنِّيَـا:

يَـا لَيْتَنِـي قَبْـلَ الْـوَدَا عِ كُنْـتُ نَسْيـاً مَنْسِيَـا

وقال يخاطب شيخه القاضي العدل بقية الظرفاء الجلة، أبا عبد الله سيدي محمد العربي بردلة فيما يظهر من فحواه، مضمنا صدر بيت ابن الأحمر:

أَيَـا مَـــنْ فِيـــهِ لِلظَّمْــآن رَيُّ   وَمَـنْ عَلْيَــاهُ لِلدُّنْيَــا حُلِــيُّ

وَمَنْ جَلَّى سَنَـا شَمْـسِ (الْمَعَانِـي)   وَمَـنْ نُـورُ الْفَضَـاءِ بِـهِ جَلِـيُّ

مُحِبُّكُـمُ الـــذِي قُدْتُـــمْ هَـــوَاهُ كَمَـا قَـادَتْ هَـوَى غَيْلاَنَ مَـيُّ

أَضَافَتْـهُ ضَرُورَتُـهُ إِلَـى مَـــنْ   يَمُوتُ عَلَى الشَّهَـادَةِ وَهْـوَ حَـيُّ

وقال في زيارة الولي سيدي عبد الله التاودي - نفع الله به - دفين باب الجيسة:

أَلاَ عُــذْ بِالضَّرِيــحِ التَّــاوُدِيِّ   وَمَـا قَـدْ ضَـمَّ مِـنْ ذَاكَ الْوَلِـيِّ

وَقُلْ: يَا أَيُّهَـا الْمَوْلَـى الْمُرَجَّـى!   تَوَسَّلْ لِـي إِلَـى الْمَوْلَـى الْعَلِـيِّ

لَقَـدْ أَبْعَـدْتُ حَـقَّ اللـهِ جُهْـدِي فَأَبْعَدَنِـي عَـنِ النَّهْـجِ السَّـوِيِّ

تَوَسَّـلْ لِـي لِخَلَّــاقِ الْبَرَايَــا   بِحَـقِّ الْمُصْطَفَـى أَزْكَـى نَبِــيِّ

صَلَــاةُ اللــهِ تَشْمَلُـــهُ وَآلاً   لَهُ وَالصَّحْـبَ فَضْـلاً عَـنْ عَلِـيِّ

وقال وقد رغب إليه الحارثي في مضمنه:

بِعَبْـدِ الْخَالِقِالْجُــودِ السَّخِــيِّ مَلَـاذِ الْخَلْـقِ ذِي الْخُلُـقِ الْبَهِـيِّ

أَنِخْ عَنَـسَ الرَّجَـاءِ عَلَـى يَقِيـنٍ بِـأَنْ يَلْقَـاكَ بِالْوَجْـهِ السَّنِــيِّ

وَقُلْ: يَا يُسْرَهُ الْمَيْسُـورَ أَنْصِـتْ،فَقَـدْ نَـادَاكَ عُسْــرُ الْحَارِثِــيِّ

وقال عند صدوره من ذلك الْمقام يُخاطب أبا العباس الجراي وكان مِمَّنْ رافقه من القصر:

بِالْقَصْـرِ سَــادَاتٌ ذَوُو هَــدْيِ   رَضَعُوا لِبَـانَ الْمَجْـدِ مِـنْ ثَـدْيِ

صَاغُــوا مُبَالَغَــةً لِجَرْيِهِـــمُ   فِي الْفَضْـلِ فَعَّـالاً مِـنَ الْجَـرْيِ

هُـمْ زِينَـةُ الْقَصْـرِ وَحِلْيَتِـــهِ   وَالْقَصْـرُ مُفْتَقِـرٌ إِلَـى الْحَلْــيِ

وقال يستنهض همم أهل الهمم من أولياء الله:

يَـا سَادَتِـي عَبْـدٌ عَلَـى أَبْوَابِكُـمْ مُتَطَفِّـلٌ يَرْجُـو الـذِي يُنْجِيــهِ

قَـدْ قَارَعَتْـهُ ذُنُوبُـــهُ وَعُيُوبُــهُ فَالْكُـلُّ نَــارَ كَآبَـةٍ يُصْلِيــهِ

إِنْ لاَ تَفُكُّـوا أَسْـرَهُ، يَـا أَسْـرَهُ! يُبْـدِ الشَّمَاتَـةَ كُـلُّ مَـنْ يَقْلِيـــهِ

وفيها:

أَكَلْنَا يَوْمَ لَمْطَتِنَا الْمَرِيَّهْ كَسَكْسُونَا بِزُبْدَتِهِ الطَّرِيَّهْ

وَأَسْبَلْنَا الْحَلِيبَ عَلَيْهِ حَتَّى تَطَرَّدَ فِي جَوَاهِرِهِ السَّنِيَّهْ

فَأَضْرَمَ نَارَ شَهْوَتِنَا إِلَيْهِ فَحَكَّمْنَا لَظَاهَا فِي الْقَضِيَّهْ

فَأَوْجَبَتِ ائْتِسَافَ الْكُلِّ أَكْلاً فَأَبْقَيْنَا الْيَسِيرَ بِغَيْرِ نِيَّهْ

فَأَبْصَرْنَا الْهَبَا مِمَّا شَبِعْنَا وَكَانَ الْجُوعُ أَعْشَانَا عَشِيَّهْ

لِأَنَّ عَشَاءَنَا قَدْ ضَاقَ عَنَّا فَكَمْ بَيْنَ الْعَشِيَّةِ وَالْغَدِيَّهْ

فَنَشْكُرُ رَبَّنَا شُكْراً سَنِيّاً يُسَنِّي الزَّيْدَ دَأْباً فِي الْعَطِيَّهْ

ومن هذا ما قلته في مولانا إدريس بن إدريس:

إِدْرِيسُ نَجْلُ سَمِيِّهِ جِيدُ الْعُلاَ بِحُلِيِّهِ

أَبُوهُ خِيرَةُ كَامِلٍ سِرِّ الْمُثَنَّى وَلِيِّهِ

صِفْوَةِ سِبْطِ نَبِيِّنَا الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّهِ

مِنْ كُلِّ فَخْرٍ لِفَاخِرٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ رَكِيِّهِ

وَاللَّهُ أَسْمَاهُ سَيِّداً عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ

مُحَمَّدٍ نُخْبَةِ الْوَرَى سِرِّ الإِلَهِ نَجِيِّهِ

صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِ مَا حَنَّ الْغَرِيبُ لِحَيِّهِ

وَآلِهِ وَصِحَابِهِ وَمَنْ تَزَيَّ بِزِيِّهِ

وَمَنْ، وَمَنْكَعَلِيِّهِ فِي نَشْرِ فَضْلٍ وَطَيِّهِ؟

وَكَالتِي (نَجَبَتْ) بِهِ وَبِالْحُسَيْنِ أُخَيِّهِ

غَيْثَيْنِ لَيْثَيْنِ فِي الْوَغَى وَالْجُودِ سُدَّيْ أَتِيِّهِ

بَدْرَيْنِ بَحْرَيْنِ فِي الْعُلاَ وَالْعِلْمِ عَيْنَيْ سَنِيِّهِ

حُسْنُ الْقَرِيضِ بِمَدْحِهِمْ أَضْعَافُ حُسْنِ رَوِيِّهِ

يُكْسَى لِذَلِكَ بَهْجَةً كَالرَّوْضِ غُدْوَةَ رَيِّهِ

وقلت متشوقا إلى من رأيت له شبيها:

أَذْكَرَنِــي قُوَيْسِمـــاً بُنَـــيٌّ وَالذِّكْـرُ مُطْلِـقٌ لِسَـــانَ الْعِـــيِّ

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَـا مَعـاً فِـي الْحَـيِّ يَا حَـيُّ! مَـا عَنْـهُ غِنـىً لِحَـيِّ

جَمْعـاً يُفَـرِّقُ جُمُـوعَ الْغَـيِّ كَالْجَمْعِ بَيْـنَ ذِي الظَّمَـا وَالـرِّيِّ

وفي التهنئة:

لَـكَ الْبُشْـرَى هَنِيئـاً بِالْعَلِـيِّ عَلِـيِّ الْقَـدْرِ نَجْـلِ أَبِـي عَلِـيِّ

دُعِيـتَ أَبَـا عَلِـيٍّ قَبْـلُ فَـرْداً وَزِدْتَ أَبَـا الْعَلِـيِّ بِـذَا الصَّبِـيِّ

فَـذَاكَ اسْـمٌ يُطَابِقُــهُ الْمُسَمَّــى وَهَـذَا كُنْيَــةٌ بِابْــنٍ سَمِــيِّ

يَكُونُ لَكُـمْ شَبِيهـاً فِـي الْمَعَالِـي وَفِيمَا حُـزْتَ مِـنْ خُلُـقٍ رَضِـيِّ

فَيَخْلُـفُ مَـنْ خَلَفْـتَ أَبَـاكَ جَـدٌّ لَـهُ، قَـدْ سَـادَ كُـلَّ أَبٍ أَبِـيِّ

رَعَـاهُ اللـهُ حَيّـاً بَعْـدَ مَـوْتٍ وَأَبْقَـى ذِكْـرَهُ فِـي كُـلِّ حَـيِّ

وقال:

عَلَـى أَهْـلِ الْعَـلاَءِ أَبِـي عَلِـيِّ سَلَـامٌ مِـنْ أَخِـي سَلَـمٍ صَفِـيِّ

يَـوَدُّ دُنُـوَّهُ مِـنْ كُـلِّ خَيْـرٍ وَيَهْـوَى بُعْـدَهُ مِـنْ كُـلِّ غَـيِّ

وَيُبْهِجُـهُ التَّهَانِـي بِالأَمَانِـي وَإِبْقَـاءُ الْغَلِـيِّ عَلَـى الْوَلِـيِّ

وقال:

شَرِبْنَـا مِـنْ سَـرِيٍّ يَحْمَـدِيٍّ وِدَاداً فِـي الْقَدِيـمِ بِغَيْـرِ شَـيِّ

سِـوَى عَهْـدٍ قَدِيـمٍ قَـدْ تَقَضَّـى بِمَعْرِفَـةٍ خَلَـتْ مِـنْ كُـلِّ غَـيِّ

فَمَـا وُجِـدَتْ بِمَضْيَعَــةٍ لَدَيْــهِ وَلَكِـنْ صَانَهَـا صَـوْنَ الْحُلِـيِّ

وَزَيَّنَهَـا بِإِخْلَـاصٍ وَصِـدْقٍ كَمَـا زَانَ الْقَصَائِـدَ بِالـرَّوِيِّ

تَعَهَّدَهَـا وَلَـمْ يَجْـدِبْ ثَرَاهَـا بِوَسْمِـيِّ التَّـوَدُّدِ وَالْوَلِـيِّ

فَأَنْبَتَـتِ الأَزَاهِـرَ فِـي صَفَـاءٍ تَنِـمُّ بِنُصْـحِ ذِي مِقَـةٍ صَفِـيِّ

جَـزَاهُ اللـهُ خَيْـراً فَهْـوَ أَهْـلٌ لِخَيْـرِ اللـهِ ذِي الطَّـوْلِ الْغَنِـيِّ

وَعَامَلَـهُ بِمَـا يُرْضِــي عُلَــاهُ عُلاً لَـمْ (يُرْضِهَـا) غَيْـرُ الْعَلِـيِّ

فَذَاكَ الْمَرْءُ وَهْـوَ حَلِيـفُ صِـدْقٍ حَقِيــقٌ أَنْ يُهَنَّـــأَ بِالْهَنِـــيِّ

اِنْتَهَى الرَّوْضُ الأَرِيضُ فِي بَدِيعِ التَّوْشِيحِ وَمُنْتَقَى الْقَرِيضِ، دِيوَانُ الْفَقِيهِ الْعَلاَّمَةِ الْمُشَارِكِ أَبِي عَبْدِ اللّه مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ ابْنِ زَاكُور. فَحَمْداً لِلَّهِ وَجَمِيلَ عَوْنِهِ، وَصَلَّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُتِبَ مِنْ خَطِّ نَاظِمِهِ رَحِمَهُ اللّهُ.

فن التوشيح

وقال أيضا موشحا في السلطان نصره الله عارض بها:

لَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِي:

نَظَمْـتُ عَلَـى الْمُبْـدِي جَمِيـلَ الصِّفَـاتْ
فَجَـاَءتْ كَمَـا الْعِقْـدِ بِجِيـدِ الْمَهَـاةْ
فِـي يَـدِ الْمُنَـى مَنْظُـومْ بِفَضْـلِ الأَمِيـرْ
أَمِيـرٌ بِـهِ مَوْسُـومْ جَنَـاحُ الْكَسِيـرْ
يَلُـوذُ بِـهِ الْمَظْلُـومْ فَنِعْـمَ النَّصِيـرْ
لَـهُ هَجْمَـةُ الأُسْـدِ وَفَتْـكُ الْبُـزَاةْ
وَفِيـهِ حَيَـا الْخَـوْدِ وَحِلْـمُ الثِّقَـاتْ
وَعِفَّـةُ ذِي النُّسْـكِ وَنَفْـعُ الْمَطَـرْ
وَرَائِحَـةُ الْمِسْـكِ وَحُسْـنُ الْقَمَـرْ
بَقِيـتَ سَنَـا الْمُلْـكِ مُنِيـرَ الْغُـرَرْ
تَعُـلُّ ذَوِي الْـوُدِّ بِكَـأْسِ الْهِبَـاتْ
أَيَـا كَوْكَـبَ السَّعْـدِ وَعَيْـنَ الْحَيَـاةْ
أَمَوْلَـاَيَ إِسْمَاعِيـلْ أَشَمْـسَ الْمُلُـوكْ
بِمَدْحِـكَ صَـارَ الْقِيـلْ كَـدُرِّ السُّلُـوكْ
وَكَـادَ مِـنَ التَّسْهِيـلْ عَلَـى مَـنْ يَحُـوكْ
يَنَـالُ بِـلاَ قَصْـدِ رَقِيـقَ السِّمَـاتْ
كَمَـا فَـاحَ مِـنْ نَجْـدِ لَطِيـفُ النَّبَـاتْ
يَزِيـدُ بِـهِ ذَوْقَـا عَـرَارُ اللَّبِيـبْ

وَيَنْعَـــمُ مَـــنْ يَشْقَـــى بِهَجْـــرِ الْحَبِيــــبْ

وَرَاقِمُــــهُ يَرْقَــــى عَلَــى ابْــنِ الْخَطِيـــبْ

فَخُـــذْهُ كَمَـــا الشَّهْـــدِ مَـــعَ الرَّشَفَـــاتْ

حكَـى: جَـارَ عَـنْ قَصْـدِي هَـــوَى الْغَانِجَـــاتْ

وقال في بعض أصائل الربيع، هذا الموشح البديع:

جَـــاءَ الأَصِيـــلْ يُحْيِـــي قَتِيلْ= النَّائِبَـــاتْ

قُـــمْ يَـــا حَمِيـــمْ نَبْـــرُدْ حَمِيمْ= الْحَسَـــرَاتْ

قَـــدْكَ مِـــنَ الأَشْجَـــانْ يَـا مَـنْ لَـهُ قَلْـبٌ رَقِيـقْ

أَصْـغِ إِلَـى أَلْحَـــانْ وُرْقٍ تُنَـادِي مِـنْ سَحِيـــقْ

قَـــدْ أَيْنَـــعَ الْبُسْتَـــانْ فَهَاتِهَـــا مِثْـــلَ الْعَقِبـــقْ

تَشْفِـــي غَلِيـــلْ صَـبٍّ عَلِيـلْ= ذِي زَفَـرَاتْ

هَـــبَّ النَّسِيـــمْ يَهْـدِي شَمِيمْ= الزَّهَـــرَاتْ

وَالشَّمْـــسُ بِالْـــوَرْسِ تَرْقُـــمُ بِالـــرَّوْضِ مُلَـــى

تَفْعَـــلُ بِالنَّفْـــسِ فِعْـلَ الْخَلِيـــعِ بِالطِّلَـــى

حَـــيَّ عَلَـــى الأُنْـــسِ يَـا ذَا الأَسَـى وَانْظُـرْ إِلَـى:

غُصْـــنٍ يَمِيـــلْ بِصَبـاً بَلِيــلْ= ذِي نَسَمَـاتْ

مَـــنْ لاَ يَهِيـــمْ بِشَـذَا النَّسِيمْ= أَقْسَـى الْقُسَـاةْ

وقال في بعض الغدايا موشحا:

اَلـــرَّوْضُ فِـــي الصَّبَـــاحْ نَشْـــوَانُ مِـــنْ طُلُـــولْ

أَرْسَـــلَ بِالأَقَـــاحْ مُهَـــذَّبَ الْعُقُـــولْ

تَـــرْوِي بِـــهِ الرِّيَـــاحْ شَمَائِـــلَ الرَّسُـــولْ

يُعَلِّـــمُ الطَّبِيــــبْ كَيْفِيَّـــةَ الْعِلَـــاجْ

إِذْ نَشْـــرُهُ مُذِيــــبْ بُـــرُودَةَ الْمِـــزَاجْ

فَيَنْثَنِـــي الْبَلِيـــدْ فِـــي وَصْفِـــهِ يَقُـــولْ

مَـــا يُطْـــرِبُ الْجَلِيــــدْ وَيَخْصِــــمُ الْعَـــذُولْ

وَيُبْـــــرِئُ الْعَمِيــــــدْ ذَا السِّــــلِّ وَالذُّبُـــولْ

أَنْبَأَنَــــا الْقَضِيـــــبْ فِــي ضِمْــنِ الاِحْتِيَــاجْ

أَنَّ الدُّنَـــى تَطِيـــبْ لِتَـــارِكِ اللَّجَـــاجْ

وَلِلَّـــــذِي يُدِيــــرْ كُــــؤُوسَ الاِعْتِبَــــارْ

فِــي رَوْضَـــةِ النَّضِيـــرْ بُرْهَـــانُ الاِفْتِقَــــارْ

يَعْلَمُـــــهُ الْبَصِيـــــرْ كَالشَّمْــسِ فِــي النَّهَــارْ

بَيْـــنَ يُـــرَى جَدِيـــبْ فِــي شِــدَّةِ احْتِيَــــاجْ

إِذَا بِـــــهِ خَصِيـــــبْ فِـــي حُلَــلِ ابْتِهَــــاجْ

وقال أيضا موشحا:

كُــــنْ عَاذِلِــــي أَوْ لاَ فَالنَّشْــرُ فَاحْ=مِــنَ الأَقَــاحْ

فَنَشْوَتِـــــي أَوْلَـــــى مِنْ لَحْيٍ لاَحْ=بَيْـنَ الْبِطَـاحْ

دَرَاهِــــمُ النَّـــــوْرِ وَشَّــتْ بُرُودْ=خُضْــرِ النُّجُــودْ

وَنَفْحَــــةُ الْخَيْـــــرِي جَــاءَتْ تَقُودْ=سَعْـدَ السُّعُــودْ

وَنَغْمَــــةُ الطَّيْـــــرِ أَنْسَتْــكَ عُودْ=غَيْــدَاءَ رُودْ

حَــــادِي الْمُنَـــى أَمْلَـــى آيَ انْشِــرَاحْ=ذَاتَ اتِّضَـــاحْ

لِلَّـــــهِ مَـــــا أَحْلَـــى نَشْـرَ الأَقَاحْ=مَـعَ الصَّبَــاحْ!

مَـــا أَبْــدَعَ الْبُسْتَـــانْ! قَــدِ اكْتُسِي=بِالسُّنْـــدُسِ

مُكَلَّــــلَ الأَفْنَــــانْ فِـــي عُرُسٍ=بِالنَّرْجِـــسِ

فَطَيْــــرُهُ النَّشْـــوَانْ لاَ يَأْتَسِي=بِمَـــنْ نُســـي

فَاطْـــرَبْ بِـــهِ كَـــيْ لاَ تُرْضِـي اللُّوَاحْ=فَهْـوَ النَّجَــاحْ

وَلاَ تُطِـــعْ نَـــذْلاَ يَـرَى الْجُنَاحْ=فِـي الارْتِيَــاحْ

وقال أيضا على سبيل التغزل، والاستعطاف والتنزل، موشحا:

هَلْ لِصَبٍّ مِنْ لَمَـاكَ الْمُـزْدَرِي بِسُلَـــافِ الــــرَّاحْ

رَشَفَــاتٌ مُزِجَــتْ بِالسُّكَّــرِ   تَمْنَـــــحُ الأَفْــــــرَاحْ

مَرْوِيَاتٌ عَــنْ صِحَــاحِ الْجَوْهَــرِ   عَـــــنْ مُنَـــى الــــأَرْوَاحْ

عَنْ هِلاَلِ الْحُسْنِ عَنْ ظَبْـيِ النَّقَـا   عَـــنْ قَضِيـــبِ الْبَـــانْ

مِنْ جِنَانِ الْوَصْـلِ دُونـي أُغْلِقَـا رِقَّ يَارِضْــــــــوَانْ!

وَارْثِ لِي مِنْ ذَا الْعَـذَابِ الأَكْبَـرِ فَعَسَــــــى أَرْتَـــــاحْ

فَعَلَــى ذَاكَ الْمُحَيَّــا الأَنْــوَرِ   ذِي السَّنَـــا الْوَضَّــــاحْ

مِـنْ شَـجٍ نَشْـرُ سَلَـامٍ عَنْبَـرِي   مَــا انْبَــرَى الإِصْبَــاحْ

وَثَنَتْ بَـانَ الرُّبَـى كَـفُّ الصَّبَـا وَشَـــدَا الْقُمْـــــرِي

وَصَبَـا قَلْبِـي لأَيَّـامِ الصِّبَـا   رَيِّـــقِ الْعُمْـــــرِ

وقال أيضا موشّحا:

أَرْسِـــلْ جِيَـــادَ النَّظَــرِ وَاعْتَبِرِ=وَاشْـرَبْ طِـلاَ السُّلْـوَانْ

وَذُدْ شُــــرُودَ الْغِيَـــــرِ وَلْتَشْكُرِ=مَـنْ طَّـرزَ الْبُسْتَــانْ

جَلــاَّهُ غِـــبَّ الْمَطَـــرِ بِالزَّهْرِ=مُكَلَّـــلَ التِّيجَــــانْ

وَطَائِــرُ الْبِشْـــرِ صَــدَحْ لِـأَنْ قَدَحْ=زَنْـدَ الْمُنَـى السَّعْـدُ

بَاكِـــرْ مَعَاهِـــدَ الْفَـــرَحْ فَقَـدْ شَرَحْ=جَمَالَهَــا الْــوَرْدُ

وَاعْتَنَقَــتْ هِيَــفُ الْغُصُــونْ   يَسْتَنْثِرُونْ=جَوَاهِـرَ الأَطْـوَاقْ

كَأَنَّهُـــمْ مُدَلَّهُـــونْ   مُتَيَّمُونْ=سَمَـتْ لَهُـمْ أَشْـوَاقْ

وَلِلْبَنَفْسَـــجِ عُيُــــونْ لاَ يَنْعَسُونْ=تَبْكِـي مِـنَ الإِيـرَاقْ

وَالنَّرْجِـسُ الْغَـضُّ نَفَــحْ   لَمَّـا اصْطَبَحْ=مِـنْ نَشْـرِهِ نَــدُّ

فَارْكُــضْ سَوَابِــقَ الْفَـــرَحْ   فَقَــدْ جَرَحْ=خُــدُودَهُ الْــوَرْدُ

وَزَانَ وَجْنَـــاتِ الشَّقِيـــقْ   نَــدىً رَقِيــقْ=رُوَاؤُهُ يَبْهَــرْ

كَأَنَّمَـــا عَلَـــى الْعَقِيـــقْ دُرٌّ أَنِيقْ=مِـنْ أَنْفَـسِ الْجَوْهَــرْ

أَوْ دَمْـعُ مَـنْ ضَــمَّ الْعَشِيــقْ   يَشْكُـو الْحَرِيقْ=بِخَـدِّهِ الأَحْمَــرْ

يَسْلُــو بِــهِ مَــنِ انْتَـــزَحْ مِـنَ الْمَرَحْ=مَـنْ لِلنَّــوَى مَــدُّ

لَـــبِّ مُنَـــادِي الْفَـــرَحْ فَقَــدْ جرَحْ= خُــدُودَهُ الْــوَرْدُ

وقال موشحا عارض ابن سهل في قوله:

لَيْلُ الْهَوَى يَقْضَانْ

بيد أنه مدح بها المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه في بعض ليالي المولد الشريف:

يَـــا لَيْلَـــةَ الْمِيلَـــادْ مَـــا كَـــانَ أَحْلَـــى سَمَـــرَكْ

شَفَيْـــتِ ذَا أَنْكَـــادْ بَـــاتَ يَشِيـــمُ غُـــرَرَكْ

فَاللـــهُ بِالإِسْعَـــادْ بَيْـــنَ اللَّيَالِـــي نَظَّـــرَكْ

أَسْرَجَهَـــا الرَّحْمَـــانْ بِنُـــورِ شَمْـــسِ الْبَشَـــرِ

مَـــنْ هُـــوَ فِـــي الإِحْسَـــانْ يَاقُوتَـــةٌ فِيحَجَـــرِ

بِمُوضِـــحِ اللَّبْـــسِ بِـــذِي اللِّـــوَاءِ وَالْقَضِيـــبْ

بِمُبْعِـــدِ النَّحْـــسِ عَـــنْ غُـــرَّةِ الدِّيـــنِ الْعَجِيـــبْ

بِطَيِّـــبِ النَّفْـــسِ مَـــنْ خُـــصَّ بِالْحُسْـــنِ الْغَرِيـــبْ

مُكَحَّـــلُ الأَجْفَـــانْ بِالدَّعْـــجِ وَالْحَـــوَرِ

مُفَلَّـــجُ الأَسْنَـــانْ يَبْسِـــمُ عَـــنْ كَالـــدُّرَرِ

نَبِيُّنَـــا الْمَنْسُـــوبْ إِلَـــى ذَوِي الْجَـــاهِ الْخَلُـــوبْ

الْمُصْطَفَـــى الْمَحْبُـــوبْ مَـــنْ حُبُّـــهُ يَمْحِـــي الذُّنُـــوبْ

مُنَـــوَّرُ الأُسْلُـــوبْ مُنَبَّـــأٌ عَـــنِ الْغُيُـــوبْ

فَأَعْظَـــمُ الْبُرْهَـــانْ عَلَـــى سَنَـــاهُ الأَبْهَـــرِ

أَنْ جَـــاءَ بِالْقُـــرْآنْ يُفْحِـــمُ كُـــلَّ مُجْتَـــرِي

لَـــمْ يَقْـــوَ ذُو قُـــوَّهْ عَلَـــى الْكَلَـــامِ الْمُشْـــرِقِ

مِمَّـــنْ لَـــهُ قَسْـــوَهْ مِـــنْ شَاعِـــرٍ ذِي مَنْطِـــقِ

أَنْ يَحْتَـــذِي حَـــذْوَهْ مُعَارِضـــاً فِـــي النَّسَـــقِ

قَـــدْ صَانَـــهُ الْمَنَّـــانْ مِنْ خَـــدْشِ كُـــلِّ مُمْتَـــرِي

أَيَمْتَـــرِي إِنْسَـــانْ فِـي أَنَّـهُ مِـنْ بَشَــرِ؟
يَكْفِيــكَ فِــي مَجْـــدِهْ يَــا مَــنْ لَــهُ أُذْنٌ وَعَيْــنْ
وَحَـــارَ فِـــي قَصْـــدِهْ أَنْ فَـاضَ مِـنْ يُمْنَـاهُ عَيْــنْ
رَوَتْ ذَوِي جُنْـــــدِهْ وَمَـا حَـوَى يَـوْمَ حُنَيْــنْ
(لَمَّـا) الْتَقَــى الْجَمْعَــانْ وَفَــرَّ كُــلُّ مُدْبِـــرِ
مِـنْ هَــزْمِ ذِي الأَوْثَــانْ بِقَبْضَــةٍ مِــنْ حَجَــرِ
يَــا عِلْــقَ أَعْلاَقِـــي يَـا خَيْـرَ مَـنْ خَـصَّ وَعَـمْ
ذُبْـــتُ بِأَشْوَاقِـــي إِلَـى ضَرِيحِـكَ الأَشَــمْ
وَقَيْـــدُ إِمْلاَقِـــي أَلْبَسَنِــي بُــرْدَ سَقَــمْ

يَرْجُـوكَ ذُو (الأَشْجَـــانْ) فِـي الْفَـوْزِ يَـوْمَ الْمَحْشَـرِ
مُشَيِّـــبُ الْوِلْـــدَانْ بِهَوْلِـــهِ الْمُسْتَنْكَـــرِ
قَـــدِّرْ رَسُـــولَ اللـــهْ لِـــذَا الْمُعَنَّـــى فَرَجَـــا
صَلَّـــى عَلَيْـــكَ اللـــهْ مَـا لاَحَ نَجْـمٌ فِـي دُجَـى
وَمَـا شَـدَا مَـــنْ تَــاهْ فِـي لَيْـلِ هِجْـرَانٍ سَجَـا
لَيْـــلُ الْهَـــوَى يَقْضَـــانْ وَالْحِـبُّ تِــرْبُ السَّهَــرِ
وَالصَّبْـــرُ لِـــي خَـــوَّانْ وَالنَّـوْمُ عَـنْ عَيْنِـي بَـرِي
وقال في معارضته أيضا:
مَــنْ عَلَّــمَ الْغِزْلـــَانْ الْفَتْـكَ بِاللَّيْـثِ الْجَـرِي
وَسَلَّـــطَ الْعَيْنَـــانْ عَلَــى قُلُــوبِ الْبَشَـــرِ
يَـــا ضَـــرَّةَ الشَّمْــسِ اللـهَ فِـي الصَّـبِّ الْكَئِيـبْ
يَـــا مُنْيَـــةَ النَّفْـــسِ هَجْـرُكَ لِلنَّفْـسِ مُذِيـبْ
حَدَّثَنِـــي حَدْسِـــي أَنَّــكَ لِلُّــبِّ سَلِيـــبْ
بِأَسْهُـــمِ الأَجْفَـــانْ ذَاتِ الْعَـــذَابِ الأَكْبَـــرِ
(مُصْمِيَـــةُ) الْوَلْهَـــانْ بِالدَّعْـــجِ وَالْحَـــوَرِ

مَــا ضَــرَّ يَــا مَحْبُـــوبْ يَــا هَاجِــرِي بِــلاَ ذُنُـــوبْ

لَـــوْ تَنْعَـــشُ الْمَطْلُـــوبْ بِلَفْظِـكَ الْعَــذْبِ ا لْخَلُـــوبْ

بِغَايَــــةِ الْمَرْغُـــــوبْ مِـنْ وَصْلِـكَ الْمُحْيِـي الْقُلُـــوبْ

تَذَكَّــرْ يَـــا وَسْنَــــانْ يَــا ذَا الــرُّوَاءِ الأَنْضَـــرِ

لَيَالِــــيَ الْبُسْتَــــانْ تَحْـتَ الْعَرِيـشِ الأَخْضَـــرِ

وَأَنَـــا فِـــي نَشْـــوَهْ مِـنْ خَمْــرِ ثَغْــرِكَ النَّقِـــي

مُهَيِّـــجُ الصَّبْـــــوَهْ لِكُــلِّ مَــنْ لَــمْ يَعْشَـــقِ

لَـــمْ تَعْرُنَـــا جَفْـــوَهْ تُثِيــرُ نَــارَ حُرَقِـــــي

مَــا بَيْنَنَـــا نَدْمَـــانْ إِلاَّ أَرِيــــجُ الزَّهَـــــرِ

أَوْ نَغْمَـــــةُ الْوَرْشَــــانْ عَلَــى غُصُـــونِ الشَّجَـــرِ

وَالْبَـــدْرُ مِـــنْ بَعْـــدِهْ يَرْقُبُنَـــا بِكُــلِّ عَيْــــنْ

أَرْسَـــلَ مِـــنْ وَجْـــدِهْ عَيْنــاً عَلَيْنَـــا الْفَرْقَدَيْـــنْ

فَخَـــابَ فِــي قَصْـــدِهْ وَخَيْبَــةُ الرُّقْبَـــانِ شَيْـــنْ

وَالْــوُرْقُ فِــي الأَغْصَـــانْ فَاقَـــتْ حَنِيـــنَ الْوَتَـــرِ

بِمُطْـــرِبِ الأَلْحَــــانْ عِنْــدَ الصَّبَـــاحِ الْمُسْفِـــرِ

تُثِيـــــرُ أَشْوَاقِــــــي بِصَوْتِهَــا الْمُبْــرِي السَّقَـــمْ

قَامَـــتْ عَلَــى سَـــاقِ إِذْ عَنْبَــرُ اللَّيْــلِ بَسَـــمْ

عَــنْ ثَغْــرِ إِشْــرَاقِ تَشْــدُو بِطَيِّـــبِ النَّغَـــمْ:

مَقَـــالَ ذِي أَشْجَـــانْ حِلْــفَ أَســـىً وَضَـــرَرِ

لَيْـــلُ الْهَـــوَى يَقْظَـــانْ وَالْحِــبُّ تِـــرْبُ السَّهَـــرِ

وقال ما ينشد على قافيتين، ويلى من التوشيح بحليتين، ويركب على صنعتين:

أَدِرِ الْكَاسَـاتِ مِـنْ خَمْـرِ اللَّعَسْ يَا لَهَا مِـنْ رَاحْ= تَحْكِـي الْجُلَّنَـارْ

وَاسْقِنِيهَـا خَمْـرَةً تَجْلُـو النَّفَـسْ عَلَّنِـي أَرْتَاحْ= مِـنْ حَـرِّ الـأُوَارْ

بِأَبِـي ظَبْـيٌ رَمَانِــي بِسِهَــامْ رِيشُهَـا الأَهْدَابْ= تَبْـرِي الأَفْئِـدَهْ

مَـزَّقَ الْقَلْبَ الْكَئِيـبَ الْمُسْتَهَـامْ إِذْ رَنَـا وَانْسَابْ= سَيْـفُ جَـرَّدَهْ

عَنْبَـرِيُّ الْخَـالِ مِسْكِـيُّ الْخِتَـامْ يُذْهِـلُ الأَلْبَـابْ= دُرٌّ نَضَّـدَهْ

هِمْتُ وَجْداً مِـنْ سَنَـاهُ الْمُقْتَبَـسْ مِنْ سَنَا الإِصْبَـاحْ= أَوْ بَـدْرٍ أَنَـارْ

لـاَحَ حِيـنَ افْتَـرَّ ثَغْـرٌ كَالْقَبَـسْ أَزْهَـرٌ وَضَّاحْ= أَذْكَـى زَنْـدَ نَـارْ

نَرْجِسِيُّ اللَّحْـظِ وَرْدِيُّ الْوَجْنَتَيْـنْ بِـدَمِ الأَكْبَـادْ= أَزْرَتْ بِالشَّقِيـقْ

بَدْرُ حُسْنٍ فَوْقَ غُصْنٍ مِـنْ لُجَيْـنْ مَائِـلٌ مَيَّادْ= لِلْبَـانِ شَقِيـقْ

مُذْ نَضَا نَحْـوِي سَيْـفَ الْمُقْلَتَيْـنْ أَوْهَـنَ الأَعْضَادْ= وَاشْتَـدَّ الْحَرِيـقْ

عِيلَ صَبْرِي فِي هَوَى ظَبْيِ الأَنَـسْ وَالْحِجَا قَدْ رَاحْ= مُـذْ شَـطَّ الْمَـزَارْ

وَرَذَاذُ الدَّمْعِ مِـنْ عَيْنِـي انْبَجَـسْ وَالْهَوَى فَضَّاحْ= لاَ يُخْفِـي اسْتِتَـارْ

وقال أيضا موشّحاً:

اَلنَّـوْرُ الأَصْفَـرْ يُبْـدِي ثُغُـورَهْ

أَبْهَـى وَأَبْهَـرْ مِـنْ كُـلِّ صُـورَهْ

يُولِـي النُّفُوسَـا حُلَـى ابْتِهَـاجْ

حَاكَـى الْكُؤُوسَـا بَعْـدَ الْمِـزَاجْ

يَفْـرِي النُّحُوسَـا فَـرْيَ الدَّيَـاجْ

اَللَّـوْنُ أَنْضَـرْ يُولِيـكَ نُـورَهْ

وَالنَّشْـرُ أَعْطَـرْ يَفْنِـي الضَّـرُورَهْ

يَـا مَـنْ أَذَاهُ هَـمُّ الْمَدِينَـهْ

عُـجْ بِرُبَـاهُ وَاقْطِـفْ فُنُونَـهْ

فَفِـي شَـذَاهُ حَسْـمُ الْعُفُونَـهْ

اَللَّـهُ أَكْبَـرْ مُذْكِـي بُخُـورَهْ

حُسْـنٌ مُحَبَّـرْ لِـمْ لاَ تَـزُورَهْ؟

عَـرِّجْ عَلَيْـهِ عِنْـدَ الصَّبَـاحِ

وَانْهَـضْ إِلَيْـهِ مَـعَ الصِّبَـاحِ

تَجِـــــدْ لَدَيْـــــهِ أَصْـــــلَ النَّجَـــاحِ

وقال أيضا مجيبا لمن اقترحه:

جَــــلَّ صَنِيـــعْ الْبَدِيعْ= الْفَاعِــلُ الْمُخْتَـــارْ
حَلَّـــى الرَّبِيـــعْ الرَّفِيعْ= بِحِلْيَـــةِ النُّـــوَّارْ
سِـــــرٌّ بَدِيـــعْ فِي مُذِيعْ= سَرَائِـرِ الأَزْهَــارْ
اَلـــــرَّوْضُ رَاضْ وَهْـوَ رَاضْ= غُصُـونَ أَشْجَـارِهْ
شِفَـــا الْمِـــرَاضْ فِي مَرَاضْ= جُفُـونِ أَنْـوَارِهْ
صَــــحَّ الْعَلِيـــلْ مِنْ عَلِيلْ= نَسِيمِــهِ الْمِعْطَــارْ
إِذْ فِـــي مُمِيـــلْ النَّحِيلْ= مِنْ غُصْنِــهِ أَسْــرَارْ
وَفِـــي مَسِيـــلْ سَلْسَبِيلْ= مِيَاهِــهِ اسْتِعْبَـــارْ
فِعْلُـــهُ مَـــاضْ عِنْـدَ قَاضْ= أَفْكَـارِ زُوَّارِهْ
إِذْ لاَ اعْتِـــــرَاضْ فِي افْتِرَاضْ= نُقُـودِ أَزْهَـارِهْ

وَلاَ جُنَـــــاحْ فِـي مُبَاحْ= أَلْحَـانِ وَرْشَانِـهْ
وَهَـــلْ يُتَـــاحْ اِرْتِيَـــاحْ= إِلاَّ بِرَيْحَانِـــهْ؟
تَـــرْوِي الرِّيَـــاحْ عَـنْ صِحَاحْ= آثَـارِ نَيْسَانِـهْ
مَـــنْ فِـــي الرِّيَـــاضْ وَالْحِيَاضْ= أَجَــلُّ أَوْطَـارِهْ
فِيـــهُ تُـــرَاضْ عَـنْ تَرَاضْ= بَنَـاتِ أَفْكَـارِهْ

وله موشحة معارضة ل:

يَـا بَهْجَـةَ الْخَمْـــرِ فِـي الأَنْمُـلِ الْحُمْـرِ= إِذْ تُـدَارْ:
مَـا جَـالَ فِـي فِكْـرِي أَنْ يَنْتَهِي كَسْـرِي= إِ لَـى ا لْجُبَـارْ
وَيُنْشِـــدُ السُّلْـــوَانْ مِنِّيَ مَا قَـدْ حَانْ= بِـا لاِ صْطِبَـارْ
فَيُنْتَشَـــى مِنِّـــي أَذْكَـى مِـنَ النَّدِّ= لِنَاشِــقْ
وَيُجْتَنَـــى مِنِّـــي أَحْلَـى مِـنَ الشَّهْدِ= لِذَائِــقْ
وَتَشْتَهِـــي فَنِّـــي نَوَاعِـمُ الْقَــدِّ= رَوَ ا شِــقْ

يَـــا لَــــذَّةَ السُّكْـــرِ   بِأَكْـؤُسِ الشُّكْرِ= تِلْـكَ الْكِبَـــارْ

يُدِيرُهَـــــا رَيَّــــــانْ   مِنْ وَابِـلِ الإِحْسَانْ= عَلَـى وَقَـارْ

يَرْتَـــاحُ لِلنَّدْمَــــــانْ   كَأَنَّــهُ عَاشِقْ= لَـــهُ وَجِيـــبْ

يَـــا دِيمَـــةَ الرِّضْـــوَانْ يُنْبِي بِهَـا بَارِقْ= مِـنَ الْحَبِيـبْ

تَهْمِـــي عَلَـــى اللَّهْفَـــانْ بِالْخَارِقِ الْحَارِقْ= حُجْـبَ الْغُيُـوبْ

يَـــا رُوحَـــهُ يَجْـــرِي   مِـنْ مَطْلِـعِ الْفَجْرِ= إِلَـى النَّهَـارْ

وَعِــــزُّهُ إِذْ هَــــانْ   لِمَوْقِـعِ الأَذْهَانْ= فِـي الاِنْهِيَـارْ

وقال، وقد اقتُرح عليه هذا الْموشحُ فِي السلطان – نصره اللّه – عارض به وزنَ ذلك الْمَلحونِ، الذي يُنْسبُ للشليم:

حُــقَّ الْهَنَــاءُ وَالسُّـــرُورْ   مَـدَى الدُّهُورْ= بِمَوْلِـدِ الْمُخْتَــارْ

الْمُصْطَفَــى بَـدْرِ الْبُـــدُورْ   شَافِي الصُّدُورْ= بِالنُّـورِ وَالأَسْـرَارْ

وَبِابْنِــهِ بَحْــرِ الْبُحُــورْ   دُرِّ النُّحُورْ= مُعَفِّــرِ الأَشْـــرَارْ

مَـنْ قَـدْ حَكَـى يَـوْمَ الْكِفَــاحْ   بَيْنَ الرِّمَاحْ= لَيْثَ الشَّرَى فِي الْغِيـلْ

عَيْــنِ الرَّشَــادِ وَالصَّلَـــاحْ   قُطْـبِ الفَلاَحْ= مَوْلـاَيَ إِسْمَاعِيـلْ

شَمْـسِ الْمُلُـوكِ أَجْمَعِيـــنْ   إِذْ لاَ قَرِيــنْ= وَا سِطَــةِ الْعِقْـدِ

لَــوْلاَ أَمِيـــرُ الْمُؤْمِنِيـــنْ نُورٌ مُبِينْ= فِـي الْقُـرْبِ وَالْبُعْـدِ

حَكَــى جَمِيـعُ الْمُسْلِمِيـــنْ   فِـي الْعَالَمِينْ= كَفّـاً بِــلاَ زَنْــدِ

إِذْ هُــوَ عُنْـــوَانُ النَّجَـــاحْ   بَحْرُ السَّمَاحْ= يَفِيضُ فَيْضَ النِّيـلْ

عَيْـــنُ الرَّشَــادِ وَالصَّلَـــاحْ   قُطْـبُ الْفَلاَحْ= مَوْلـاَيَ إِسْمَاعِيـلْ

أَتَـــاكَ مَوْلِـــدُ الرَّسُـــولْ   يَا ابْنَ الْبَتُولْ= فَاصْطَدْ بِهِ الأَفْـرَاحْ

فِـي قَصْــرِكَ الــذِي يَهُــولْ   كُـلَّ الْعُقُولْ= بِحُسْنِـهِ الوَضَّـــاحْ

فَالْبَــسْ بِــهِ بُـرْدَ الْقَبُــولْ   يَا كُلَّ سُولْ= يَـا رَحْمَـةَ الْفَتَّـاحْ!

فَلَـوْ حُبِّـي طَيْــرُ الصَّبَــاحْ   نُطْقـاً لَصَاحْ= بِأَحْسَـنِ التَّرْتِيــلْ

عَيْـــنُ الرَّشَــادِ وَالصَّلَـــاحْ   قُطْـبُ الْفَلاَحْ= مَوْلـاَيَ إِسْمَاعِيـلْ

وقال أيضا فيه، معارضا به مُوازِنَه على سبيلِ الاقتراح:

زَنْــــــدُ سَعْــــدٍ أَوْرَى وَالْهَنَــا جَاءَنَــا سَافِــرْ

وَتَوَالَـــتْ بُشْـــرَى بِهُمَـــامٍ لَنَـــا ظَافِـــرْ

بِالــذِي قَــدْ أَغْــرَى مَـوْجَ بَحْـرِ النَّـدَى الْوَافِـرْ

مَلِــــكُ الْبَرِيَّـــــا مَــنْ عِـدَاهُ الـرَّدَى نَالُــوا

زَاهِــــرُ الْمُحَيَّــــا ذُو نَــوَالٍ لَــهُ بَـــالُ

مَـــنْ سَنَـــاهُ أَغْنَـــى عَـنْ سَنـاً نَالَــهُ الْبَــدْرُ

وَشَبَــــاهُ أَفْنَــــى كُـلَّ مَــنْ شَانَـهُ الْغَــدْرُ

وَنَـــدَاهُ أَدْنَــــى مِنْــهُ مَــنْ دَارُهُ مِصْــرُ

وَاجِــــبٌ عَلَيَّـــا مَدْحُــهُ مَــا بَــدَا آلُ

وَعَـــلاَ الثُّــرَّيَـــا وَتَــلاَ الصُّبْــحَ آصَــالُ

مُسْتَطَـــابٌ مَدْحُـــهْ مُسْتَبِيــنُ الْكَرَامَـــاتِ

مُسْتَتِـــمٌّ نُصْحُـــهْ عَــمَّ حَتَّــى الْجَمَــادَاتِ

لاَ يَـــزَالُ صُبْحُـــهْ مُسْتَنِيــرَ الْعَــلاَ مَــاتِ

جَاءَنَـــا وَفِيَّـــا لَــهُ فِـي الْمَجْـدِ إِرْقَـالُ

لَـــمْ يَـــزَلْ غَنِيَّـــا عَــنْ نُجُــومٍ إِذَا مَالُــوا

وقال أيضا موشحا في الربيع قديما:

فَصْــلُ الْمُنَــى أَقْبَــلْ يُفَـــرِّجُ الأَحْـــزَانْ

فَانْهَـضْ بِنَـا وَاعْجَـلْ لِدَوْحَـــةِ الْبُسْتَـــانْ

قُـمْ فَاسْـقِ يَـا خَمَّــارْ وَاتْـرَعْ كُـؤُوسَ الـرَّاحْ

صَهْبَــا كَلَــوْنِ النَّــارْ تُنَفِّـــرُ الأَتْـــرَاحْ

أَمَــا تَـرَى النُّــوَّارْ قَــدْ دَبَّــجَ الــأَدْوَاحْ؟

وَالطَّيْــرُ قَــدْ وَلْــوَلْ فَأَطْــرَبَ الأَغْصَــانْ

وَالْــوَرْدُ قَــدْ أَخْجَــلْ شَقَائِـــقَ النُّعْمَــــانْ

وَالزَّهْـــرُ قَـــدْ نَضَّـــدْ عمَـــا ئِـــمَ الأَ شْجَـــارْ

وَالنَّـــوْرُ قَـــدْ عَرْبَـــدْ بِخَمْـــرَةِ الأَنْهَـــارْ

فَهَـــذَا كَالْعَسْجَـــدْ وَذَاكَ كَالْبُلـــــــأَّرْ

مِـــنْ أَصْفَـــرٍ مُعْتَـــلّْ وَأَبْيَـــضٍ فَتَّـــانْ

وَأَحْمَـــرٍ مُخْضَـــلّْ وَأَخْضَـــرٍ فَيْنَـــانْ

وقال أيضا معارضا توشيح الحلي الذي أوله:

شُقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاحْ

عَلِّلاَنِـي فَلَقَـدْ جَـاَءِ الصَّبَـاحْ بِسُلـــاَفِ الـــرَّاحْ

وَامْزِجَاهَـا بِلَمَـى غِيْـدٍ صِبَـاحْ وَامْـــلاَ الأَقْـــدَاحْ

وَاسْقِيَانِـي، فَلَقَـدْ غَنَّـى وَصَـاحْ طَائِـــرُ الإِصْبَـــاحْ

إِنَّ فِي الْكَاسَاتِ مِنْ خَمْـرِ الدِّنَـانْ سَلْـــوَةُ الْمَحْـــزُونْ

فَاشْرَبَنْهَـا فَلَقَـدْ آنَ وَحَـانْ زَمَـــنٌ مَيْمُـــونْ

مُـذْ بَـدَتْ تَطْلُـعُ أَقْمَـارُ الْمُـدَامْ فِـــي سَمَـــا الْفِكْـــرِ

قَوَّضَ الأَشْجَانَ مِـنْ بَعْـدِ الْتِئَـامْ رَائِـــدُ الْبِشْـــرِ

مِثْلَمَـا قَـوَّضَ غِرْبَـانَ الظَّـلَامْ أَجْـــدَلُ الْفَجْـــرِ

يَا لَهَا مِـنْ خَمْـرَةٍ رَقَّـتْ مَعَـانْ مَـــنْ بِهَـــا مَلْبُـــونْ

فَاقَتِ الأَقْمَـارَ فِـي أَيْـدِي الْقِيَـانْ فِـــي اللَّيَالِـــي الْجُـــونْ

مَزَجَتْهَـا رَاحَـةُ الأَسْكَنْـدَرِ بِثَـــرَى اسْرَانْدِيـــبْ

فَلِـذَا أَزْرَتْ بِطَعْـمِ السُّكَّـرِ وَأَرِيـــجِ الطِّيـــبْ

وَأَشَبَّـتْ بِسَنَـــاهُ الأَبْهَـــرِ أُمْنِيَـــاتُ الشِّيَـــبْ

فاسْقِنِيهَـا قَهْـوَةً تَكْسُـو الْبَنَـانْ عَنْـــدَمَ الْمَطْعُـــونْ

مَكُثَتْ فِي الدَّنِّ دَهْـراً مِـنْ زَمَـانْ صَانَهَـــا افْرَيْـــدُونْ

بِنْـتُ كَـرْمٍ جُبِيَـتْ كَرْمَتُهَـا لأَبِـــي بَلْقِيـــسْ

وَسَقَاهَـا فَبَـدَتْ نَضْرَتُهَـا أَرِسْطَاطَالِيـــــسْ

خِلْتُهَا لَمَّـا غَشَـتْ سَوْرَتُهَـا فِــي حَشَـا الْبَنِّيـسْ

زَجَـلَ الرُّهْبَـانُ يَـوْمَ الْمِهْرَجَـانْ فِــي حِمَــى عَبْـدُونْ

أَوْ فُـؤَادِي إِذْ عَـرَاهُ الْخَفَقَـانْ فَهْوَكَالْمَجْنُــونْ

هَاجَـهُ ذِكْـرُ عُهُـودٍ بِاللِّـوَى فِــي ظِلَــالِ الْبَــانْ

وَبِرُوحِي يَا عَذُولِـي فِـي الْهَـوَى شَــادِنٌ فَتَّـــانْ

وَجْهُهُ وَالْبَـدْرُ فِـي الْحُسْـنِ سَوَا فَهُمَــا مِثْلَــانْ

يَا لَهُ مِـنْ أَحْـوَرِ الْجَفْـنِ بَـرَانْ لَحْظُــهُ الْمَسْنُــونْ

وَجَفَى عَيْنِي الْكَـرَى لَمَّـا جَفَـانْ وَصْلُــهُ الْمَمْنُــونْ

لَيْـتَ إِذْ مَـزَّقَ صَبْـرِي الْجَفَـا وَسَبَــى لُبِّـــي

وَكَسَـا جِسْمِـي الضَّنَـا وَالدَّنَفَـا وَبَــرَى قَلْبِـــي

يَتَّقِـي الرَّحْمَـانَ فِيمَـنْ أَتْلَفَـا دُونَ مَــا ذَنْــبِ

فَلَقَـدْ أَوْدَى بِرُوحِـي الْهَيَمَـانْ وَكَسَانِــي الْهُــونْ

وَحَكَـى لَوْنِـي مِمَّـا قَـدْ عَـرَانْ صُفْــرَةَ الْعُرْجُــونْ

يَاحَيَاةَ الـرُّوحِ صِـلْ ذَا الْمُبْتَلَـى بِالْهَــوَى قَهْــرَا

لاَ تَظُـنَّ الْقَلْـبَ مِنْهَـا قَـدْ سَلاَ أَوْ نَــوَى غَــدْرَا

لاَ، وَمَـنْ فَضَّلَـهُ اللـهُ عَلَـى خَلْقِــهِ طُــرَّا

اَلرَّسُولِ الْمُصْطَفَى الثَّبْـتِ الْجَنَـانْ ذِي السُّمَــا الْمَيْمُــونْ

مَـنْ حَبَـاهُ اللـهُ بِالـآيِ الْحِسَـانْ وَالنَّبَــا الْمَكْنُــونْ

وَبِـهِ أَنْقَذَنَـا الرَّحْمَـانُ مِـنْ ظُلَــمِ الشَّــكِّ

وَأَقَـالَ اللـهُ مِنَّـا مَـنْ غُبِـنْ بَيْعَــةَ الشِّــرْكِ

لَمْ يُطِقْ فِي الدَّهْـرِ جِهْبِـذٌ لَسِـنْ وَصْــفَ ذَا الْمَكِّــي

حَسْبُنَـا فِـي فَضْلِـهِ آيُ الْقُـرْآنْ ذِي السَّنَــا الْمَخْــزُونْ

لَمْ يَزَلْ يُتْلَى عَلَى طُـولِ الزَّمَـانْ صَــادُهُ مَــعْ نُــونْ

خَاتِمُ الرُّسْلِ الْكِرَامِ، الْمُصْطَفَى وَاضِحُ الْمِنْهَاجْ

مَنْ حبَاهُ اللهُ مِنْهُ شَرَفًا لَيْلَةَ الْمِعْرَاجْ

هُوَ حَسْبِي فِي هُمُومِي وَكَفَى نُورُهُ الْوَهّاجْ

يَا رَسُولَ اللّهِ يَا رَحْبَ الْبَنَانْ يَا مُنَى الْمَحْزُونْ

رِشْ كَئِيباً بَزَّهُ صَرْفُ الزَّمَانْ ذُو الشَّبَا الْمَسْنُونْ

يَا سَحَابَ الْبَذْلِ يَا بَحْرَ الْعَطَا يَا عَظِيمَ الْجُودْ

كُنْ شَفِيعاً لِلَّذِي قَدْ أَفْرَطَا فِي الذُّنُوبِ السُّودْ

وَاسْقِ مَنْ أَظْمَأَهُ حَرُّ الْخَطَا حَوْضَكَ الْمَوْرُودْ

أَنْتَ أَوْلَى مَنْ يَقِي ذَا الْهَيَمَانْ وَالشَّجِي الْمَفْتُونْ

يَوْمَ يُكْسَى ذُو الْهَوَى ثَوْبَ الْهَوَانْ مِنْ عَذَابِ الْهُونْ

وَعَلَيْكَ اللَّهُ صَلَّى وَعَلَى آلِكَ الْغُرِّ

وَعَلَى الأَصْحَابِ مَنْ شَادُوا الْعُلاَ بِالْقَنَا السُّمْرِ

أَبَداً تَتْرَى عَلَيْكُمْ مَا انْجَلَى اَللَّيْلُ بِالْفَجْرِ

هَاكَهَا تُزْرِي بِمَنْ أَرْخَى الْعَنَانْ فِي دَمِ الزَّرْجُونْ

وَشَدَا لَمَّا بَدَا الصُّبْحُ وَبَانْ فِي حِمَى جَيْرُونْ

شُقَّ جَيْبُ اللَّيْلِ عَنْ نَحْرِ الصَّبَاحْ أَيُّهَا السَّاقُونْ

وَبَدا لِلطَّلِّ فِي جِيدِ (الأَقَاحْ) لُؤْلُؤٌ مَكْنُونْ

وَدَعَانَا لِلَذِيذِ الاِصْطِبَاحْ طَائِرٌ (مَيْمُونْ)

وقال قِدْماً مبارياً:

قَضَتْ خَمْرُ الثُّغُورِ بِفِطْرِ الصَّائِمِينَا = وَصَوْمِ الْمُفْطِرِينَا؛

قَضَى صَرْفُ الدُّهُورِ بِبَيْنِ الْعَاشِقِينَا = وَحَيْنِ الْبَائِنِينَا

وَرُبَّ فَتًى يُهَابُ جَلِيلٌ فِي النُّفُوسِ

يُذَلِّلُهُ الشَّبَابُ إِلَى ظَبْيٍ شَمُوسِ

أَغَنُّ لَهُ رُضَابُ أَلَذُّ مِنَ الشَّمُوسِ

بِلَحْـــظٍ ذِي فُتُـــورِ   يَرُوعُ الآمِنِيناَ = وَيَسْبِـي الْنَّاسِكِينَـا

أَلاَ بِأَبِــــي سَنِيــــعُ   بَدِيــعٌ فِــي الصِّفَــاتِ

لَــهُ صَبَــغَ النَّجِيــعُ   خُـــدُوداً مُذْهِبَـــاتِ

يَسِيــغُ بِهَــا الْخَلِيــعُ كُؤُوســـاً مُتْرَعَـــاتِ

تُنَشِّـــطُ لِلسُّــــرُورِ   وَتُسْلِي الْوَالِهِينَا = بِرَغْـمِ الْحَاسِدِينَـا

فَكَاسَـــاتُ الْحُمَيَّــــا   بِرَاحَـــاتِ الْغَوَانِــــي

وَتَوْرِيــــدُ الْمُحَيَّــــا   وَتَرْدِيــــدُ الْمَثَانِــــي

وَسَــــاقٌ كَالثُّرَيَّــــا   تُسَلِّــي كُــلَّ عَانِــــي

وَتَدْعُـــــو لِلْحُبُــــورِ   وَعَذْلُ الْعَاذِلِينَا = كَجَهْـلِ الْجَاهِلِينَـا

ومما ارتجله بمدينة تطاون – حرسها الله – مع ما سبق هذا الموشح وهو:

يَـا ذَوِي وُدِّي يَـا أَهْـلَ الْعُـلاَ   فِـــي ذُرَى تِطْــــوَانْ

أَسْمِعُونِـي كُـلَّ مَعْشُـوقِ الْحُلَـى   طَيِّــــبِ الأَلْحَـــــانْ

بِمَدِيحِ الْمُصْطَفَـى خَيْـرِ الْـوَرَى سَيِّــــدِ الأَكْـــــوَانْ

أَسْمِعُونِـي مِـنْ نَقَـاوَاتِ الْمَدِيـحْ رَائِــــقَ الأَشْعَــــارْ

بِلُحُـونٍ تُلْبِـسُ الْقَلْـبَ الْقَرِيـحْ حُلَـــــلَ الأَنْــــوَارْ

فَيَطِيـرُ الْقَلْـبُ مِنْهَـا فِـي مُـلاَ   تُخْلِــــقُ الأَحْـــــزَانْ

يَعْتَلِـي مِـنْ زَهْـوِهِ أَيَّ اعْتِــلاَ   فِــي سَمَـــا السُّلْـــوَانْ

يَجْتَلِـي مِـنْ بِشْـرِهِ أَيَّ اجْتِــلاَ   غَايَــــةَ الإِحْسَـــــانْ

يَجْتَلِـي مِـنْ سِـرِّهِ فِـي جَهْـرِهِ   مُـــــورِثَ الْبُقْيَــــا

وَيَـرَى مِـنْ طَيِّـهِ فِـي نَشْـرِهِ   مَالِــــئَ الدُّنْيَــــا

فَهْــوَ لاَ يَجْنَــحُ إِلاَّ لِلْعُــلاَ   شَـــأْنَ أَهْـلِ الشَّـــانْ

قَائِـلاً مَهْمَـا عَـرَاهُ مَـا عَـرَا   مِـــنْ حُلَـــى النَّشْــوَانْ:

صَلِّ يَا رَبَّ الْـوَرَى دَأْبـاً عَلَـى   سَيِّــــدِ الأَكْـــــوَانْ

وقلت في التوشيح، على وفق ما اقْتُرِح:

صَـاحِ! مَـــاذَا التَّوَانـــي عَنْ مُرَادِ الأَمَانِي=فِي أَصِيلٍ مُعَصْفَرِ الأَرْدَانِ؟
فَالْعَشَايَا مَسَارِحُ الأَشْوَاقِ
وَحُلاَهَا مَطَارِحُ الأَحْدَاقِ
كَمْ بِهَا مِنْ مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ
شَوَّقَـــتْ كُـــلَّ عَـــانِ لِمَغَانِي التَّهَانِي=وَحَبِيبٍ قَدْ جَلَّ عَنْ نُقْصَانِ
لَيْسَ يَنْبِي عَنْ حَالِهِ تَشْبِيهُ
إِنَّمَا يَرْتَقِي لَهُ التَّنْزِيهُ
عَنْ سِمَاتٍ مِنْ شَأْنِهِ التَّمْوِيهُ
مِـــنْ بَعِيـــدٍ وَدَانِ مِنْ حِسَانِ الزَّمَانِ=وَحِسَانٍ فِي غَابِرِ الأَزْمَانِ
فَإِلَيْهِ انْتَهَى جَمَالُ الصُّورَهْ
وَعَلَيْهِ زَهْرُ الْحُلَى مَقْصُورَهْ
وَبِأَسْرَارِ ذَاتِهِ مَحْصُورَهْ
جَـلَّ عَـنْ مَـا نُعَانِـــي مِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي=بِغَرِيبِ الأَلْفَاظِ وَالأَوْزَانِ
وقال موشّحاً:
قَـــدِ اكْتَسَـــى الْعُرْيَـــانْ مِـنْ مَائِسِ الأَغْصَانْ=بِالسُّنْـدُسِ
وَطَـــــرَّزَ الْبُسْتَـــــانْ بِالْـوَرْدِ وَالرَّيْحَانْ=وَالنَّرْجِـسِ
هَبَّـــتْ بِـــهِ الأَزْهَـــارْ بِنَسْمَـةِ الأَسْحَارْ=مِــنَ الْوَسَــنْ
وَهَاجَـــتِ الأَطْيَـــارْ بِرَائِـقِ الأَشْعَـارْ=أُمُّ الْحَسَــنْ
تُسَبِّــــحُ الْجَبَّــــارْ اَلْوَاحِـدَ الْقَهَّارْ=مُولِـي الْمِنَــنْ
مَـــنْ عَلَّـــمَ الأَزْمَـــانْ بِمُذْهِـبِ الأَشْجَانْ=عَـنْ مُبْلِـسِ

وَكَلَّـــلَ الأَفْنَـــانْ بِنُورِهَـا الْفَيْنَـانْ=ذِي النَّفَـسِ
فَالـــرَّوْضُ فِـــي نَشْـــرِ يَبُــثُّ بِالْفَجْرِ=سِـرَّ الزَّهَـرْ
وَالـــأَرْضُ فِـــي حَشْـــرِ كَتَائِـبِ النَّـوْرِ=ذَاتِ الْغُـرَرْ
يُكْسَـــى مُلَـــى الْبِشْـــرِ بِبُسْطِهَـا الْخُضْرِ=مَـنِ اعْتَبَـرْ

شِـــمْ بَـــارِقَ السُّلْـــوَانْ يَا ذَا الأَسَى الْيَقْضَانْ=فِي الْخُلَسِ
فَسَلْـــــوَةُ الأَحْـــــزَانْ فِـي نَفْحَـةِ الْبُسْتَانْ=بِـا لْغَلَـسْ

وقال أيضا موشحا فِي مدح السلطان - نصره الله - حسب ما اقترحوه، يرتبط عندهم بحسب الصنعة بـ: حُقَّ الْهَنَا وَالسُّرُورْ. . .

حَـــدِّثْ عَـــنْ مَنَاقِـــبْ مَوْلاَنَـا الرَّفِيـعِ الْقَـدْرِ الأَكْمَـلْ
حَاصِـــدِ الْكَتَائِـــبْ وَنَـارُ الْوَغَـى بِالْبِيـضِ تَشْعَـلْ
مُخْجِـــلِ السَّحَائِـــبْ بِالْجُـودِ الـذِي مَـا زَالَ يَنْهَـلْ
أَيْـــنَ جُـــودُ حَاتِـــمْ مِـنْ جُـودِ الـذِي سَـاسَ الْبَرَيَـا
نَـــا فِـــذِ الْعَزَائِـــمِ مُعِيـدِ السُّـرُورِ الْمَيْـتِ حَيَّـا
دِيمَـــــةُ النَّــــوَالِ مَـلاَذُ الْـوَرَى غَـرْبـاً وَشَرْقَـا
فَـــلاَ زَالَ حَالِــــي بِالْعِـزِّ الـذِي يَعْلُـو وَيَرْقَـى
أَرَبَّ الْجَلَــــــالِ طَـوِّقْ مُلْكَـهُ بِالنَّصْـرِ طَوْقَـا
أَزَيْـــنَ الْمَوَاسِـــمْ أَيَـا مَـنْ حَـوَى مُلْكـاً عَلِيَّـا
لَــوْلاَ أَنْــتَ غَانِــمْ لَكَـانَ الْهَنَـا عَنَّـا غَنِيَّـا
أَفَخْـــرَ الْخَلاَئِـــفْ أَغَـوْثَ الْـوَرَى بَـرّاً وَبَحْـرَا
حَوَيْـــتَ اللَّطَائِـــفْ وَأَوْدَعْتَهَـا بِالْقَسْـرِ قَصْـرَا
دُمْـــتَ فِيـــهِ قَاطِـــفْ مِنْ نَخْـلِ الْمُنَـى وَالسَّعْـدِ تَمْـرَا
ثَغْـــرُ الْيُمْـــنِ بَاسِـــمْ وَطَيْـرُ الْمُنَـى يَشْـدُو هَنِيَّـا
أَزَيْـــنَ الْمَوَاسِـــمْ أَيَـا مَـنْ حَـوَى مُلْكَـا عَلِيَّـا

وقال أيضا فِي الوزن والروي مما يرتبط مما تقدم من قوله:
أَرْسِلْ جِيَادَ النَّظَرْ

حَـــدِّثْ عَـــنْ عَجَائِـــبْ زَمَـانِ الرَّبِيـعِ الْفَصْـلِ الأَجْمَـلْ
وَاشْكُـــرْ ذَا الْمَوَاهِـــبْ غَزِيرَ النَّـدَى ذَا الْفَضْـلِ الأَشْمَـلْ
مُرْسِـــلَ السَّحَائِـــبْ تُعِيـرُ الْجَدِيـبَ زِيَّ مُخْضَـلْ

نَبِّـــهْ جَفْـــنَ الأَفْكَـــارْ وَاقْـدَحْ بِالْحِجَـا زَنْـدَ الرَّوِيَّـــهْ
وَاقْطِـفْ نَـوْرَ الأَشْجَـارْ وَوَحِّـدْ بِـــهِ رَبَّ الْبَرِيَّـــهْ
صُنْـــعُ ذِي الْجَلـــاَلِ تَعَالَـــى يُنَبِّـــهُ الْمُحِقَّـــا
جِيـــدُ الـــرَّوْضِ حَالِـــي وَقُضْبُ الرُّبَـى طُوِّقْـنَ طَوْقَـا
مَـــنْ يَلْحَـــظْ بِحَـــالِ، سِوَى رَبِّنَـا ذِي الْخَلْـقِ، يَشْقَـى
(فَمَـــا) زَالَ يَخْتَـــارْ بِـــلاَ عِلَّـــةٍ وَلاَ سَجِيَّـــهْ
حَـــفَّ عَـــذْبُ الأَنْهَـــارْ بِخُضْـرِ الْبُسْـطِ السُّنْدُسِيَّـهْ
وَمَـــدَّ الْقَطَائِـــفْ مِـنْ نَشْـرِ الْحَيَـا نُمِّقْـنَ نَـوْرَا
حُفَّـــتْ بِاللَّطَائِـــفْ وَقَـدْ نَمْنَمَـتْ نَجْـداً وَغَـوْرَا
زُرْ تِلْـــكَ الْمَقَاطِـــفْ وَلاَ تَصْطَلِـي لِلْغَـمِّ جَمْـرَا
وَشِـــمْ بَـــرْقَ إِنْـــذَارْ وَاذْكُـرْ إِنْ تَضِـقْ فَتْـكَ الْمَنِيَّـهْ
وَاقْـــرَعْ بَـــابَ الأَنْـــوَارْ بِالصَّلَـاةِ عَـنْ شَمْـسِ الْبَرِيَّـــهْ

المخمسات

وقال مخمسا لأبيات الفاضل: الصالح بن المعطي المتقدم الذكر، وقد اقترح ذلك عليه:

مَـا شَـأْنُ دُنْيَانَـا سِـوَى الإِنْـذَارِ لَـوْ أَنَّنَـا كُنَّـا ذَوِي أَبْصَـارِ
نَـادَى تَصَرُّفُهَـا أَخَـا الـأَوْزَارِ: يَـا مُوثِـراً لِنَعِيـمِ هَـذِي الـدَّارِ
وَمُضَيِّعَ الأَعْمَارِ فِي الأَسْفَارِ

لِـمْ لاَ تُبَالِـي بِالْمَنُـونِ وَسَهْمِـهِ؟ هَلْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَنْ لَمْ يُصْمِـهِ
مِنْ ظَالِمٍ لَمْ يَنْكَفِـفْ عَـنْ ظُلْمِـهِ؟ وَمَنِ اعْتَدَى لاَ يَرْعَوِي عَنْ جُرْمِـهِ
مَا هَذِهِ؟ ذَا حَالَةُ الأَبْرَارِ

بَلْ حَالُ مَنْ لَمْ يُقْلِعُوا عَـنْ خَبِّهِـمْ وَتَمَكَّنَتْ خُـدَعُ الْمُنَـى مِـنْ لُبِّهِـمْ
حَتَّى ثَنَتْهُمْ عَـنء مَنَاهِـجِ قُرْبِهِـمْ مَا ذَاكَ وَصْـفُ السَّائِرِيـنَ لِرَبِّهِـمْ
وَسَبِيلُ مَنْ يَخْشَى مِنَ الْجَبَّارِ

فَانْهَضْ لِدِينِكَ فَاعْتَمِـدْ تَصْحِيحَـهُ وَأَدِمْ عَلَـى كُـلِّ الْمُنَـى تَرْجِيحَـهُ
وَإِذَا كَسَـا الْغَـمُّ الْحَشَـا تَبْرِيحَـهُ فَأَنِـبْ لِرَبِّـكَ وَاغْتَنِـمْ تَسْبِيحَــهُ
وَسُؤَالَهُ بِاللَّيْلِ فِي الأَسْحَارِ
وَاحْـذَرْ فَتـىً لاَ تَنْتَهِـي آمَالُــهُ وَاصْحَبْ فَتىً قَـدْ سُـدِّدَتْ أَعْمَالُـهُ
إِنْ قَالَ لَـمْ تُخْـطِ الْهُـدَى أَقْوَالُـهُ وَاعْمَـلْ لِيَـوْمٍ جَمَّــةٌ أَهْوَالُــهُ
يَوْمَ اشْتِدَادِ الْهَوْلِ بِالْفُجَّارِ
يَا ذَا الـذِي سَئِـمَ الْحَيَـاةَ وَمَلَّهَـا مِـنْ أَجْـلِ أَوْزَارٍ تَحَمَّـلَ ثِقْلَهَــا
لاَ تَيْأَسَنْ فَالْعَفْـوُ يَنْقُـضُ غَزْلَهَـا وَاسْكُبْ دُمُوعَكَ إِذْ خَلَـوْتَ لَعَلَّهَـا
تُنْجِيكَ يَا ذَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ
وقلت مخمسا:
صَبَرْتُ لِلصَّدِّ حَتَّى عِيلَ مُصْطَبَرِي وَضِقْتُ ذَرْعاً بِمَا أَرْبَى عَلَى الْقَمَـرِ
لَجَجْتُ فِي حُبِّهِ فَلَجَّ فِـي ضَـرَرِي مَنْ مُنْصِفِي فِي سَقِيمِ (الْجَفْنِ) ذِي حَوَرِ
رَكِبْتُ بَحْرَ الْهَوَى فِيهِ عَلَى غَرَرِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، قُلْـتُ قَوْلَـةً عَظُمَـتْ جَاشَتْ بِهَا لَوْعَةُ الْحُبِّ الَّتِي اضْطَرَمَتْ
بَلْ مَالِكِي (عَادِلٌ) حَالِي بِهِ انْتَظَمَتْ ظَبْيٌ لَهُ صُورَةٌ فِي الْحُسْنِ قَدْ قُسِمَتْ

بَيْنَ الْكَثِيبِ وَبَيْنَ الْغُصْنِ وَالزَّهَرِ
يَا صُورَةً عَلَّهَـا الْحُسْـنُ وَأَنْهَلَهَـا لَوْ أَوْرَدَتْ مُهْجَـةَ اللَّهْفَـانِ مَنْهَلَهَـا
مَا كَانَ أَجْمَلَهَا، مَـا كَـانَ أَكْمَلَهَـا آلَتْ لَوَاحِظُـهُ أَنْ لاَ يَعِيـشَ لَهَـا
صَبٌّ وَلَوْ أَنَّهُ فِي قَسْوَةِ الْحَجَرِ
ولي فيه أيضا:
رَثَيْتُ حَتَّى رَثَى لِـي كُـلُّ مُعْتَبِـرٍ لِمُغْرَمٍ بَيْـنَ نَـابِ الْبَـثِّ وَالظَّفَـرِ
يَقُـولُ إِذْ أَعْوَزَتْـهُ لَـذَّةُ الظَّفَـرِ: مَنْ مُنْصِفِي مِنْ سَقِيمِ الْجَفْنِ ذِي حَوَرِ؟
رَكِبْتُ بَحْرَ الْهَوَى فِيهِ عَلَى غَرَرِ
يَا وَيْحَهُ صِفَةُ الإِنْصَافِ مَا عَلِمَـتْ مَتَى رَأَى نَفْسَ مُضْنىً قَبْلَهُ رُحِمَـتْ

وَحَقٌّ مَـنْ حِبُّـهُ أَمْثَالُـهُ عُدِمَـتْ ظَبْيٌ لَهُ صُورَةٌ فِي الْحُسْنِ قَدْ قُسِمَتْ
بَيْنَ الْكَثِيبِ وَبَيْنَ الْغُصْنِ وَالزَّهَرِ
أَنْ يَسْتَكِيـنَ إِذَا بِـهِ ازْدَرَى وَلَهَـا وَبِالْحَرَى أَنْ يَزِيدَ فِي الْهَوَى وَلَهَـا
لاَ أَنْ يَقُولَ الْمُعَنَّى مَـا لَـهُ وَلَهَـا آلَتْ لَوَاحِظُـهُ أَنْ لاَ يَعِيـشَ لَهَـا
صَبٌّ وَلَوْ أَنَّهُ فِي قَسْوَةِ الْحَجَرِ
تخميس آخر لكاتبه:
لَوْلاَ تَجَنِّيكَ يَا شَمْسِي وَيَـا قَمَـرِي بَلْ يَا حَيَاتِي وَيَا سَمْعِي وَيَا بَصَرِي!
مَا قُلْتُ مِنْ ضَجَرٍ مَا قَالَ ذُو خَوَرٍ: مَنْ مُنْصِفِي مِنْ سَقِيمِ الطَّرْفِ ذِي حَوَرِ؟
رَكِبْتُ بَحْرَ الْهَوَى فِيهِ عَلَى غَرَرِ
وَأَنْفُسُ الْعَاشِقِيـنَ أَنْفُسـاً حُرِمَـتْ لَوْ أَنَّهَا أُحْرِقَتْ بِالنَّارِ مَـا رُحِمَـتْ
مِنْ كُلِّ نَفْسٍ سَقَاهَا الصَّبْرُ فَاخْتُرِمَتْ ظَبْيٌ لَهُ صُورَةٌ فِي الْحُسْنِ قَدْ قُسِمَتْ
بَيْنَ الْكَثِيبِ وَبَيْنَ الْغُصْنِ وَالزَّهَرِ
مَنْ يَرْجُ عَطْفَتَهُ ازْدَرَى بِـه وَلَهَـا وَقَـدَّهُ بِلِحَـاظٍ مَـا لَـهُ وَلَهَـا
أَغْرَتْ بِهِ دَنِفاً، أَغْرَى بِـه الْوَلَهَـا آلَتْ لَوَاحِظُـهُ أَنْ لاَ يَعِيـشَ لَهَـا
صَبٌّ وَلَوْ أَنَّهُ فِي قَسْوَةِ الْحَجَرِ
غيره له:

أَبَا الْمَحَاسِـنِ أَمَّـا أَنْـتَ ذَا غُـرَرٍ رَشَقْتَ قَلْبِـيَ بِالأَهْـدَابِ وَالشُّفُـرِ
أَهْوَاكَ جُهْدِي وَمَا تَهْوَى سِوَى ضَرَرِي مَنْ مُنْصِفِي مِنْ سَقِيمِ الطَّرْفِ ذِي حَوَرِ؟
رَكِبْتُ بَحْرَ الْهَوَى فِيهِ عَلَى غَرَرِ
ظَبْيٌ شَمَائِلُـهُ لاَ عُدِمَـتْ، عُدِمَـتْ رِقَّتُهَا لِقُلُـوبِ بِالْهَـوَى احْتُدِمَـتْ
ظَبْيٌ بِطَلْعَتِهِ الْحِسَـانُ قَـدْ خُتِمَـتْ ظَبْيٌ لَهُ صُورَةٌ فِي الْحُسْنِ قَدْ قُسِمَتْ
بَيْنَ الْكَثِيبِ وَبَيْنَ الْغُصْنِ وَالزَّهَرِ
وَصُـورَةٌ أُجْمِلَـتْ لَفْظـاً فَفَصَّلَهَـا رِدْفٌ وَقَدٌّ، وَثَغْرٌ، مَـا لَنَـا وَلَهَـا؟
لَقَدْ قَضَـى نَحْبَـهُ صَـبٌّ تَأَمَّلَهَـا آلَتْ لَوَاحِظُـهُ أَنْ لاَ يَعِيـشَ لَهَـا

صَبٌّ وَلَوْ أَنَّهُ فِي قَسْوَةِ الْحَجَرِ

ومن الْمقترح عليه فيها إذاك هذا الْمخمس، يكتبه الآن على سبيل الأحْماض، والاسترواح بذكر ذلك العهد من الإمضاض:

جَـلَّ مَـنْ أَنْشَـأَ ظَبْيـاً أَهْيَفَـا   زَادَ قَلْبِـي فِـي هَــوَاهُ شَغَفَــا

اِصْطَفَاهُ الْحُسْنُ مِـنْ أَهْـلِ الصَّفَـا   مَنْ عَذِيرِي مِنْ غَـزَالٍ مُصْطَفَـى

قَدْ جَفَا عَيْنِي الْكَرَى لَمَّا جَفَا

قَـدَّ جِسْمِــي وَبَرَانِــي حُبُّــهُ   وَرَمَـتْ قَلْبِـي الْمُعَنَّـى هُدْبُــهُ

بُعْـدُهُ دَائِــي وَطِبِّــي قُرْبُــهُ   لَيِّـنُ الْعَطْـفِ وَلَكِــنْ قَلْبُــهُ

قَدْ قَسَا حَتَّى حَكَى صَلْدَ الصَّفَا

وقال أيضا مخمسا:

جَمَـرَاتُ الْـوَدَاعِ وَاللـهُ حَسْبِـي   زَلَّعَـتْ كَبِــدِي وَأَوْدَتْ بِلُبِّــي

قُلْـتُ مُشْتَكِيـاً إِلَهِــي وَرَبِّــي   إِنَّ يَـوْمَ الْفِـرَاقِ أَحْـرَقَ قَلْبِــي

وَكَوَانِي الْفِرَاقُ بِالنَّارِ كَيَّا

أَهْلَ حُبِّي لَـمْ تَـزَلْ فِـي ارْتِفَـاعِ   زَفَرَاتِــي مُـذْ غَــدَاةِ الْــوَدَاعِ

فَوَحَـقِّ الْوِصَـالِ بَعْـدَ انْصِـدَاعِ   إِنْ قَضَـى اللـهُ بَيْنَنَـا بِاجْتِمَـاعِ

لاَ ذَكَرْتُ الْفِرَاقَ مَا دُمْتُ حَيَّا

المسمطات

وله في المولديات مجيبا لمن اقترحها عليه:

صَلَــاةُ السَّمِيــعِ الْعَلِيــمْ   عَلَـى مَـنْ أَتَـى فِــي رَبِيــعْ

فَأَكْـرِمْ بِــهِ مِــنْ سَرِيــعْ   لِدِيــنِ الْوَلِــيِّ الْحَمِيــدْ

تُـرَى هَـلْ تَعُــودُ السُّعُــودْ؟   وَتُنْجَــزُ تِلْــكَ الْوُعُــودْ؟

وَيُــورِقُ لِلْوَصْــلِ عُــودْ؟   ذَوَى بِعَقِيــمِ الصُّــدُودْ

وَتَجْمَعُنَــا دُونَ بَــاسْ   مَغَانِــي التَّهَانِــي بِفَــاسْ

تُحَــيَّ بِــوَرْدٍ وَآسْ   بِأَكْنَــافِ رَوْضٍ مَجُــودْ

وَيَجْمَعُنَــا كُــلُّ عِيــــدْ وَكُــلُّ زَمَــانٍ سَعِيــــدْ

فَنَنْظِــمُ فِيــهِ الْقَصِيــدْ وَكُــلَّ كَلَــامٍ مُفِيــدْ

وَنُنْشِــدُ حُــرَّ الْكَلَــامْ وَنَنْسِــقُ دُرَّ النِّظَــامْ

وَنَكْشِـفُ عَنَّــا الظَّلَــامْ بِنُــورِ لُحُــونِ النَّشِيــدْ

وَنُثْبِــتُ حِلْــيَ الْبَدِيــعْ بِتِيجَــانِ شَهْــرِ رَبِيــعْ

وَمَوْلِــدِ طَــهَ الرَّفِيــعْ فَأَعْظِــمْ بِــهِ مِــنْ وَدُودْ

وَأَبْهَــجَ نَفْسِــي بِمَــا يُبَصِّرُهَــا مِــنْ عَمَــى

وَيُورِدُهَــا مِــنْ ظَمَــا مَــوَارِدَ لَيْسَــتْ تَبِيــدْ

مَــوَارِدَ مَــدْحِ الرَّسُــولْ مُحَمَّــدٍ أَصْــلِ الأُصُــولْ

عَلَيْـــهِ صَلَـــاةٌ تَصُــولْ عَلَــى صَلَــوَاتِ الْعَبِيــدْ

عَلَيْــهِ صَلَــاةُ الإِلَــهْ صَلَــاةً تُعَلِّــي عُلَــاهْ

وَتُظْفِــرُهُ مِــنْ مَوْلَــاهْ بِكُــلِّ طَوِيــلٍ مَدِيــدِ

عَلَيْــهِ صَلَــاةُ قَدِيــمْ حَبَــاهُ بِخُلْــقٍ عَظِيــمْ

وَأَثْنَــى عَلَيْــهِ الْكَرِيــمْ بِــهِ فِــي الْقُــرْآنِ الْمَجِيــدْ

صَلَــاةُ الْعَلِيــمِ السَّمِيــعْ عَلَـى مَنْ أَتَـى فِـي رَبِيــعْ

فَأَكْــرِمْ بِــهِ مِــنْ سَرِيــعْ لِدِيــنِ الْوَلِــيِّ الْحَمِيــدْ

صَلَــاةُ السَّمِيــعِ الْعَلِيــمْ عَلَـى مَنْ أَتَـى مِنْ صَمِيــمْ

قُرَيْــشٍ وُلَــاةُ الْحَطِيــمْ يَتِيمَــةِ عِقْــدِ الْوُجُــودْ

وله أخرى:

صَــلِّ عَلَــى مُحَمَّــدْ صَــلِّ عَلَيْــهْ تُحْمَــدْ

صَــلِّ عَلَيْــهْ تُنْجَــدْ صَــلِّ عَلَيْــهْ تُمْجَــدْ

يَــا بِغْيَتِــي (فِــي) الْمَقْصَــدْ وَمُنْجِــدِي فِــي الْمَجْهَــدْ

صَــلِّ عَلَــى مُحَمَّــدْ بِهَــا يَطِيــبُ الْمَشْهَــدْ

صَــلِّ عَلَــى الْمُصْطَفَــى شَمْــسِ الصَّفَــا وَالْوَفَــا

حَسْبِــي بِهَـا وَكَفَـــى يَـــوْمَ الْعَنَـــا وَالْمَجْهَـــدْ
صَـلِّ عَلَـى خَيْـرِ الْخَلْـقْ الْمُنْتَقَـــى سِـــرِّ الْحَـــقّْ
رَبُّ الْهِلَـــاَلِ الْمُنْشَـــقّْ مُعْلِـــي الْعُـــلاَ مُحَمَّـــدْ
صَـلِّ عَلَـى نُـورِ النُّـــورْ مُبْلِـي حِجَـابَ الدَّيْجُـــورْ
صَـلِّ وَدُمْ يَـا مَغْـرُورْ صَـلِّ عَلَيْـــهْ تُنْجَـــدْ
صَـــلِّ عَلَـى مُحَمَّـــدْ صَـلِّ عَلَيْـــهْ تُحْمَـــدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَسْعَـــدْ يَـــوْمَ حُلُـــولِ الْمَلْحَـــدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُنْصَـــرْ صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَذْفَـــرْ
صَلِّ عَلَيْهْ تَظْفَرْ بِمَا نَأَى مِنْ مَقْصَدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُرْفَـــعْ صَـــلِّ عَلَيْـــهْ ةُتُنْفَـــعْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُشْفَـــعْ فِيــكَ صَلَــاَةُ الأَمْجَـــدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تشفــى صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تصفــى
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُكْفَـــى مَـا تَخْتَشِـي مِـنْ مِحْـرَدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَرْبَـــحْ صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَنْجَـــحْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُمْنَـــحْ مـــن فضـــة أو عسجـــد
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُكْـــرَمْ صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَعْظَـــمْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُنْظَـــمْ فِـي سِلْـكِ مَـنْ لاَ يُبْعَـدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تُرْفَـــقْ صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَنْفَـــقْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَدْفَـــقْ بِالْمُنْتَقَـــى الْمُسْتَمْجَـــدْ

صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَغْنَـــمْ صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَسْلَـــمْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَعْلَـــمْ مَـا لَـمْ يَعْلَـمْ أَوْحَـــدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَزْكُـــو صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَذْكُـــو
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَمْكُـــو مِنْـكَ الْعِـدَا وَتَرْعَـــدْ
صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَسْلُـــو صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَحْلُـــو

صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَعْلُـــو   دَأْبـــاً عُلُـــوَّ الْفَرْقَـــدْ

صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَبْهُـــو   صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَزْهُـــو

صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَلْهُـــو   عَـــنْ مَعْبَـــدٍ وَمَهْـــدَدْ

صَـــلِّ عَلَيْـــهْ وَاجْهَـــدْ صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَنْهَـــدْ

صَـــلِّ عَلَيْـــهْ تَزْهَـــدْ فِيمَـــا يُـــرَى وَيُسْنَـــدْ

صَـــلِّ عَلَيْـــهْ رَبِّـــي   وَآلِـــهِ وَالصَّحْـــبِ

مَـا هَـبَّ رِيـحُ الْغَرْبِـي عَلَـى بَقِيـعِ الْفَرْقَـــدْ

وله تذييل للأولى من هاتين:

عَلَيْـــهِ صَلَـــاَةُ حَلِيـــمْ صَلَـــاَةً تُعِيـــدُ الرَّمِيـــمْ

وَأَبْهِـجْ بِـــذَاتِ الشَّمِيـــمْ   صَلَـــاَةِ الرَّقِيـــبِ الشَّهِيـــدْ

عَلَيْـــهِ صَلَـــاَةُ شَكُـــورْ تُبَعْثِـــرُ مَـا فِـي الْقُبُـــورْ

وَأَعْبِـــقْ بِـــذَاتِ النُّشُـــورْ   صَلَـــاَةً لِمُبْـــدِي مُعِيـــدْ

عَلَيْـــهِ صَلَـــاَةُ كَبِيـــرْ عَلَـى مَـا يَشَـاءُ قَدِيـــرْ

وَأَعْظِـمْ بِـــذَاتِ الْعَبِيـــرْ   صَلَـــاَةِ الْقَدِيـــرِ الْمُرِيـــدْ

عَلَيْـــهِ صَلَـــاَةُ رَؤُوفْ تُعَبِّـي إِلَيْـــهِ الصُّفُـــوفْ

وَأَكْـرِمْ بِـذَاتِ الشُّفُـــوفْ   صَلَـــاَةِ الَّـــذِي لاَ يَبِيـــدْ

عَلَيْـــهِ صَلَـــاَةُ خَلِيـــقْ بِكُـــلِّ كَمَـــالٍ عَتِيـــقْ

وَلاَ مِثْـــلُ ذَاتِ الْخُلُـــوقْ   صَلَـــاَةِ الْحَلِيـــمِ الرَّشِيـــدْ

وقال أيضا هذا المسمط، في ولي الله، إبي سرحان، سيدي مسعود الشراط - نفع الله به -:

عَـــرِّجْ عَلَـــى قَبْـــرِ   قَـــدْ حُـــفَّ بِالسِّـــرِّ

لِفَـــا ضِـــلٍ بَـــرِّ   مَحْـضِ السَّنَـــا الشَّـــرَّاطْ

إِنَّ الرِّضَـــى مَسْعُـــودْ مُـــذْ طَلَّـــقَ الْمَفْقُـــودْ

مِـــنْ زَهْـــرَةِ الْمَوْجُـــودْ بَاهِـــتْ بِـــهِ الأَشْـــرَاطْ

فِــي خِدْمَـــةِ الْمَوْلَـــىشَرَابُـــهُ احلَوْلَـــى

فَطَـــابَ فَـــا سْتَعْلَـــى بِـــهِ عَلَـــى الأَوْسَـــاطْ

فَاهْنَـــأْ أَبَـــا سِرْحَـــانْ بِحِكْمَـــةِ الرَّحْمَـــانْ

فَاخِـــرْ بِهَـــا لُقْمَـــانْ وَاصْعَـــدْ عَلَـــى بُقْـــرَاطْ

وَلَـــبِّ مَـــنْ نَـــادَاكْ بِمُمْطِـــرِ جَـــدْوَاكْ

وَحُـــلَّ فِـــي مَعْنَـــاكْ وَالْغَـــمُّ فِـــي إِفْـــرَاطْ

يَـــا رَبِّ يَـــا مَوْلَـــايْ يَـــا سَامِعـــاً نَجْـــوَايْ

فَالصَّبْـــرُ مِـــنْ شَكْـــوَايْ مُعَفَّـــنُ الأَخْلَـــاطْ

وَالْكَـــرْبُ يَـــا رَبِّـــي غَطَّـــى سَنَـــا لُبِّـــي

وَعَـــاثَ فِـــي الْقَلْـــبِ مِـــنَ الْجَـــوَى مِخْـــرَاطْ

أُنْظُـــرْ مِـــنَ الْوَطْـــوَاطْ بِحُرْمَـــةِ الشَّـــرَّاطْ

وَكُـــلِّ ذِي أَشْـــرَاطْ مِـــنْ (سَالِـــفِ) الأَفْـــرَاطْ

وَخَيْرِخَلْـــقِ اللـــهْ ذُخْـــرِي رَسُـــولِ اللـــهِ

صَلَّـــى عَلَيْـــهِ اللـــهْ وَالـــآلِ وَالأَسْبَـــاطْ

وَجُمْلَـــةِ الأَصْحَـــابْ مُزَلْزِلِـــي الأَحْـــزَابْ

وَمَـــنْ بَغَـــى وَارْتَـــابْ مِـــنْ سَائِـــرِ الأَسْقَـــاطْ

مستدرك الديوان

ومن ذلك ما قلته في عروض هذا. . . بمقام سيدي يوسف التليدي وهو بالقرب من السلاليم:

حَـــازَ الْفَخَـــارَ التَّلِيـــدِي مِـــنْ طَـــارِفٍ وَتَلِيـــدِ

أَبُـــو الْمَحَاسِـــنِ أَحْسِـــنْ فَمَـــا حَـــوَى مِـــنْ فَرِيـــدِ

مَـــنْ لَيْـــسَ يُحْصِـــي ثَنَـــاءً عَلَيْـــهِ شِعْـــرُ لَبِيـــدِ

مَـــنْ زَارَ مِنْـــهُ هُمَامـــاً آوَى لِرُكْـــنٍ شَدِيـــدِ

وَنَـــالَ مَـــا يَرْتَجِيـــهِ مِـــنْ رَبِّ عَـــرْشٍ مَجِيـــدِ

لاَ غَــرْوَ إِنَّــا قَطَعْنَــا إِلَيْــهِ شُمَّـــخَ بِيـــدِ
تَسْتَوْكِـفُ الْفَضْـلَ فَـضْ ـلَ اللــهِ الْمُغْنِــي الْحَمِيـــدِ
فَالْبَحْــرَ زُرْنَــا وَلَكِــنْ بَحْــرَ النَّـــوَالِ الْمُرِيـــدِ
وَالْغَيْــثُ، فَهُــمْ بِفَضْــلٍ مَـا بَعْـدَهُ مِــنْ مَزِيـــدِ
. . . ذات صنع باهر، تركبت من السابح والطائر:
تَجْرِي، فَلِلْمَـاءِ سَـاقٌ عَائِـمٌ دَرِبٌ وَلِلرِّيَـاحِ جَنَـاحُ طَائِـرٍ حَــذِرِ
قَـدْ قَسَمَتْهَا يَـدُ التَّقْدِيـرِ بَيْنَهُمَـا عَلَى السَّوَاءِ، فَلَمْ تَسْبَحْ وَلَـمْ تَطِـرِ
وقال عندما ركب البحر مغادرا الجزائر عائدا إلى وطنه المغرب: ثم امتطيت للنوى، ثبج ذلك البحر البعيد المهوى، وحصل الوجد عند فراق تلك الجزيرة، ما لم يحصل لمغيث إذا فارقته بريرة:
وَقَدْ أَغْدَتْ بِنَـا فِـي الْيَـمِّ جَارِيَـةٌ سَوْدَاءُ لاَ تَسْتَطِيعُ الْجَرْيَ فِي يَبِـسِ
كَأَنَّهَـا وَعُبَـابُ الْمَـاءِ يُزْعِجُهَـا تَنُصُّ جِيدَ مَرَاعِي اللَّحْظِ مُخْتَلِسِ
كَأَنَّ بِيضَ نَوَاصِيهَـا إِذَا انْتَشَـرَتْ لِوَاءُ صُبْحٍ بَدَا فِـي سُدْفَـةِ الْغَلَـسِ
. . . قلت من حرارة الوداع تمنيا: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِياً):
اَلسُّـمُّ مِــنْ أَلْسُــنِ الأَفَاعِــي أَعْـذَبُ مِــنْ قُبْلَــةِ الْــوَدَاعِ
وَدَّعْتُهُــمْ وَدُمُوعِــي تَجْــرِي لَمَّــا دَعَــا لِلْــوَدَاعِ دَاعِ
غيره:
فَأَوَّلُ صَبْرِي كَـانَ آخِـرَ سَلْوَتِـي وَآخِرُ صَبْرِي، كَـانَ أَوَّلَ أَدْمُعِـي

وقال مضمنا عجز بيت أبي قيس، وقد زار المولى أبا عمران سيدي موسى الراعي بلمطة:
دَخَلْـتُ فِـي حِمَــى الرَّاعِــي وَقَــدْ ضِقْــتُ بِأَوْجَاعِــي
وَقُلْــتُ: سَيِّــدِي مُوسَـــى بَــرَى وَجْــدِيَ أَضْلاَعِــي
فَأَنْشَدَنِــي الأَسَــى (مَهْــلاً لَقَــدْ أَبْلَغْــتَ أَسْمَاعِــي)

وممن لقيته بها - أي بالجزائر - ووجهت خطابي إليه، إلا أنه اخترمته المنية إثر سقوطي عليه، وقبل أن يجيزني فيما لديه: الشيخ المسن البركة،. . . أبو عبد الله بن خليفة. . . فخاطبته راغبا في ذلك بما نصه:

مَــنْ لِلْبَيَــانِ خَلِيفَــهْ إِلاَّ الرِّضَــى ابْــنُ خَلِيفَــهْ

بَيِّــنْ لَنَــا مُقْتَضَــاهُ يَــا رَبَّــهُ وَحَلِيفَــهْ

بَقِيــتَ فَــذّاً مُفِيــداً غُــرَّ الْمَعَانِــي الشَّرِيفَــهْ

يَـا بَحْـرَ عِلْـمٍ طَمَـى فِـي بُـرُودِ حِلْـمٍ كَثِيفَـهْ

وقال في أهل السلاليم، وهو مدشر من مداشر بني يوسف:

حَـيِّ السَّلاَلِـمَ بِالسَّـلاَمِ مُغْنِـي الْبَهَالِيـلِ الْكِـرَامِ

اَلنَّاصِبِيـنَ عَلَـى الطَّرِيـقِ مَنَـارَ فَضْـلٍ لاَ يُـرَامِ

وَالْمُطْعِمِيـنَ، لِمَـنْ يَمُـرُّ بِطَرِيقِهِـمْ، مُـرَّ الطَّعَـامِ

وَالْمُسْبِلِيـنَ عَلَـى الْمُزِيـلِ سَحَـابَ بِـرٍّ ذَا انْسِجَـامِ

يُهْـدِي إِلَيْهِـمْ ضَيْفُهُـمْ إِيمَـاضَ بِشْـرٍ وَابْتِسَـامِ

ومن ذلك ما قلته. . . في مقام مولاي عبد السلام:

بَحْـرُ الْمَفَاخِـرِ طَـامِفِـي قَبْـرِ عَبْـدِ السَّـلاَمِ

شَمْسِ الْهُـدَى ابْـنِ مَشِيـشٍ مَـنَ جَـلَّ عَـنْ كُـلِّ ذَامِ

مَـنْ قَطَعْنَـا إِلَيْـهِ شُـمَّ الرُّبَـى وَالأَكَـامِ

لَكَـمْ تَنَـالُ جُـوَاراً مِنْـهُ بِـدَارِ السَّـلاَمِ

ومن ذلك هذا المسمى عند المحدثين بالدوبيت:

وَفِـي بُـدُورِ النُّهَـى لَدَيْـكَ أَرِنَـا مَا يُكْسِبُنَـا سَنـاً يُسَلِّـي الشَّجَنَـا

مِنْ كُلِّ مُنىً يُفِيدُ شُكْـراً وَرِضـىً بِالذِي سَمَحَـتْ بِـهِ يَـدَاكَ وَغِنَـى

تفعيله فعْلن متفاعلن فعولن فعلن. . .

. . . ومثلها، وفعلن الأولى في الصدر ساكن العين، والذي في محل العروض محرك العين، وقلت حينئذ في مجزوء هذا:

يَـا رَبِّ بِمَـنْ حَفِظْتَ حُطْنَــا   وَالْطُـفْ أَبْدَانَنَــا وَحُصْنَــــا

وَافْتَـحْ سَنَـدِي عَلَــى عَيْبِــهِ   لَـمْ يَعُـدْ بِـكَ الْجَمِيــلُ ظَنَّــا

وقال: وهذا الكيتان من أجْمل الْمواضع. . . فبه راق شعري. . . سَمرت ليالِي بجناته:

وَاهاً لَهَا مِنْ لَيَالٍ هَـلْ تَعُـودُ كَمَـا   كَانَتْ؟ وَأَيُّ لَيَـالٍ عَـادَ مَاضِيهَـا؟

لَمْ أَنْسَهَا مُذْ نَـأَتْ عَنِّـي بِبَهْجَتِهَـا   وَأَيُّ أُنْـسٍ مِـنَ الأَيَّـامِ يُنْسِيهَـا؟

وأنشدت عندما خامر الفراق بكؤوس صابه لبي:

إِنَّ يَـوْمَ الْفِـرَاقِ أَحْـرَقَ قَلْبِــي وَكَوَانِـي الْفِـرَاقُ بِالنَّـارِ كَيَّــا

إِنْ قَضَـى اللـهُ بَيْنَنَـا بِاجْتِمَـاعٍ لاَ ذَكَرْتُ الْفِرَاقَ مَـا دُمْـتُ حَيَّـا

وقال يسأل عبد الله ذا الخزرجي البيت، قد أجبنا سؤاله فقلنا طالبين من المولى الكريم قبول دعائنا له:

أَفَاضَ عَلَيْـهِ اللـهُ أَبْحُـرَ فَضْلِـهِ وَنَـوَّرَ مَثْـوىً ضَمَّـهُ الرِّضَــا

وَبَـوَّأَهُ يَـوْمَ الْقِيَامَــةِ مَرْبَعــاً   تَهُبُّ بِهِ رِيحُ الْمُنَى عِطْـرَ الشَّـذَا

وَأَسْكَنَهُ مِـنْ جَنَّـةِ الْخُلْـدِ مَنْـزِلاً   مَنُوطاً بِخَيْرِ الْخَلْقِ أَشْرَفِ مَنْ هَدَى

عَلَيْهِ صَلاَةُ اللـهِ يَسْـرِي نَسِيمُهَـا   وَآلِهِ وَالصَّحْبِ السُّرَاةِ وَمَـنْ تَـلاَ